المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية في مجلد للشيخ الامام
شهاب الدين ابي العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفي سنة ۹۲۳ ... وهو كتاب جليل
القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه رتبه على عشرة مقاصد الاول في تشريف الله تعالى لنبيه بسبق نبوته
وطهارة نسبه وولادته ورضاعه ومغازيه وسراياه مرتب على السنين الى وفاته الثاني في اسمائه
واولاده وازواجه واعمامه وخدمه الثالث فيما منحه الله تعالى به من كمال خلقته وفيه ثلاثة فصول
الرابع في معجزاته وخصائصه الخامس في خصائص المعراج السادس فيما ورد من آي التنزيل في رفعة
ذكره السابع في وجوب محبته واتباع سنته الثامن في طبه وتعبير الرؤيا التاسع في لطيفة من حقائق
عبادته العاشر في اتمامه سبحانه وتعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وفيه ثلاثة فصول قال وفرغت
من تسويده في شوال سنة ۸۹۸ ... ومن تبييضه في شعبان سنة ۸۹۹ ... (كشف الظنون طبع
اسطنبول ج ۲ ص ۵۶۵)

المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية في مجلد للشيخ الامام
شهاب الدين ابي العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري المتوفى سنة ٩٢٣ ... وهو كتاب جليل
القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه رتبه على عشرة مقاصد الأول في تشريف الله تعالى لنبيه بسبق نبوته
وطهارة نسبه وولادته ورضاعه ومغازيه وسراياه مرتب على السنين الى وفاته، الثاني في اسمائه
واولاده وازواجه واعمامه وخدمه الثالث فيما منحه الله تعالى به من كمال خلقته وفيه ثلاثة فصول
الرابع في معجزاته وخصائصه الخامس في خصائص المعراج السادس فيما ورد من آي التنزيل في رفعة
ذكره، السابع في وجوب محبته واتباع سنته الثامن في طبه وتعبير الرؤيا التاسع في لطيفة من حقائق
عباداته العاشر في اتمامه سبحانه وتعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته اليه وفيه ثلاثة فصول قال وفرغت
من تسويده في شوال سنة ٨٩٨ ... ومن تبييضه في شعبان سنة ٨٩٩ ... (كشف الظنون طبع
اسطنبول ج ٢ ص ٥٦٥)

الجزء الثاني من المواهب اللدنية في تخصيص
خير البرية للقسطلاني رحمه الله تعالى
ونفعنا بعلومه امين

[illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم
امين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين

المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والاسرا وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والايات الكبرى

اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج السعادات واوصلنا به اليه في خطائر الكرامات ان قصة الاسرا والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين البينات واقوى الحجج المحكمات واصدق الانبا واعظم الايات واتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات **وقد** اختلف العلما في الاسرا هل هو اسرا واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراان كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا الى العرش او هل هو اربع اسراات حجة القايلون بانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا وحي بقوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية واما البصرية فالرؤية بالتاء وقد انكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا البصرية ولحنوا المتنبي في قوله

رؤياك احلى في العيون من الغمض **واجيب** بانه انما قال الرؤيا لوقوع ذلك في الليل وسرعة تقضيه كانه منام وبان الرؤيا والرؤية واحدة كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس في الاية كما عند البخاري هي رؤيا عين اريها صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان في اخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح في رواية البخاري بالمرئي وعند سعيد بن منصور ايضا من طريق ابن مالك قال هو ما اري في طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة وهو يرد على من خطا المتنبي على انه اختلف المفسرون في هذه الاية فقيل رؤيا عام الحديبية حين راى انه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر **وسال ابن النقيب** شيخه ابا العباس القرطبي عن الاية فقال الصحيح انها رؤية عين يقظة اراه جبريل مصارع القوم ببدر فارى النبي صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم التي اراه جبريل فتسامعت به قريش واستسخروا منه انتهى **واحتج** القايلون بانه رؤيا منام ايضا بقول عايشة ما فقد جسده الشريف **واجيب** بان عايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك زوجا ولا في سن من يضبط او لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسرا متى كان وقال لتفتقر الى اي ما فقد جسده عن الروح

بل كان مع روحه

بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا **واحتج** القايلون بان الجسد يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصا فجعل المسجد غاية الاسرا الذي وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسرا قالوا ولو كان الاسرا بجسده الى زايد على المسجد الاقصا لذكره فيكون ابلغ في المدح **واجيب** بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصا سؤال قريش له على سبيل الامتحان عما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسالوه عما راى في السما اذ لا عهد لهم بذلك **وقال** النووي في فتاواه وكان الاسرا به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضي ابي بكر بن العربي وان مرة النوم توطية له وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه امر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسرا سهله الله عليه بالرؤيا لان هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطية وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قايلي ذلك ان يكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك في روايته وذلك قبل ان يوحى اليه وسياتي البحث في ذلك ان شا الله تعالى **واحتج القايلون** بانه اربع اسراات يقظة لتعدد الروايات في الاسرا واختلاف ما يذكر فيها فبعضهم يذكر شيا لم يذكره الاخر وبعضهم يسقط شيا ذكره الاخر **واجيب بانه** لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به او ينساه **وقال** الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت اسراات متعددة فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل ذلك عن احد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي صلى الله عليه وسلم به امته ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى **وقد وقع** في رواية عبد الله بن القاسم موحدة ثم مثلثة ابو زيد جعفر في روايته عن حصين بن عبد الرحمن عن الترمذي والنسايي **لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم** جعل يمر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى تعداد الاسرا وانه وقع بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسيلة ان الاسرا الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح السما بابا بابا صح ابواب ولا من التقا الانبيا كل واحد في سما ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وساير ما يتعلق بذلك وانما تكررت

قضايا كثيرة سوي ذلك راها النبي صلي الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد
الهجرة البعض ومعظمها في المنام انتهي **وقال بعض العارفين** ان له صلي الله
عليه وسلم اربعًا وثلاثين مرة التي اسري به منها إسرا واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا راها
صلي الله عليه وسلم فالحق انه إسرا واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والي هذا
ذهب الجمهور من علما المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة
ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما يحيله **قال الرازي** قال اهل
التحقيق الذي يدل علي انه تعالي اسري بروح محمد صلي الله عليه وسلم وجسده من مكة الي
المسجد الاقصا القران والخبر اما القران فهو قوله تعالي سبحان الذي اسري بعبده ليلا من
المسجد الحرام الي المسجد الاقصا **وتقرير الدليل** ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون
الإسرا حاصلا لجميع الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالي ارايت الذي ينهي عبدا اذا صلي
ولا شك ان المراد هنا مجموع الروح والجسد وكذلك هاهنا انتهي واحتجوا ايضا بظاهر
قوله عليه الصلاة والسلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل علي اليقظة حتي يدل دليل
علي خلافه وبان ذلك لو كان مناما لما كان فيه فتنة للضعفا ولا استبعده الاغنيا وبان
الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام **وقد تواترت الاخبار** بانه اسري به علي
البراق **فان قلت** ما الحكمة في كونه تعالي جعل الإسرا ليلا **اجيب** بانه انما جعل
ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه تعالي اتخذه خليلا والليل **وقال** ابن المنير
ولعل تخصيص الاسرا بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة
علي فتنتهم إذ الليل اخفي حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المومن فضيلة
الايمان بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة علي من شقي وجحد انتهي **وفي ذلك حكمة**
اخري علي طريقة اهل الاشارات ذكرها العلامة ابن مرزوق وهي انه قيل لان الله تعالي
لما محا اية الليل وجعل اية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد
صلي الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار علي الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان كانت شمس
الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود في الليل الي السما وقيل لانه صلي الله عليه
وسلم سراج والسراج انما يوقد في الليل وانشد ∴

قلت يا سيدي ولم توثر الليل علي بهجة النهار المنير ∴
قال لا استطيع تغيير رسمي ∴ هكذا الرسم من احقية نوري في طلوع البدور
انما زرت في الظلام لكيما ∴ يشرق الليل من اشعة نوري ∴

فان قلت ايما افضل الإسرا ام ليلة القدر **فالجواب** كما قاله الشيخ
ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق النبي صلي الله عليه وسلم وليلة القدر
افضل في حق الامة لانها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسرا
فلم يات في ارجحية العمل فيها صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبي صلي الله عليه وسلم

لاصحابه ولاعينها

٣

لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الي الان والي ان تقوم الساعة
فيها شيء ومن قال فيها شيا فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استانس به ولهذا
تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها علي شيء ولو تعلق بها نفع للامة
ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلي الله عليه وسلم انتهي **فان قلت** هل وقع الإسرا
لغيره صلي الله عليه وسلم من الانبياء **اجاب العارف عبد العزيز المهدوي** بان
مرتبة الإسرا بالجسم الي تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبياء عليهم الصلاة
والسلام الا لنبينا صلي الله عليه وسلم وانما قال تعالي اسري بعبده إشارة الي انه
تعالي هو المسافر به ليعلم ان الامر من عند عز وجل هبة إلهية وعناية ربانية
سبقت له عليه الصلاة والسلام مما لم يخطر بسره ولا اختلج في ضميره وادخل الباء المصاحبة
في قوله بعبده ليفيد انه تعالي صحبه في مسراه بالالطاف والعناية والاسعاف
والرعاية ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انت الصاحب بالسفر
وتامل قوله تعالي يسيركم في البر والبحر وقوله اسري بعبده يلح لك خصوصية
مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام للحق دون عموم الخلق وقرن سبحانه وتعالي
التسبيح بهذا المسري لينفي بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من
اهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله في حق الحق تعالي من الجهة والحد والمكان وكذا
قال لنريه من اياتنا ما راي في تلك الليلة من عجايب الايات كانه تعالي يقول ما اسريت
به الا لرؤية الايات لا الي فاني لا يحدني مكان ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة
فكيف اسري به الي وانا عنده ومعه اينما كان ولله در القايل ∴

سبحان من اسري اليه بعبده ∴ ليري الذي اخفاه من اياته
لحضوره في غيبه ولسكره ∴ في صحوه والمحو في إثباته
ويري الذي عنه تكون ستره ∴ في سفه ان شاه وهباته
ويزيد ما ابدي له من جوده ∴ بوجوده والفقد من هناته
سبحانه من سيد ومهيمن ∴ في ذاته وسماته وصفاته

واكد بقوله ليلا مع ان الإسرا لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لا نهارا لدفع الاشكال
حتي لا يتخيل انه اسري بروحه فقط وليزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الإسرا ربما
يكون نهارا لان القران وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس اجمعين اصحاب
اللسان وغيرهم **وقال البيضاوي** تبعا لصاحب الكشاف وفايدة الدلالة بتنكيره
علي تقليل مدة الاسرا ولذلك قري من الليل اي بعضه كقوله تعالي ومن الليل فتهجد
به نافلة لك **وتعقبه القطب** في حاشيته علي الكشاف كما نبهت عليه في حاشية
الشفا **والمعارج ليلة الاسرا عشرة** سبع الي السموات والثامن الي سدرة المنتهي
والتاسع الي المستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر

الي العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وقد وقع له
عليه الصلاة والسلام في سني الهجرة العشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة لهذه المعاريج
العشرة ولهذا اختمت سني الهجرة بالوفاة وهي لقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا
الي دار البقا والعروج بالروح الكريمة الي المقعد الصدق والي الموعد الحق والي الوسيلة
وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسرا باللقاء والحضور بحضرة القدس وقد افاد
الامام الذهبي ان الحافظ عبد الغني جمع احاديث الاسرا في جزئين ولم يتيسر الوقوف
عليهما بعد الفحص وقد صنف الشيخ ابو اسحاق النعماني رحمه الله في الاسرا والمعراج
كتابا لجامعا للاطناب بزيادة الدقايق والاشحاك بفواضل الحقايق ولم اقف عليه
حالة كتابتي هذا المقصد الشريف والله تعالي يرحم شيخ الاسلام والحافظ الشهاب
ابن حجر العسقلاني فانه قد جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث
الاسرا وغيره من الاحاديث مع مباحث والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه
وحكمه وكل من صنف في شي من المنح النبويه والمناقب المحمدية لا يستغني
عن ستجنا معارفا للطايف من رياض عياض والاستشفا من ادوا المشكلات
بدوا شفايه المبري لمعضل الامراض والله تعالي يفيض عليه وعلي ساير علما الامة
سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في بحبوحة جنانه **وقد وردت**
احاديث الاسرا من حديث انس • وابي بن كعب • وجابر بن عبد الله • وبريدة •
وسمرة بن جندب • وابن عباس • وابن عمر • وابن مسعود • وحذيفة بن اليمان •
وشداد بن اوس • وصهيب • وعلي بن ابي طالب • وعمر بن الخطاب • ومالك
ابن صعصعة • وابي امامة • وابي ايوب • وابي حبة • وابي ذر • وابي سعيد
الخدري • وابي سفيان بن حرب • وابي هريرة • وعايشة • واسما بنت ابي بكر •
وام هاني • وام سلمة • وغيرهم • **وفي تفسير الحافظ ابن كثير** من ذلك
ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون واعرض عنه
الزنادقة الملحدون. يريدون ليطفوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو
كره الكافرون **وقد روي البخاري** عن قتادة عن انس بن مالك عن مالك
ابن صعصعة ان نبي الله صلي الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به بينما
انا نايم في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا اذ اتاني ات فقد قال وسمعته
يقول فشق ما بين هذه الي هذه فقلت للجارود وهو الي جنبي ما يعني به
قال من ثغرة نحره الي شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست من ذهب
مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد **ثم اتيت بدابة** دون البغل
وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود وهو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم
يضع خطوه عند اقصي طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتي السما

الدنيا

اول سما عرج لها صلي الله عليه وسلم

الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل
وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصت فاذا
فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا
بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي السما الثانيه فاستفتح فقيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح لنا فلما خلصت اذا يحيي وعيسي وهما ابنا الخالة
قال هذا يحيي وعيسي فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم صعد بي الي السما الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح
فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي السما الرابعة فاستفتح قيل
من هذا قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل
مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه
فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي
السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء فلما خلصت فاذا
هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم صعد بي حتي اتي السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي
جاء فلما خلصت اذا موسي قال هذا موسي فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح **فلما تجاوزت بكي** قيل له ما يبكيك قال
ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي
ثم صعد بي الي السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء
فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد
السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الي سدرة المنتهي فاذا نبقها
مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهي **واذا
اربعة انهار** نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل
قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع
لي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم اتيت بانا من
خمر وانا من لبن وانا من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة

التي اتت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلاه خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت فمررت على موسى فقال بما امرت قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجه فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بم امرت قال امرت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لن تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى استحييت منه ولكني ارضى واسلم قال فلما جاوزت ناداني مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي وفي رواية له ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه وفي رواية شريك فحشي به صدره ولغاديده وهي بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي النهاية جمع لغدود وهو لحمة مشرفة عند اللهات والشك في قوله وربما قال في الحجر من قتادة كما بينه احمد بن عفان ولفظه بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر ووقع عند البخاري في اول بدء الخلق بلفظ بينا انا عند البيت وهو اعم وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر فرج سقف بيتي وانا بمكة وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب وفي حديث ام هاني عند الطبراني انه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فقال ان جبريل اتاني والجمع بين هذه الاقوال كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه من البيت الى المسجد فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس ثم اخذه الملك فاخرجه من المسجد فاركبه البراق قال ووقع في مرسل الحسن عند ابن اسحاق ان جبريل اتاه فاخرجه الى المسجد فاركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فان قيل لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم لم يدخل من الباب مع قوله واتوا البيوت من ابوابها اجيب بان الحكمة في ذلك ان الملك انصب من السما انصبابة واحدة ولم يعرج على شي سواه مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام وهذا بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام فانه ~~حمل عنه الم الانتظار~~ ~~كما حمل عنه الم الاعتذار~~ فكانت كرامته بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف

نبينا

نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه الم الانتظار كما حمل عنه الم الاعتذار ويوخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى مقام موسى عليه الصلاة والسلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد ويحتمل ان يكون توطية وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراه الملك بافراجه عن السقف ثم التام السقف على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه الصلاة والسلام وتثبيتا لبصيرته والله اعلم وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما خرج به الى باب المسجد فاركبه البراق استمر في يقظته واما ما وقع في رواية شريك عنه ايضا فلما استيقظت فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل على ان المراد استيقظت يعني انه افاق مما كان فيه من شغل البال لمشاهدة الملكوت ورجع الى العالم الدنيوي فالمراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية وقوله اذ اتاني آت هو جبريل عليه السلام وفي رواية شريك انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم وكانت تلك الليلة اي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحى اليه وكذا القاضي عياض والنووي وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه اوهام انكرها العلماء احدها قوله قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه واجمع العلماء على ان فرض الصلاه كان ليلة الاسرا فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هولاء بان شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن انس كما اخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في كتاب المغازي من طريقه قال ولم يقع التعيين بين المجيئين فيحمل ان المجي الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الاسرا والمعراج واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين ان تكون تلك المدة ليلة واحدة او ليالي او عدد سنين وبهذا يرتفع الاشكال من رواية شريك ويحصل به الوفاق ان الاسرا كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف الاجماع في قوله ان المعراج كان قبل البعثة واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السما اذ قال له او بعث قال نعم فانه ظاهر في ان المعراج كان بعد البعثة ووقع في رواية ميمون بن سياه عند الطبراني فاتاه جبريل وميكائيل فقالا ايهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال امرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاءوا وهم ثلاثة وفي رواية مسلم سمعت قايلا يقول احد الثلاثة بين

الرجلين فَأُتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبي صلى الله عليه
وسلم نايما وقوله فقد بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغره بضم المثلثة وسكون (بينهما)
الغين المعجمة وهو الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين
المعجمة اي شعر العانة الشريفة وفي رواية مسلم الى اسفل بطنه وفي رواية البخاري الى
مراق البطن وفي رواية شريك عنده فشق جبريل نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد (مابين)
الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وقد انكر القاضي عياض في الشفا وقوع
شق صدره الشريف ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني
سعد ولا انكار في ذلك كما قاله الحافظ ابو الفضل العسقلاني رحمه الله فقد
تواترت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم (تواترت)
في الدلايل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث
انس فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية
فنشا على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا في اسلام
قرينه المروي عند البزار من حديث ابن عباس ويحتمل ان يكون اشارة الى خط
الشيطان الباين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه
واما شق الصدر عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي على
اكمل الاحوال من التطهير واما شقه عند ارادة العروج الى السما فللتهيي للترقي
الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى والتقوى لاستجلا الاسما الحسنى (كلام)
ولهذا لم يتفق لموسى عليه الصلاة والسلام مثل هذا التهيي لم يتفق له الروية
وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع
المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه الصلاة والسلام
ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة
للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا
يستحيل شي من ذلك قال العارف بن ابي جمرة فيه دليل على ان قدرة الله تعالى
لا يعجزها ممكن ولا تتوقف لعدم شي ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادة الا
حيث شاءته القدرة لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر مهما شق بطنه كله واخرج
القلب مات ولم يعش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق عن بطنه المكرمة حتى اخرج
القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك ايضا وهو صغير وشق قلبه واخرجت منه نزغة
الشيطان ومعلوم ان القلب مهما وصل اليه الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى
الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين ولم يتالم بذلك ولم يمت لما ان اراد
الله تعالى ان لا يوثر ما اجرى به العادة ان يوثر بها موت صاحبها فابطل تلك العادة
وقد رمي ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما
انتهى

انتهى وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه الصلاة والسلام بتحقيق
ما اوتي من الصبر فهو جنس ما اكرم به اسماعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات
الذبح شدا وكتافا وتلا للجبين واهوا بالمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شا الله من
الصابرين ووفى بما وعد الله فاكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي
حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر اشد واجل لان تلك مقدمات
وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والمنحر مقتل وما اصابه من اسماعيل الا
صورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه الصلاة والسلام واستخراج قلبه ثم شقه
ثم كذا اثم كذا مقاتل عديدة وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقا الحياة فهذا الابتلا
اعظم من ابتلا الذبيح بما ذكر فان قلت انما يتحقق الصبر ان لو كانت هناك مشقة
فلعل العادة لما انخرقت في ابقا الحياة انخرقت في رفع المشاق وتحمل الالام اجيب
بانه ورد في حديث شق صدره فاقبل وهو منتقع اللون او ممتقع بالميم بدل النون
وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق قال القاضي عياض واصل
انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات وهذا يدل على
انه غاية المشقة واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل على انه صبر
صبر من لم يشق عليه انتهى وكذلك الابتلا ايضا من حيث اليتم فان ذلك وقع لنبينا
صلى الله عليه وسلم بعد ما فطم وايضا فانه كان منفردا عن امه وبينهما من بين الاطفال وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه في المال وتعظيما
لما ينال له على الصبر من الثواب والثناء ولهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال
اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا وقوله ثم اتيت بطست
من ذهب انما اتي الطست لانه اشهر الات الغسل عرفا فان قلت ان استعمال الذهب
حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا اجاب
العارف بن ابي جمرة بان تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار
واما في الاخرة فهو للمومنين خالصا لقوله عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو (هو لهم في الدنيا و... ثم ان الاستمتاع لم يحصل منه عليه)
السابق له والمتناول لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست
من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفع المقام فانتفى التعارض بدليل
ما قررناه انتهى وتعقبه الحافظ ابن حجر بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل
له مما لم يحرم عليه ذلك من الملايكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه
ان يستعمله غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال تحريم استعماله مخصوص
باحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب فيلحق باحكام الاخرة (احوال م)
ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة وتطهيرها هنا مناسبات
منها انه من اواني الجنة ومنها انه لا تاكله النار ولا التراب ومنها انه لا يلحقه

الصَّدَا ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من اواني
الجنة ولا تاكله النار ولا التراب ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء
ولا يلحقه الصَّدَا وانه اثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخرى وهو ثقل
الوحي فيه انتهى قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه
الشريعة قد جزم هو في اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع
بالمدينة وقال السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة
اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضائته
ونقائه وصفائه انتهى والمراد بقوله مُلِيَ حكمة وايمانا ان الطشت جعل فيها
شي يحصل به كمال الايمان والحكمة فسُمي حكمة وايمانا مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته
وتجسيد المعاني جائز كما ان سورة البقرة تجي يوم القيامة كانها ظُلة والموت في
صورة كبش وكذلك الاعمال وغير ذلك وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل
اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم الجنة والنار
في عرض الحايط وفايدته كشف المعنوي بالمحسوس وقال العارف ابن ابي جمرة
فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه الصلاة والسلام
قال عن الطشت انه اتي به مملوءا حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب الا على ما يفهم ويعرف
والمعاني ليس لها اجسام حتى تملا وانما يملا الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع
عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة اعراض
والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس للحواس
اليها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة وانما هو غلبة ظن لان العقل
بالاجماع من اهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا
يقدر ان يصل اليه فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة
عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه الصلاة والسلام في الحديث ولم يكن
للعقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي اخبر بها عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع
بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك
العقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث ولهذا نظاير كثيرة
بين المتكلمين واثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه وما اشبهه
ثم مثل بمجي الموت في هيئة كبش املح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر
منها هنا معان وتوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن
في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفية واصحاب المعاملات
والتحقيق القايلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان
اخوانهم باعين بصايرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل
المصباح

المصباح ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها
ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين
بصره فيعرف الزيادة فيه من النقصان فان قيل ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه
ايمانا وحكمة ولم لم يوجده الله تعالى ذلك فيه من غير ان يفعل به ما فعل اجاب
العارف ابن ابي جمرة بانه عليه الصلاة والسلام لما اعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي
التصديق اذ ذاك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات
الجارية بالهلاك فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الايمان من ثلاثة اوجه
بقوة التصديق وبالمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه الصلاة
والسلام بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه
ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه الصلاة والسلام في العالمين اشجعهم واثبتهم
واعلاهم حالا ومقالا ففي العلوي كان كما اخبر عليه الصلاة والسلام ان جبريل
عليه السلام لما وصل معه الى مقامه قال لها انت وربك هذا مقامي لا اتعداه فزج
في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت وكان هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل
بقوله ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه الصلاة والسلام في هذا العالم
فكان اذا حمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكون في سلاحهم
ويقول انا ابن عبد المطلب انا النبي لا كذب ثم ان في الغاية بتطهير قلبه المقدس
وافراغ الايمان والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل ونحوه من
اسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة
والفلاسفة واما الحكمة في غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم
يقوي القلب ويسكن الروع قال الحافظ الزين العراقي ولذلك غسل قلبه
عليه الصلاة والسلام ليلة الاسرا ليقوى على رؤية الملكوت واستدل
شيخ الاسلام البلقيني بغسل قلبه الشريف به على انه افضل من ما الكوثر قال لانه
لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة في
كتابه بهجة النفوس واما قوله عليه الصلاة والسلام فغسل صدري فالظاهر
ان المراد به القلب كما في الرواية الاخرى وقد يحتمل ان يحمل كل رواية على ظاهرها ويقع
الجمع بان يقال اخبر عليه الصلاة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر
قلبه واخبر مرة اخرى بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل
فيهما معا مبالغة في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا
وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل اولا وهو عليه الصلاة والسلام طفل
واخرجت من قلبه نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقى هناك
وقد جرت الحكمة بذلك في غير موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء

(margin, beside "يقوي القلب ويسكن الروع"): الروع بفتح الراء المهملة الفزع وبضمها الراء هو القلب ومنه ان روح القدس نفث في روعي

فحين انما هو اعظام وتاهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته
لك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال الله تعالى ومن يعظم شعاير الله فانها
من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه الصلاة والسلام من تعظيم شعاير الله
واشارة لامته بالفعل بتعظيم شعاير الله كما نص عليه بالقول واما قوله ثم
اوتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصا طرفه
فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا وفي رواية عنده في الصلاة ثم اخذ
بيدى فعرج بي الى السما فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما
قال العارف ابن ابي جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهواء وقد جرت
العادة بان البشر لا يمشي في الهواء سيما وكان راكبا على دابة من ذوات الاربع
لكن لما ان شاءت القدرة ذلك كان فكما بسط تعالى لهم الارض يمشون عليها
كذلك يمشيهم في الهواء كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية
وقد سيل عليه الصلاة والسلام حين اخبر عن الاشقيا الذين يمشون على
وجوههم يوم القيامة كيف يمشون فقال عليه الصلاة والسلام الذي اماشهم
في الدنيا على اقدامهم قادر ان يمشيهم يوم القيامة على وجوههم انتهى وقد استدل
بعضهم بهذا الحديث على ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسرا الى بيت
المقدس لكون الاسرا اليه لم يذكر هنا فاما المعراج ففي غير هذه الرواية من
الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به في
حديث عند ابن اسحاق والبيهقي في الدلايل كما سياتي ان شا الله تعالى ويمكن ان
يقال لما وقع هنا اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضيه للتراخي
لا ينافي وقوع الاسرا بين الامرين المذكورين وهما الاطباق والعروج وحاصله
ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر وثابت البناني قد حفظ الحديث ففي
روايته عند مسلم انه اتى بيت المقدس فصلى به ثم عرج الى السما كما سياتي ان
شا الله تعالى وقد قيل في الحكمة في الاسرا به راكبا مع القدرة على الارض لعاشارة
الى ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان الملك
اذا استدعى من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته
اليه وفي كلام بعض اهل الاشارات لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة
شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض
هذه الثمرة بين يدى مثمرها ورفعها الى حضرة قربه والطواف بها على ندماء
حضرته ارسل اليه اعز خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه
نايما • فقال قم يا نايم • قد هيئت لك الغنايم • قال يا جبريل الى اين • قال
يا محمد ارفع الاين من البين • انما انا رسول القدم • ارسلت اليك من جملة الخدم

يا محمد انت مراد

يا محمد انت مراد الارادة • الكل مراد لاجلك • وانت مراد لاجله • انت صفوة
كاس المحبة • انت درة هذه الصدفة • انت شمس المعارف • انت بدر اللطايف •
ما مهدت الدار الا لاجلك • ما حمي حمى الحمى الا لوصلك • ما روق كاس
المحبة الا لشربك فقال عليه الصلاة والسلام يا جبريل فالكريم يدعوني الى
فما الذى يفعل بي قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال يا جبريل
هذا لي فما لعيالي واطفالي • قال ولسوف يعطيك ربك فترضى • قال
يا جبريل الان طاب قلبي • ها انا ذاهب الى ربي • قال جبريل يا محمد انما جي
بي اليك الليلة لاكون خادم دولتك • وحاجب حاشيتك • وحامل غاشيتك •
وجي بالمركوب اليك لاظهار كرامتك • لان من عادة الملوك اذا استزاروا
حبيبا او استدعوا قريبا • وارادوا ظهور كرامته واحترامه • ارسلوا اخص
خدامهم • واعز نوابهم • لنقل اقدامهم • فجيناك على رسم عادة الملوك
واداب السلوك • ومن اعتقد انه يوصل اليه بالخطا • فقد وقع في الخطا •
ومن ظن انه محجوب بالغطا • فقد حرم عليه العطا • انتهى والحكمة في
كون البراق دابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ولم يكن على شكل الفرس
اشارة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة
بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة وذكره بقوله
ابيض باعتبار كونه مركوبا او عطفا على لفظ البراق واختلف في تسميته
بذلك فقيل من البريق وقال القاضي عياض لكونه ذا لونين يقال شاة
برقا اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف
بسرعة السير ويحتمل ان لا يكون مشتقا ووصفه بانه يضع خطوه عند
اقصا طرفه بسكون الراء وبالفاء اي يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره
قال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون
قطع من الارض الى السما في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السما
فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات انتهى • وفي حديث ابن مسعود عند ابي يعلى
والبزار كما افاده في الفتح اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا اهبط ارتفعت
يداه وفي رواية لابن سعد عن الواقدي باسانيده له جناحان قال الحافظ
ابن حجر ولم ارها لغيره وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفة البراق له
خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم كالابل واظلاف وذنب كالبقر
وكان صدره ياقوتة حمرا وفي رواية ابن سعد في شرف المصطفى فكان الذي
امسك ركابه جبريل وبزمام البراق ميكاييل وفي رواية معمر عن قتادة
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا

ملجمًا فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط اكرم على
الله منه قال فارفض عرقًا اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وصححه ابن حبان
وذكر ابن اسحاق عن قتادة انه لما شمس وضع جبريل عليه السلام يده على معرفته
وقال أما تستحيي وذكر نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا وفي رواية وثيمة عند
ابن اسحاق وفيه دلالة على ان البراق كان معدًا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك
كابن دحية وأول قول جبريل فما ركبك اكرم على الله منه اي ما ركبك احد قط فكيف
يركبك اكرم منه فيكون مثل قول امرئ القيس

على لاحب لا يهتدي بمناره

فيفهم ان له منارا لا يهتدى به وليس المراد الا انه لا منار له البتة فكيف يهتدي
به فتامله وقد جزم السهيلي بان البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب
الانبياء قبله وقال النووي قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبيا
يركبون البراق قال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد تقدم النقل بذلك قال في
الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا انتهى قلنا تأمل
فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي تربطها الانبيا وانما قال تربط بها الانبياء وسكت
عن المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير ان يكون غير البراق ويحتمل ان يكون ارتباط
الانبيا انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها وتكون من جنس العروة الوثقى انتهى
لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد عند البيهقي ولفظه فاوثقت دابتي
بالحلقة التي كانت الانبياء تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحاق من رواية
وثيمة في ذكر الاسرا فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن
ركبت في الفترة وفي مغازي عايذ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب
قال البراق هي الدابة كان يزور ابراهيم عليها اسماعيل وعلى هذا فلا يكون
ركوب البراق من خصايصه صلى الله عليه وسلم نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما
لم يرو لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان قلت ما وجه استصعاب
البراق عليه اجيب بانه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه لم يركبه
احد قبله او لبعد العهد بها ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل ان يكون استصعابه
تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم واراد جبريل ابمحمد تستصعب
استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا بمكان الرسول
عليه الصلاة والسلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكانه اجاب بلسان الحال
متبريا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل
به حتى قال اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب
لا هزة الغضب وكذا البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد اكرم على

الله منه

الله منه فاستقر وخجل من ظاهر الاستصعاب وتوجه الخطاب فعرق حتى غرق
ووقع في حديث حذيفة عند الامام احمد قال أُتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق
فلم يزل على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل
يتعلق بمرافقته في السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قايد او
سايق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه
وسلم فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل متعلق بمرافقته في
السير لا في الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل سايق او قايد او دليل قال وانما
جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره فيها
وقد تعقب الحافظ ابن حجر التاويل المذكور بان في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان
جبريل حمله على البراق رديفا له وفي رواية الحارث في مسنده أتي بالبراق فركبه خلف
جبريل فسار بهما هذا اصرح في ركوبه معه والله اعلم وقد وقع في غير هذه الرواية بيان
ما راه ليلة الاسرا فمن ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار والطبراني وصححه
البيهقي في الدلايل انه اول ما اسري به مر بارض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فقال
صليت بيثرب ثم مر بارض بيضا فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت
لحم فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت حيث ولد عيسى وفي حديث انس عند البيهقي
في الدلايل لما جاء جبريل بالبراق الى صلى الله عليه وسلم فكانها حركت اذنيها فقال
لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله ان
يسير فاذا هو بشيء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد فقال له جبريل
سر وانه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا اول السلام عليك يا حاشر
فقال جبريل اردد عليهم السلام فرد الحديث وفي اخره فقال له جبريل اما العجوز التي
الذي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك
ابليس والعجوز الدنيا اما لو اجبتها لاخترت امتك الدنيا على الاخرة واما الذين سلموا
عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام قال الحافظ عماد الدين بن
كثير في الفاظه نكارة وغرابة وفي رواية انه مر بموسى عليه الصلاة والسلام وهو
يصلي في قبره قال انس ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله ولا مانع ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام يصلون في قبورهم لانهم احيا عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما
يجدون من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر وستاتي الاشارة
لذلك في حجة الوداع ان شا الله تعالى وفي حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار انه
عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان

مطلب الاسرا

فقال لجبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة
الى سبعمائة ضعف وما انفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم
اتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر
عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن (تتثاقل)
الصلاة المكتوبة ثم اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما
تسرح الانعام ياكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء يا جبريل
قال هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة اموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد
ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم نضيج في قدر ولحم نيء في قدر خبيث
فجعلوا ياكلون من النيء الخبيث ويدعون النضيج فقال جبريل هذا الرجل من امتك
تكون عنده المراة الحلال الطيب فياتي امراة خبيثة فيبيت حتى يصبح والمراة تقوم (عندها صح)
من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح ثم اتى على رجل
قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل قال
هذا الرجل من امتك تكون عنده امانات الناس لا يقدر على ادائها وهو يريد ان يحمل
عليها ثم اتى على قوم تقرض السنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت
عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء خطباء
الفتنة قال ثم اتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد ان
يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة
العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها ثم اتى على واد فوجد فيه ريحا
طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ما هذا يا جبريل قال هذا صوت الجنة
تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي واستبرقي وحريري
وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي واكوابي
وصحافي واباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فائتني بما وعدتني
فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل (ومسلمة)
صالحا ولم يشرك بي ولم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيني فهو آمن ومن
سالني اعطيته ومن اقرضني جزيته ومن توكل علي كفيته انني انا الله لا اله الا انا
لا اخلف الميعاد قد افلح المؤمنون وتبارك الله احسن الخالقين قالت قد رضيت
ثم اتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ما هذا يا جبريل
قال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي واغلالي
وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائتني
بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار عنيد
لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال فسار حتى اتى بيت المقدس

وفي رواية ابي سعيد

وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي دعاني داع عن يميني انظرني اسالك
فلم اجبه ثم دعاني اخر عن يساري كذلك فلم اجبه وفيه اذا امراة
حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يا محمد
انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه ان جبريل قال له اما الداعي الاول
فداعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك واما الثاني فداعي النصارى
ولو اجبته لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا وفيه انه صعد الى السما
الدنيا وراى فيها ادم وانه راى اخونة عليها لحم طيب ليس عليها احد واخرى
عليها لحم منتن عليها ناس ياكلون قال جبريل هؤلاء الذين يتركون الحلال
وياكلون الحرام وفيه انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض (بطونهم)
احدهم خر وان جبريل قال له هم اكلة الربا وانه مر بقوم مشافرهم
كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من اسافلهم وان جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما وانه مر بنساء تعلقن بثديهن وانهن الزواني وانه
مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون فانهم الهمازون اللمازون
وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم انه صلى الله عليه وسلم صلى
ببيت المقدس مع الملائكة وانه اتى هناك بارواح الانبياء فاثنوا
على الله وفيه قول ابراهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية عبد الرحمن (وفيه قول ابراهيم)
ابن هشام عن انس ثم بعث له ادم فمن دونه فامهم تلك الليلة وفي
حديث ام هانئ عند ابي يعلى ونشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم
وموسى وعيسى وفي رواية ابي سلمة ثم حانت الصلاة فاممتهم
اخرجه مسلم وفي حديث ابي امامة عند الطبراني في الاوسط ثم اقيمت الصلاة
فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثابت البناني
عن انس عند مسلم قال فربطته يعني البراق بالحلقة وهي باسكان اللام
على الاشهر التي تربط به الانبياء بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهو
الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير
قال عليه الصلاة والسلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل
اخترت الفطرة اي اخترت اللبن الذي عليه نبتت الخلقة وبه نبت اللحم
ونشز العظم واخترته لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام
فيما يستقر عليه الامر وقال النووي المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة
قال ومعناه والله اعلم اخترت علامة الاسلام قال وجعل اللبن علامة لكونه (والاستقامة)
سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة واما الخمر فانها ام الخبائث

وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى وقال القرطبي يحتمل أن يكون
سبب تسمية اللبن فطرة لكونه اول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه
والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره ما لوفا له اولا انتهى
واذا كانت الخمرة مباحة لانها حرمت بالمدينة والاسرا كان بمكة فما وجه
تعيينه عليه الصلاة والسلام لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد
الاخر خطأ وهما سواء في الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا
بانها ستحرم وانه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له جبريل اصبت
الفطرة اصبت او اصاب الله بك كما روينا واذا قلنا بانها كانت من خمر الجنة
فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاة الخمر المحرمة اي في علم الله وذلك ابلغ
في الورع فيستفاد منه ان من اتخذ من ماء الرمان او غيره ولو ماء قراحا مثلا
وضاهى به الخمر في الصورة وهيأه في الهيئة التي يتعاطاها اهل الشهوات
من الاجتماعات والالات فقد اتى منكرا وان كان لا يحد عليها قاله ابن المنير
وينظر فيما يعمله كثير من فقرا اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة من ماء قشر (وغيرهما)
البن ويسمونه بالقهوة وهي اسم من اسما الخمر وفي حديث ابن عباس عند احمد
فلما اتى المسجد الاقصا قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في احدهما لبن وفي الاخر
عسل فاخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة اواني وان الثالث كان خمرا وان
ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وفي حديث
شداد بن اوس فصليت من المسجد حيث شا الله واخذني من العطش اشد
ما اخذني فاتيت بانائين احدهما لبن والاخر عسل ثم هداني الله فاخذت
اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه
بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة
المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بانه كان مرتين الحافظ عماد
الدين بن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام للتصويب حيث
اختار اللبن تاكيدا للتحذير مما سواه وقد انكر حذيفة ربط البراق بالحلقة
فروى احمد والترمذي من حديث حذيفة قال تحدثونه انه ربطه خاف ان
يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا انكر حذيفة ايضا صلاته
عليه الصلاة والسلام ببيت المقدس وتعقبه البيهقي وابن كثير بان
المثبت مقدم على النافي يعني من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت
المقدس معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول ووقع في رواية
بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري به فاتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس
فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي وفي حديث

ابي سعيد عند البيهقي

ابي سعيد عند البيهقي حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الانبيا
تربطها فيه فدخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين وفي رواية
ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم اذن
مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت
بهم وفي حديث ابن مسعود ايضا عند مسلم وحانت الصلاة فاممتهم وفي حديث
ابن عباس عند احمد فلما اتى صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى فقام يصلي فاذا النبيون
اجمعون يصلون معه وعن ابي سعيد ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط
فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك
قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من
اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبيا فاثنوا على ربهم فقال ابراهيم
عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا
يؤتم بي وانقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه الصلاة
والسلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما واصطفاني وانزل علي التوراة
وجعل هلاك فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من امتي قوما يهدون بالحق
وبه يعدلون ثم ان داود عليه الصلاة والسلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي
جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور والان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن معي والطير
واتاني الحكمة وفصل الخطاب ثم ان سليمان عليه الصلاة والسلام اثنى على ربه فقال الحمد
لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمني
منطق الطير واتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير واتاني
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسى عليه
الصلاة والسلام اثنى على ربه فقال الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعلني مثل ادم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني اخلق من
الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلني ابرئ الاكمه والابرص
واحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني واعاذني وامي من الشيطان الرجيم
فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه
فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي
هم الاولون وهم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا افضلكم محمد صلى الله عليه
وسلم ثم ذكر انه عرج به الى السما الدنيا ومن سما الى سما ذكره القاضي عياض في الشفا مختصرا
من حديث ابي هريرة من غير عزو ورواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري وهذا لفظه

وفي رواية ابن ابي حاتم في تفسيره عن انس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذي يقال
له باب محمد اتى الى الحجر الذي به فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها فلما استويا في
سرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال
فانطلق الى اوليك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت
لمن انتن فقلن خيرات حسان نساء قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا واقاموا فلم يظعنوا
وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن
مؤذن واقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فاخذ جبريل بيدي عليه الصلاة
والسلام فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال لي جبريل اتدري من صلى قلت لا قال صلى
خلفك كل نبي بعثه الله قال القاضي عياض يحتمل ان يكون صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبيا جميعا في بيت المقدس ثم صعد منهم الى السما من ذكر انه عليه الصلاة والسلام راه
ويحتمل ان يكون صلى بهم بعد ان هبط من السما فهبطوا ايضا والاظهر ان صلاته بهم ببيت المقدس
كان قبل العروج انتهى وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان
في الحديث ما يدل على ذلك ولا مانع منه انتهى وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي
فرض او نفل واذا قلنا انها فرض اي صلاة هي قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل ان تكون
العشا وانما يتاتى على قول من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السما واما على قول من قال انه صلى
بهم بعد العروج فيكون الصبح قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم في السما والذي
تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس والظاهر انه بعد رجوعه اليه لانه لما مر بهم في منازلهم
جعل يسال جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم ثم قال وهذا هو اللايق لانه اولا كان مطلوبا
الى الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلى امته ما يشاء ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو
واخوانه من النبيين ثم اظهر شرفه عليهم بتقديمه في الامامة وفي رواية ابن اسحاق انه
عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان في بيت المقدس اتي بالمعراج ولم ار قط شيا احسن
منه وهو الذي يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر فاصعد صاحبي فيه حتى انتهى الى باب
من ابواب السما وفي رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب
حتى عرج وجبريل وفي شرف المصطفى انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس وانه منضد
عن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة وفي رواية ابي سعيد عند البيهقي ثم اتيت
بالمعراج الذي تعرج عليه ارواح بني ادم فلم ير الخلايق احسن من المعراج اما رايت
الميت حين يشق بصره طامحا الى السما فان ذلك عجبه بالمعراج وقد تقدم في حديث
البخاري السابق فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل اوقد ارسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل عليه السلام انا حين
قيل له من انما سمى نفسه فقال جبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة وفي الكلام السائر
اول من قال انا ابليس فشقي وايضا فقوله انا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي

غير كافية في البيان

غير كافية في البيان وعلى هذا فينبغي للمستاذن اذا قيل له من انت لا يقول انا بل يقول فلان
وفي رواية للبخاري ومسلم فعرج وهو بفتح العين بمعنى صعد وفي حديث ابي سعيد
عند البيهقي حتى انتهى الى باب من ابواب السما يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال
له اسماعيل تحت يده اثنا عشر الف ملك وفي رواية شريك عند البخاري ايضا ثم عرج به
الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما الدنيا من هذا قال جبريل قالوا
ومن معك قال محمد قالوا اوقد بعث قال نعم قالوا مرحبا واهلا فيستبشر به اهل
السما لا يعلم اهل السما بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم اي على لسان من شا كجبريل
ووقع في هذه الرواية انه راى في سما الدنيا النيل والفرات عنصرهما وظاهره
يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فاذا في اصلها اربعة
انهار ويجمع بان اصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السما الدنيا ومنها
نزولهما الى الارض ووقع في هذه الرواية ايضا ثم مضى به في سما الدنيا فاذا هو بنهر
اخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد وانه الكوثر وهو مما استشكل من رواية شريك
فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السما السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى في السما الدنيا
الى السابعة فاذا هو بنهر ثم اذن في قوله في الحديث فتح دلالة على انه صادف ابواب السما مغلقة
والحكمة في ذلك والله اعلم التنويه بقدره عليه الصلاة والسلام وتحقيق ان السموات
لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتوحة لم يتجوز انها فتحت له تحقق عليه
الصلاة والسلام ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل واما قوله في الحديث
ارسل اليه وفي رواية وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج
الى السما وهو الاظهر لقوله اليه لان اصل بعثته قد اشتهر في الملكوت الاعلى وقيل
سالوا تعجبا من نعمة الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا ان بشرا لا يترقى في
هذا الترقي الا باذن من الله تعالى وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل اليه وقيل ان الله
تعالى اراد اطلاع نبيه على انه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا او بعث اليه او ارسل
اليه فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا
ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجي وكلامهم بهذه الصيغة اكمل دليل
على ما ذكرناه من معرفتهم بجلالته وتحقق رسالته ولان هذا الحال مما يكون من
حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب واما قولهم من معك
فيشعر بانهم احسوا به عليه الصلاة والسلام والا لكان السؤال بلفظ امعك
احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السما شفافة واما بامر معنوي كزيادة
انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله اخذه من كلام العارف ابن ابي حمرة حيث قال
في بهجته الثاني ان يكون سؤالهم لما راوا واحيز راوا واقبال الله عليهم من زيادة الانوار
وغيرها من الماثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر

كانهم قالوا من الشخص الذي من اجله هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما ارادوا
وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى وقد قال بعض العلما في قوله تعالى لقد
راى من ايات ربه الكبرى انه راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس
المملكة واما قولهم له مرحبا ولنعم المجي جاء فيحتمل ان يكونوا قالوه لما عاينوا من بركاته
عليه الصلاة والسلام التي سبقته للسما مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتاخير والتقدير
جاء فنعم المجي مجيئه واتما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة
لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل
ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب
واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر قبل
يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت
لجبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل
اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك
واذا نظر قبل شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين
المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في
سجين وان ارواح المومنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سما الدنيا
واجاب بانه يحتمل انها تعرض على ادم اوقاتا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه
وسلم ويدل على ان كونهم في النار انما هو في اوقات دون اوقات قوله تعالى النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا واعترض بان ارواح الكفار لا تفتح لها ابواب السما
كما هو نص القران والجواب ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين
ادم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من روية ادم لها وهو في السما
ان تفتح لها ابواب السما ولا تلجها وفي حديث ابي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه
باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه
استبشر واذا نظر عن شماله حزن وهذا لو صح لكان المصير اليه اولى من جميع ما تقدم
ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر واما قوله في الحديث ثم صعد بي حتى السما
الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل او قد ارسل اليه قيل نعم
فقيل مرحبا به فنعم المجي جاء ففتح فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال
هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح الى قوله ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل او قد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جاء فلما
خلصنا فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام
وقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن انس

عند مسلم ان في السما

١٣

عند مسلم ان في السما الاولى ادم وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة
يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة موسى
وفي السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن انس عن ابي ذر
كما في اول الصلاة من البخاري ايضا انه لم يثبت منازلهم وقال فيه وابراهيم
في السما السادسة وفي رواية شريك عن انس ان ادريس في الثانية وهارون
في الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى
في السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على انه لم يضبط منازلهم ايضا
كما صرح به الزهري ورواية من ضبط اولى ولا سيما من اتفاق قتادة
وثابت وقد وافقهما يزيد بن ابي مالك عن انس الا انه خالف في ادريس وهارون
فقال هارون في الرابعة وادريس في الخامسة ووافقهم ابو سعيد الا ان في
رواية يوسف في الثانية وعيسى ويحيى في الثالثة والمشهور في الروايات
ان الذي في السابعة هو ابراهيم واكد ذلك في حديث مالك بن صعصعة
بانه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد
فقد جمع بان موسى كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة على
ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في السابعة
لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شي مما يتعلق بما فرض على امته من الصلاة
كما كلمه موسى عليه السلام والسما السابعة هي اول شي انتهى اليه حالة الهبوط
فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذي خاطبه في ذلك كما ثبت في جميع الروايات
ويحتمل ان يكون لقي موسى في السادسة فاصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره
من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع نبينا فيما يتعلق بامر امته
في الصلاة قاله في فتح الباري وقال ابن النووي اشار الى شي من ذلك وفي رواية
شريك عن انس في قصة موسى لم اظن ان احدا يرفع علي قال ابن بطال فهم موسى
عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له في الدنيا دون غيره
من البشر لقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد
بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه احد فلما فضل الله
تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع
على موسى وغيره بذلك وفي حديث ابي سعيد قال موسى يزعم بنو اسرائيل اني
اكرم على الله وهذا اكرم على الله مني زاد الاموي في روايته ولو كان هذا وحده
هان ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله وفي حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي
يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي ولم يكن بكاء موسى عليه الصلاة

والسلام حسدًا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد المومنين فكيف
ممن اصطفاه الله تعالى بل كان اسفًا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب
ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة لتنقيص اجره لان
لكل نبي مثل اجر كل من اتبعه ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا صلى الله
عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة **وقال العارف ابن ابي
جمرة** قد جعل الله تعالى في قلوب انبيائه عليهم الصلاة والسلام الرافة والرحمة
لامتهم وبكيهم على ذلك وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قيل
هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد اخذوا
من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة في قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم فلاجل
ما كان لموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة واللطف بكى اذ ذاك رحمة منه لامته
لان هذا وقت افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم
الله امته ببركة هذه الساعة **فان قال قايل** كيف يكون هذا وامته لا تخلوا من
قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذي مات على الايمان لا بد له
من دخول الجنة والذي على الكفر لم يدخل الجنة ابدًا فبكاؤه لاجل ما ذكر لا يسوغ لان
قيل الحكم فيهم قد مر ونفذ قيل ان الله تعالى قدر قدره على قسمين فقدر قدرا وقدر ان
ينفذ على كل الاحوال وقدر قدرا ان لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعا او صدقة
او غير ذلك فلاجل ما ركب في موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالامة
طمع لعل ان يكون ما ابقى لامته من القدر الذي قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه
بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله
تعالى لانه وقت سرى فيه بالحبيب ليكرمه بخلع عليه خلع القرب والفضل العميم فطمع
الكليم لعل ان يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد قال نبينا صلى الله عليه
وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى فكان
امر قد قدر والاسباب لا تؤثر الا بما سبقت القدرة بانها فيه تؤثر وما كان قضاء
نافذا لا يؤثر فيه تردد الاسباب حتم قد لزم **وفي بكايه عليه الصلاة والسلام وجه
اخر** وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قول موسى
عليه الصلاة والسلام الذي هو اكثر الانبياء اتباعا ان الذين يدخلون الجنة من امة محمد
اكثر مما يدخلها من امتي **واما قول موسى عليه الصلاة والسلام لان غلاما** ولم
يقل غير ذلك من الصيغ فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه **وفي القاموس** والغلام
الطار الشارب والكهل ضد وقال الخطابي العرب تسمي الرجل المستجمع السن
غلاما ما دامت فيه بقية من القوة **قال في فتح الباري** ويظهر لي ان موسى عليه
الصلاة والسلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم من
استمرار القوة

وقدر صح

لا تردد

استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول سن الشيخوخة ولم يدخل
على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص حتى ان الناس في قدومه المدينة
لما راوه مردفا ابا بكر اطلقوا عليه اسم الشاب وعلى ابي بكر اسم الشيخ مع
كونه عليه الصلاة والسلام في العمر اسن من ابي بكر والله اعلم وقد ذكرت ذلك في
الهجرة من المقصد الاول وقد وقع في حديث ابي هريرة عند الطبري في ذكر ابراهيم
فاذا هو رجل اشمط جالس عند باب الجنة على كرسي **وفي رواية مسلم** من حديث ثابت
عن انس ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى
البيت المعمور واذا هو كل يوم يدخله سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وفيه فاذا
انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي
وابي هريرة عند الطبراني فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب وهذا ظاهره ان يوسف عليه الصلاة
والسلام كان احسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث انس ما بعث الله
نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده
قول من قال ان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث الباب على
ان المراد ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم
واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح فيحمل على اخوة النبوة
والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وقال ابن المنير وفي طريق شاذة مرحبا بالابن
الصالح وهذه هي القياس لانه جده الاعلى **وقيل** ان ادريس الذي لقيه ليس هو
الجد المشهور ولكنه الياس فان كان كذلك ارتفع الاشكال **فان قلت**
لم كان هولاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات دون غيرهم
من الانبياء وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان في السماء
الثانية بخصوصها اثنان **اجيب** عن الاقتصار على هولاء دون غيرهم من
الانبياء بانهم امروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه في اول وهلة
ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه
وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم **فاما ادم عليه السلام** فوقع التنبيه
بما وقع له من الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم
من الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق
الف من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما ان يرجع الى وطنه الذي خرج منه **وبعيسى
ويحيى** على ما وقع له اول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغي وارادتهم
السوء اليه **وبيوسف** على ما وقع له مع اخوته على ما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم

والنبي مع البلاء

من قريش في نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار عليه الصلاة والسلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش اقول كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقا اي العتقا وبادريس على رفيع منزلته عند الله تعالى وبهارون على ان قومه رجعوا على محبته بعد ان اذوه وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه وقد اشار عليه الصلاة والسلام بقوله لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر وبابراهيم في استناده الى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم في اخر عمره من اقامة منسك الحاج وتعظيم البيت الحرام واجاب العارف ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة في كون ادم في السما الدنيا لانه اول الانبيا واول الاباء وهو الاصل ولاجل تانيس النبوة بالابوة واما عيسى فانما كان في السما الثانية لانه اقرب الانبيا الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تنسخ شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل في اخر الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام انا اولى الناس بعيسى فكان في الثانية لاجل هذا المعنى وانما كان يحيى عليه الصلاة والسلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشي الواحد فلاجل التزام احدهما كانا هناك معا وانما كان يوسف عليه الصلاة والسلام في السما الثالثة لان على حسنه تدخل امة النبي صلى الله عليه وسلم الجنة فاري له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه الصلاة والسلام فيسر بذلك وانما كان ادريس عليه الصلاة والسلام في السما الرابعة لانه هناك توفي ولم يكن له تربة في الارض على ما ذكر وانما كان هارون عليه الصلاة والسلام في السما الخامسة لانه ملازم لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل انه اخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى عليه الصلاة والسلام في السما السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص باشيا لم تكن لهارون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السادسة وانما كان موسى عليه الصلاة والسلام في السما السادسة لاجل ما اختص به من الفضايل ولانه الكليم وهو اكثر الانبيا اتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السما السابعة لانه الخليل والاب الاخير فناسب ان يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه انس لتوجهه بعده الى عالم اخر وهو اختراق الحجب وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل

لاجل ما اختص به

بالاخر

لاجل ما اختص به مما زاده به عليهم قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتامل وقد اختلف في روية نبينا صلى الله عليه وسلم لهولاء الانبيا عليهم الصلاة والسلام فحمله بعضهم على روية ارواحهم الا عيسى لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك واما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بارواحها وقيل يحتمل ان يكون عليه الصلاة والسلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد اعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما ادرك به ذلك ويشهد له رويته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض الحايط وهو يحتمل لان يكون عليه الصلاة والسلام راهما من ذلك الموضع او مثل له صورتهما في عرض الحايط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى لما اراد باسرا نبينا عليه الصلاة والسلام رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه الصلاة والسلام وتعظيما حتى يحصل له من قبلهم ما اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم يشر اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتملة ولا ترجيح لاحدها على الاخر اذ القدرة صالحة لكل ذلك انتهى واما قوله في الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت وما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي رواية عند البخاري ايضا فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار وعند مسلم يخرج من اصلها وعنده ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان فيحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة ووقع في حديث شريك كما عند البخاري في التوحيد انه راى في سما الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل والفرات والجمع بينهما انه راى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة وراهما في السما الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر انتشارهما بسما الدنيا كذا قاله ابن دحية وروى ابن ابي حاتم عن انس انه عليه الصلاة والسلام بعد ان راى ابراهيم قال ثم انطلق بي على

له صح

متن صح

عنصرهما

ظهر السما السابعة حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد
وعليه طير خضر انعم طير رايت قال جبريل هذا الكوثر الذى اعطاك الله
فاذا فيه انية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد
ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من انيته فاغترفت من ذلك الماء
فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك وفى حديث ابى سعيد
عند البيهقى فاذا فيها عين تجرى يقال لها السلسبيل فيشتق منها نهران احدهما
الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمه وسياتى مزيد لذلك لما ذكرها من الكوثر
فى المقصد الاخير ان شا الله تعالى وقد وقع فى حديث ثابت عن انس عند
مسلم ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها وفيها، فى حديث ابن مسعود عند مسلم
ايضا بيان سبب تسميتها سدرة المنتهى ولفظه لما اسرى برسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انتهى بى الى سدرة المنتهى وهى فى السما السادسه
واليها ينتهى ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن ابى جمرة
لان اليها تنتهى الاعمال ومن هناك ينزل الامر وتتلقى الاحكام وعندها تقف
الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهى ما يصعد
من السفل وما ينزل من العالم العلوى من امر العلى وقال النووى
لان علم الملايكة ينتهى اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يعارض قوله فى حديث ابن مسعود هذا انها فى السما السادسة ما دل
عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعد ان دخل فى السما السابعة لانه يحمل على ان اصلها
فى السما السادسة واغصانها وفروعها فى السابعه وليس فى السادسة الا اصل
ساقها قاله فى فتح البارى وجاء فى حديث ابى ذر عند البخارى فى الصلاه فغشيها
الوان لا ادرى ما هى وفى حديث يزيد بن ابى مالك جراد من ذهب وفى
حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش من ذهب قال البيضاوى وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان
من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة
صالحة لذلك وفى حديث ابى سعيد وابن عباس تغشيها الملايكة وفى حديث
على على كل ورقة منها ملك وفى رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها
من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها وفى رواية
عن حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال
ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة اوصاف ظل مديد

وطعم لذيذ

بي صح

والنهي صح

وطعم لذيذ ورايحة زكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل
والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرايحة بمنزلة القول
وقال العارف ابن ابى جمرة وهل الشجرة مغروسة فى شى ام لا يحتمل الوجهين
معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى فى هذه الدار الارض مقرا
للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشى فى
الهواء كما كان يمشى فى الارض ولان بالقدرة استقرت الارض مع انها
على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة فى الهواء ويحتمل ان تكون مغروسة بارض
وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء واما قوله صلى الله عليه وسلم
فى الحديث ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن
فقال هى الفطرة التى انت عليها فيدل على انه عرض عليه الانيه مرتين مرة ببيت
المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة واما
الاختلاف فى عدد الانيه وما فيها فيحمل ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر
ومجموعها اربعة اوانى فيها اربعة اشياء من الانهار الاربعة التى راها تخرج
من اصل سدرة المنتهى ووقع فى حديث ابى هريرة عند الطبرى سدرة المنتهى
يخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة
للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء وجاء عن كعب
ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر
الماء نهر سيحان وللنهر النيل فضايل ولطايف افردها بالتاليف غير واحد من الايمة
ووقع فى بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء فى السموات واما قوله
عليه الصلاة والسلام فى الحديث ثم رفع لى البيت المعمور فمعناه انه ارى له
وقد يحتمل ان يكون المراد الرفوع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت
المعمور عوالم حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد فى بصره وبصيرته حتى راه
وروى الطبرى من حديث سعيد بن ابى عروبه عن قتادة قال ذكر لنا ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد فى السما بحذا الكعبة لو خر لخر
عليها يدخله سبعون الف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفى هذا دليل
على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها ممكن لان هذا البيت المعمور يصلى فيه
كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله الخلق الى الابد ثم طايفة هذا اليوم
لا ترجع اليه ابدا ومع انه قد روى انه ليس فى السموات ولا فى الارض موضع
شبر الا وملك واضع جبهته هناك ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها
ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا فهولاء الملايكة الذين
يدخلون اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التى لا يشبهها شى وفى هذا

يوم ن

اليوم صح

دليل على ان الملايكة اكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون الف ملك
كل يوم تصلي في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملايكة
في السموات والارض والبحار وفي حديث ابي هريرة عند ابن مردوية وعبد
ابن ابي حاتم ان في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس
ثم يخرج فينتفض فيخرج منه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم
الذين يصلون فيه اي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف
وذكر الامام فخر الدين الرازي عند قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون انه روي عن عطا
ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل
السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل فيه جبريل عليه السلام
كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله
تعالى من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون
الفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقد روي ان الملايكة
يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملايكة
التي للتعبد وما عدا الملايكة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك
الموكل بتصوير ابن ادم والملايكة الذين ينزلون في السحاب والملايكة الذين يكتبون
الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملايكة الذين يتعاقبون والذين يؤمنون
على قراة المصلي والذين يقولون ربنا ولك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة
والذين يلعنون من هجرت فراش زوجها وروي ان في السما الدنيا وهي من ماء
ودخان ملايكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل
بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذي الملك والملكوت وان في السما الثانية
ملايكة على الوان شتى رافعين اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة
والجبروت وان فيها ملكا نصف جسده من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار
تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا من الف بين الثلج والنار الف
بين قلوب عبادك وان في السما الثالثة وهي من حديد ملايكة ذو اجنحة
ووجوه شتى واصوات شتى رافعوا اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك
انت الله الحي الذي لا يموت وهم صفوف قيام كانهم بنيان مرصوص لا يعرف
احدهم لون صاحبه من خشية الله وان في الرابعة وهي من نحاس ملايكة
يضعفون على ملايكة الثالثة وكذلك كل سما اكثر عددا من التي تليها وان ملايكة
السما الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان شتى من العبادة يبعث الله الملك
الموكل منهم الى امر من اموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي
الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن لا اله الا هو

وان في الخامسة

تنبيه

ثم ملايكة

صفة سما الدنيا وهي من ما ودخان

وان في الخامسة وهي من فضة ملايكة يزيدون على ملايكة الاربع سموات
وهم سجود وركوع لم يرفعوا ابصارهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة
قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وان في السما السادسة وهي من ذهب جند
الله الاعظم الكروبيون لا يحصي عددهم الا الله تعالى عليهم ملك له سبعون
الف ملك وهم الذين يبعثهم الله تعالى في اموره الى اهل الدنيا رافعوا اصواتهم
بالتسبيح والتهليل وان في السابعة وهي من ياقوتة حمراء من الملايكة
ما يزيد وكل على ما تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعماية الف ملك منهم جنود مثل
قطر السما وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصا والورق وعدد كل خلق
في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو
وان حملة العرش لكل ملك منهم وجوه شتى واعين شتى في جسده لا يشبه
بعضها بعضا رافعة اصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون لو ان الملك
منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم الا الله وحملة العرش
ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم تقول اربعة منهم سبحانك وبحمدك على
حلمك بعد علمك وتقول اربعة سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وقد
روى الطبراني من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على
اي شيء انت قال على الريح والجنود قال وعلى اي شيء ميكايل قال على النبات والقطر
قال وعلى اي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفي اسناده محمد بن
عبد الرحمن بن ابي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك وروى الترمذي من حديث
ابي سعيد مرفوعا وزيراي من اهل السما جبريل وميكايل الحديث وروى النقاش
ان اسرافيل اول من سجد من الملايكة وانه جوزي بولاية اللوح المحفوظ وفي كتاب
العظمة لابي الشيخ ابن حبان من ذلك العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني
وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا زيادات فمنها ما وقع في رواية
ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلايله ثم صعدت الى السما السابعة فاذا ابراهيم
الخليل ساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت
عليه وسلم علي واذا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانهم القراطيس
وشطر عليهم ثياب رمدة قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم
الثياب البيض وحجب الاخرون الذين عليهم ثياب رمدة فصليت انا ومن
معي في البيت المعمور وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل اشمط جالس عند
باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس
وقوم في الوانهم شي فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه وقد خلص الوانهم وصارت مثل
الوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هولاء الذين في الوانهم شي وما هذه

فخرجوا وقد خلص من الوانهم
شي ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا
فيه [illegible]

الانهار التي دخلوا فيها فجاؤا وقد صفت الوانهم قال هذا ابوك ابراهيم اول من
شمط على الارض واما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما
هؤلاء النفر الذين في الوانهم شي فقوم خلطوا عملا صالحا واخر سيا فتابوا فتاب الله
عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا
طهورا وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف
الاقلام الحديث والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها
حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملايكة من اقضية الله تعالى والقدر المكتوب
قديم وانما الكتابة به حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته
وجف القلم بما فيه قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملايكة
كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ما ذكر في الاخبار
وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر قلما وانها متفاوتة في الرتب فاجلها واعلاها
قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلايق كما في سنن ابي داود
عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول
ما خلق الله القلم قال له اكتب قال له رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شي حتى
تقوم الساعة فهذا القلم اول الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير
انه القلم الذي اقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والثالث قلم التوقيع
عن الله ورسوله والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ بها صحتها والخامس
قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك والسادس قلم الحساب
وهو الذي تضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم
الارزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا
والثامن قلم الشهادة التي تحفظ بها الحقوق والتاسع قلم التعبير وهو كاتب
وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقايعه
والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على
المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام التي بها انتظام مصالح العالم قال
ويكفي في جلالة القلم انه لم يكتب كتب الله الا به وانه تعالى اقسم به في كتابه
انتهى ملخصا من كتاب اقسام القران وقد وقع في رواية ابي ذر عند مسلم
وغيره من الزيادة ايضا ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها
المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم بالنون المفتوحتين ثم الف ثم موحدة
ثم ذال المعجمة هي القباب ويؤيده ما في التفسير من البخاري من حديث قتادة
عن انس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ
واما ما في كتاب الصلاة من البخاري واذا فيها حبايل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة

واخره لام

واخره لام وقال القاضي عياض وغيره هو تصحيف وفي حديث للامام احمد
من رواية حذيفة فتحت لهما ابواب السما قال فرايت الجنة والنار وفي حديث
ابي سعيد انه عرضت عليه الجنة وان رمانها كانه الدلا واذا طيرها كانه البخت
وانه عرضت عليه النار فاذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها ووقع عند مسلم
من طريق همام عن قتادة عن انس بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه
قباب الدر المجوف واذا طينته مسك اذفر فقال جبريل هذا الكوثر
وفي رواية ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك لاق ربك
الليلة وان امتك اخر الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك
في امتك فافعل ووقع في حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد
بي الى السماء السابعة قال ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها
تغطي هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران
احدهما الكوثر والاخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي
وما تاخر ثم رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن انت يا جارية
قالت لزيد بن حارثة وفيه واذا رمانها كانه الدلا عظما ثم عرضت على النار
فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها
ثم اغلقت دوني وفي الطبراني من حديث عايشة لما كان ليلة اسري بي الى السما
ادخلت الجنة فوقفت على شجرة من اشجار الجنة لم ار في الجنة شجرة احسن
منها ولا ابيض منها ولا اطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرها فاكلتها
فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة
وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بان الاسرا كان قبل ولادة فاطمة وهي ولدت
قبل النبوة لسبع سنين وشي ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة وذكر ابو
الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين والسبعماية
والسبعين الف وعزاها لابي الربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر مبدا حديث الاسرا
كما ورد في الامهات اتاني جبريل وكان السفير بيني الى ان انتهى الى مقام
ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان
تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك
من حاجة الى ربك قال ان ابسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا
عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرق بي
سبعين الف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل ملك

علمه

بها الحجر ذو الشر ذو قرا الدهر
ذو فرش باب نقد وامراة ذو
ظهرت رائحته واشتدت طيبه
كانت كالمسك اوكر ... كالعنان
م صباح

[illegible]

عبارة العبا قبل للوكيل
وعنده سفر الحكم سعر
غمو شعب وشرنا

يا محمد
سل الله

وانسي فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك ناداني مناد بلغة ابي بكر
قف ان ربك يصلي فبينما انا اتفكر في ذلك فاقول هل سبقني ابو بكر فاذا النداء
من العلي الاعلى يا خير البرية ادن يا احمد ادن ليدن الحبيب فادناني ربي حتى
كنت كما قال تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى قال وسالني ربي فلم
استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها
فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه
اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه وعلمني القران
فكان جبريل عليه السلام يذكرني به وعلم امرني بتبليغه الى العام
والخاص من امتي قال ولقد عاجلت جبريل عليه السلام في اية نزل بها
فعاتبني ربي وانزل علي ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه
وقل رب زدني علما ثم قلت اللهم انه لما لحقني استيحاش من قبل قدومي
عليك سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي قف فان ربك
يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني ابو بكر الى هذا المقام وان ربي لغني
عن ان يصلي فقال تعالى انا الغني عن ان اصلي لاحد وانما اقول سبحاني سبحاني
سبقت رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم
من الظلمات الى النور وكان بالمومنين رحيما فصلاتي رحمة لك ولامتك
واما امر صاحبك يا محمد فان اخاك موسى كان انسه بالعصا فلما اردنا
كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي وشغل بذكر العصا
عن عظيم الهيبة وكذلك انت يا محمد لما كان انسك بصاحبك ابي بكر
وانت خلقت وهو من طينة واحدة وهو انيسك في الدنيا والاخرة خلقنا
ملكا على صورته ينادي بك ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من
عظيم الهيبة ما يقطعك عن فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى وابن حاجة
جبريل فقلت اللهم انك اعلم فقال يا محمد قد اجبته فيما سالك ولكن فيمن
احبك وصحبك وفي رواية فتقدمت وجبريل على اثري حتى انتهى بي الى
حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد
صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله اكبر فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني
فوضعني بين يديه في اسرع من طرفة عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب
فقال الملك من ورا الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب حجاب الذهب
وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الله اكبر فاخرج يده
من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك من حجاب الى
حجاب حتى جاوز بي سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام فقال
لي تقدم

ادن ح

بلغته ح

اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجب

لي تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بي الملك الى حجاب اللؤلؤ اسرع من طرفة
فحرك الحجاب فقال الملك من ورا الحجاب من هذا قال انا فلان صاحب حجاب
الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الله اكبر
فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه فلم ازل كذلك
من حجاب الى حجاب حتى جاوز بي سبعين الف حجاب غلظ كل حجاب خمسماية
عام ثم دلي لي رفرف اخضر يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصري ووضعت
على ذلك الرفرف ثم احتملني حتى وصلت الى العرش فابصرت امرا عظيما
لا تناله الالسن ثم تدلى لي قطرة من العرش فوقعت على لساني فما ذاق
الذايقون شيا قط احلى منها فانباني الله بها نبا الاولين والاخرين
ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فلم ار شيا فجعلت اري بقلبي ولا
اري بعيني ورايت من خلفي ومن بين كتفي كما رايت امامي الحديث رواه
والذي قبله في كتاب شفا الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة في ذلك عليه
والرفرف البساط وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن
الصنعة ثم اتسع فيه واعلم ان ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب فهو في حق
المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عن ما يحجبه
اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى معنا في
الاسماء والصفات والافعال وساير المخلوقات من معاني الانوار والظلمات
كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم واقرب الخلق
الى الله تعالى الملايكة الحافون والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة
والعظمة والكبرياء والجلال والقدس والقيومة حجب الذات بالصفات
وهم في الحجب عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات
وبالجملة فالمخلوقات كلها ما كانت حجابا عن الخالق فقوم حجبوا برؤية النعم
عن المنعم وقوم برؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب عن المسبب
وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن العقل وذلك
كله من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الوهاب وقوم حجبوا
بالشهوات المباحة وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيات
وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا
عنك في الدنيا ولا ابصارنا في الاخرة يا كريم وقد ورد في الصحيح عن انس
قال عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة جل جلاله
فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى الحديث وهذا
الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو

مسيرة ح

مالك

قال الصحيح ... هذا كذب بلا شك

وبروية

حتى صح

المذكور

والتدلي في قوله تعالى في سورة النجم ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى
وان اتفقا في اللفظ فالصحيح ان المراد في الاية جبريل لانه الموصوف بما
ذكر من اول السورة الى قوله ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح قالت عائشة
رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال
ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين ولفظ القران لا يدل
على غير ذلك من وجوه احدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل
الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير الثاني انه قال ذو مرة اي حسن الخلق
وهو الكريم الذي في سورة التكوير الثالث انه قال فاستوى وهو بالافق
الاعلى وهو ناحية السما العليا وهذا استوا جبريل عليه السلام واما
استوا الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع انه قال ثم دنا فتدلى فكان قاب
قوسين او ادنى فهذا دنو جبريل ونزل الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله
عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنا الجبار جل جلاله منه والخامس انه
قال ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة المنتهى
قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل
السادس ان نفس الضمير في قوله ولقد راه وقوله دنا فتدلى وقوله دنا
فاستوى وقوله بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان يخالف بين المفسرين
من غير دليل السابع انه سبحانه اخبر ان هذا الذي دنا فتدلى كان بالافق نزلة اخرى صح
الاعلى وهو افق السماء بل تحتها قد دنا من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان
فوق العرش لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للرائي الذي لا ادب له
بين يدي الملوك والعظما من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين
يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفي تلك الحضرة اذ لم يلتفت
جانبا ولم يمد بصره الى غير ما اري من الايات وما هناك من العجايب
بل قام مقام العبد الذي اوجب ادبه اطراقه واقباله على ما اريه
دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات
الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وقال في مدارج السالكين
وفي هذه الاية اسرار عجيبة هي من غوامض الاداب اللايقة باكمل البشر
صلوات الله وسلامه عليه تواطا هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا

وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطئة له وما شاهدته بصيرته
فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطيا في حقه اي ما كذب الفؤاد ما راه
ببصره ولهذا قرا هشام وابو جعفر ما كذب الفؤاد ما راى بتشديد
الذال اي لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفؤاد والبصر
وكون المرئي المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرا الجمهور ما كذب
الفؤاد بالتخفيف وهو متعد وما راى مفعوله اي ما كذب قلبه ما رات
عيناه بل واطاه ووافقه فلمواطاة قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره
لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده فيطغى ولم يمل عن المرئي
فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئي ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال
بكليته صح على الله تعالى والاعراض عما سواه وانه اقبل على الله بكليته واعرض عما سواه بكليته
وللقلب زيغ وطغيان كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه
وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي
وقوله اقيم فيه وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالى الذي لا يلحقه فيما سواه فان
عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال رفيع ان تتطلع الى ما هو اعلى منه الا ترى
الى موسى عليه السلام لما اقيم مقام التكليم والمناجاة طلب نفسه الروية
ونبينا صلى الله عليه وسلم لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره
ولا قلبه الى غير ما اقيم فيه البتة ولاجل هذا ما عاقه عايق ولا وقف به مراد
حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة ولم تقف به دون كمال العبودية
همة ولهذا كان مركوبه في مسراه يسبق خطوه الطرف فيضع قدمه عند
منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شاوه الذي سبق به العالم اجمع في
سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى الله
عليه وسلم لا يتاخر من محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم في خفارة كمال
ادبه مع الله تعالى وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز
السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق
به الاولين والاخرين فانصبت له هناك اقسام القرب انصبابا وانقشعت
سحايب الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا واقيم مقاما غبطه به الانبيا والمرسلون
فاذا كان في المعاد اقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الاولون والاخرون
واستقام هناك على صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله تعالى ما زاغ البصر
وما طغى فاقامه في هذا العالم على اقوم صراط على الحق والهدى واقسم بكلامه
القديم على ذلك في الذكر الحكيم فقال يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين
على صراط مستقيم فلم يزل صلى الله عليه وسلم فاذا كان يوم المعاد اقامه على

[illegible]

الصراط فسال السلامة لاتباعه واهل سنته حتى يجوزوا الى جنات النعيم وذلك
فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ثم ان ما ذكر هنا من القرب
والدنو المراد به تاكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة قال جعفر
الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه
الحق تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فاوحى الى عبده ما اوحى اي كان
ما كان وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب والطف به الطاف الحبيب بالحبيب
نخفي السر ولم يطلع عليه احد ولم يعلم احد ما اوحى الا الذي اوحى وقال غيره
في قوله فاوحى الى عبده ما اوحى ابهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم
فهو مبهم لا يطلع عليه بل نتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر بالاخبار
الواردة قال سعيد بن جبير اوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم الم اجدك
يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم نشرح
لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك
وقيل اوحى الله تعالى اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى
الامم حتى تدخلها امتك ذكره الثعلبي والقشيري وقيل اوحى اليه خصصناك
بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره
القشيري وذكر ايضا انه اوحى اليه مما اوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل اوحى اليه الصلوات الخمس ذكره النقاش
وفي رواية ابي سعيد الخدري عند البيهقي ان الله تعالى قال له صلوات الله
وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت
له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين
وسخرت له الرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذنك واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال ربه تعالى قد اتخذتك
حبيبا فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن وارسلناك الى الناس كافة
بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك
فلا اذكر الا ذكرت معي وجعلت امتك خير امة وسطا وجعلت امتك
هم الاولين وهم الاخرين وجعلت لك امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم وجعلتك
اول النبيين خلقا واخرهم بعثا واولهم يقضى له واعطيتك سبعا من المثاني
لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك خواتيم سورة البقرة

من كنز تحت عرشي

من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر واعطيتك ثمانية اسهم
الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما وفي اسناده ابو جعفر الرازي ضعفه بعضهم
وقال ابو زرعة متهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيء الحفظ وذكر الفخر الرازي
عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول لما وصل محمد صلى الله عليه
وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في المعراج اوحى الله تعالى اليه يا محمد بم اشرفك
قال يا رب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا فسماه تعالى بهذا الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه
بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب
من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان اطلق على غيره مجازا ورحم الله تعالى الاديب
برهان الدين القيراطي فلقد اجاد حيث قال

وَدَعَتْنِي بالعبد يوما فقالوا ... قد دعته باشرف الاسماء

ولبعض اهل الاشارات كان الله تعالى قال له يا محمد اعطيتك نورا تنظر به
جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني عرفك بلسان الحال معنى عروجك الي
يا محمد ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد يطالب بحقيقة
ما يشهد به فاريك جنتي لتشاهد ما اعددت فيها لاوليائي ثم اشهدك جلالي
واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير
والمشير فراه النبي صلى الله عليه وسلم بالنور الذي تراه من غير ادراك ولا
احاطة فرءاه احدا لا في شيء ولا قائما بشيء ولا على شيء ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله
شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا قيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر
لا يذاع ورمز لا يشاع فاوحى الى عبده ما اوحى وكان سرا من سر لم يقف عليه
ملك مقرب ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال يقول

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم في الكون يحكيه

سر يمازجه انس يقابله ... نور تحير في بحر من التيه

ولما انتهى الى العرش تمسك باذياله وناداه بلسان حاله يا محمد انت في صفا وقتك
امنا من مقتك اشهدك جمال احديته واطلعك على جلال صمديته وانا الظمآن
الى ما فاز عليه المتحير فيه لا ادري من اي وجه اتيه جعلني اعظم خلقه
فكنت اعظمهم منه هيبة واكثرهم فيه حيرة واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني
فكنت ارعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه
ارتعادا وارتعاشا فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدى روعي
فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمانينة لسري فهذه بركة اسمك علي فكيف

ثم اريك ناري لتشاهد ما اعددت فيها لاعدائي

لما ان تمسك العرش باذيال النبي صلى الله عليه وسلم

اذ اوقع جميل نظرك الي يا محمد انت المرسل رحمةً للعالمين ولابد لي من نصيب من هذه
الرحمة ونصيبي يا حبيبي أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه اهل الزور الي وتقوّله
اهل الغرور علي زعموا اني أسع من لا مثل له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد
لذاته ولا عدّ لصفاته كيف يكون مفتقرا الي او محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه
والاستوا صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي او ينفصل عني يا محمد وعزته
لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطيق له حملا اوجدني
منه رحمة وفضلا ولو محقني لكان حقا منه وعدلا يا محمد انا محمول قدرته
ومعمول حكمته فاجاب لسان حال سيدي زاده الله فضلا وشرفا لديه ووالى
صلواته وسلامه عليه ايها العرش اليك عني انا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي
ولا تشوش علي خلوتي فما اعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا ولا اقراه من سطور
ما اوحي اليه حرفا ما زاغ البصر وما طغى وقد ورد في بعض اخبار الاسرا
مما ذكره العلامة ابن مرزوق في شرحه لبردة المديح انه صلى الله عليه وسلم
لما كان من ربه تعالى قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم
بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما انت فاعل بامتي قال انزل عليهم
الرحمة وابدل سياتهم حسنات ومن دعاني منهم لبيته ومن سالني اعطيته
ومن توكل علي كفيته وفي الدنيا استر على العصاة وفي الاخرة اشفعك فيهم
ولولا ان الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت امتك ولما اراد صلى الله عليه
وسلم الانصراف قال يا رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتي قال الله
تعالى انا لهم ما عاشوا وانا لهم اذا ماتوا وانا لهم في القبور وانا لهم في النشور
واعلم انه قد اختلف العلماء قديما وحديثا في رؤيته صلى الله عليه وسلم
لربه تعالى ليلة الاسرا فروى البخاري من حديث مسروق قال قلت
لعايشة يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت
من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب
ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما في غد
فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم
فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية ولكنه راى
جبريل في صورته مرتين وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا راى ربه فقد اعظم
الفرية وقولها قف شعري اي قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله
واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك قال النووي تبعا لغيره لم تنف
عايشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط

علي ماذكرته

علي ماذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا قال قولا
وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني
جزمه بان عايشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب
فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن
ابي هند عن الشعبي عن مسروق في الطريق المذكورة قال مسروق وكنت
متكيا فجلست فقلت الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يا رسول الله هل رايت ربك
قال لا انما رايت جبريل منهبطا نعم احتجاج عايشة رضي الله عنها بالاية خالفها
فيه ابن عباس فاخرج الترمذي من طريق الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس
قال راى محمد ربه قلت اليس يقول الله لا تدركه الابصار قال اذا تجلى بنوره الذي هو
نوره وقد راى ربه مرتين وقال القرطبي الابصار في الاية جمع محلى بالالف
واللام فيقبل التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله تعالى في الاية الاخرى وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واذا جازت في الاخرة جازت في الدنيا لتساوي
الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد وقال القاضي عياض
رؤية الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سؤال
موسى عليه الصلاة والسلام ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها
ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل
على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الاية انتهى
وقد روى ابن ابي حاتم بسنده عن اسماعيل بن علية في تاويل هذه الاية قال
هذا في الدنيا وقال اخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه
لا يرى في الدنيا ولا في الاخرة فخالفوا اهل السنة والجماعة مع ما ارتكبوه من الجهل
مع ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فقوله
تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون قال الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على ان المومنين لا يحجبون عنه
تبارك وتعالى واما السنة فقد تواردت الاخبار عن ابي سعيد وابي هريرة وانس
وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان المومنين يرون الله تعالى في الدار الاخرة في العرصات وفي روضات
الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفي في الاية ادراك العقول قال الحافظ
ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الاية وقال اخرون لا منافاة بين اثبات
الرؤية ونفي الادراك اخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص نفي الاعم

فان الادراك م

النووي ح
وبعد ذاك م
في ذكر م

ثم اختلف هولاء في الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه
الا هو وان راه المؤمنون كما ان من راي القمر لا يدرك حقيقته وكنهه
وماهيته فالعظيم اولي بذلك ولله المثل الاعلي وقال اخرون المراد
بالادراك الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الروية كما لا يلزم من
عدم الاحاطة بالعلم عدم العلم وفي صحيح مسلم لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت علي نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثناء فكذلك هذا وروي ابن ابي
حاتم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في قوله لا تدركه
الابصار قال لو ان الجن والانس والشياطين والملايكة منذ خلقوا الي ان
فنوا صفوا صفا واحدا ما احاطوا بالله ابدا قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من
هذا الوجه ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة والله اعلم ومما نسب
لامام الحرمين في لمع الادلة انه قال من اصحابنا من قال ان الرب تعالي يري
ولا يدرك لان الادراك ينبي عن الاحاطة ودرك الغاية والرب جل جلاله تقدس
عن الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا بقوله تعالي في جواب موسي عليه الصلاة
لن تراني وزعموا ان لن تفيد النفي علي التابيد قلنا هذه الاية اوضح الادلة علي
جواز الروية فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الروية ضالا او كافرا وكيف
يعتقد ما لا يجوز علي الله من اصطفاه الله لرسالته واختاره لنبوته وخصه بكرامته
وشرفه بتكليمه وجعله افضل اهل زمانه وكيف يجوز علي الانبيا الريب في امر يتعلق
بعلم الغيب فيجب حمل الاية علي ان ما اعتقد موسي عليه الصلاة جوازه جايز
لكن ظن ان ما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب الي الانجاز وما سال موسي
عليه الصلاة والسلام في المال فصرف النفي اليه والجواب يدل علي قضية الخطاب
انتهي وقال البيضاوي في هذه الاية دليل علي ان رويته تعالي جايزة في الجملة
لان طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله
لن تراني دون لن اري انتهي ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في الاية ان المراد
ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات قال وقد رايت
لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رويته تبارك وتعالي في الدنيا ممتنعة لضعف
تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة عرضا للافات والفنا فلم تكن لهم قوة علي الروية
فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوي ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم قووا بها علي الروية قال وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال
لم ير في الدنيا لانه باق ولا يري الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية
رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل علي الاستحالة الا من حيث
ضعف القوة فاذا قوي الله تعالي من شاء من عباده واقدره علي حمل اعبا الرسالة
لم يمتنع

لم يمتنع في حقه انتهي والاستثنا في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون
منقطعا علي معني لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة فصار الا ان
يكون مانعا اي امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل علي
هذا قوله فاذا قوي الله تعالي من شاء من عباده واقدره علي حمل اعبا الرسالة
لم يمتنع في حقه وقد وقع في صحيح مسلم ما يويد هذه التفرقة في حديث مرفوع
فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتي تموتوا واخرجه ابن خزيمة ايضا من حديث
ابي امامة ومن حديث عبادة بن الصامت فان جازت الروية في الدنيا عقلا
فقد امتنعت سماعا لكن من اثبتها للنبي صلي الله عليه وسلم له ان يقول ان المتكلم
لا يدخل في عموم كلامه وفي تفسير ابن كثير في بعض كتب الله المتقدمة
ان الله تعالي قال لموسي لما ساله الروية يا موسي انه لن يراني حي الا مات
وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا علي جهة الكرامة
وادعي حصول الاجماع عليه وحكي القاضي عياض امتناعها عن جماعة من المحدثين
والفقها والمتكلمين وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك
يحكي عن ابي الحسن الاشعري في ذلك قولين في كتاب الروية الكبير انتهي
وقد ذهبت عايشة وابن مسعود الي انه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه
ليلة الاسرا واختلف عن ابي ذر وذهب جماعة الي اثباتها وحكي عبد الرزاق
عن معمر عن الحسن انه حلف ان محمدا راي ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير
اثباتها وبه قال سائر اصحاب ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري
وصاحبه معمر واخرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل راه بعينه
او بقلبه وجات عن ابن عباس اخبار مطلقة واخري مقيدة فيجب حمل مطلقها
علي مقيدها فمن ذلك ما اخرجه النسايي باسناد صحيح وصححه الحاكم ايضا من طريق
عكرمة عن ابن عباس قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسي
والروية لمحمد ومنها ما اخرجه مسلم من طريق ابي العالية عن ابن عباس في
قوله تعالي ما كذب الفواد ما راي ولقد راه نزلة اخري قال راي ربه بفواده
مرتين وله من طريق عطا عن ابن عباس قال راه بقلبه واصرح من ذلك
ما اخرجه ابن مردويه من طريق عطا ايضا عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلي
الله عليه وسلم بعينه وانما راه بقلبه وعلي هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس
ونفي عايشة بان يحمل نفيها علي روية البصر واثباته علي روية القلب لكن روي
الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح خلا جمهور ابن منصور وقد ذكره
ابن حبان في الثقات عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا صلي الله عليه وسلم
راي ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفواده ثم المراد بروية الفواد روية

فان جازت الروية في الدنيا عقلا فقد
امتنعت سماعا لكن من اثبتها للنبي
صلي الله عليه وسلم له ان يقول ان
المتكلم لا يدخل في عموم كلامه انتهي صح

في الدنيا

الكرماني وجمهور ابن منصور

القلب لا بمجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من اثبت له انه راه بقلبه ان الرؤيا التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شي مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وروي ابن خزيمة باسناد قوي عن انس قال راي محمد ربه وفي مسلم من حديث ابي ذر انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور اني اراه اي حجابه نور فكيف اراه ومعناه ان النور منعني من الرؤية وعند احمد قال رايت نورا ومن المستحيل ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاجسام والله تعالى يتعالى عن ذلك وعند ابن خزيمة عنه قال راه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا تبين مراده في حديث ابي ذر بذكر النور اي ان النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات واطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على ان الرؤيا وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسرا اخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم وسقى كل واحد من كاسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم اخر العوالم بما راي في الطريق وما كان في المسجد الاقصا على العيان وبما يعرفون لانهم في ذلك الاجسام حتى صدقوا بالاسرا ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السما وكذلك في كل سما واخبر عما شاهد وراي كل ملك وما يليق ان يحدث به اعني الصحابة كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السما السابعة ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين وعن ما فوق الى الدنو والى التدلي الى موضع الايحا عند حضرة اسقاط السور والخلق فاخبر بذلك اصحابه فمنهم من قال راي جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عايشة ومن معها ومنهم من قال بعيني راسه راي وصدق فكل اخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كاسه وما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفت الاسرا ومقاماته لرؤيته والقايلين بذلك واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهى وممن اثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام احمد فروي الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون ان عايشة قالت من زعم ان محمدا راي ربه فقد اعظم على الله الفرية فباي معنى يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رايت ربي فقول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها وقد انكر صاحب الهدي على من زعم ان احمد قال راي ربه بعيني راسه قال مرة راي محمد ربه وقال مرة بفواده وحكي عن بعض المتاخرين راي بعيني راسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة انتهى وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسئلة وعزاه لجماعة من المحققين

لجماعة من المحققين وقواه بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطايفتان ظواهر متعارضة قابلة للتاويل قال وليست المسئلة من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي والله اعلم واما قوله في الحديث ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم ففي رواية ثابت البناني عن انس عند مسلم ففرض الله علي خمسين صلاة كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند البخاري ايضا ويحتمل ان يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصايصه وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم فنزلت الى موسي فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم فقال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسي فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسي حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات لكل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسي فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف فقلت رجعت الى ربي حتى استحييت منه وفي رواية النسايي عن انس فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقم بها انت وامتك وذكر مراجعته مع موسي وفيه فانه فرض على بني اسرايل صلاتان فما قاموا بهما وقال في اخره فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت فقال ارجع فلم ارجع فان قلت لما قال موسي عليه الصلاة والسلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك لا تطيقون اجيب بان العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك واكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة قال العارف ابن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راي في تلك الليلة تعبد الملايكة وان منهم القايم فلا يقعد ... فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات كلها في ركعة يصليها العبد بشرايطها من الطمانينة والاخلاص وقد وقع من موسي عليه الصلاة والسلام من العناية بهذه الامة في امر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك في حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار قال

صلى الله عليه وسلم كان موسى اشدّهم عليّ حين مررت وخيرهم لي حين
رجعت وفي حديث ابي سعيد فاقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب
كان لكم فسالني كم فرض عليك ربك الحديث قال السهيلي
واما اعتناء موسى عليه الصلاة والسلام بهذه الامة والحاحه على نبيها
ان يشفع لها ويسال التخفيف عنها فلقوله تعالى والله اعلم حين قضى اليه
الامر بجانب الغربي وراى صفات محمد صلى الله عليه وسلم في الالواح وجعل
يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا اللهم اجعلهم امتي فيقال له تلك امة
احمد وهو حديث مشهور ذكره في خصائص هذه الامة قال فكان اشفاقه عليهم
واعتناؤه بهم بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم
اجعلني منهم انتهى وقال القرطبي الحكمة في امر موسى بمراجعة النبي صلى
الله عليه وسلم في امر الصلوات يحتمل ان يكون لكون امة موسى عليه الصلاة
والسلام كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الامم فثقلت عليهم
فاشفق موسى على امة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ويشير اليه قوله
اني قد جربت الناس قبلك انتهى ووقع في بعض كلام بعض اهل الاشارات
لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى عليه الصلاة والسلام اضاءت له انوار نور الطور
فاسرع اليها ليقتبس فاخبص فلما نودي بها لنادي اشتاق الى المنادي فكان
في بني اسرائيل من يحملني رسالة الى ربي ومراده ان تطول المناجات مع الحبيب
فلما مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في امر الصلوات ليسعد
برؤية حبيب الحبيب وقال اخر لما سال موسى عليه الصلاة والسلام
الرؤية ولم يحصل له البغية بقي الشوق يقلقه والاصل يعلله فلما تحقق
ان سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية اكثر السؤال ليسعد
برؤية من قد راى كما قيل

وأستنشق الارواح من نحو ارضكم ∴ لعلي اراكم او ارى من يراكم
وانشد من لاقيت عنكم عساكم ∴ تجودون لي بالعطف منكم عساكم
فانتم حياتي ان حييت وان امت ∴ فيا حبذا اني مت عبد هواكم

وقال اخر

وانما السر في موسى يردده ∴ ليجتلي حسن ليلى حين يشهده
يبدو سناها على وجه الرسول فيا ∴ لله در رسول حين اشهده

وقال اخر

لما جلس الحبيب في مكان القرب ∴ ودارت عليه كؤس الحب
ثم عاد وهلال ما كذب الفؤاد ما راى بين عينيه وبشر فاوحى الى عبده
ما اوحى من قبله

ما اوحى مِلءُ قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه الصلاة والسلام قال لسان حاله

يا واردا من اهيل الحي يخبرني ∴ عن جيرتي شنّف الاسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم ∴ حدّث فقد ناب سمعي اليوم عن بصري

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم بقول

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ∴ سرّ ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة املتها ∴ فغدوت معروفا وكنت منكرا

فكل قوم بالحظوظ مذهبهم ∴ وقد علم كل اناس مشربهم ∴ والله تعالى
بفضله واحسانه ∴ يوالي النسيم سحائب عفوه ورضوانه ∴ على العارف
الرباني الشيخ ابي عبد الرحمن السلمي فلقد اجاد وافاد بما افرده من لطائف المعراج
حسبما جمعه من كلام اهل الاشارات باقوم منهاج ∴ وقد استدل العلماء
بقوله في الحديث وهي خمسون على عدم فرضية ما زاد على الصلوات الخمس كالوتر
وعلى جواز النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره الا ترى انه عز وجل
نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه
ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل
على من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة او منعه كالمعتزلة لكونهم اتفقوا
جميعا على ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ الى بعض الامة فيسلم لكن قد يقال ليس هو
بالنسبة اليهم نسخا لكن هو نسخ بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم
نسخ بعد ان بلغه وقبل ان يفعله فالمسالة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم
ولما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر في بعض طريقه بعير لقريش
تحمل طعاما فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت
منه واستدارت وتصرع ذلك البعير وفي رواية اضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان
فال صلى الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم اتى مكة
قبل الصبح واخبر قومه بما راى وقال لهم ان اية ما اقول لكم اني مررت بعير لكم
في مكان كذا وكذا وقد اضلوا بعيرا لهم فجمعه فلان وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا
ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل ادم عليه مسح اسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم اشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي
وصفه عليه الصلاة والسلام وفي رواية سالوه اية فاخبرهم بقدوم العير يوم الاربعاء
فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله تعالى فحبس الشمس
حتى قدموا كما وصف وعن عائشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم اصبح يحدث الناس
بذلك فارتد ناس كانوا امنوا وسعى رجال من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى
صاحبك يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال اوقد قال ذلك قالوا نعم

ابن القطان
بالنسبة لمحمد
لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرا مر بعير لقريش
للبيهقي
الى المسجد الاقصى

قال لمن قال ذلك لقد صدق قالوا انصدقه انه قد ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل الصبح
فقال نعم اني لأصدقه فيما هو ابعد من ذلك في خبر السماء في غدوة وروحة فلذلك سمي الصديق
رواه الحاكم في المستدرك وابن اسحاق وزاد ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله حدثك هولاء انك جئت بيت المقدس قال نعم فقال يا نبي الله صفه لي فاني
قد جئته قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لي حتى نظرت اليه فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر فيقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله
كلما وصف له منه شيا وقول ابي بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه من اول وهلة ولكنه
اراد اظهار صدقه عليه الصلاة والسلام لقومه فانهم كانوا يثقون بابي بكر فاذا طابق
خبره عليه الصلاة والسلام ما كان يعلمه ابو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية
مسلم فسالوني عن اشيا لم اثبتها فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فرفعه الله لي
انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انباتهم به فيحتمل ان يكون حمل الى ان وضع بحيث يراه
ثم اعيد ففي حديث ابن عباس عند احمد والبزار فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع
عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا ابلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد
احضر عرش بلقيس في طرفة عين واما ما وقع في حديث ام هاني عند ابن سعد فخيل
الي بيت المقدس وطفقت اخبرهم فان ثبت احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما
قال في حديث اريت الجنة والنار ويوكد قوله فجي بالمسجد حتى بحياله وفي حديث
ام هاني المذكور انهم قالوا له كم للمسجد باب قال ولم اكن عددتها فجعلت انظر اليه
واعدها بابا بابا وعند ابي يعلى ان الذي ساله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي
والد جبير بن مطعم واشار ابن ابي جمرة الى ان الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس اظهار الحق
للمعاند لانه لو صرح به من مكة الى السما لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح
حيث سالوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل ذلك
فلما اخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما اسري به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح
الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المومنين وزيادة في شقا من عاند وجحد من الكافرين

المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته واخذه تعالى له الميثاق على ساير النبيين فضلا ومنة ليومنن به ان ادركوه

ولينصرنه والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل
وغير ذلك **اعلم اطلعني الله واياك على اسرار التنزيل** ومنحنا بلطفه بتبصرة اهتدينا
الى سوا السبيل انه لا سبيل لنا ان نستوعب الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح
والاشارة الى علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه وكذلك الايات

التي فيها ثناؤه

التي فيها ثناؤه تعالى عليه واظهاره عظيم شانه لديه وقسمه تعالى بحياته
وندائه بالرسول والنبي ولم يناده باسمه بخلاف غيره من الانبيا ناداهم
باسمائهم الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي عنده وانه لا يجد يساوي
مجده ومن تامل القران العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم ويرحم الله ابن خطيب الاندلس حيث قال

مدحك آيات الكتاب فما عسى … يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا … كان القصور قصار كل فصيح

وهذا المقصد اكرمك الله يشتمل على عشرة انواع

النوع الاول

في ايات تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته وعلو درجته
على الانبيا وتشريف منزلته قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
منهم من كلم الله قال المفسرون يعني موسى عليه الصلاة والسلام بلا
واسطة وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا
ايضا كما مر **فان قلت** اذا ثبت انه عليه الصلاة والسلام كلمه ربه
وقاربه هذا الوصف فلم لم يشتق له من الكلام اسم الكليم كما اشتق لموسى
اجيب بان اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاطلاق كاسم الفاعل فيطرد معنى
ان كل من قام به ذلك الوصف اشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح
فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به
ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا
ملخصه وتحريره كما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى **قوله** تعالى
ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى بثلاثة
اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه
الصلاة والسلام اوتي من المعجزات ما لم يوته نبي قبله قال الزمخشري
وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى **وقد تبين**
هذه الاية وكذا قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ان مراتب الرسل
والانبيا متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بانه لا فضل لبعضهم على بعض
وفي هاتين الايتين رد عليهم وقال قوم ادم افضل لحق الابوة وتوقف بعضهم
فقال السكوت افضل والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف ان الرسل
افضل من الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الايتين
وغيرهما قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم
هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون

امته ازكي واكثر او يكون في ذاته افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى
ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية
او ماشا الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية اذا
ان ايات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى
ومنصبه اعلى ودولته اعظم واوفر وذاته افضل واطهر وخصوصياته
على جميع الانبيا اشهر من ان تكون تذكر فدرجته ارفع من درجات المرسلين
وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين وتامل حديث الشفاعة في المحشر
وانتهايها اليه وانفراده هناك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيامة رواه ابن ماجه وفي حديث انس عند
الترمذي انا اكرم ولد ادم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه افضل
من ادم بل من اولاده فالاستدلال بذلك على مطلق افضليته عليه الصلاة
والسلام على الانبيا كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق
افضليته عليه الصلاة والسلام بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس قال لانه
لاشك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذاك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه
واستدل له الفخر الرازي في المعالم بانه تعالى وصف الانبيا بالاوصاف الحميدة
ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم اوليك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فامره
ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر واذا ثبت
ما اتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان مفرقا فيهم فيكون افضل منهم
وقال دعوته عليه الصلاة والسلام في التوحيد والعبادة وصلت الى اكثر بلاد
العالم بخلاف سائر الانبيا فظهر ان انتفاع اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم
اكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبيا فوجب ان يكون افضل من سائر
الانبيا انتهى وقد روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي
لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي وفي حديث ابي هريرة
مرفوعا عند البخاري انا سيد الناس يوم القيامة وهذا يدل على انه افضل من
ادم عليه الصلاة والسلام ومن كل اولاده وروى البيهقي في فضائل الصحابة
انه ظهر علي بن ابي طالب من البعيد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب
فقالت عايشة الست انت سيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب
وهذا يدل على انه افضل الانبيا بل افضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث
ايضا الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب
وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عايشة وساقه من طريق احمد
ابن عبيد

ابن عبيد بن ناصح حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان عن هشام بن عروة
عن ابيه بلفظ ادعوا الي سيد العرب قالت فقلت يا رسول الله الست سيد
العرب فقال وذكره وكذا اورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف
ايضا عن ابي الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا الي سيد العرب فقالت عايشة الست
بسيد العرب وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الى الحكم على ذلك
بالوضع انتهى ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس تحجبا وافتخارا على
من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا لنعمة الله
تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته
لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض
المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره اليه في كل
لحظة وعدم استغنايه عنه طرفة عين حين انشا له ذلك في قلبه سحايب السرور
فاذا انبسطت هذه السحايب في سما قلبه وامتلا افقه بها امطرت عليه وابل
الطرب بما هو فيه من لذيذ السرور فان لم يحبسه وابل قطك وحينيذ
يجري على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله ورحمته كما قال
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار
والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما الاخر والى هذا المعني يشير قول العارف
الرباني سيدي علي الوفوي في قصيدته التي اولها

من انت مولاه حاشا	علاه ان يتلاشا
والله يا روح قلبي	لا مات من بك عاشا
قوم لهوات ساقي	لا يرجعون عطاشا
عبد له بك عز	فكيف لا يتحاشا
حاشا وفا وكبري	من انت مولاه حاشا

فان قلت فما الجمع بين هاتين الايتين وبين الجمع قوله تعالى قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون والحديث الثابت في الصحيحين عن ابي هريرة قال
استب رجلان من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسمه لا والذي اصطفى
موسى على العالمين فرفع المسلم يده ولطم اليهودي فقال اي خبيث وعلى محمد
فجا اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله
عليه وسلم لا تفضلوني على الانبيا وفي رواية لا تفضلوا بين الانبيا وحديث
ابي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم لا تخيروا بين الانبيا وحديث ابن عباس عند

مسلم مرفوعا ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس بن متى وحديث ابي هريرة
عند الشيخين ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب اجاب العلماء بان قوله
عز وجل لا نفرق بين احد منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق لهم والايمان بانهم
رسل الله وانبياؤه والتسوية في هذا لا تمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض واجابوا عن الاحاديث
باجوبة فقال بعضهم ان نعتقد ان الله فضل بعضهم على بعض في الجملة ونكف عن الخوض
في تفصيل التفضيل بآرائنا قال ابن ظفر فان اراد هذا القايل انا نكف عن الخوض في تفضيل
التفضيل بآرائنا فصحيح وان اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله وروي لنا
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقيم وقال آخر تفضل من رفع الله درجته
بخصايص الحظوة والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم في سياسة المنذرين والصبر
على الاذى والمهنة في اداء الرسالة والحرص على هدي المكلفين فان كلا منهم قد بذل في ذلك
وسعه الذي لا يكلفه الله اكثر منه وقال آخرون مما ذكر القاضي عياض ان نهيه
عليه الصلاة والسلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل
اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال الحافظ عماد الدين بن كثير
وفي هذا نظر انتهى ولعل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم من تاريخ من ذلك والآخر
اخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال
القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا نفضل بينهم تفضيلا
يؤدي الى تنقيص بعضهم او الغض عنه وقيل مع التفضيل في حق النبوة والرسالة
فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيهما على حد واحد لا تتفاضل وانما التفاضل
في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب واما النبوة في نفسها
فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور زائدة عليها ولذلك منهم رسل واولوا عزم
انتهى وهذا قريب من القول الثاني قال ابن ابي جمرة في حديث يونس يريد
بذلك التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت
الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم اسري به الى فوق السبع
الطباق ويونس نزل به الى قعر البحر وقد قال عليه الصلاة والسلام انا
سيد ولد آدم يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه
تحت لوائي وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق ان يكون
قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب
من الله سبحانه وتعالى والبعد فمحمد صلى الله عليه وسلم وان اسري به لفوق السبع
الطباق واخترق الحجب ويونس عليه الصلاة والسلام وان نزل به لقعر البحر فهما
بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو

مروي عن امام دار

ثم روي عن امام دار الهجرة مالك بن انس وعزي نحوه لامام الحرمين وقال
ابن المنير ان قلت انا لم نفضل على يونس باعتبار استواء الجهتين في تفضيل الحق
فانه تعالى فضل الملأ الاعلى على الحضيض لا لذاتي فكيف لا يفضله عليه الصلاة والسلام
على يونس وان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت
لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب
المكاني فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى واختلف هل البشر
افضل من الملايكة فقال اهل السنة خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص
الملايكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون
والكروبيون والروحانيون وخواص الملايكة افضل من عوام بني آدم
قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة وعوام بني آدم افضل من
عوام الملايكة فالمسجود له افضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص
ثبت تفضيل العوام على العوام فعوام الملايكة خدم لعمال الخير والمخدوم له فضل
على الخادم ولان المومنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسلط الشيطان عليهم
بوسوسته والملايكة ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم
فالانسان كما قاله في شرح العقايد تحصل الفضايل والكمالات العلمية والعملية
مع وجود العوايق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية
الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل
والصوارف اشق وادخل في الاخلاص فتكون افضل والمراد بعوام بني آدم هنا
الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال ونص
عليه البيهقي في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في الملايكة والبشر
فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملايكة والاولياء
من البشر افضل من الاولياء من الملايكة انتهى وذهبت المعتزلة والفلاسفة
وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملايكة وهو اختيار القاضي ابي بكر الباقلاني
وابي عبد الله الحليمي وتمسكوا بوجوه الاول ان الملايكة ارواح مجردة
كاملة بالفعل مبرأة عن مبادي الشرور والآفات كالشهوة والغضب
وعن ظلمات الهيولا والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها
وآتيها من غير غلط والجواب ان مبنى ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول
الاسلامية الثاني ان الانبياء مع كونهم افضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم
بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى وقوله تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان التعليم من الله تعالى
والملايكة انما هم مبلغون الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم ذكرهم

على ذكر الانبيا وما ذلك الا لتقدمهم في الوجود اولان وجودهم اخفى فالايمان
بهم اقوى وبالتقديم اولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله ولا الملايكة المقربون فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملايكة
من عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من
هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قايل
بالفصل بين عيسى عليه الصلاة والسلام وبين غيره من الانبيا والجواب
ان النصارى استعظموا المسيح يرتفع من ان يكون عبدا من عباد الله بل
ينبغي ان يكون ابنا له لانه مجرد لا اب له وكان يبري الاكمه والابرص
ويحيي الموتى بخلاف ساير العباد من بني ادم فرد عليهم بانه لا يستنكف
من ذلك المسيح ولا من هو اعلى منه في هذا المعنى وهم الملايكة الذين
لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله على افعال اقوى واعجب من ابرا
الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله تعالى فالترقي والعلو انما هو
في امر التجرد واظهار الاثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة
على افضلية الملايكة انتهى ⁂ ثم ان الملايكة بعضهم افضل من بعض
وافضلهم الروح جبريل الامين المزكي من رب العالمين المقول فيه
من ذي العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين فوصفه بسبع صفات وهو افضل الملايكة الثلاثة الذين هم افضل
الملايكة على الاطلاق وهم ميكايل واسرافيل وعزرايل وكذلك الرسل افضل من
الانبيا وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض ومحمد صلى الله عليه وسلم
افضل الانبيا والرسل كما تقدم واول الانبيا ادم عليه الصلاة والسلام
واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب لدلالته
على انه قد امر ونهي مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي لا غير
وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون
كفرا وقد اختلف في عدد الانبيا والمرسلين فقيل والمشهور في ذلك ما في
حديث ابي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبيا
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل قال ثلثمائة
وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال ادم ثم قال يا ابا ذر
اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح واخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط
بقلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر واول نبي
من بني اسرايل موسى واخرهم عيسى واول النبيين ادم واخرهم نبيك وقد
روي هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم

بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم
ابن هشام قال الحافظ ابن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من ايمة
الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فالله اعلم وروى ابو يعلى
عن انس مرفوعا كان فيمن خلا من اخواني من الانبيا ثمانية الاف نبي ثم كان
عيسى ابن مريم ثم كنت انا والذين نص الله تعالى على اسمايهم في القران
ادم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق
ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود
وسليمان والياس واليسع وزكرياء ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل
عند كثير من المفسرين والله اعلم قال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك
روى ابن جرير من حديث ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني
جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان ربي وربك يقول اتدري كيف
رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبراني
وصححه ابن حبان ورويناه عن الامام الشافعي قال اخبرنا ابن عيينة عن
ابن ابي نجيح معناه لا اذكر الا ذكرت معي اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله قال الامام الشافعي يعني والله اعلم ذكره عند الايمان
بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب القران وعند العمل
بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل رفعه بالنبوة قاله
يحيى ابن ادم وعن ابن عطا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرني
وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكرى معك وعن جعفر بن محمد الصادق
لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية قال البيضاوي
واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته
طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله والله
ورسوله احق ان يرضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله
واطيعوا الله والرسول وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد ومقرون
ذكره بذكره في القران والخطب والاذان ويؤذن باسمه في موقف
القيامة رواه واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة رفعه لما نزل ادم
عليه الصلاة والسلام نادى بالاذان الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله مرتين
اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل
سما وعلى الجنان وما فيها رواه ابن عساكر واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا

لما عرج بي الى السما مامررت بسما الا وجدت اسمي فيها مكتوبا محمد رسول
الله وفي [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعه ما في الجنة شجرة عليها ورقة الا مكتوب
عليها محمد رسول الله واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش
خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله محمد رسول
الله وعزاه الحافظ ابن رجب في كتاب احكام الخواتيم له لجزء ابي علي
الخالدي وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسمه تعالى كما قال
حسان ؛ وشق له من اسمه ليجله ❁ فذو العرش محمود وهذا محمد ؛
وسماه من اسمايه الحسنى نحو سبعين اسما كما بينت ذلك في اسمايه صلوات الله وسلامه
عليه وصلى عليه في ملايكته وامر المومنين بالصلاة عليه فقال تعالى ان الله
وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى بانه يثني عليه عند الملايكة
المقربين وان الملايكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم
عليه فيجتمع الثنا عليه من اهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وكتبه
نبيا وادم بين الروح والجسد وختم به النبوة والرسالة والخلق بذكره
الكريم في الاولين والاخرين ونوه بقدره الرفيع حين اخذ الميثاق
على جميع النبيين وجعل ذكره في فواتح الرسايل وخواتمها وشرف به المصاحف
على المنابر وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر ونشر ذكره في الافاق شرقا
وغربا برا وبحرا حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام
والعرش والكرسي وساير الملايكة المقربين من الكروبيين والروحانيين
والعلويين والسفليين وجعله في قلوب المومنين بحيث يستطيبون ذكره
فترتاح ارواحهم وربما يميل من طرب سماع اسمه اشباحهم ؛
واذا ذكرتكم اميل كانني ● من طيب ذكركم سقيت الراحا ؛
كانه تعالى يقول املا الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك
ويصلون عليك ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرايض الصلاة الا
ومعها سنة فهم متمسكون في الفريضة بامري وفي السنة بامرك وجعلت
طاعتي طاعتك وبيعتي بيعتك فالقرا يحفظون الفاظ منشورك والمفسرون
يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون بليغ وعظك والملوك
والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون من ورا الباب عليك ويمسحون
وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق الى الابد
الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين وقال تعالى طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى اعلم ان للمفسرين في طه قولين احدهما انها من حروف التهجي
والثاني انها كلمة مفيدة

لا اله الا الله محمد رسول الله
لما قال انه صلى الله عليه وسلم
[illegible] يا محمد لا
[illegible] المكتوب محمدا
لانه هو الذي وضع [illegible]
من اهل الارض [illegible]
[illegible] علمهم [illegible] بان
يتبع انتهى

والثاني انها كلمة مفيدة وعلى القول الاول قيل معناها يا مطمع الشفاعة
للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطا في الحساب بتسعة والها
بخمسة فالجملة اربعة عشر ومعناها يا ايها البدر وهذه الاقوال لا يجب
ان يعتمد عليها اذ هي كما قاله المحققون من بدع التفسير ومثلها قول الواسطي
فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر يا هادي واما على قول من
قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدهما ان معناه يا رجل وهو مروي
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة قال
سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة
بلسان الحبشية وقال البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله يا هذا
فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار وقال الكلبي لو قلت في عك يا رجل
لم يجب حتى تقول طه وقال السدي معنى طه يا فلان وقال الزمخشري
لعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم يقلبون اليا طا فقالوا في يا طا
واختصروا هذا فاختصروا على ها واثر الصيغة ظاهر لا يخفى في البيت
المستشهد ؛
ان السفاهة طه في خلايقكم ❁ لا قدس الله اخلاق الملاعين انتهى ؛
قال في البحر وكان قد تقدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخوض
وتجري على عك بما لا يقوله نحوي وهو انهم قلبوا اليا طا ولا يوجد في
لسان العرب قلب اليا التي للندا طا وكذلك حذف اسم الاشارة في الندا
واقرارها التي للتنبيه انتهى ؛ وقيل معناه يا انسان وقرئ طه باسكان
الها على انه امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه فقد روي انه
صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطا الارض
بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها كما قالوا هياك في اياك
وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون الاصل من وطي على ترك الهمزة فيكون
فلبه طا يا رجل ثم اثبت الها فيها للوقف وعلى هذا يحتمل ان يكون الاصل
من طه طهما والالف مبدلة من الهمزة والها كناية عن الارض لكن يرد
ذلك كتبهما على صورة الحرف واما قوله تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى
فذكروا في سبب نزولها اقوالا احدها ان ابا جهل والوليد بن المغيرة
ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت
دين ابايك فقال صلى الله عليه وسلم بعثت رحمة للعالمين وانزل الله تعالى هذه
الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بان دين الاسلام والقران هو
السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة

يحيى

وهذا

اصله

هو الشقاوة بعينها وثانيها انه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى
تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي
ما انزلنا عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحا وروي انه كان اذا قام من الليل ربط
صدره بحبل حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بانه
بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيا من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله
بامر الله تعالى فاذا فعله عن امره فهو من باب السعادة لا من باب الشقا و
وثالثها قال بعضهم يحتمل ان يكون المراد لا تشق نفسك وتعذبها بالاسف على كفر
هولاء فانما انزلنا عليك القران لتذكر به من امن فمن امن واصلح فلنفسه ومن
كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مومنين ولا يحزنك كفرهم ورابعها ان هذه السورة من
اوايل ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا مع اعدايه
فكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة بل يعلوا امرك ويظهر قدرك
فانا ما انزلنا عليك القران لتشقى شقيا بل تصير معظما مكرما زاده الله
تعظيما وتكريما وتشريفا وقال تعالى انا اعطيناك الكوثر السورة قال الامام
فخر الدين بن الخطيب في هذه السورة كثير من الفوايد منها انها كالتتمة لما قبلها
من السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم
وتفصيل احواله فذكر في اولها ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته وهي قوله ما ودعك
ربك وما قلى وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم
ختمها كذلك باحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى الم يجدك يتيما
فاوى ووجدك ضالا فهدى اي عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك
عايلا فاغنى ثم ذكر في سورة الم نشرح انه شرفه عليه الصلاة والسلام
في ثلاثة اشيا وهي الم نشرح لك اي الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة
الخلق ووضعنا عنك وزرك اي عناك الثقيل الذي انقض ظهرك
وهكذا سورة سورة حتى قال انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك هذه
المناقب المتكاثرة التي كل واحدة منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها
واذا انعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبال بقولهم ثم ان
الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك
واما بالمال وهو قوله انا اعطيناك كيف ذكره بلفظ الماضي ولم يقل
سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطا حصل في الزمان الماضي قال
عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وادم بين الروح والجسد ولا شك

ان من كان في الزمان

ان من كان في الزمان الماضي عزيز امرئ الجانب اشرف ممن سيصير
كذلك كانه تعالى يقول يا محمد قد هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك
في هذا الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا ايها العبد
الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العميم لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا
واحساننا من غير موجب واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه
منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف
فروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا اسير في الجنة
اذا انا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر
الذي اعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخاري وقيل الكوثر
اولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام
بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان
فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم ولم يتفق ذلك لنبي
من الانبيا غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهي الخير الكثير وقيل
علما امته وقيل الاسلام ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلما ورثة الانبيا
كما رواه احمد وابو داود والترمذي واما علما امتي كانبيا بني اسرايل
فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له نعم روى
ابو نعيم في فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب الناس
من درجة النبوة اهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن
بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولى لوجوه احدها ان العلم هو
الخير الكثير والثاني اما ان يحمل الكوثر على نعم الاخرة او على نعم الدنيا قال
والاول غير جايز لانه قال انا اعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها لا انه اعطاها فوجب
حمل الكوثر على ما وصل اليه في الدنيا واشرف الامور الواصلة اليه في الدنيا هو
العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث انه لما قال انا اعطيناك
الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي الذي يتقدم على العبادة هو
المعرفة ولان الفاء في قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان الموجب للعبادة
ليس الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن وعن ابن عباس جميع نعم
الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على
بعض هذه النعم اولى من حملها على الباقي فوجب حملها على الكل ولذا
روى ان سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم
ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير
الذي اعطاه اياه قال الامام فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلما ظاهر

قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالى قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاقرب حمله على ما آتاه الله تعالى من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعدا وأما الحوض وسائر ما اعد له من الثواب فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الا ان الحقيقة ما قدمناه لان ذلك وان اعدّ له فلا يصح ان يقال على الحقيقة انه اعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل ان يجاب عنه بان من اقر لولده الصغير بشيء له يصح ان يقال اعطاه ذلك الشيء مع ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف انتهى وقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما تدري ما احدث بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه اولى وهو المشهور كما تقدم فسبحان من اعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه بما افاضه عليه من نعمه الجسيمة **وقد جرت عادة الله** تعالى مع انبيائه عليهم الصلاة والسلام اذا ناداهم باسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن يا نوح اهبط يا موسى اني انا الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك **وأما نبينا** محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانباء والارسال فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول ولله در القائل

فدعا جميع الرسل كلا باسمه ... ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على احد ان السيد اذا دعا عبيده بافضل ما وجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعا الآخرين باسمائهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق ان منزلة من دعاه بافضل الاسماء والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف ان من دُعي بافضل اوصافه واخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى **وانظر** ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى فاضافته اليه صلى الله عليه وسلم وما في ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه وما في ذلك من الاشارة اللطيفة

وهي ان المقبل

وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ هو في الحقيقة اعظم خلفائه الا ترى الى عموم رسالته ودعايته وجعله افضل انبيائه وامهم ليلة إسرائه وجعل آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه فهو المقدم في ارضه وسمائه وفي داري تكليفه وجزائه وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره ما يقتضي بانه استولى على اقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وتقديم ذكره على الانبيا تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد

النوع الثاني في اخذ الله الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن علي بن ابي طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبيا الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند بعثته وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبيا وانما يليق بالامم **واجاب** الفخر الرازي بان يكون المراد من الآية ان الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين **وقال** في الملائكة ومن يقل منهم

الوتين هو نياط القلب ...

إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى اخبر عنهم انهم لا يسبقونه
بالقول وبامره يعملون يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل التقرير والتعريض
واذا نزلت هذه الاية على ان الله تعالى لما اوجب على جميع الانبيا ان يومنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم لو كانوا في الاحياء وانهم لو تركوا ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين
فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف
هذا الميثاق الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود **وقال السبكي** في هذه
الاية انه عليه الصلاة والسلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا اليهم
فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيامة وتكون الانبيا
واممهم كلهم من امته ويكون قوله عليه الصلاة والسلام وبعثت الى الناس كافة
لا يختص به الناس من زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ له
المواثيق على الانبيا ليعلموا انه المقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ
المواثيق وهي في معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتومنن به
ولتنصرنه **لطيفة** وهي كانها البيعة التي توخذ للخلفا ولعل ايمان الخلفا
اخذت من ههنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه
تعالى فاذا عرفت هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبيا ولهذا ظهر ذلك في الاخرة
جميع الانبيا تحت لوايه وفي الدنيا كذلك ليلة الاسرا صلى بهم ولو اتفق مجيئه
في زمن ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى لوجب عليهم وعلى اممهم
الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته اليهم
معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع
الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول
المحل وتوقفه على اهلية الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم
الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم
اتباعه بلا شك ولهذا ياتي عيسى عليه الصلاة والسلام في اخر الزمان على شريعته
وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم
هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم
بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقران والسنة وكل ما فيهما من امر ونهي
فهو متعلق به كما يتعلق بسائر هذه الامة وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شي وكذلك
لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او في زمان موسى وابراهيم ونوح وادم
كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول
الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف
وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل
النسخ

ايمانهم

النسخ او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات
بالنسبة الى اولئك الامم مما جاءت به انبياوهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى
هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا
معنى حديثين كانا خفيا عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة
كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيامة فبان انه لجميع الناس اولهم واخرهم
والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد
كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود
جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى
المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك
وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل
المتصرف فهنا التعلق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم
سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في
تزويج ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته
ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك
لا يقدح في صحة الوكالة واهلية الوكيل انتهى **النوع الثالث في وصفه**
تعالى له عليه الصلاة والسلام بالشهادة له بالرسالة قال الله
تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام عند بنا البيت الحرام ربنا
تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت
العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة
من ولد اسماعيل الذي دعا مع ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بهذا الدعا
فان قلت من اين علم ان الرسول هنا انه المراد به محمد صلى الله عليه وسلم
فالجواب من وجوه احدها اجماع المفسرين وموجهه **الثاني** قوله عليه الصلاة
والسلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الاية وبالبشارة
عيسى وهي ما ذكر في سورة الصف في قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد
الثالث ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها
وبما حولها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم وقد امتن الله
تعالى على المومنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على
المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة الاية فليس لله منة على المومنين اعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم

وشهادته

٢ منه

يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببه دين الله تعالى الذي رضيه لعباده وقوله من انفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرأ في الشواذ من انفسهم بفتح الفاء يعني من اشرفهم لانه من بني هاشم وبنوا هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل من غيرهم ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به اكثر فالمنة عليهم اعظم **فان قلت** هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان **قال** فلو قال شخص اومن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق ولكني لا ادري هل هو من البشر او من الملائكة او من الجن او لا ادري هل هو من العرب او العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقران وجحده لما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى **فان قلت** هل هو عليه الصلاة والسلام باق على رسالته الى الان **اجاب ابو المعين النسفي** بان الاشعري قال انه عليه الصلاة والسلام الان في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من احكام النكاح انتهى **وقال غيره** ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمؤمن بعد موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى **وتعقب** بان الانبياء احياء في قبورهم فوصف النبوة باق للروح والجسد معا **وقال القشيري** كلام الله تعالى لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه الصلاة والسلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال عدمه والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى **ونقل السبكي** في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه الصلاة والسلام حي في قبره رسول الله ابدا الابد على الحقيقة لا المجاز انتهى وقال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا اميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من اثار النبوات كما عند اهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا افضل الامم واعلمهم وعرفوا ضلال من ضل قبلهم من الامم **وفي كونه** صلى الله عليه وسلم منهم فائدتان احداهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كامته المبعوث اليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى وما

كنت تتلوا

كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل اميا بين امة امية لا يكتب ولا يقرا حتى كمل الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق اهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس اعظم منه وفي هذا برهان عظيم على صدقه عليه الصلاة والسلام **الفائدة الثانية** التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك سال هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك **ويروى** ان رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من ارضنا فنزلت هذه الاية رواه ابو صالح عن ابن عباس **وعن** مقاتل كان الحارث ابن عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب **وروي ان** المشركين كانوا اذا راوه عليه الصلاة والسلام قالوا انه لنبي **وعن** علي رضي الله عنه قال قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى الاية **وروي** والمعنى انهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم **فان قلت** فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك **اجيب** بانه على طريق الجحد وهو مختلف باختلاف احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله فحيث علم امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم وحينئذ فلا تعارض **وروي** ان ابا جهل لقيه صلى الله عليه وسلم فصافحه فقيل له اتصافحه فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف فانزل الله الاية رواه ابن ابي حاتم **والقران كله** مملوء بالايات الدالة على صدق هذا النبي الرسول الكريم وتحقيق رسالته وكيف يليق بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي كلمته ويرفع شانه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر على يديه من الايات والبراهين والادلة ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض بالفساد ومعلوم ان شهادته سبحانه على كل شيء

وقدرته على كل شيء وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك كل الإباء
ومن ظن ان ذلك به وجوزه عليه فهو من ابعد الخلق من معرفته ان عرف منه
بعض صفاته كصفة القدرة وصفة المشيئة والقران كله مملوء من هذه الطريق
وهي طريق الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله على افعاله وما يليق
به ان يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القران رايته ينادي على ذلك
ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال تعالى ولو تقول
علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم
من احد عنه حاجزين افتراه سبحانه وتعالى يخبران كماله وحكمته وقدرته تأبى
ان يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لابد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت
بذلك سنته في المتقولين عليه وقال تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا
فان يشا الله يختم على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط ثم اخبر خبرا جازما
غير معلق انه يمحو الباطل ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق
قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فاخبر ان من نفى عنه الارسال
والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه كما يستحق فكيف
من ظن انه ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على يديه الايات
والادلة وهذا في القران كثير يستدل تعالى بكماله المقدس واوصافه وجلاله
على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعوا عباده الى غير ذلك وقال — على كماله تعالى
تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله
اولئك هم الخاسرون فاخبر سبحانه ان الكتاب الذي انزله يكفي من كل اية
ففيه الحجة والدلالة على انه من الله وان الله سبحانه ارسل به رسوله وفيه بيان
ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت
شهادته اصدق شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به
وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند شهادته وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته
عند خلقه وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده فتأمل
ورود اسمائه الحسنى في كتابه وارتباطها بالخلق والامر وقال تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي شاهدا
على الوحدانية وشاهدا في الدنيا باحوال الاخرة من الجنة والنار والميزان والصراط
وشاهدا في الاخرة باحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا

على الخلق

[illegible]

على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كأنه تعالى
يقول يا ايها المشرف من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا
كمال فردانيتنا ومبشر عبادنا نعماءنا وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك
وامن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك وقدمك فبشر بفضلنا
وطولنا عليهم واحساننا اليهم ولما كان الله تعالى قد جعله عليه الصلاة والسلام
شاهدا على الوحدانية والشاهد لا يكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبي صلى
الله عليه وسلم في مسئلة الوحدانية مدعيا لها لان المدعي من يقول شيئا
على خلاف الظاهر والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم
كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهدا له في مجازاة كونه شاهدا له تعالى
فقال سبحانه والله يعلم انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا
لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
فاستشهد على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل اي شيء اكبر
شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما انزل
اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم
انك لرسوله وقوله محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله
قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين
عباده واقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله
شهيدا فيظهره ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة حتى يظهر — بالتاييد
على مخالفيه ويكون منصورا ومن شهادته تعالى ايضا ما اودعه في قلوب
عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه
فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون
اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون — على بغض
اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما اثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه ولا اطمأنت
الا به ولا احبت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل من تدبره اوجب
له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق كل صدق قال
تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب
لباشرتها حقائق القران واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا
كسائر الامور الوجدانية كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله — سنة
جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب اعظم الشواهد
انتهى ملخصا من مدارج السالكين وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله

اليكم جميعا ففي هذه الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى
كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود هم اتباع عيسى الاصبهاني
ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بني اسرايل **ودليلنا على ابطال**
قولهم هذه الاية لان قوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم خطاب يتناول
كل الناس ثم قال اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى
جميع الناس وايضا فلانا نعلم بالتواتر انه كان يدعي انه مبعوث الى الثقلين
فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك فان كان رسولا حقا امتنع
الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا في كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر
وبظاهر هذه الاية انه كان يدعي كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا
وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرايل
واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
من الناس من قال انه عام دخله التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون
فقالوا دخله التخصيص من وجهين **الاول** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فاما اذا لم يكونوا من جملة المكلفين
لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن ثلاث عن
الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق رواه ابن
جرير عن ابن عباس **والثاني انه رسول الله** الى كل من وصله خبر وجوده
وخبر معجزاته وشرايعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول
قوم من اطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرايعه حتى لا يمكنهم
عند ذلك متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده
لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم يومن بالذي
ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع
به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور وعلى ما تقرر
في الاصول لانه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح وفي هذا الحديث نسخ
الملل كلها برسالته صلى الله عليه وسلم **وقال تعالى** يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير
فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير خاطب تعالى اهل الكتاب من اليهود
والنصارى بانه قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا
رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل اي بعد مدة
متطاولة ما بين ارساله وعيسى ابن مريم **وقد اختلفوا** في مقدار هذه الفترة

كم هي فقال النهدي

كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستماية سنة ورواه البخاري عن
سلمان الفارسي وعن قتادة خمسماية سنة وستون سنة وقال الضحاك
اربعماية سنة وبضع وثلاثون قال الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور
انه ستماية سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى بن مريم اخر انبياء بني
اسرايل وبين محمد اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق كما في البخاري من حديث
ابي هريرة مرفوعا انا اولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي
وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان
كما حكاه القاضي وغيره والمقصود ان الله قد بعث محمدا على فترة من الرسل
وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران
والصلبان فكانت النعمة به اتم والنفع به اعم وفي حديث عند الامام احمد
مرفوعا ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني
اسرايل وفي لفظ مسلم من اهل الكتاب فكان الدين قد التبس على اهل
الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلايق واخرجهم الله
به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات
الله وسلامه عليه **وقال** تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم
اي عزيز عليه عنتكم اي اثمكم بالشرك والمعاصي قال الحسن عزيز عليه
ان تدخلوا النار حريص عليكم ان تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه
وسلم [علينا] انه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته
بل على قدر منزلتنا والى هذا اشار صاحب البردة

لم يمتحنا بما تعيى العقول به ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

اي لم نتحير ولم نشك فيما القاه الينا **وقال تعالى** وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه الصلاة
والسلام على هدايتنا كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم
وهذه سنة القران ومن تتبع الكتاب والسنة راى من ذلك العجب العجاب
ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله صلى الله عليه
وسلم على اسلامهم خص المومنين برافته ورحمته بهم وقال تعالى من انفسكم
ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده منا بجسده النفيس لا بروحه
المقدس ويرحم الله القايل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به ... تبلد ذهني هيبة لمقامه
فاقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا ... هوى فيه احلى من لذيذ منامه
اذا قال فيه الله جل جلاله ... رؤوف رحيم في سياق كلامه

فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز • لمختلفيه نثره ونظامه

تنبيه واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثني عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون مخصوصا به ومما يقوي هذا التوهم قوة إعطا الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه عايد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عايد على الله فلا تبقى الشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تاوله بعض العلما على حذف مضاف اي وكراهة شدة ما يعنتهم او نحو ذلك من المضافات والاولى والصواب ان شا الله تعالى ان تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته معطوفة على شدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله ما يعنتهم والهاء الثانية في عليه عايدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى • وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان تكون رحمة مفعولا له اي لاجل الرحمة ويجوز ان ينتصب على الحال مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم قاله السمين وقال ابو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمايله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شي من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او القيامة واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمومنين رحمة للهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب فذاته عليه الصلاة والسلام كما قيل رحمة تعم المومن والكافر كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال عليه الصلاة والسلام انما انا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث ابي هريرة وقال بعض العارفين الانبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد احسن القايل حيث قال

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه • سرور وحياة الروح فايدة الدهر
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي • تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فبيانه عليه الصلاة والسلام ونصحه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف

واستباحة الاموال

واستباحة الاموال فالجواب من وجهين احدهما انه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن اوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقال تعالى ونزلنا من السما ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما ان كل نبي من الانبياء قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد اخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت والى القيامة لا يقال انه تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقال ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه وفي الشفاء للقاضي عياض وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شي قال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين انتهى • وهذا يقتضي ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم ان جبريل افضل واستدل بان الله تعالى وصف جبريل بسبعة اوصاف صفات الكمال في قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل ومقاربا له لكان وصف محمد بمثل ذلك واجيب بانا متفقون على ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخرى سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر الله تعالى لهذه الفضايل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضايل اخر زايدة فيكون افضل من جبريل وبالجملة فافراد احد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفا تلك الاوصاف عن الثاني واذا ثبت بالدليل القراني انه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملايكة من جملة العالمين وجب ان يكون افضل منهم والله اعلم وقال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فهذه الاية نص في انه لا نبي بعده واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة فان كل رسول نبي ولا ينعكس كما قدمنا ذلك في اسمائه الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم قال مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها واكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا في النبيين موضع تلك اللبنة رواه الترمذي عن بندار عن ابي عامر العقدي وقال الحديث حسن صحيح وفي حديث انس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي رواه الترمذي وغيره وفي حديث جابر مرفوعا مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة فكان من دخلها

فنظر اليها فقال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة وانا موضع هذه اللبنة
ختم بي الانبيا عليهم الصلاة والسلام رواه ابو داود والطيالسي وكذا البخاري
ومسلم وفي حديث ابي سعيد الخدري فجئت انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم
وفي حديث ابي هريرة عند مسلم وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فمن تشريفه
الله تعالى له ختم الانبيا والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له وقد اخبر الله تعالى في كتابه
ورسوله في السنة المتواترة عنه انه لا نبي بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده
فهو كذاب افاك دجال ضال مضل ولو تخرق وتشعبذ واتى بانواع السحر والطلاسم
والنيرنجيات فكلها محال وضلالة عند اولي الالباب ولا يقدح في هذا نزول عيسى عليه
الصلاة والسلام بعده لانه اذا نزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه
مع ان المراد اخر من نبي قال ابو حيان من ذهب الى ان النبوة مكتسبة لا تنقطع
او الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله والله اعلم **النوع الرابع في**
التنويه به صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بانه صاحب
الرسالة والتبجيل قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهذا يدل على انه لو لم يكن مكتوبا لكان ذكر هذا
الكلام من اعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس
عن قبول مقاله فلما قال لهم عليه الصلاة والسلام هذا دل على ان ذلك النعت
كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من اعظم الدلائل على صحة نبوته
لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم
عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا
ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل لكنهم حرفوهما
وبدلوهما ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
فلا بد لنبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة واعلام شرائعه ورسالته فيهما
لائحة وكيف يخفى عنهم الكاتم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم بالسريانية مشفحا
مشفح محمد ولان الصفات التي اقروا بها هي وفاق احواله وزمانه ومخرجه ومبعثه
وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرت له الامم من
بين يديه وانقادت له واستجابت لدعوته ومن .. صاحب الجمل الذي هلكت
بابل واصنامها به على انا لو لم نات بهذه الانبا والقصص من كتبهم الم يكن فيما اودع
الله عز وجل القران المجيد دلالة وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على
اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل ويقول حكاية عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين
يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم
تلبسون

تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد
اظل زمانه ويذكرون من صفته ما يجدون في كتابهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
حسدا او خوفا على الرياسة ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بني اسرايل فلما بعثه الله
من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب فلعنة الله على الكافرين
وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى تصديقه واتباعه فكيف يجوز ان يحتج
بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في ايديهم ويقول من علامة نبوتي
وصدقي انكم تجدونني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكر اوليس ذلك مما يزيدهم عنه
بعدا وقد كان غنيا عنهم ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم وكم اسلم
من اسلم من علمايهم كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وقد وقفوا على مثل هذه
الدعاوي **وقد روى ابن عساكر** في تاريخ دمشق من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله بن
سلام عن جده ابن سلام انه لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم اهل يثرب قال نعم قال ناشدتك الله
الذي انزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله قال انسب ربك يا محمد
فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد فقال له ابن سلام اشهد انك رسول الله مظهرك ومظهر دينك
على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يستقيم به الملة
المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا
وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان النفي محمول
على طبعه الكريم الذي جبل عليه والامر محمول على المعالجة او النفي بالنسبة الى
المومنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به في نفس الاية وقلوبا
غلفا اي مغشاة مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره **واخرج**
البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امراة ابي الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول
الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق واعطي المفاتيح
ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا صما ويقيم به السنة معوجة حتى
تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من ان يستضعف
وفي البخاري عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني

٣٨

عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة
ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدًا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا يجزي بالسيئة السيئة ولكن
يعفوا ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ونفتح
به اعينا عميا وآذانا صمًّا وقلوبًا غلفا **وعند ابن اسحاق** ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة
لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته
والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام
ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد
الخمالة واسمي به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة وأولف
به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فاسلم فقال
والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول
وأخرج ابن سعد قال لما امر ابراهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر
بارض عذبة سهلة الا قال انزل ههنا يا جبريل فيقول لا حتى اتى مكة فقال جبريل
انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية
ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما اختاروه بعد الحذف والتبديل
والتحريف مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من
سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسيناء هو الجبل الذي كلم
الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته
وجبال فاران وهو اسم عبراني وليس الفه الاول همزة وهي جبال بني هاشم
التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها اي يتعبد وفيه فاتحة
الوحي وهو احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس والمقابل له قيقعان الى بطن
الوادي والثالث الشرقي فاران ومتقحه التي تلي قيقعان الى بطن الوادي
وهو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال قال ابن
قتيبة وليس بهذا غموض لأن مجيء الله من سيناء انزاله التوراة على موسى
عليه السلام بطور سيناء ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح
الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها
سمي من اتبعه نصارى ولما وجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل
فكذلك يجب ان يكون استعلانه من جبال فاران بانزال القرآن على محمد صلى الله
عليه وسلم

بيان فسيناء

عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في أن
فاران هي مكة وان ادعى الهاغير مكة قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر
واسماعيل فاران وقلنا ودلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران
والنبي الذي انزل عليه كتابا بعد المسيح اوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر
وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا من مشارق الارض ومغاربها فشوه
وفي التوراة ايضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات
ربه الذين اخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرايل عموما والله ربك يقيم نبيا من
اخوتك فاستمع له كالذي سالت ربك في حوريث يوم الاجتماع حتى قلت لا اعود
اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله لي نعم ما قالوا وسا قيم لهم نبيا مثلك من
اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء امرته وايما رجل لم يطع من تكلم باسمي
فاني انتقم منه قال وفي هذا الكلام ادلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحاق واخوتهم بنو اسماعيل فلو
كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من انفسهم لا من اخوتهم **واما
قوله** نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرايل احد مثل موسى
وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرايل ابدا فذهبت اليهود الى ان هذا
النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسى عليه
الصلاة والسلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا الدعوته بعد وفاته فتعين ان يكون
المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فانه كفو موسى لانه ماثله في نصب الدعوة
والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجرا النسخ على الشرايع السالفة **وقوله**
تعالى اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم
لان معناه اوحي اليه كلامي فينطق به على ما سمعه ولا انزل عليه صحفا ولا الواحا
لانه امي لا يحسن ان يقرا المكتوب **وفي الانجيل** مما ذكره ابن ظفر بك في الدر
المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال انا اطلب لكم من الاب
ان يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم
ان يقتلوه **وهو** عند ابن ظفر بلفظ ان اجبتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الى
ابي فيعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بان الله سيبعث
اليهم من يقوم مقامه وينوب في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه ويكون
شريعته باقية مخلدة ابدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر
فصول الفارقليط كما افاده ابن ظفر بك سوا يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل
وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم
على انه المخلص فقضى بنا الامر الى ان المخلص رسول ياتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا

قوله حوريث اسم جبل

قد الظفر بك الذي تقدم من اوايل الكتاب التنبيه عليه وكتب ايضا هو الشيخ الامام الفقيه المحدث الشهير سيف الدين ابو حفص عمر بن ابي بكر بن عمر المحبر التركماني الدمشقي الحنفي المعروف بابن ظفر بك

تقد

لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني جئت لخلاص العالم **فاذا ثبت** ان المسيح هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب ان يعطيهم فارقليط اخر **وان تنزلنا** معهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب الى احمد ومحمد من هذا قال ابن ظفر وفي الانجيل مما ترجموه ما يدل على الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي ارسلني بهذا الكلام لكم فاما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي باسمي فهو يعلمكم كل شي وهو يذكركم كما قلته لكم فهل بعد هذا بيان اليس هذا صريح في ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وليس بالاه وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كل ما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام لهم وكل ما امرهم به من توحيد الله **واما قوله ابي** فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه وتعالى لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم **ومن** المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالاباء الروحانية ولم تزل بنو اسرايل وبنو اعيصو يقولون نحن ابنا الله لسوء فهمهم عن الله تعالى **واما** قوله يرسل ابي باسمي فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنه القران من مدحه عما افترى في امره **وفي ترجمة اخرى** للانجيل انه قال الفارقليط اذا جا العالم وبخ على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن ظفر بلفظ اذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم **فقوله** ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع من الله الذي ارسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى **وقوله** وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله وبرأه وبرا امه عليهما السلام مما نسبا اليهما وامر امته بذلك قال ابن ظفر فمن ذا الذي وبخ العلما على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در ابي محمد الشقراطيسي حيث قال في قصيدته المشهورة

توراة موسى اتت عنه فصدقها ... انجيل عيسى بحق غير مفتعل
اخبار احبار اهل الكتب قد وردت ... عما رووا وروا عن الاعصر الاول

ويعجبني

بيان الخلق

فيهم صح

٤٠

ويعجبني قول العارف الرباني عبد الله بن النعمان

هذا النبي محمد جاءت به ... توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق ... ذكرا لاحمد معرب ومذكر

ويرحم الله ابن جابر حيث قال

لمبعثه في كل جيل علامة ... على ما حكته الكتب من امره الجلي
فجاء به انجيل عيسى باخر ... كما قد مضت توراة موسى باول

وفي الدلايل للبيهقي عن الحاكم بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي عن هشام ابن العاص الاموي قال بعثت انا ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه ارسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشي كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه واذا له ظفيرتان احسن ما خلق الله تعالى قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا فيها صورة بيضا واذا رجل احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضا فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله وبكينا قال والله انه قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كانك تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال اما والله انه لاخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبيا ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من اين لك هذه الصور فقال ان ادم عليه الصلاة والسلام سال ربه ان يريه الانبيا من ولده فانزل عليه صورهم فكانت في خزانة ادم عليه الصلاة والسلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال **وفي زبور داود** عليه الصلاة والسلام في مزمور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك الله الى الابد تقلد ايها الجبار السيف فان شرايعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك **فهذا المزمور** نبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي اذ ليس يتقلد السيوف امة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفي قوله فان شرايعك وسننك نص صريح انه صاحب شريعة

وَسُنَّة وانما تقوم بسيفه والجبّار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق
ويقصرهم عن الكفر جبرًا وعن وهب بن منبه قال قرات في بعض الكتب
القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب
نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسماعيل نبيا عربيا اميا
يومن به عدد نجوم السما ونبات الارض كلهم يومن بي ربا وبه رسولا
يكفرون بملل ابايهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست اسماوك
لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه في الدنيا والاخرة
واظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل زينته وللقسط
اخرجته وعزتي لاستنقذن به امما من النار فتحتها لدنيا بابراهيم واختمها
بمحمد فمن ادركه ولم يومن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بري ذكره ابن ظفر
وغيره **النوع الخامس في ايات** تتضمن اقسامه تعالى على تحقق رسالته
وثبوت ما اوحى اليه من اياته وعلو رتبته الرفيعة ومكانته وهذا النوع اعزك
الله لخصت اكثره من كتاب اقسام القران للعلامة ابن القيم مع زيادات من فرايد
الفوايد **فاعلم** انه تعالى اقسم بامور على امور وانما اقسم بنفسه الموصوفة
بصفاته او باياته المستلزمة لذاته وصفاته واقسامه ببعض مخلوقاته دليل
على انه من عظيم اياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة
يحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة على ان الرسول حق وتارة على الجزا
والوعد والوعيد **فالاول** كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم **والثاني** كقوله تعالى يس والقران
الحكيم انك لمن المرسلين **والثالث** كقوله والذاريات ذروا الى قوله
وان الدين لواقع **وهذه الامور الثلاثة** مستلزمة فمتى ثبت ان
الرسول حق ثبت ان القران حق وثبت المعاد ومتى ثبت ان القران حق ثبت
صدق الرسول الذي جا به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت صدق
الرسول الذي جا به وفي هذا النوع خمسة فصول **الفصل الاول**
في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه من الفضل العميم
قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وان
لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم ن من اسما الحروف كالم والمص
وق واختلف فيها فقيل هي اسما للقران وقيل اسما للسور وقيل اسما لله ويدل
عليه ان عليا رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعله اراد
يا منزلها وقيل انه سر استاثر الله بعلمه **وقد** روي عن الخلفا الاربعة وغيرهم
من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله لم يقصد

بها افهام غيره

حق م

41

بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد وقيل المراد بقوله تعالى هنا ن اسم الحوت
وهل المراد به الجنس او البهموت وهو الذي عليه الارض وقيل المراد به الدواة وهو
مروي عن ابن عباس ويكون هذا اقسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب
الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان ن لوح من
نور تكتب فيه الملايكة ما يامرهم به رواه معاوية بن قرة مرفوعا والحق انه اسم للكتاب
للسورة اقسم الله تعالى بالكتاب والقلم وهو القلم الذي احدى اياته واول
مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي واثبتت به الشريعة
وحفظت بها العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش و[illegible] قام في الناس كالخطيب
وافصحه وانفعه لهم وانصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا
يبري باذن باريه من انواع الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل
افعاله واقواله مما غمصته اعداوه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما انت
بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى بالجنون من اتى بما عجزت العقلا قاطبة عن معارضته
وكلت عن مماثلته وعرفهم عن الحق ما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت له
عقول العقلا وخضعت له الباب الالبا وتلاشت في جنب ما جا به بحيث لم يسعها الا
الا التسليم والانقياد والاذعان طايعة مختارة فهو الذي كمل عقولها كما يكمل
الطفل برضاع الثدي ثم اخبر تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه
واخرته فقال تعالى وان لك لاجرا غير ممنون اي ثوابا غير منقطع بل هو دايم مستمر
ونكر الاجر للتعظيم اي اجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم اثنى عليه
بما منحه فقال وانك لعلى خلق عظيم وهذه من اعظم ايات نبوته ورسالته **ولما**
سيلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران
ومن ثم قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق هيئة
مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل
والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم
والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت
اخلاقه صلى الله عليه وسلم المقتبسة من القران وكان كلامه مطابقا للقران
تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القران وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القران
واعراضه وتركه لما منع منه القران ورغبته فيما رغب فيه القران وزهده فيما زهد فيه
وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمت ام المومنين
لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه
القران وفهم السايل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بانه
على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي فستري يا محمد وسيري

وقيد به الدين م والمعادهم

[illegible] وتعيب علما [illegible]

المشركون كيف عاقبة امرك فانك تصير معظّمًا فى القلوب ويصيرون أذلّا مغلوبين وتستولي عليهم بالقتل والنهب **الفصل الثاني في قسمه تعالى على** ما انعم به عليه واظهره من قدره العلي لديه قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودّعك ربك وما قلى السورة اقسم تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطايه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزايه في الاخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم تعالى بايتين عظيمتين من اياته والستين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتامّل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعداوه ودّع محمدًا ربه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وايضا فان الذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يليق به ان يتركهم في ظلمة الغي والجهل بل هداهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دنياهم واخرتهم فتامل حسن ارتباط المقسم به وتامل هذه الجزالة والرونق الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على معانيها ونفى سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه والتوديع الترك والقلا البغض اي ما تركك منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك وحذف الكاف في قلى اكتفاءً بكاف ودّعك ولان رؤس الايات بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها هي خير له مما قبلها كما ان الدار الاخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده بما تقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو انه يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القران والهدى والنصر والظفر باعدايه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس في الدين افواجا والغلبة على بني قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلاء كلمته ومما يعطيه بعد مماته وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر **قال** ابن عباس يعطيه الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الاية على انه تعالى يعطيه عليه الصلاة والسلام كل ما يرضيه واما ما يغتر به الجهال من انه لا يرضى واحدًا

من امته في النار

من امته في النار او لا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهو من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يُدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحدّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سياتي في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى ورسوله اعرف بربه وحقه من ان يقول لا ارضى ان تدخل احدًا من امتي النار او تدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى ياذن له في الشفاعة فيشفع في من شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكره سبحانه نعمه عليه من ايوايه بعد يتمه فقال الم يجدك يتيمًا فاوى وذهب بعضهم ان معنى اليتيم من قولهم درة يتيمة الم يجدك واحدًا في قريش عديم النظير فاواك اليه واغناك بعد الفقر ثم امره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقهر اليتيم وان ينهر السايل وان يكتم النعمة بل يحدّث بها فان من شكر النعمة التحدث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها

الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما اوتي به من وحيه وكتابه وتنزيهه عن الهوى في خطابه **قال الله** تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه من الضلال والغي واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ويكون ال للتعريف العهد في قول وللتعريف الجنس في اخر وهي النجوم التي يهتدى بها قيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية والعرب اذا اطلقت النجم تريد به الثريا **وعن** ابن عباس في رواية علامة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في اثارها عند استراق السمع وهذا قول الحسن **وعن** السدي الزهرة وعن الحسن النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد به النبت الذي لا ساق له وهوى اي سقط على الارض وقيل القران رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل نجومًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى اي نزل من السما ليلة المعراج واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم انها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى اية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على ان ما اتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشياطين ولا طريق لهم اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط به بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبيّن

خطابه

وفي المجلس الثالث [illegible] والاربعين بعد المائة من اماني الجلال السيوطي [illegible] احمد [illegible] ابن شيخ في قوله تعالى والنجم اذا هوى قال كانت العرب تقول [illegible] وقت سقوط الثريا وكانت الاسقام والطواعين تكثر عند وقوعها [illegible] ابن ابي حاتم [illegible] في تفسيره [illegible] والاربعين بعد المائة في المجلس الثاني [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع النجم ارتفعت العاهة عن اهل كل بلد [illegible] اخبر الصادق فيها فقد رووا [illegible] الا اذا [illegible] الثريا طلعت ترفع العاهات [illegible]
انتهى [illegible]

تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى فلا تسمية بنزوله هويا ولا عهد في القران
بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها
اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها يوم القيامة بل هذا
مما يقسم الرب عليه ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين
ولا سيما منكري البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة
فيه فتزانه بين المقسم به والمقسم عليه ما لا يخفى عليه فان قلنا ان المراد النجوم
التي هي للاهتدا فالمناسبة ظاهرة وان قلنا ان المراد الثريا فلانه اظهر النجوم
عند الراي لانه لا تشتبه بغيره في السما بل هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله عليه
وسلم تميز على الكل بما منح من الايات البينات لان الثريا اذا ظهرت من المشرق
حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب قرب اواخر الخريف فتقل الامراض
والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية وان قلنا
المراد بها القران فهو استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراته
وانه ما ضل ولا غوى وان قلنا ان المراد النبات فالمراد به نبات القوى الجسمانية
وصلاحها والقوى العقلية اولى بالصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل
وتامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة
عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه
بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا
المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه بظهور رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه
لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نفي الهوى
عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد
لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد الضمير على المصدر
المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا احسن من جعل الضمير
عايدا الى القران فان نطقه بالقران والسنة وان كلاهما وحي يوحى قال الله
تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة وذكر الاوزاعي
عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسنة كما ينزل عليه بالقران يعلمه اياها ثم اخبر تعالى عن وصف من اعلمه بالوحي
والقران مما يعلم انه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية فقال
علمه شديد القوى وهو جبريل اي قواه العلمية والعملية كلها شديدة
ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى
الله عليه وسلم به فضيلة

الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش
كما سياتي البحث فيه ان شا الله تعالى ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده
لما راته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن راى شيا على خلاف
ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما راه ببصره صدقه الفؤاد وعلم انه كذلك
وفي قصة الاسرا مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق المعين وقال تعالى
فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم اي
لا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم ولا مزيد للتاكيد وهذا
قول اكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال
الزمخشري والوجه ان يقال هي للنفي اي انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له
فكانه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني انه
يستاهل فوق ذلك اقسم سبحانه وتعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة
من طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه
من غير فصل فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا وتنفسه
واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وادبر بين يديه
وذلك من اياته ودلايل ربوبيته ان القران قول رسول كريم وهو هنا جبريل
لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به واما الرسول الكريم في الحاقة
فهو محمد صلى الله عليه وسلم فاضافه الى الرسول الملكي تارة والى الرسول البشري
اخرى واضافته اليهما اضافة تبليغ لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول
يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من ارسله فهذا صريح في انه كلام
من ارسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله
عليه وسلم عن جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بانه كريم
يعطي افضل العطايا وهي العلم والمعرفة والهداية والبر والارشاد وهذا غاية
الكرم ذو قوة كما قال في النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين ان تدنوا
منه وان يزيدوا فيه او ينقصوا منه فروي انه رفع قريات قوم لوط الاربع على قوادم
جناحه حتى سمع اهل السما نباح كلابها واصوات بنيها عند ذي العرش مكين
اي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم
مطاع في ملايكة الله المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه امين
على وحي الله ورسالته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه صفات خمس تتضمن
تزكية سند القران وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب
العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم
نزه رسوله البشري وزكاه عما تقول فيه اعداوه فقال وما صاحبكم بمجنون

وهذا امر يعلمونه ولا يشكّون فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه فهم يعلمون
انهم كاذبون ثم اخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام
وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر
خلافا للقوم محققيه عندهم انه خيال موجود في الاذهان لا في العيان
وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا
كان تقدير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اهم من رؤيته لربه تبارك
وتعالى فان رؤيته عليه السلام لجبريل هي اصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها
ومن انكرها كفر قطعا واما رؤيته لربه تعالى فغايتها ان تكون مسئلة نزاع لا يكفر
جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بانه لم
يره فنحن الى تقرير رؤيته لجبريل احوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت
رؤية الرب سبحانه وتعالى اعظم من رؤيته جبريل فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها
البتة ثم نزه سبحانه وتعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم احدهما
بطريق النطق والاخر بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي
هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على
الغيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بامرين اداءها من غير كتمان
واداءها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراءتان كالايتين فتضمنت
احدهما وهي قراءة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به
اضن بوزن بخلت ابخل ومعناه وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله وقال
مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم واجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القران والوحي
قال الفراء يقول تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم
وهذا معنى حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولا سيما
عن من لا يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي
الذي هو انفس شيء واجله وقال ابو علي الفارسي المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر
به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا واما
قراءة من قرأ بظنين بالظاء فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس هو من
الظن الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وما هذا
الرسول على القران بمتهم بل هو امين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على ان الضمير
فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالامانة ثم
قال وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه
عن رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القران اعظم تزكية والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل وقال تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون

انه لقول رسول كريم

انه لقول رسول كريم الاية اقسم تعالى بالاشيا كلها ما يبصرون منها وما لا يبصرون
وهذا اعم قسم وقع في القران فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا
والاخرة وما يرى وما لا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلها والجن والانس
والعرش والكرسي وكل مخلوق وذلك كله من ايات قدرته وربوبيته ففي ضمن
هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى اية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم
وانما جاء به من عند الله تعالى وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وانه حق
ثابت كما ان سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض
انه لحق مثل ما انكم تنطقون وكانه سبحانه وتعالى يقول انه اي القران حق كما ان
ما تشاهدونه من الخلق وما لا تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان مع جميع
ما يبصره وما لا يبصره نفسه ومبدأ خلقه ونشاته وما يشاهد من احواله ظاهرا
وباطنا ففي ذلك ابين دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر
به رسوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان
قلبه ثم اقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله
وانه لو تقول عليه وافترى لما اقره ولعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته
يأبى ان يقر من تقول عليه وافترى عليه واضل عباده واستباح دماء من كذبه
وحريمهم واموالهم فكيف يليق باحكم الحاكمين واقدر القادرين ان يقر على ذلك
بل كيف يليق ان يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم ويسفك دماءهم
ويستبيح اموالهم واولادهم ونساءهم قائلا ان الله امرني بذلك واباحه لي بل
كيف يليق به ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه باقراره وبالايات المستلزمة
لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلافها فكل اية على انفرادها مصدقة له
ثم تحصل باجتماع تلك الايات تصديق فوق تصديق كل اية بمفردها ثم تعجيز الخلق
عن معارضته ثم تصديقه بالدلالة القاطعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد
له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان
يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم ههنا محمد صلى الله عليه
وسلم كما قدمته لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده انه ليس بقول شاعر
ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة ومن
ذلك قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران
كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح
المحفوظ قال ابن القيم والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور
في قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة قال مالك
احسن ما سمعت في هذه انها مثل التي في عبس قال ومن المفسرين من قال ان

ان المصحف لا يمسه الا طاهر والاول ارجح لان الاية سيقت تنزيها للقران ان
تتنزل به الشياطين وان محله لا تصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين
وما ينبغي لهم وما يستطيعون وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا
ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا ومن حمل الاية على النهي احتاج الى صرف الخبر
عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته
وليس هاهنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى ملخصا وهذا الذي
قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بانه يجوز مس المصحف للمحدث وقد
اجاب ابن الرفعة في الكفاية عن ادلتهم المزخرفة فقال ما نقله القران
لا يصح مسه فعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين ولا يتوجه النهي
الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن ان يكون المراد
بالمطهرين الملائكة لانه قد نفي واثبت فكانه قال يمسه المطهرون ولا يمسه
غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم انه اراد المطهرين من الادميين
ويبين ذلك ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي
في الدارقطني وغيره ولا تمس القران الا وانت على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدي
ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ لانه غير منزل وان المطهرين الملائكة
ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو
كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو معارض بقول
الباقين والمرجع الى الدليل واما كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر
ومعناه النهي وهو كثير في القران قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات
يتربصن انتهى واجاب العلامة البساطي[٣] في شرح مختصر الشيخ خليل بان
يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين
ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن
يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي الشافعي المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوايد فقال
في لا هذه وجهان الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام
لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه ادغم ولما ادغم حرك اخره بالضمة
لاجل هاء الضمير المذكر الغايب ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا الا الضم وفي الحديث
انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وبهذا
الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه
خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره اه

الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقق رسالته قال الله سبحانه وتعالى يس
والقران الحكيم انك لمن المرسلين الاية اعلم ان كل سورة بدا الله تعالى بحروف التهجي

كان في اوايلها

[٣] نسخة البابسلي [illegible]

كان في اوايلها الذكر او الكتاب او القران الا ثلاث في ذكر هذه الحروف في اوايل
السور امور تدل على انها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف
الله له سر ذلك واختلف المفسرون في معنى يس على اقوال
احدها انه يا انسان بلغة طي وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة
والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب
وحكى الكلبي انها بالسريانية قال الامام فخر الدين وتقريره هو ان تصغير انسان
انيسين وكانه حذف الصدر منه واخذ العجز وقال يس وعلى هذا يكون الخطاب
مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه
ابو حيان بان الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بياء بعدها الف
فدل على ان اصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى اصولها ولا نعلمهم قالوا في تصغيره انيسين
وعلى تقدير انه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا ان يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه
ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى قال السمين وهذا
الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا على ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا
ولذلك يحكى ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مومن والاصل مويمن
فابدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قايله وقيل معنى يس يا محمد
قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله ابو العالية وقيل هو اسم من اسماء
القران قاله قتادة وعن ابي بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق انه اراد
يا سيد مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وعن طلحة
عن ابن عباس انه قسم اقسم الله به وهو من اسمايه وعن كعب اقسم الله به قبل ان يخلق السموات
والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين
وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فاقسم الله تعالى باسمه في كتابه انه من
المرسلين بوحيه الى عباده وعلى طريق مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه
ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيايه بالرسالة
في كتابه الا له صلى الله عليه وسلم

الفصل الخامس في قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده قال الله تعالى لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه في القسم بفتح لكثرة الاستعمال
فاذا اقسموا قالوا لعمرك قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر
محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه
الفعل نحو تالله لافعلن والمعنى احلف بالله فيحذف احلف لعلم المخاطب انك حالف قال
الزجاج من قال لعمر الله كانه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد
بها اليمين لان بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبني الحلف به لذلك وقال

انتهى ولا يجوز تصغير شيء مما اسماء الله تعالى ولا اسماء انبيايه ولا نحو المصحف والمسجد قال ابن مالك ولا اسما يختص بالتصغير مثل جميع وعظيم [illegible]

الامام الشافعي واسحاق لا يكون يمينا الا بالنية وعن احمد كالمذهبين والراجح عنه
كالشافعي واختلف فيمن المخاطب في الاية على قولين احدهما ان الملايكة قالت للوط
عليه السلام لما وعظ قومه وقال هولاء بناتي لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اي
يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك والثاني ان الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وانه تعالى اقسم بحياته وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه
عريض قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرا وما برا نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه
وسلم وما سمعت الله اقسم بحياة احد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقايك في الدنيا انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه ابن
جرير ومراده بقوله وما سمعت الله المتلو في الكتب المنزلة ورواه البغوي في تفسيره
بلفظ وما اقسم الله بحياة احد الا بحياته وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل انه اكرم
خلق الله تعالى على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما
معترضا في قصة لوط عليه الصلاة والسلام قال القرطبي واذا اقسم الله
تعالى بحياة نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان يحلف به بيمينه ويجب
الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني الشهادة وقال ابن
خويز منداد واستدل من جوز الحلف به صلى الله عليه وسلم بان ايمان المسلمين جرت
من عهده صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة
الى يومنا هذا اذا جاء صاحبه وقال احلف لي بحق ما حواه صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا
القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد الاية اقسم الله تعالى بالبلد الامين وهو مكة ام القرى وبلده هي
عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام اظهارا لمزيد
فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله قاله البيضاوي ثم اقسم بالوالد
وما ولد وهو نبينا قيل ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا
فتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد به ادم وذريته وهو قول الجمهور
من المفسرين وانما اقسم الله تعالى بهم لانهم اعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم
من البيان والنطق واستخراج الانبيا والدعاة الى الله تعالى والانتصار لدينه
وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل
السكان فمرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى ادم وقوله وانت حل هو من الحلول
ضد الظعن فتضمن اقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع
واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا
لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه وقيل المعنى وانت مستحل
قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يامن فيه الطير والوحش وقد استحل

فيه قومك حرمتك

فيه قومك حرمتك وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وانت
حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى
فتح عليه مكة واهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل
ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وغيره وحرم دار ابي سفيان
فان قلت هذه السورة مكية وانت حل بهذا البلد اخبار
عن الحال والواقعة التي ذكرت في اخر مدة بعد هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين
اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله تعالى انك ميت
وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم ببلد رسوله صلى الله عليه وسلم
ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله
ان اقسم بحياتك دون سائر الانبيا ولقد بلغ من فضيلتك عنده ان اقسم بتراب
قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
اختلف في تفسير العصر على اقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل على الاعاجيب لانه
يحصل فيه السرا والضرا والصحة والسقم وغير ذلك وذكر العصر
الذي بمضيه ينقص عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران
ولله در القايل انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الاجل وفي
تفسير الامام فخر الدين والبيضاوي ووافقه عليه العلامة وغيره انه اقسم
بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازي واحتجوا له بقوله صلى الله
عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استاجر اجرا فقال من يعمل
لي من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر
بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين
فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل
نقصت من اجركم شيا قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا
واكثر اجرا رواه البخاري قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره الذي هو فيه
فيكون على هذا اقسم تعالى بزمانه في هذه الاية وبمكانه في قوله وانت حل بهذا البلد
وبعمره في قوله لعمرك وكانه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له
فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كانه تعالى قال
ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى

النوع السادس في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير

اعلم ان الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور في قوله تعالى قد جاءكم من
الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القران ووصفه عليه الصلاة والسلام

بالسراج المنير في قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج يرى الطريق ويبين الهدى
والرشاد فبيانه اقوى واتم وانفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب ان تكون
نفسه القدسية اعظم في النورانية من الشمس فكما ان الشمس في عالم الاجسام
تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم
تفيد الانوار العقلية لساير الانفس البشرية ولذلك وصف الله الشمس بانها سراج حيث
قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله تعالى رسوله بانه نور ووصف نفسه
المقدسة فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القديم
هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذي اشرق على العالم فاشرق على العوالم
الروحانية وهم الملايكة فصارت سرجا منيرة يستمد منها من دونها بجود الله ثم سرى
النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس الى صفحات الجسوم فليس في
الوجود الا نور الله الساري الى الشيء منه بقدر قبوله ووسع استعداده ووجب
تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها الباصر اولا وبوساطتها ساير المبصرات
كالكيفية الفايضة النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو
بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله الا بتقدير مضاف كقوله زيد كرم بمعنى ذو كرم
او بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وبالملايكة والانبياء
من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور
ويؤيد هذا القول قراءة علي بن ابي طالب وزيد بن علي وغيرهما نور فعلا ماضيا
والارض بالنصب وقوله مثل نوره اي مثل هداه سبحانه وتعالى واضاف النور
الى السموات والارض اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات
والارض واما للارادة اهل السما والارض وانهم يستضيئون به وعن مقاتل اي مثل الايمان
في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد
محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد وعن غيره
المشكاة نظير ابرهيم والزجاجة نظير اسماعيل عليهما الصلاة والسلام
والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة وعن
ابي سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه
والمصباح النور الذي جعله الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن
كعب بن جبير النور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن سهل بن عبد الله
مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة
مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها

يضيء اي يكاد

المشكاة الكوة في الحائط غير النافذة وقيل المراد بها ... القنديل وفي المصباح الفتيلة وقيل المراد بها معلاق القنديل وبالمصباح القنديل وقيل المراد بها موضع الفتيلة وفي المصباح الفتيلة الموقودة ... والصحيح ما عليه جمهور المفسرين ... ضرب هذا المثل للنور ... لا لتصور افهام الخلق ... صرف الله ... شهاب

يضيء اي يكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تتبين للناس قبل كلامه حكى هذا القول
الاخير القاضي ابو الفضل اليحصبي والفخر الرازي لكنه عن كعب الاحبار
وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة قبل الوحي قال عبد الله بن رواحة
لو لم تكن فيه ايات مبينة ... كانت بديهته تنبيك بالخبر
لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الاية ولقد
انزلنا اليكم ايات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره اي مثل هداه
كان ذلك مطابقا لما قبله

النوع السابع في ايات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين قال عياض فجعل طاعة رسوله
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء
العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله يعني من اطاع الرسول
لكونه رسولا مبلغا الى الخلق احكام الله فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله وذلك
في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا فان من اعماه
الله عن الرشد واضله عن الطريق فان احدا من الخلق لا يقدر على ارشاده وهذه
الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل
ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله وايضا وجب
ان يكون معصوما في جميع افعاله لانه تعالى امر بمتابعته في قوله تعالى واتبعوه
والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له في جميع
اقواله وافعاله الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى قال الله
تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
الاية وهذا عام في المطيعين لله من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية فيها صح
في هذه الدار وانها تتم معية الابدان و... ذكروا في سبب نزول هذه
الاية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما
وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقتك
واستوحشت وحشة عظيمة حتى القاك فذكرت الاخرة بحيث لا اراك هناك لاني ان
دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين وان انا لم ادخل الجنة فحينئذ لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية صح
وذكر ابن ابي حاتم عن ابي الضحى عن مسروق قال اصحاب محمد يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك
فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فانزل الله الاية وذكر عن عكرمة مرسلا

قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما شي واحد ولذا افرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه ... وجوب طاعته ... ذكرناه ... شهاب

قال ابي فتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا
ويوم القيامة لا نراك لانك في الجنة في الدرجات العلي فانزل الله هذه الاية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت معي في الجنة وذكر ايضا فيها
ايضا روايات اخري تاتي ان شا الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة
والسلام قال المحققون لا ينكر صحة هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه
الاية يجب ان يكون شيا اعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها
فانا نعلم ان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الاية عامة في حق جميع
المكلفين وهو ان كل من اطاع الله واطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية
والمراتب الشريفة عند الله تعالى ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول
انه يكفي الاكتفا بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت
حصول ذلك المسمى مرة لكن لا بد ان يحمل على غير ظاهره وان تحمل الطاعة
على فعل المامورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة
لدخل فيه الفساق والكفار لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة **قال**
الرازي قد ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقب الصفة مشعر بكون
ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله ومن يطع الرسول
الله اي في كونه الها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته والاقرار بجلالته وعزته
وكبريايه وصمديته فصارت هذه الاية تنبيها على امرين عظيمين من احوال المعاد
فالاول منشا جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح بانوار معرفة الله
فكل من كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاوها اقوى كان الى السعادة اقرب
والى الفوز بالنجاة اوصل **والثاني** ان الله تعالى ذكر في الاية السابقة وعد
اهل الطاعة بالاجر العظيم والثواب الجزيل ثم ذكر في هذه الاية وعدهم بكونهم مع
النبيين وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين
كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل
والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم
من روية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا
واذا ارادوا الروية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية
ولقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المرء مع من احب وثبت
ايضا انه قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا وهم معكم
حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر والروح لا بمجرد
البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم
ومن اقرب اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن ابي من ابعد

الخلق عنه

بلغ

الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك ان العبد اذا اراد بقلبه امرا من طاعة او
معصية او شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح
تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من
المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم **وقال تعالى** قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الاية الشريفة تسمى اية المحبة
قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله اية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
وقال يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفايدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول
وفايدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم
منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم
لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفا
المحبة عند انتفا المتابعة فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة لرسوله
وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا محبة الله لهم فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت
محبة الله لهم بدون المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودل على ان المتابعة
للرسول هي حب الله ورسوله وطاعة امره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يكون شي احب اليه من الله ورسوله
ومتى كان عنده شي احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة
ولا يهديه الله قال تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين
فكل من قدم طاعة احد من هولا على طاعة الله ورسوله او خوف احد منهم ورجاه
والتوكل عليه على خوف الله ورجايه والتوكل عليه او معاملة احد منهم على معاملة الله
ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار
بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب المدارج وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى
في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام **وقال تعالى** فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون اي الى الصراط المستقيم
فجعل رجا الاهتدا اثرا للامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه
ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما اتي به فامنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا يعني القران فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان
الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا
للكافرين سعيرا وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
الاية معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيدة للتاكيد يعني

او خوف احد منهم على خوف الله ورسوله
او معاملة احد منهم على مرضات الله ورسوله ح

القسم كما في لئلا يعلم ولا يومنون جواب قسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسه
انه لا يومن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره ويرضى بجميع
ماحكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم يوافق اهواهم او يخالفها
كما ورد في الحديث والذى نفسى بيده لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جيت به
وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا
وعلى انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب وذلك بان يحصل الجزم واليقين
في القلب بان الذي يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق فلا بد
من الانقياد باطنا وظاهرا وسياتي مزيد بيان لذلك ان شا الله تعالى في
مقصد محبته عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه الاية يدل على انه
لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه وانه
لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك
يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى
ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره
تخصيص الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج بن السبكي
في جمع الجوامع **النوع الثامن فيما يختص من الادب معه صلى الله عليه وسلم**
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب
ان لا يتقدم بين يديه بامر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يامر هو وينهى
وياذن كما امر الله تعالى بذلك في هذه الاية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ
فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي
عقل سليم قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي حتى يقضيه
الله على لسانه وقال الضحاك لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال غيره لا تامروا حتى يامر ولا تنهوا حتى ينهي وانظر ادب الصديق رضي الله
عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة ان تقدم بين يديه كيف تاخر وقال ما كان
لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه
والامامة بعده فكان ذلك التاخر الى خلفه وقد اومى اليه ان اثبت مكانك سعيا
الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها اعناق المطي ومن الادب
معه صلى الله عليه وسلم كيف اورثه مقامه الا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض قال الرازي افاد انه ينبغي ان لا يتكلم المومن عنده صلى الله
عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر

بعضكم لبعض

بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي ان يجهر المومن للنبي صلى الله عليه وسلم
كما يجهر العبد للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض قال ويويد
ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم والسيد ليس اولى عند
عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة ووجد العبد ما لو لم ياكله لمات لا يجب عليه
بذله لسيده ويجب بذله للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان بموته
ينجو سيده لا يلزمه ان يلقي نفسه في التهلكة لانجا سيده ويجب لانجا النبي
صلى الله عليه وسلم فكما ان العضو الرئيس اولى بالرعاية من غيره لان عند خلل
القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك
النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا بخلاف العبد والسيد انتهى واعلم ان في الرفع
والجهر استخفافا قد يودي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة
وعدم المبالاة **وروي** ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الاية قال والله بكر الى ... شهاب
يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي السرار وان عمر رضي الله تعالى عنه كان اذا حدثه
حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى
يستفهمه **وقد روي ان ابا جعفر** امير المومنين ناظر مالكا في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في
هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر واذا كان
رفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الاراء ونتائج الافكار
على سنته وما جاء به ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاءه كدعاء بعضنا
بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وفيه قولان للمفسرين
احدهما انكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع
التوقير والتواضع فعلى هذا المصدر مضاف الى المفعول اي ودعاءكم الرسول والثاني
ان المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم كدعاء بعضكم بعضا ان شا اجاب وان شا ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة
فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف
الى الفاعل اي دعاؤه اياكم وقد تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي
ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله عليه وسلم **ومن الادب** معه
صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب
احد مذهبا في حاجة له حتى يستاذنه كما قال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة
عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه

ودقيقه وجليله هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل قوله بل يستشكل الارا
لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه
عن حقيقته لخيال مخالف يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول
ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجراة وراس
الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق
دون ان يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولا او يسميه شبهة او شكا او يقدم عليه
آراء الرجال وزبالات اذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد
المرسل او توحيد متابعة فلا يحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج والقران
مملوء بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم فلتراجع **النوع التاسع**
في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله عليه وسلم
ترفيعا لشانه قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون لما
قال المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون **اجاب** تعالى عنه
عدوه بنفسه من غير واسطة هكذا سنة الاحباب قال الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه
تولى بنفسه جوابه فها هنا تولى الحق سبحانه جوابهم بنفسه فينتصر له لان نصرته
له تعالى اتم من نصرته وارفع لمنزلته ورده ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده فاقسم
تعالى بما اقسم به من عظيم اياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه
الكفرة وتكذيبهم له بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وسيعلم اعداؤه المكذبون له
انهم المفتونون هو ام هم وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به
في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الاخرة في الاخرة بحيث يتساوي الخلق كلهم
في العلم به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون **ولما** راى العاص بن وايل السهمي النبي
صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا
واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا له من ذا الذي كنت
تتحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك
هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير **ولما قالوا افترى على الله**
كذبا قال الله تعالى بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد ولما
قالوا لست مرسلا يعني اليهود اجاب الله تعالى عنه فقال يس والقران الحكيم انك
لمن المرسلين ولما قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون رد الله تعالى عليهم
فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم
لذائقوا العذاب الاليم ولما قالوا ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
رد الله تعالى

رد الله تعالى بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقران مبين
ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون
سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا وقال قل انزله الذي يعلم
السر في السموات والارض ولما قالوا يلقيه اليه الشيطان قال الله تعالى وما
تنزلت به الشياطين الاية **ولما** تليت عليهم نبا الاولين قال النضر بن الحارث
لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين قال الله تعالى تكذيبا
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
ولما قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال
الله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تسلية
له عليه الصلاة والسلام **ولما قالوا ابجد قلاه ربه** رد الله تعالى عليهم
بقوله ما ودعك ربك وما قلى ولما قالوا مال هذا الرسول ياكل
الطعام ويمشي في الاسواق فقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا
انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق **ولما حسدته** اعداء الله
اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا ما همته الا النكاح رد الله تعالى
عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله
فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فما اجل هذه الكرامة
ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه الله تعالى
عنهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا
رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس وان التخالف يورث التباين
قال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا ولو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان اهل
الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر فما اجل هذه الكرامة وقد
كانت الانبياء انما يدافعون عن انفسهم ويردون على اعدائهم كقول نوح عليه
الصلاة والسلام يا قوم ليس بي ضلالة وقول هود ليس بي سفاهة واشباه
ذلك **النوع العاشر** في ازالة الشبهات عن ايات وردت في حقه عليه الصلاة
والسلام مشكلات متشابهات قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم انه قد
اتفق العلماء على انه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جائز عقلا على
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه
من التنفير وعند اصحابنا انه جائز في العقول ثم يكرم الله من اراد بالنبوة الا ان الدليل
السمعي قام على ان هذا الجائز لم يقع قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قال الامام
فخر الدين وقال الامام ابو الفضل اليحصبي في الشفا والصواب انهم معصومون قبل

النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار
عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على
اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة ولم ينقل احد من الاخبار ان احدا نبي
واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل قال وقد استبان
لك بما قررناه ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته وكونه
على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه
شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا
وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه
فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح مما يجب لك ان تتلقاه
باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل
عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز
ان تضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن
الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار وقد استدل بعض الائمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز
مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى وقد اختلف في تفسير هذه الآية
على وجوه كثيرة احدها وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك
وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان
تقرا القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو
الفرائض والاحكام فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم
يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسياتي آخر هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله
تعالى **الثاني** من معنى قوله تعالى ضالا كما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين انه قال عليه الصلاة
والسلام ضللت عن جدي عبد المطلب وانا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله **الثالث** يقال
ضل اللبن في الماء اذا صار مغمورا فمعنى الآية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى
اظهرت دينه **الرابع** ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة فكانه تعالى يقول كانت تلك
البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة فريدة في
مفازة الجهل **الخامس** قد يخاطب السيد والمراد قومه اي وجد قومك **السادس** اي محبا لمعرفتي
وهو مروي عن ابن عطاء والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك

فوجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك صح

اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا **السابع**
اي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة فهداه الله
تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا احصي ثناء عليك **الثامن** اي وجدك بين اهل ضلال
فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم **التاسع** اي وجدك متحيرا في بيان
ما انزل اليك فهداك لبيانه كقوله وانزلنا اليك الذكر وهذا مروي عن الجنيد **العاشر**
عن علي رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية
يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشيء حتى
اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى ادخل
مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى اول دار من دور مكة فسمعت عزفا بالدفوف
والمزامير فجلست انظر اليهم فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ثم
ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله برسالته **واما قوله تعالى ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك** فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين
والمتكلمين المجوزين للصغائر على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وبظواهر كثيرة
من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم كما قال القاضي عياض الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون
في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت الاقاويل فيه للسلف بخلاف
ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى **وقد**
اختلف في هذه الآية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله الحمل سمع له نقيض
اي صوت كصوت المحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اقداره وقيل المراد به تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر القيام
بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط
عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى تيسرت له **وقيل** الوزر ما كان يكرهه من
تغييرهم لسنة الخليل عليه السلام وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله تعالى
وقال له اتبع ملة ابراهيم وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي انقض ظهرك لو كان ذلك
الذنب حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه الصلاة
والسلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على اذنه فما ايقظه
الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى
شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحط
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه قال القاضي فيكون المعنى على من جعل ذلك
لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت

عياض

ثم قمت ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على اذني فما ايقظني الا مس الشمس م

عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها وقيل انها ذنوب امته فصارت
كالوزر عليه فامنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم ووعده الشفاعة في الاجل **واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك**
وما تاخر فقال ابن عباس انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم اراد
غفران ما وقع وما لم يقع اي انك مغفور لك وقيل المراد ما كان من سهو وغفلة وتاويل
حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك
حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وقيل المراد امته وقيل المراد بالذنب ترك
الاولى كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى
وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل وقال السبكي قد تاملتها يعني الاية مع ما قبلها
وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم
من غير ان يكون هناك ذنب ولكنه اريد ان يستوعب في الاية جميع انواع النعم من
الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية شيان سلبية وهي غفران الذنوب
وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما و دنيوية وهي
قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام
انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية الفتح المبين الذي
عظمه وفخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال انما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب
البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم
وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى واما الفعل فاجماع الصحابة
على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن
عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتباعها
علم بهم او لم يعلم ومن تامل احوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيى من الله
ان يخطر بباله خلاف ذلك انتهى **واما قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا**
تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية انه صلى الله عليه وسلم اتقى الخلق والامر بالشيء
لا يكون الا عند عدم اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا
للساكت اسكت ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان
يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما امره الله تعالى بالتقوى توجب استدامة
الحضور **واجاب بعضهم عن هذا ايضا** بانه صلى الله عليه وسلم كان
يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو
فيه تركا للافضل فكان له في كل ساعة تقوى تتجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح
ان يقال للجالس اجلس هاهنا الى ان اتيك وللساكت قد اصبت فاسكت
تسلم اي دم على ما انت عليه وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته

ويدل

وتتم نعمته عليك
وجميع النعم الدنيوية
شيان دينية
اشار اليها بقوله

ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا او لم يقل بما تعمل **واما قوله**
فلا تطع المكذبين فاعلم انه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلى الله عليه وسلم ونسبته
الى ما نسبوه اليه مع ما انعم الله به عليه من الكمال في امر الدين والخلق العظيم اتبعه بما يقوي
قلبه ويدعوه الى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه
السورة من اوائل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين والمراد رؤسا الكفار من اهل مكة وذلك
انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد في مخالفتهم **فان**
كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الاية
فاعلم ان المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم
وقال اخرون المخاطب به غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى اذا طلقتم النساء وقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى ابن مريم عليهما السلام ءانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له امير وكان تحت راية
ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم
بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك اقوى تاثيرا في قلوبهم الثاني قال الفرا علم
الله تعالى ان رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده
ان كنت ابني فبرني ولعبده ان كنت عبدي فاطعني الثالث [illegible] انه يقال
لضيق الصدر شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعاني من تعنتهم واذاهم فاصبر
واسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم وكيف كان عاقبة
امرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران
مصدق لما فيها او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته او يكون على سبيل
الفرض والتقدير لامكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت
هذه الاية والله لا اشك ولا اسال **واما الوجه الثاني** وهو ان المخاطب غيره
صلى الله عليه وسلم فتقريره ان الناس كانوا في زمانه عليه الصلاة والسلام فرقا ثلاثة
المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى
بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا
صلى الله عليه وسلم فاسال اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وهذا مثل قوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم ويا ايها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان
هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم
حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا
بايات الله فتكون من الخاسرين **وقوله تعالى** والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم لا يعلمون ذلك او يكون المراد

وامافوله

اي جاهد في عملك

اماجو

عبارة البيضاوي يعلمون
باستغنائه الايد المناسب
لسياق الكلام فتامل

قل لمن امترى يا محمد لا تكونن من الممترين وانه صلى الله عليه وسلم مخاطب به
غيره وقيل غير ذلك **واما قوله تعالى** ولو شا الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين فقال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شا
لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبيا والمقصود
وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين وليس في الاية دليل على كونه على
تلك الصفة التي نهاه عن ان يكون عليها فامره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يخرج عن ذلك فيقارب حال الجاهل لشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك
وقيل معنى الخطاب لامته عليه الصلاة والسلام اي فلا يكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد
مكي قال ومثله في القران كثير **وكذلك قوله تعالى** وان تطع اكثر من في الارض فالمراد
غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك ام
قوله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك وما اشبه ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى نهاه عما يشاء ويامره بما يشاء
كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما طردهم عليه الصلاة والسلام وما كان
من الظالمين **واما قوله تعالى** وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين
هم عن اياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع
سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا **واما قوله تعالى** واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله الاية فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم والنزغ
ادنى حركة تكون كما قاله الزجاج فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او
رام الشيطان من اغرابه به وخواطر اذاه وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ
به تعالى فيكفي امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم
يجعل له قدرة عليه **وكذلك** لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس
عليه لا في اول الرساله ولا بعدها بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله
حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله او ببرهان يظهره لديه كما قدمته في المقصد
الاول عند البعثه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته **واما قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الاية** فاحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمني المراد به هنا
التلاوة والقا الشيطان فيها اشتغاله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غيره ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوا
التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته قاله القاضي عياض رحمه الله
وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك **قاله في الشفا واما قوله عليه الصلاة
والسلام** حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا وادٍ به شيطان فليس فيه ذكر
تسلطه عليه

١

تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك
الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبي حتى نام
فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاة الفجر
هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته
له بل تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **قال واما قوله تعالى عبس وتولى
ان جاءه الاعمى الايات** فليس فيها اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل
اعلام الله ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى فان الصواب والاولى لو كان كشف له عن
حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل
وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا قاله كما شرعه الله
له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين
امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى اذ ليس عليك
باس في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن اسلم
بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان ابن ام مكتوم يستحق التاديب
والزجر لانه وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار
وكان يعرف بواسطة استماع تلك الكلمات وشدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام
بشانهم فكان اقدامه على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذا له عليه الصلاة
والسلام وذلك معصية وان الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو الواجب
المتعين وقد كان عليه الصلاة والسلام ما ذونا له في تاديب صحابه لكن ابن ام مكتوم
بسبب عماه استحق مزيد الرفق **واما قوله تعالى عفا الله عنك لم
اذنت لهم الاية** فروى ابن ابي حاتم عن مسعر عن عون قال هل سمعتم بمعاتبة
احسن من هذا بدا بالعفو قبل المعاتبة وكذا قال مورق العجلي وغيره وقال
قتادة عاتبه كما تسمعون ثم انزل التي في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شا
فقال تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم ففوض الامر الى
رايه عليه الصلاة والسلام وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشي اذنه للمنافقين واخذه الفدا من الاسرى
فعاتبه الله تعالى كما تسمعون **واما قول** بعضهم ان هذه الاية تدل على انه وقع
من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سالفة ذنب وقول
الاخر لم اذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله
عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله تعالى في توقيره وتعظيمه

كلاة مصدر كلاه يكلؤه كلا وكلاة بكسرهما حرسه قاموس

بتشديد الراء المكسورة بعد الواو المفتوح اوله ميم مضموم ابن مشمرج بضم اوله وفتح المعجمة وسكون الميم وكسر الراء بعدها جيم ابن عبد الله العجلي ابو المعتمر البصري ثقة عابد من كبار الثالثة مات سنة اثنتين ومايه كذا في التقريب وقال في اللباب العجلي بكسر العين وسكون الجيم وفي اخره لام هذه النسبة الى عجل بن لجيم ابن لجيم ينسب اليه عالم عظيم منهم ابو المعتمر مورق بن المشمرج بن رباح ابن زيد بن صباح العجلي ج باختصار

كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري ورضي
عنك ما جوابك في كلامي وعافاك الله الا ما عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام
الا زيادة التبجيل والتعظيم قال وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم توجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى
عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنب **والجواب** عن الثاني فيقال إما أن
يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير ان
يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الا من
ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه
الانكار عليه فثبت انه على جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل
على كون الرسول مذنبا وهذا جواب شاف كاف قاطع وعلى هذا يحمل قوله لم اذنت
لهم على ترك الاولى والاكمل بل لم يعد هذا اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك
قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من
ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج
عليه في الاذن ويحمل هذا الحمل **واما قوله تعالى** في اسارى بدر ما كان لنبي ان تكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة الاية الى قوله
عظيم فروى مسلم في افراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين
يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر وعمر وعليا فقال ابو بكر يا نبي الله هولاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني
ارى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما اخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله
فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت
والله ما ارى ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه
وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان اخيه فيضرب عنقه حتى
يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فاخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت
يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم
اجد تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من الفدا
لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فانزل الله تعالى ما كان
لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في
الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام

وبستوي اهله

وبستوي اهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان
ما خص به وفضل ما بين ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام فكانه قال ما كان هذا
لنبي غيرك كما قال عليه الصلاة والسلام احلت لي الغنايم ولم تحل لنبي قبلي **واما**
قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا
علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب
من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الاية فقيل معناها لولا انه سبق مني
ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على
الغنايم وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي
الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا
طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك **وقد** روي عن علي رضي الله
تعالى عنه قال جا جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاووا القتل وان شاووا الفداء على ان يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم فقالوا
الفدا ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى
اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم
ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين قال القاضي بكر
ابن العلا اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية ان تاويله وافق ما كتب له
من احلال الغنايم والفدا وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها
ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر
بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان
على تاويل وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر
وكثرة اسراها والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ
من حل ذلك لا على وجه عتاب وانكار او تذنيب قاله القاضي عياض **واما قوله**
تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعتك اذ تقرب فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم
ما هم مع قوة الداعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة
وضعف الممات اي ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا الخطير
خطير وقد اعاذه الله من الركون الى اعدايه بذرة من قلبه ومما يعزى للحريري مما يوبد

ذلك قوله

أنحويَّ هذا العصر ما هي لفظةٌ ؛ جرت في لساني جرهمٍ وثمودِ
اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت ؛ واذا اثبتت قامت مقام جحودِ

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو ذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني
وهو الثبوت المنفي بنحو من ذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني وهو الثبوت
المنفي الى نحو قوله لقد كدت تركن اليهم قالوا وهو صلى الله عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن
واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
الوتين فالمعنى لو افترى علينا شيئا من عند نفسه لاخذنا بيمينه وقطعنا نياط قلبه واهلكناه
وقد اعاذه الله من التقول عليه فان قلت لا مرية انه يعفى للمحب ولصاحب المحاسن
والاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح بما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب اتى بذنب واحد ؛ جاءت محاسنه بالف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان
الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد بهذا التشديد لو اراد ان وقع منه ما ذكره وكم
من ركن الى اعدائه ومتقول عليه من قبل نفسه لم يعبأ به كارباب البدع ونحوهم فالجواب
انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره واعطاه
منها ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حاله من حفظ
مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان تراعى مرتبته من ادنى مشوش وقاطع فلشدة
الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره تكون حقوق وليه
وسيده عليه اتم ونعمه عليه اكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل
او اخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لا يسامح به ذلك ايضا فيجتمع في
حقه الامران واذا اردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك
فان الملك يسامح خاصته واولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويؤاخذهم بما لم
يؤاخذ به غيرهم وانت اذا كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من الآخر واقرب
الى قلبك واعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه
منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى كمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه اقتضت
معاملته بما لا تعامل به من دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك
وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له وسامحته وعفوت عنه بما لا تفعله
مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع
حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد
وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه واتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره
وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يحصل له هذه النعمة نصف ذلك

فسبحان

(هامش: هو نياط القلب وهو حبل الوريد [illegible])

فسبحان من بهرت حكمته في خلقه ؛ فلله سر تحت كل لطيفة ؛ فاخو البصائر غائص متعقل
انتهى ملخصا واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان على التفصيل
الذي شرع لك في القرآن وقال ابو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل
الوحي لا يقدر ان يدعو الى الايمان بالله وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في
المهد وقبل البلوغ حكاه الماوردي والواحدي والقشيري وقيل انه من باب حذف
المضاف اي ما كنت تدري اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما
وقيل المراد به شرائع الايمان ومعالمه وهي كلها ايمان وقد سمى الصلاة ايمانا بقوله
وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص
قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله
ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر وروى ابو نعيم وابن عساكر عن علي قال قيل للنبي صلى الله
عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمرا قط قال لا وما زلت اعرف
ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وعن عائشة كانت قريش
ومن دان دينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الحرم رواه الشيخان
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله
تعالى رواه البيهقي وابو نعيم في حديث جبير بن مطعم وقد ورد ان العرب لم يزالوا
على بقايا من دين اسماعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة وكان صلى الله
عليه وسلم لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرائع الله التي شرعها العبادة على
لسانه فذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان
الذي هو الاقرار بالله لان آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون
مع شركهم انتهى والله اعلم

المقصد السابع في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته وفرض محبة آله واصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه وفيه ثلاث فصول

الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس
فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها
تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الارواح
وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده
فهو في بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي لم
يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال
التي متى خلت بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا
بدونها ابدا واصليها وتبوؤهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاها

(هامش: منه)

لم يكونوا داخليها وهي مطايا القوم التي سراهم في ظهورها دائما الى الحبيب
وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب
اهلها بشرف الدنيا والاخرة اذ لهم من معية محبوبهم اوفر نصيب وقد قدر
الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب
فيالها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم السعاة وهم على ظهور الفرش
نايمون ولقد تقدموا الركب الراحل وهم في سيرهم واقفون المحبوبة
من لي بمثل سيرك المذلل تمشي رويدا وتجي في الاول
اجابوا مؤذن السوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا انفسهم في طلب الوصول
الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضى والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج
والغدو والرواح وقد حمدوا عند الوصول مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند
الصباح وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت فليس في الحقيقة ترجع
الى اختلاف مقال وانما هي على اختلاف احوال واكثرها ترجع الى ثمرتها دون
حقيقتها وقد قال بعض المحققين المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات
التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدا لا يمكن التعبير عنه وهذا القول
صاحب مدارج السالكين بعد تعبيره المحبة لا تحد بحد اوضح منها فالحدود
لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة
وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها
واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم
العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا
لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التي هي من اقصى
الحلق والباء الشفهية التي هي نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها
اليه واعطوا الحب حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها مطابقة لشدة
حركة مسماه وقوتها واعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها بالضمة
وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم والسنتهم فتامل هذا اللطف والمطابقة
والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعاني يطلعك على قدر هذه اللغة وان لها شانا
ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب
اثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام منها فمنها موافقة الحبيب
في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات
المحبوب لصفاته واثبات المحب لذاته وهذا من احكام الفنا في المحبة وهو ان تمحى
صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا اتم من هذا
لا يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه واخذه منه ومنها استقلال الكثير من
نفسك

نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها
وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل للمحبوب جميع
ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه ولو ناله من محبوبه ايسر
شيء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من
جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول
لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة
المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها
ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وهو
لسيدنا ابي عبد الله القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد
ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه
وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه
منه له ومنها ان تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة
يقتضي ذلك فانه ما دامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة
مدخولة ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلي
ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها
غض طرف المحب عن ما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى
ايضاح اما الاول فظاهر واما الثاني فان غض الطرف القلب
عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع
مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها
ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم
موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد
سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه
الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف
وانشد بعضهم
فاسكر القوم دور الكاس بينهم .:. لكن سكري نشا من رؤية الساقي
ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب ان من
احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب
الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التي لا يخلو كل طبع
سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه بادراكه بحاسته
ويكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه

على الدوام اما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه واما لهج اللسان بذكره ...

صح ٢

فقد جُبلت القلوب على حب من احسن اليها كما ورد رواه ابو
نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه في
دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة
لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه
من العذاب الاليم ما لا يفني ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره
على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول
العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع الكلم
المكارم والفضل العظيم ولقد اخرجنا الله من ظلمات الكفر الى نور الايمان
وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا
البقا الابدي في النعيم السرمدي فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه
الينا فلا منة وحيا انه لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا
فكيف ننهض ببعض شكره او نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا
الله به منح الدنيا والاخرة واسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة فاستحق
ان يكون حظه من محبتنا لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين.
بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان
ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى ابو هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه البخاري
وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفي رواية البخاري
والنسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد
العزيز بن صهيب عن انس والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل
من والده وولده وذكر الوالد والولد ادخل في المعنى لانهما اعز على العاقل من
الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس في حديث ابي
هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابي
والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع قال النووي فيه تلميح الى قضية
النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي صلى
الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس وفي كلام القاضي
عياض ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال
وتعقبه صاحب المفهم بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما
للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من
لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه والى هذا يومي قول عمر في الحديث
الذي رواه البخاري [illegible] في الايمان والنذور
من حديث عبد الله بن هشام

كان

[illegible]

٥٧

[illegible]

من حديث عبد الله بن هشام ان عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت
يا رسول الله احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك
الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الان يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك
قطعا وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب
اليك من نفسك قال بعض العارفين الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى
تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك واما توقف عمر في اول مرة واستثناؤه
نفسه فلان حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب
وانما اراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع
وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر اولا كان بحسب الطبع ثم تامل فعرف
بالاستدلال ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها
من الهلكات في الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب
بقوله الان يا عمر اي الان عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شان نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم عبد الله في محبتنا له ووجوب تقديمها على محبة انفسنا واولادنا
ووالدينا والناس اجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ما سواه
ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها
فان الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه
وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده احب اليه من ذلك
كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب
لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتاله هو
المحبة والطاعة والخضوع ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يعرض الانسان على نفسه انه لو خير بين فقد غرض من اغراضه
او فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة اشد عليه من فقد شيء من
اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا
قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو من وجدان
شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك الرتبة بالحظ
الاوفى ومنهم من اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات
في اكثر الاوقات لكن كثيرا منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى
رؤيته بحيث يؤثرها على اهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة
ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس

فان كان فقدها

من يوثر زيارة قبره ورويته مواضع اثاره على جميع ما ذكرنا ما وقر في قلوبهم من
محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى فكل مسلم في قلبه محبة
الله ورسوله لا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم
بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل
لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم في هذا
المعنى اتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها اعلم وقد روى ابن اسحاق مما حكاه
في الشفا ان امراة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله
كما تحبين فقالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني
صغيرة رواه البيهقي في الدلايل وذكر صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد
قتل محمد صلى الله عليه وسلم وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امراة من الانصار
فاستقبلت باخيها وابنها وزوجها وابيها قتلى فلا تدري بايهم استقبلت فلما مرت
بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك وابنك قالت فما فعل
النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي انت وامي يا رسول الله لا ابالي اذ سلمت
من عطب وكذا رواه ابن ابي الدنيا بنحوه في حجر وقال عمرو بن العاص ما كان احد احب
الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن ابي طالب كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وابنائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظما
ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد
النون من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد
اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد والله ما احب ان
محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت
احدا من الناس يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا وروي مما ذكر القاضي عياض ان رجلا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت
مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
فدعا به فقراها عليه قال وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه
لا يطرف فقال ما بالك فقال بابي انت وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيامة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وذكر البغوي في تفسيره بلفظ نزلت هذه الاية في ثوبان
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه

قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير
اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك
لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة
لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وكذا ذكره الواحدي في اسباب النزول وعزاه الكلبي
عن ثوبان وقال قتادة قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون
الحال في الجنة وانت في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله الاية
وذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ ان عامرا الشعبي قال ان رجلا من الانصار
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي ومالي
وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت وبكى الانصاري فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت وذكرت انك ستموت
ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبي
صلى الله عليه وسلم اليه يعني لم يرجع اليه بقول فانزل الله الاية وذكر مقاتل بن
سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي راى
الاذان وذكر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره
ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا ارى بعد حبيبي
محمد صلى الله عليه وسلم احدا فكف بصره واعلم انه لا يمكن ان يجتمع في القلب حبان
فان المحبة الصادقة توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما
لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه بمكانه ما كان كما قيل ؞
انت القتيل باي من احببته ؞ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي ؞
ولبعض الحكما كما ان الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لا يتسع
لحبين ولذلك لازم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شي سواه فمن
داهن في المحبة او داجا فقد عرض لدى الخبرة او داجا فمحبة الرسول عليه الصلاة
والسلام بل تقدمه في الحب على الانفس والاباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته
من محبة الله وقد حكي عن ابي سعيد الخراز مما ذكره القشيري في رسالته
انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني فان محبة
الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك من احب الله فقد احبني وقيل ان ذلك وقع
لامراة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن ابي المجد ؞
الا يا محب المصطفى زد صبابة ؞ وضمخ لسان الذكر منك بطيبه ؞
ولا تعبان بالمبطلين فانما ؞ علامة حب الله حب حبيبه ؞
وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف
في النار فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو
موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه احب الاشيا الى العبد هو ورسوله
فمن رضي بالله ربا رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات
وتحمل المشقات في الدين ويوثر ذلك على اعراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته
وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي وقال غيره معناه ان يستكمل الايمان
علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من
الضلال والخلاص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه الصلاة
والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان
بشي حلو واثبت له لازم ذلك الشي واضافه اليه وفيه تلميح الى قضية
المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق
حلاوته على ما هي وكلما نقصت الصحة شيا ما نقص ذوقه بقدر ذلك وقال
العارف ابن ابي جمرة واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة او معنوية
فحملها قوم على المعنى وهم الفقها وحملها قوم على المحسوس وابقوا اللفظ
على ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة او قال الصوفية قال والصواب
معهم في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث على ظاهره
من غير تاويل قال ويشهد الى ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح واهل
المعاملات فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال
حين صنع به ما صنع من الرمضا اكراها على الكفر وهو يقول احد احد فمزج
مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك ايضا عند موته اهله يقولون واكرباه وهو يقول
واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة
الايمان ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فراى السارق بلغ
حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه الذ من ذلك
ولا ذاك الا الحلاوة الايمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين
اللذين جعلهما صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه من قبل العدو وقد اقبل فراهما
فكبل الجاسوس القوس ورمى الصحابي فاصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية
فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال
لولا اني خفت على المسلمين ما قطعت صلاتي ولا ذاك الا لشدة ما وجد فيها من الحلاوة
حتى ذهبت عنه ما يجد من الم السلاح قال ومثل هذا الحكي عن كثير من اهل المعاملات انتهى
وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين

بلفظ ويذكر عن جابر

بلفظ ويذكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمي
رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى في صلاته وقد وصله ابن اسحاق في المغازي
قال حدثني صدقة ابن يسار عن عقيل عن جابر عن ابيه مطولا واخرجه احمد وابو داود
والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وكلهم من طريق ابن اسحاق قال في فتح
الباري وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لا اعرف راويا عنه غير صدقة
ولهذا لم يجزم به البخاري او لكونه اختصره او للخلاف في ابن اسحاق واخرجه البيهقي
في الدلايل من وجه اخر وسمى احدهما عباد بن بشر الانصاري وعمار بن ياسر من المهاجرين
والسورة الكهف وانما قال مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل
وفي قوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية
واما قوله للذي خطب فقال ومن يعصهما بيس الخطيب انت فليس من هذا لان المراد في
الخطب الايضاح واما هنا فالمراد الايجاز في اللفظ فيحفظ ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه
وسلم حيث قاله في موضع اخر قال ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه وقيل انه من الخصايص فيمتنع
من غير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق التسوية
بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام
ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب ان تثنية الضمير هنا
للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما
فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك
ويشير الى ذلك قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاوقع متابعته
مكتنفة بين قطري محبة العباد لله ومحبة الله للعباد واما امر الخطيب بالافراد
فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية اذ العطف في تقدير
التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في الرسول
ولم يعده في اولي الامر لانهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول انتهى
ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي كما حكاه في فتح الباري وفي الصحيح ذاق طعم
الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال في المدارج فاخبر ان للايمان
طعما وان القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب وقد عبر النبي صلى الله عليه
وسلم عن حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام
والشراب اخرى وبوجد الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل فقال اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى وقد
غلظ حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسي للفم وسياتي تحقيق الكلام ان شا الله
في الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان

وبرد وان مال اليه ابن عبد السلام لان الخصوصية لا تثبت الا بدليل اذ الاصل في افعاله واقواله صلى الله عليه وسلم التشريع فاذا وجد منها ما ظاهره التعارض ولم يقم دليل على الخصوصية وجب الجمع ٢ تمه

ادراك ع

امر يجده القلب تكون نسبته اليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة
الجماع الى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبهة والشكوك الا
اذا وصل العبد الى هذه الحالة فباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد
حلاوته وقال العارف الكبير تاج الدين بن عطا الله فيه يعني في هذا الحديث
اشارة الى ان القلوب السليمة من امراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني
كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا
لانه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه والقى قياده اليه فوجد لذاذة
العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضى من الله واوجده الله
حلاوة ذلك ليعلم ما منّ به عليه من ... وليعرف احسان الله اليه ولما
سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزاين المنن فلما واصله
امداد الله وانواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فادرك
لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم
وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولى ولازم من رضي
بمحمد نبيا ان يكون له وليا وان يتادب بادابه ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا
وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عن من اسا اليه الى غير ذلك من تحقيق
المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له
ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد
منها الا بكلها اذ محال ان يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا او يرضى بالاسلام
دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا به انتهى ملخصا واعلم
ان محبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر
والانتها عن المعاصي والرضى بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب
فلتقصيره في محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال
في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع في الرجا فيقدم
على المعصية او تستمر الغفلة فيقع وهذا الثاني يسرع الى الاقلاع مع الندم
والندب ان يواظب على النوافل ويتجنب الوقوع في الشبهات
والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر وفي البخاري من حديث ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي عبدي
بمثل اداء ما افترضته عليه وفي رواية بشي احب الي من اداء ما افترضت عليه
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش بلغ قراءة وتعليما

وبي يمشي

وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شي انا
فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره مساءته ويستفاد
من قوله وما تقرب الي عبدي بشي احب الي ان اداء الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى
وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد
من النوافل اذا كانت مع الفرايض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان في رواية ابي امامة
ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته واجيب بان الاتيان بالنوافل لمحض عليك
المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرايض وقال الفاكهاني في معنى الحديث انه اذا
ادى الفرايض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله
تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الى اخره واجيب
باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري
فهو يحب طاعتي ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته
مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما امرته به ومنها
ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه ومنها انه اي
على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره
كذلك الى اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون معنى
مسموعه لان المصدر قد جا بمعنى المفعول مثل فلان املي بمعنى مامولي انه لا يسمع والمعنى
الا ذكري ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا ياانس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا
يمد يده الا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلما ممن يعتد بقوله
على ان هذا مجاز وكناية على نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كانه سبحانه تنزل
عنده منزلة الالات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر
وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا انه على حقيقته وان الحق عينه تعالى الله
عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة
الدعا والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة
وعن ابي عثمان الحيري احد ايمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضا حوايجه من
سمعه في الاسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه
البيهقي في الزهد وحمله بعض اهل الزيغ على ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة الظاهرة
والباطنة حتى تصفى من الكدورات انه يصير في معنى الحق تعالى عن ذلك وانه يفنى عن
نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه والمحب لنفسه وان
هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى هذه الاوجه كلها فلا متمسك فيه
للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سالني زاد
في رواية عبد الواحد عبدي انتهى ملخصا وقال العلامة ابن القيم تضمن هذا الحديث

الشريف لالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه قال ومعناه والمراد
به حصر اسباب محبته في امرين اداء فرايضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال
يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله اوجبت محبة الله له محبة اخرى
منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام بغير محبوبه
وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه
ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلا المحبوب على محبه الصادق
في محبته التي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه
وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه
والباء هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها
فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه
حصلت موافقة الرب لعبده في حوايجه ومطالبه فقال ولين سالني لاعطينه ولين
استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي في امتثال اوامري والتقرب الي
بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به ويستعيذني ان يناله
وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتة عبده
لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره العبد ويكره مسائته فمن هذه الجهة
يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه
الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب
ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه انتهى
وقال الخطابي التردد في حق الله غير جايز والبدا عليه في الامور غير سايغ ولكن
له تاويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه
وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من
فضله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من
لقايه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفنا على خلقه واستاثر بالبقا لنفسه
والثاني ان يكون معناه ما رددت رسلي في شي انا فاعله كترددي اياهم في نفس
المومن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت
وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد
ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة
الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد
اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته في
الموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده
والشوق اليه والمحبة للقايه ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة
عنه انتهي ملخصا

عنه انتهي وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش
المحبين الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت قلوبهم به واستانسوا
بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك
فحياته كلها غموم وهموم والام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه
المنزلة العلية والرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه
ويحرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الاخرة فينجذب
اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات
الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا
يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا ينفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر
ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضا الخلوة بربه
وذكره كما قال ٭ واخرج من بين البيوت لعلني ٭ احدث عنك النفس بالسر خاليا ٭
فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق
في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه
وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادي اموره
وكيفية نزول الوحي اليه ويعرف صفاته واخلاقه وادابه وحركاته وسكونه ويقظته
ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما
ذكرت بعضه حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم
الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد بقلبه ماذا انزلت فيه وماذا اريد
بها وحظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص
منها كما يجتهد في الشفا من المرض المخوف ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات
اعظمها الاقتدا به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتدا بهديه وسيرته والوقوف
على ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل
تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية محبة العبد ربه وجعل جزا العبد على
حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما
افاده المحاسبي في كتاب القصد والرجوع ٭ ٭ ٭ ٭
تعصي الاله وانت تظهر حبه ٭ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ٭ ان المحب لمن يحب مطيع
وهذه المحبة تنشا من مطالعة العبد عليه من نعمه الظاهرة والباطنة
فبقدر مطالعته ذلك تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة منة الله على عبده منة تاهله
لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى
في قلب العبد فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فراى في نفسه وما اهلت له من

الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه
وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ
بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ∴ ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى ∴ وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان
ان تحب الله بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته
واطعته امرا واجبته دعوة وآثرته طوعا [illegible] عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره
من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وان لم يكن كذلك فلا تتعنى فلست على شيء وتامل
قوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله اي الشان في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا لا ينالونه
الا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز
وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد
حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان
ذكر الله تعالى وما والاه واسرعت الجوارح الى الطاعة فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب
كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد حره للظمآن الشديد عطشه
فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا
له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها اعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد
في اوراد العبادة كلفة وفي الترمذي عن انس مرفوعا ومن احيا سنتي فقد احبني
ومن احبني كان معي في الجنة وعن ابن عطا من الزم نفسه اداب السنة
نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف من مقام متابعة الحبيب في اوامره وافعاله
واخلاقه وقال ابو اسحاق الرقي من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار
طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره لا يظهر على احد شيء من
نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم
يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام بدعواه علما لدنيا اوتيه
فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء
به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو
الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى عليه السلام مع الخضر
فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر يخرج عن الاسلام
موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن مبعوثا الى الخضر
ولم يكن الخضر مامورا بمتابعته ولو كان مامورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون
معه ولهذا قال له انت موسى بني اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين
فرسالته عامة

فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه
فمن ادعى انه مع محمد كالخضر مع موسى وجوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه
وليشهد شهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة
اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الرحماني
هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل
الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي بن ابي طالب وقد سئل هل
خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله
عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب
ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين
ودليل المتحيرين **ومن علامات محبته** ان يرضى مدعيها بما شرعه حتى لا يجد في نفسه
حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عن
من وجد في صدره حرجا من قضائه **قال شيخ المحققين** وامام العارفين
تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه في هذه الاية دلالة على ان
الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا
وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف
والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما فاحكام التكليف الاوامر والنواهي
المتعلقة باكتساب العباد واحكام التعريف هو ما اورده عليك من فهم المراد فتبين
من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بامرين الامتثال لامره والاستسلام
لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم او حكم ووجد الحرج في
نفسه حتى اقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رافة وعناية
وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ففي ذلك تاكيد بالقسم وتاكيد في المقسم عليه علما منه سبحانه بما النفوس
منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها او لها وفي ذلك اظهار
لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فاوجب
على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالهيته حتى يذعنوا لاحكام
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واكد
ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم وفي الاية اشارة اخرى الى تعظيم قدره وتفخيم امره صلى
الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وربك فاضاف نفسه اليه كما قال في الاية الاخرى كهيعص
ذكر رحمت ربك عبده زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد صلى الله عليه وسلم

واضاف ذكرها اليه ليعلم العباد فرق ما بين المرتبتين وتفاوت ما بين الرتبتين ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مومنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في احكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق هواهم او يخالفها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمومنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملا قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهياة لواردات احكامه مفوضة له في نقضها وابرامها انتهى وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير ابي عبد الله القرشي انه قال حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن احببت ولا يبقى لك منك شيء فمن اثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقائق اسرار انسه **ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم** نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها مما ذكرته من اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف بن عطا الله مزيد لذلك فربما فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين واثر ذلك على اغراض الدنيا **ومن علامات محبته** صلى الله عليه وسلم التسلي عند المصايب فان المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى كانه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصايب اعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوج بالحلاوة فاذا افقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتني … تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها … فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

ومن علاماته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن احب شيئا اكثر من ذكره ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وللاخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس ولغيره للمحب ثلاث علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد اجمع الحكما على ان من احب شيئا اكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء الذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت وهامهم

عن عارض

عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخاير وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون واستنبلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما وله وربما سقط

اذا باح دمع المهجور هاجره … باح المحب بما تخفي ضمايره
ايكتم الحب صب باح مدمعه … لما جرى بالذي تخفي سرايره
كانما قلبه اجفان مقلته … ودمعه في اماقيه خواطره
يا جيرة الجزع هل من جيرة لفتى … عليه في حكمه قد جار جايره
اذو كرى على خطب الهوى خطب … من الغرام به تخلو منابره
بمهفهف ابلج بدر على غصن … تخفي البدور واذا الحت بوادره
مكمل الخلق ما تخفى خصايصه … منضر الحسن قد قلت نظايره
مطرز الخد بالريحان في ضرج … مورد ارسة تزهو ازاهره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله اول نقد من اثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس الجبان وسومها بدم المحب يباع وصليم تالله ما هزلت فيستامها المفلسون ولا كسدت فينفقها بالنسية المعسرون لقد انيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتاخر البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد اذلة على المومنين اعزة على الكافرين **ومن علامات** محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من احب شيا خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا اليه وتهيبا وتوقيرا قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتادب بما ادبنا الله به وكان ايوب السختياني اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كانه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير اذا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري من اهنى الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل اشار الى ذلك القاضي عياض **ومن علامات**

وللسيدي محمد وفا ص

اي علامة

اي متذللين لهم ذلك ومن اشارة لقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اي اشد ... والاعزة اي ... على الكافرين

محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقايه اذ كل حبيب يحب لقا حبيبه ولبعضهم
المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات
او مشاهدة اسرار الصفات فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كان الصحابة
رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق وازعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واستشفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله
عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد ياوي الى فراشه الا وهو يذكر من شوقه الى
صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي
واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ولما احتضر بلال نادت
امراته واحرباه فقال واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وصحبه اذا ذاق القلب طعم المحبة
اشتاق وتاججت نيران الحب والطلب في قلبه وعدم صبره عن محبوبه وهو من اعظم
كبايره كما قيل

والصبر يحمد في المواطن كلها ❊ الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن اسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت واذا عجوز
تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار ❊ صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار ❊ يا ليت شعري والمنايا اطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى
باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها اعيدي علي قولك فاعادته
بصوت حزين فبكى وقال لها وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار
ويحكى انه رويت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك
فقالت غفر لي قيل بماذا قالت بمحبتي النبي صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت
من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ومن
علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القران الذي اتى به وهدى به واهتدى به
وتخلق به واذا اردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القران
من قلبك والتذاذك بسماعه اعظم من التذاذ اصحاب الملاهي والغنا والطرب بسماعهم
فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي ❊ فلم هجرت كتابي
اما تاملت ما فيه ❊ من لذيذ خطابي

ويروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف
يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد
الله بن مسعود اقرا علي قال اقرا عليك وعليك قد انزل فقال اني احب ان اسمعه من
غيري

غيري فاستفتح وقرا سورة النسا حتى بلغ فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا
بك على هولا شهيدا قال حسبك فرفع راسه فاذا اعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
تذرفان من البكا رواه البخاري وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن
قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا
من الحق قال صاحب عوارف المعارف اذا اذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع
الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد
حرارته على برد اليقين فيفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار
وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يورث ندما والندم حار فاذا اثار السماع
هذه الصفات من صاحب قلب مملو ببرد اليقين ابكى وادمع لان الحرارة والبرودة
اذا اصطدمتا عصرتا ماء فاذا الم السماع بالقلب تارة يخف المه فيظهر
اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب اثره اي يقصد نحو الدماغ فتندفق منه
العين بالدمع وتارة يتصوب اثره الى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد
يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها
احوال يجدها اربابها من اصحاب الاحوال وقد كان عمر رضي الله عنه
ربما مر باية من ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين
حتى يعاد ويحسب مريضا وقد كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم اذا اجتمعوا
وفيهم ابو موسى يقولون يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرا وهم يسمعون فللمحبين السماع
القراني من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني
فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشاته في سماع الابيات دون سماع الايات
وفي سماع الالحان دون سماع القران كما قيل تقرا عليك الختمة وانت جامد كالحجر وبيت من الشعر ينشد
فاعلم ان هذا من اقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله ادام الله تعالى لنا حلاوة
محبته ولا سلك بنا في غير سبيل سنته بمنه ورحمته **ومن علامات محبته صلى الله عليه
وسلم** محبة سنته وقراة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله
او من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشرب بها روحه وقلبه ونفسه ويقول

اظن نسيما لست اعرفه ❊ اظن لما جرت لي فيك اردانا

فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل
ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني ❊ سره في ضمايري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب ❊ او تاملته فكلي عيون

فحينيذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين

هو السهروردي

عشقا

يميل كالنشوان

ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لاشئ أروي لقلبه من عطفه عليه ولاشئ
اشد لكبيبه وحريقه من إعراضه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم
اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالي وسماع خطابه ورضاه
وإقباله اعظم من النعيم الجسماني لاحرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب ومن علامات
محبته صلي الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف
وقد توجب له ذلك سكرا يغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة
للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية
وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان
العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له عن حكمه وقد
حدوا السكر بانه سقوط التمالك في الطرب كانه يبقي في السكران بقية يلتذ بها
ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر ان يفني معها وقد يكون سبب السكر قوة الفرح
بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه ويتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد اعظم
من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم
القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد
القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود
راحلته في المفازة بعد أن استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من
شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير معدم
عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولي عليه آمنا مطمئنا كيف تكون
سكرته او من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى اضر به العدم فقدم عليه
من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه ومن اقوي اسباب ما نحن فيه سماع
الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المعربة اذا صادفت محلا قابلا
فلا تسأل عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احداهما انها في نفسها
توجب لذة قوية يتغير منها العقل الثانية انها تحرك النفس الي نحو محبوبها وجهته
فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمطلوب واحضاره في النفس
وادنا صورته في القلب واستيلا بها علي الفكر لذة عظيمة تغمر العقل
فيجتمع كلذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا اطيب
والذ من سكر الشراب ويحصل به نشاة الذ من نشاة الشراب وقد ذكر
الامام احمد وغيره انه تعالي يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي
كنت تمجدني به في الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا ارده عليك فيقوم عند
ساق العرش ويمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ نعيم اهل الجنة واعظم من
ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الي ذلك رؤية

وجهه الكريم

وجهه الكريم الذي يغنيهم لذة رؤيته عن الجنة ونعيمها فامر لا تدركه العبارة ولا تحيط
به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل أذن وصبيب لا يحيي به كل ارض وعين لا يشرب
منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلي اشار اليه في المدارج
فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرناها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف
بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده في الخمر
لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتي به فقال النبي صلي الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله
فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد علي من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر
لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة
الله ورسوله في قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لا تنزع محبة الله ورسوله ويحتمل
ان يكون استمرار محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيدا بما اذا ندم علي وقوع المعصية
او اذا اقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشي عليه بتكرار الذنب
ان يطبع علي قلبه حتي يسلب منه ذلك اسال الله العفو والثبات علي محبته وسلوك سنته
بمنه ورحمته تنبيه وقد اختلف العلما ايهما ارفع درجة المحبة او درجة الخلة
فحكي القاضي عياض ان بعضهم جعلهما سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابراهيم بالخلة ومحمدا صلي الله عليه وسلم بالمحبة قال وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة
وابنيها واسامة انتهي وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة ماخوذة من معني
الخلة لكن ير دما روي في قصة الاسرا في مناجاته صلي الله عليه وسلم لربه تعالي حيث
قال له تعالي يا محمد فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسي تكليما فقال له تعالي
الم اعطك خيرا من هذا الي قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه رواه البيهقي بنحوه
وهذا يدل على ان درجة المحبة ارفع وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة علي الخلة
بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفا منها نقلا عن الامام ابي بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين نبذة منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالي وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله تعالي فكان قاب
قوسين او ادني ومنها ان الخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي
الله النبي ومنها ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك
الله ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان
يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفي كتاب تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري
وجوه اخري غير ما حكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك ان
مقتضي الفرق بين الشيئين ان يكون في حد ذاتهما يعني باعتبار مدلول خليل وحبيب

وماحكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم
على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لا يقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم
ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وصف المحبة لاسيما والخلة اخص من المحبة ولا يسلب عن نبينا
صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لاسيما وقد ثبت في حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قول الله تعالى اني اتخذتك خليلا وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
على جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله على الاطلاق واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة
فلا يفيد غرضا من هذا المقام الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة
اذ الوصول الى المعرفة الحسي ممتنع على الله تعالى واما قوله عليه الصلاة والسلام
والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله تعالى لا يكون الا به حبيبا كان او خليلا واما
قوله الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع الى اخره فانه لا يصح ان يكون على جهة
التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكره انه يقتضي تفضيل نبينا صلى الله
عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر الى ما جعله
علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة والحق ان الخلة اعلى واكمل وافضل من
المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين ان المحبة اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل
الله ومحمد حبيب الله فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال
وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذه خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه
مع اخباره بحبه لعايشة رضي الله عنها ولابيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وايضا فانه
تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين
ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين قلت وانما هذا من قلة العلم والفهم
عن الله ورسوله انتهى وقال الشيخ بدر الدين الزركشي في شرحه لبردة
البوصيري وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم
خليل الله وضعف بان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله
يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا انتهى **الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم**
فريضة وفضيلة قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين وصفتها ومحالها
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه
عند الملايكة ومعنى صلاة الملايكة عليه الدعا قال في فتح الباري وهذا اولى الاقوال
فيكون معنى صلاة الله عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملايكة وغيرهم طلب ذلك له
من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة
الملايكة الدعا بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال

صلاة الله مغفرته

صلاة الله مغفرته وصلاة الملايكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم
صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملايكة الدعا اخرجهما
اسماعيل القاضي عنه وكانه يريد الدعا بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة
من الصلاة الرحمة ومن الملايكة رقة تبعث على استدعا الرحمة وتعقب بان الله الله صح
غاير بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سالوا عن
كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جا بلفظ السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت
الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي ان تكون الصلاة
بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة
فصلاته على انبيايه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة
فهي التي وسعت كل شي **وحكى القاضي عياض** عن بكر القشيري انه قال
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون
النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ساير المومنين
حيث قال تعالى في سورة الاحزاب ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو
الذي يصلي عليكم وملايكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم
من ذلك ارفع مما يليق بغيرهم والاجماع منعقد على ان في هذه الاية من تعظيم
النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها **وقال الحليمي** في الشعب
معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد
عظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلا ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته
وفي الاخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في امته وابدا فضيلته بالمقام المحمود
وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا
يعكر عليه عطف اله وازواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع ان يدعى لهم بالتعظيم
اذ تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وما تقدم عن ابي العالية اظهر فانه يحصل به
استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملايكته والى المومنين المامورين
بذلك بمعنى واحد ويؤيده انه لا خلاف في جواز الترحم على غير الانبيا واختلف
في جواز الصلاة على غير الانبيا ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا او
ترحم على محمد جاز لغير الانبيا وكذا لو كان بمعنى البركة وكذا الرحمة لسقط الوجوب
في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته ويمكن الانفصال عنه بان ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو

يعني الزيادة على التشريف
في شرح الشفا وعلى المكرمين
وبيانه بمعنى التكريم

سبق الإتيان بما يدل عليه **فان قلت** في اي وقت وقع الامر بالصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم **فالجواب** كما قاله ابو ذر الهروي انه وقع في السنة
الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الاسرا وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم لان اية الصلاة يعني ان الله وملائكته يصلون على النبي
صلى الله عليه وسلم انزلت فيه والله اعلم **قال الحليمي** والمقصود بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضا حق النبي صلى الله
عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى
بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا
لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافاناه بالدعا
فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ
ابي محمد المرجاني **وقال ابن العربي** فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذي
يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة
على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم **واختلف**
في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على اقوال احدها انها تجب في الجملة
بغير حصر لكن اقل ما يحصل به الاجزا مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد
بعدد قاله القاضي ابو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض
افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها الثالث
تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية
وقاله ابن العربي من المالكية انه الاحوط وكذا قاله الزمخشري واستدلوا
لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فابعده الله اخرجه
ابن حبان من حديث ابي هريرة وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل عليك
~~اخرجه الطبراني من حديث جابر~~ رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه الحاكم
وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعا
بالرغم والابعاد والشقا يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب
ومن حيث المعنى ان فائدة الامر بالصلاة عليه مكافاته على احسانه واحسانه مستمر
فيتاكد اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلي عليه كان كاحاد الناس واجاب من لم يوجب ذلك
باجوبة منها انه قول لا يعرف عن احد من الصحابة ولا التابعين فهو قول مخترع ولو كان
ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا اذن وكذا سامعه وللزم القارئ اذا مر باية
فيها ذكره عليه الصلاة والسلام في القران وللزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين
ولكان في ذلك

ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة المطهرة السمحة بخلافه
ولكان الثناء على الله تعالى كلما ذكر احق بالوجوب ولم يقولوا به **وقد**
اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة كلما ذكر مخالف
للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة انه خاطب النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة اخرى
واجابوا عن الاحاديث بانها خرجت مخرج المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد
ترك الصلاة عليه ديدنا وبالجملة فلا دلالة على وجوب تكرر ذلك بتكرر ذكره
صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد انتهى ملخصا والله اعلم الرابع في كل مجلس
مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشري الخامس في كل دعا حكاه ايضا
السادس انها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبري وادعى الاجماع على ذلك
واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتاخرين
من علما الامة على ان ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تاركه عاصيا فدل على ان
الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة قال في فتح الباري
وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة
اما بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه
ابن ابي شيبة والطبري عن ابراهيم النخعي انه كان يرى ان قول المصلي في التشهد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته مجزئ عن الصلاة ومع ذلك انما ادعى اجزا السلام
عن الصلاة السابع تجب في العمر مرة في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو
بكر الرازي من الحنفية الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي
جعفر الباقر التاسع تجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحاق بن راهويه
العاشر تجب في القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل
قاله الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي
وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود البدري انهم قالوا يا رسول الله اما السلام عليك
فقد عرفناه واما الصلاة فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الحديث ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه
هو الذي في التشهد الذي كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ورواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله
وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعي
في الام فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فلم يكن فرض الصلاة عليه

بيان
فقال

فموضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
عن ابي هريرة انه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث اخبرنا ابراهيم بن محمد
حدثني سعد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن
عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وال محمد
كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم الحديث قال الشافعي فلما روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروي انه علمهم كيف يصلون عليه
في الصلاة لم يجز ان يقول التشهد في الصلاة واجب والصلاة عليه فيه غير واجبة
وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها
ضعف ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته
فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح بالقايل يعني الثالث قوله في الثاني
انه كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره ان المراد الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل
ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال قوي لان اكثر
الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السوال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها الرابع
ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد خصوصا بينه وبين السلام وقد
اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة
وزعم انه قد تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه منهم ابو جعفر الطبري والطحاوي
وابن المنذر والخطابي وحكى القاضي عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد
وقالوا كان ينبغي سكوته عنها لان مبنى تاليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم واداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة
في تعظيمه وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع ان الاكثر على خلافه لكنه
استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهي من
جنس الصلاة ومقتضياتها واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين
فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي
كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحفاظ ابي الفضل بن حجر
وتلميذه شيخنا الحافظ وكذا العلامة ابو امامة بن النقاش فنقلوا القول بالوجوب
وغيرهم ممن يطول عددهم واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى
الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو
مسعود البدري وجابر بن عبد الله ونقل اصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله
ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سياتي وكذا ابو جعفر الباقر ومقاتل واخرج

الحاكم بسند

الشفاعة البيع والتشفيع ... الشفاعة

هو الحافظ ... زين الدين ... عياض

الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا اقوى شيء يحتج به للشافعي فان ابن مسعود
ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء
فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على انه اطلع على زيادة ذلك
بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي
مثل ما ذكر القاضي عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم
ليس فيه ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا واخرج العمري في عمل
يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة علي
واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين
قال كنا نعلم التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني
عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته وفي حديث ابي جعفر
عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه
قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة
لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم لكن راويه
عن ابي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفا وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار
احمد في احدى الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه ابو زرعة الدمشقي فيما ذكره
الحافظ ابن كثير واوجب اسحاق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان
والمشهور عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتى ان بعض ائمة الحنابلة
اوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا لما سالوه ذكره
ابن كثير ووافق الخرقي اسحاق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف ايضا عند
المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد
بن يزيد ان في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن
القصار وعبد الوهاب كما في الشفا بلفظ انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي
قال وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب
والسنية والندب ورايت مما عزي للقاضي ابي بكر بن العربي في سراج المريدين
قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة
وهو الصحيح انتهى وقد يلزم القايل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي
ونقله السروجي في شرح الهداية عن اصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم
ان يقول بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم في اخر التشهد في
قوله واشهد ان محمدا رسول الله لكنهم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة
ولم يخالف الشافعي احد من اصحابه في ذلك بل قال بعض اصحابنا بوجوب الصلاة على الال

تنويم

للسلام

بفتح الميم والواو المشددة واخره زاي ... وهو الامام محمد بن ابرهيم ... الائمة في مذهب مالك ... ابن القصار ... صاحب

كما حكاه البندنيجي والدارمي ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي
قال الحافظ ابن كثير والصحيح انه وجه على ان الجمهور على خلافه وللقول بوجوبه
ظهور للحديث واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي فلا يعتد به لمقتضى الامر
المحمول على الوجوب اجماعا واولى احواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا
واما قوله ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان الشافعي قد وقع تعدديه
والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه الى غيره واما قوله في الشفا والدليل
على انها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه
نظر لانه ان اراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب
واني يوجد ذلك واما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي هذه المسئلة جدا
فلا معنى له واي شناعة في ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة
راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب ان القايل بجواز ترك الصلاة
على افضل خلق الله في الصلاة التي هي راس العبادات المطلوب فيها الخضوع واستحضار
شارعها والثناء عليه اولى بالتشنيع واما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه واما قوله
ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به احد والشافعي انما اختار تشهد
ابن عباس تحاسيا في ان شا الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله عليه وسلم وقد استدل
للوجوب بما اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان
والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه اليه فقال
اذا صلى احدكم فليبدا بالحمد والثنا عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم
ليدع بما شاء قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره الساري ان القاضي
عياضا ساق هذا الحديث بسنده من طريق الترمذي من غير ان يطعن في سنده بعد قوله
فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب من
ذلك في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد قبل الدعا وهذا الحديث كما ترى من اعظم
الادلة لنا فان قال قايل ليس لكم فيه دلالة لانه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته
ولم يقل في تشهده يجاب بانه يلزم على هذا ان القاضي عياضا ساقه في غير محله لانه عقد
الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال ومن ذلك في تشهد
الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث فضالة بن عبيد هذا ما يدل على انه كان في
التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله
وصل علي ثم ادعه وفي قوله عجلت استلواح فوات الكمال عن الحقيقة المجزية
اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر فان قال انه في مقام
تعليم المستحبات

تعليم المستحبات اذ لو كانت في حيز الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسيء صلاته
يجاب بان في قوله هذا اغنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب
علم قطعا انه لم يات به اولا فلم يكن اتيا به فوجب اعادته وهم اهل الفهم والعرفان
فان قال ان قوله فقعدت يحتمل ان يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت
فقعدت للدعا فاحمد الله يجاب بان الاصل عدمه وانما هو عطف على المذكور اي اذا كنت
في الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن عليه بقولك التحيات لله الى اخره
والله اعلم وقال الجرجاني من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تاخير البيان عن
وقت الحاجة لانه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعا ما شا
ولم يذكر الصلاة عليه واجيب باحتمال ان لا تكون فرضت حينئذ فقال الحافظ زين الدين
العراقي في شرح الترمذي قد ورد هذا في التشهد والدعا في الصحيح بلفظ ثم ليتخير
ثم للتراخي فدل على انه كان هناك شي بين التشهد والدعا انتهى وقد اطنب الشيخ ابو
امامة بن النقاش في تفسيره من الانتصار للشافعي في هذه المسئلة بما يطول ذكره
فالله يثيبه على قصده الجميل واما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي اليك هدية
ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف
نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخاري ومسلم
والترمذي وابو داود والنسائي فان قلت كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد كما
صليت على ابراهيم اجاب القاضي عياض بان الال مقحم كما في قوله عليه الصلاة والسلام
في ابي موسى انه اعطي مزمارا من مزامير ال داود ولم يكن له ال مشهور بحسن الصوت
وقد روي هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملايكته يصلون على
النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف
الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم
انك حميد مجيد وقال عبد الرحمن بن ابي ليلى يقول وعلينا معهم وعن ابي حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد رواه الامام احمد وعن ابي مسعود الانصاري
قال اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له
بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يساله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم آل صح

آل صح

فلا يدع

قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه
مالك ومسلم وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع ان
المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم
وحده افضل من ال ابراهيم ومن ابراهيم ولا سيما وقد اضيف اليه ال محمد وقضية
كونه افضل ان يكون الصلاة المطلوبة افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقد
اجاب العلما عنه باجوبة كثيرة منها انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل ان يعلم انه
افضل من ابراهيم وقد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير صفة الصلاة عليه
بعد ان علم انه افضل ومنها انه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك
الفضيلة ومنها ان التشبيه انما هو لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر
بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح وهو كقول القايل احسن الي
ولدك كما احسنت الى فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره ومنها قوله
تعالى واحسن كما احسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها
ان قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله
وعلى ال محمد وتعقب بان غير الانبيا لا يمكن ان يساووا الانبيا فكيف يطلب لهم صلاة
مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم والانبيا من اله ويمكن الجواب عنه بان المطلوب
الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب وقد نقل
العمراني في البيان عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص الشافعي واستبعد
ابن القيم صحة ذلك عن الشافعي لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا
الكلام المستلزم هذا التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل
على ال محمد كما صليت الى اخره فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية ومنها رفع
المقدمة المذكورة اولا وهي ان المشبه به يكون ارفع من المشبه وان ذلك ليس
مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة
واين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به ان يكون
شيا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم
ابراهيم وال ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوايف حسن
ان يطلب لمحمد وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وال ابراهيم ويؤيد
ذلك ختم الطلب المذكور بقوله في العالمين اي كما اظهرت الصلاة على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم في العالمين ولهذا لم يقع في العالمين الا في ذكر ابراهيم دون ذكر ال
محمد على ما وقع في الحديث الذي وردت فيه وهو حديث ابي مسعود الانصاري
الذي ذكرته

الذي ذكرته وهذا معنى قول الطيبي وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص
بالكامل لكن من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر وقال النووي احسن الاجوبة
ما نسب الى الشافعي ان التشبيه لاصل الصلاة باصل الصلاة او للمجموع بالمجموع
واحسن وقال ابن القيم بعد ان زيف اكثر الاجوبة الا التشبيه المجموع بالمجموع
واحسن منه ان يقال هو صلى الله عليه وسلم من ال ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس
في تفسير قوله ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين قال محمد من ال
ابراهيم فكانه امرنا ان نصلي على محمد وعلى ال محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع ابراهيم
وال ابراهيم عموما فيحصل لاله ما يليق بهم ويبقى الباقي كله له وذلك القدر ازيد
مما لغيره من ال ابراهيم ويظهر حينيذ فايدة التشبيه وان المطلوب له بهذا اللفظ افضل
من المطلوب بغيره من الالفاظ وقال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملايكة قالت
في بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد
من اهل بيت ابراهيم فكانه قال اجب دعا الملايكة الذين قالوا ذلك في محمد وال محمد
كما اجبتها عندما قالوها في ال ابراهيم الموجودين حينيذ ولذلك ختم بما ختم به الاية
وهو قوله انك حميد مجيد ومما يعزى للعارف الرباني ابي محمد المرجاني انه
قال وسر قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وكما باركت على ابراهيم ولم يقل
كما صليت على موسى لان موسى عليه الصلاة والسلام كان التجلي له بالجلال فخر موسى
صعقا والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان التجلي له بالجمال لان المحبة والخلة
من اثار التجلي بالجمال فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه عليه ان يصلوا عليه كما صلى على
٣ ابراهيم ليتشكلوا له التجلي بالجمال وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل
صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يتشكلوا له التجلي بالوصف الذي تجلى
به للخليل عليه الصلاة والسلام فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف
الذي هو التجلي بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق
سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في وصف التجلي
بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى
للخليل عليه الصلاة والسلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى **فان قلت** ما المراد
بال محمد في هذا الحديث **فالجواب** ان الراجح انهم من حرمت عليهم الصدقة
كما نص عليه الشافعي واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن
ابن علي انا ال محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته
وقيل المراد بهم جميع الامة امة الاجابة حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض الشافعية ورجحه
النووي في شرح مسلم وقيده القاضي حسين بالاتقيا منهم وعليه يحمل كلام

من اطلق ويؤيده ما رواه تمام في فوائده والديلمي عن انس قال سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي من امة محمد زاد الديلمي ثم قرأ ان
اولياؤه الا المتقون واسناده ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك في الصحيحين
لحديث ان آل ابي فلان ليسوا باوليا انما وليي الله وصالح المؤمنين انتهى
ملخصا وقد استدل العلما بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم
عنها بانها افضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب
على ذلك لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة فطريق البر ان ياتي
بذلك هذا صوبه النووي في الروضة بعد ذكر حكاية الرافعي عن ابراهيم المروزي
انه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون قال النووي
وكانه اخذ من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة ولكن بلفظ غفل
بدل سها وقال الاذرعي ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين
ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البر ان يقول اللهم صل على محمد كما هو اهله ويستحقه
وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينها فقال ما في الحديث واضاف اليه اثر
الشافعي وما قاله القاضي لكان اشمل ولو قيل يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات
الثابتة فيستعمل منها ذكرا يحصل به البر لكان حسنا وعن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستند لهذا الحديث من ذهب الى جواز
الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي اللهم
ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجرت
واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه قال واجازه
ابو محمد بن ابي زيد انتهى وسياتي ما في ذلك من البحث ان شا الله في المقصد
عند الكلام على التشهد وعن سلامة الكندي قال كان علي يعلم
الناس هذا الدعاء وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقول اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف
صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما
اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل
كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا
لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات
الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون وخازن
علمك المخزون وشهيدك

هو سلامة بن قيس الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي عن علي كرم الله وجهه

علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك
واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك
المعلول اللهم اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من
ابتعاثك له مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث
موقوف رواه الطبراني لكن قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال شيخنا الحافظ ابو
الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله داحي
المدحوات اي باسط الارضين وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وبارئ المسموكات
اي خالق السموات وكل شيء رفعته واعليته فقد سمكته والدامغ لجيشات الاباطيل
اي المهلك لما نجم وارتفع منها وفار واصل الدمغ من الدماغ دمغه اصاب دماغه
وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة واورى قبسا (واضطلع)
لقابس اي اظهر نورا من الحق لطالبه وآلاء الله نعم الله تصل باهله اي اهل ذلك القبس
وهو الاسلام والحق اسبابه واهله المؤمنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم اي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات والمنيرات الواضحات
يقال نار الشيء وانار اذا وضح وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيامة وبعيثك
نعمة اي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له اي وسع له وفي عدنك اي في جنتك جنة عدن
والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان عطاءه مضاعف كانه يعل به عباده
اي يعطيهم عطاء بعد عطاء واعل على بناء الناس وفي رواية البانين اي ارفع فوق اعمال العاملين
عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله رزقه والخطة بضم الخاء المعجمة الامر والقصة والفصل
والقطع وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل
صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجة وعن
رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال
اللهم انزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي رواه الطبراني قال ابن
كثير واسناده حسن ولم يخرجوه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل
على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد رواه ابو داود وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى
وارفع درجته العليا واعطه سؤله في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى رواه اسماعيل

القاضي قال ابن كثير واسناده جيد قوي صحيح واما المواطن التي تُشرع فيها
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فمنها التشهد الاخير وهي واجبة فيه كما قدمناه
في وجوبها في التشهد الاول قولان اظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل سنة وفي استحباب
الصلاة على الال في التشهد الاول القولان وفي وجوبها في الاخير وجهان اصحهما المنع بل هي
سنة تابعة واقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الال واله وقال
في الكفاية باعادة علي ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب ولا يصح خطبتا الجمعة الا
بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا
مذهب الشافعي واحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام احمد عن عبد الله بن
عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها
منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال الله لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة واخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن
علقمة وذكره بلفظ الرجا وان كان متحقق الوقوع ادبا وارشادا وتعليما منه وتذكيرا بالخوف
وتفويضا الى الله بحسب مشيئته وليكن الطالب للشيء بين الرجا والخوف قوله
حلت عليه الشفاعة اي وجبت وقيل غشيته ونزلت به تنبيه قال شيخنا
في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم اره في شيء
من الروايات واصل الحديث عند احمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعا من قال
حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة قال وكان
من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفا في حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها
في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها ولم ارها في ساير نسخ الشفا
بل في الشفا عقبها فصلا في مكان اخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى
والله اعلم ومنها اول الدعا واوسطه واخره لما روى احمد من حديث جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه
ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في
اول الدعا واوسطه واخره ومنها وهو اكدها عقب دعا القنوت لما رواه احمد
واهل السنن وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث ابي الحوراء عن الحسن بن علي قال علمني
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن
عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا
يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النسائي في سننه وصلى الله
على النبي وسياتي في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شاء الله تعالى ومنها اثناء

تكبيرات العيدين

تكبيرات العيدين لما روى اسماعيل القاضي ان ابن مسعود واباموسى وحذيفة خرج عليهم
الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبدا فتكبر تكبيرة
تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك
ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرا ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد
ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة
وابو موسى صدق ابو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد
والخروج منه لما رواه احمد عن فاطمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم قال اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة ان تقرا الفاتحة
بعد اخرى التكبيرات وبعد الاولى وان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد
الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا اجره
ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي ومنها عند التلبية
لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق قال كان يومر الرجل
اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند الصفا
والمروة لما روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا
وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا
سبع تكبيرات تكبيرا بين حمد وثنا عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسالة
لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها
عند الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم
ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسماعيل القاضي عن ابي سعيد قال
ما جلس قوم مجلسا ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه
وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح
والمسا لما روى الطبراني من حديث ابي الدردا مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا
وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه
عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث ابي رافع عند ابن السني
مرفوعا اذا طنت اذن احدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير
ومنها عند نسيان الشيء لحديث ابي موسى المديني بسند ضعيف عن انس رفعه
اذا نسيتم شيئا فصلوا علي تذكروه ان شاء الله تعالى ومنها بعد العطاس كما
ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك اخرون وقالوا هذا موطن يفرد

يفرد

فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة
قبره الشريف لحديث ابي داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من على
احد يسلم علي الا رد الله روحي حتى ارد عليه السلام وروى ابن عساكر من صلى علي عند قبري سمعته
وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها فعن اوس بن اوس الثقفي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه النفخة
وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله
وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل
اجساد الانبياء رواه احمد وابو داود والنسائي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن
حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث ابي امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في
اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة اجاب ابن القيم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد
الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي
ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته
به بين خيري الدنيا والاخرة واعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل لهم يوم الجمعة
فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة
وهو عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد يسعفهم
سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده واداء
من الفضل حقه صلى الله عليه وسلم ان نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته واما
فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية لم يخرج
البخاري منها شيئا امثلها ما اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد احدا يتبعه فاتاه عمر بمطهرة من خلفه
فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه
فقال احسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك من
امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني قال ابن كثير
وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين
وعن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في
وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال
يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت
عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمي
واحمد وابن حبان والحاكم

واحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وعن عامر بن ربيعة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقل عبد
من ذلك او ليكثر رواه احمد وابن ماجة من حديث شعبة وعن عبد الله بن عمرو بن
العاص من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين
صلاة فليقل عبد من ذلك او ليكثر رواه احمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة
في المخير فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد
وروى الترمذي ان ابي بن كعب قال يا رسول الله اني اكثر الصلاة
عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال
ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك همك
ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا يتعلق بالصلاة واما السلام فقال
النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الامر بهما معا في الاية يعني قوله
تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه
بان النبي صلى الله عليه وسلم علم اصحابه التسليم قبل تعليم الصلاة كما هو مصرح به في
قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام
بعد ان علمهم الصلاة والسلام كما قد علمتم فافرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في
فتح الباري انه يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا اما لو صلى في وقت وسلم في وقت اخر
فانه يكون ممتثلا وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب
ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في هذا الاحياء والاموات
واما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك او عليكم او السلام عليك او عليكم وهذا
مجمع عليه انتهى وقد جرت عادة بعض النساخ ان يفردوا عليا وفاطمة رضي الله عنهما
بالسلام فيقولوا عليه او عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان
معناه صحيحا لكن ينبغي ان يساوي بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم
والتكريم والشيخان وعثمان اولى بذلك منهما اشار اليه ابن كثير واما الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها واخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة
رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى انبياء الله واخرج اسماعيل القاضي
بسند ضعيف من حديث ابي هريرة صلوا على انبياء الله وحكى الطبراني من حديث ابن
عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على انبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن
عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان
عن عكرمة عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي على احد من احد الا على النبي صلى الله عليه وسلم
وسنده صحيح وحكي القول به عن مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز

وقال سفيان يكره أن يصلى إلا على نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك
لا يجوز ان يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال اكره الصلاة
على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى الى غير ما امرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال
لا باس به واحتج بان الصلاة دعاء بالرحمة فلا تمنع الا بنص او اجماع واما الصلاة على غير الانبيا
فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وال محمد ونحوه فهذا
جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة عليهم فقال قايلون بجواز
ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وبقوله اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم وبحديث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي
اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان
هذا قد صار شعارا للانبيا اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او قال
علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال قال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا
لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعا لهم
ولهذا لم يثبت شعارا لال ابي اوفى وهذا مسلك حسن وقال اخرون لا يجوز ذلك لان
الصلاة على غير الانبيا قد صار من شعار اهل الاهوا يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى
بهم في ذلك ثم اختلف المانعون في ذلك هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف
الاولى على ثلاثة اقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال والصحيح الذي عليه
الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

الفصل الثالث في ذكر محبة اصحابه عليه السلام واله وقرابته واهل بيته

وذريته قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع
من سواه وخصه بما عمه به من فضله ابانه وحباه اعلى بر كته من انتهى اليه نسبا
او نسبته ورفع من انطوى عليه نصرته وصحبته والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض
محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في
القربى وروي انها نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال
علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الاية فروى ابن
ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قالت نزلت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم وروى
ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس انها نزلت
في نسا النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في الاية نص في دخول الزوجه
صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الاية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا

اما وحده على قول ومع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال
عكرمة من شا باهلته انها نزلت في شان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان المراد انهن كن
سبب النزول دون غيرهن وفي هذا نظر وانه قد ورد في ذلك احاديث تدل على ان المراد
اعم من ذلك فروى الامام احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين اخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا
وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف
عليهم ثوبه او قال كساءه ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية
ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من
ارجى ما ارتجي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها
اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك
قالت فجا علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا ياكلون من تلك الخزيرة
وتحته كسا قالت وانا في الحجرة اصلي فانزل الله عز وجل هذه الاية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكسا فغشاهم به
ثم اخرج يده فالوى بها الى السما ثم قال اللهم هؤلاء اهلي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسي من البيت فقلت وانا معكم وبقية اسناده
ثقات وقوله وخاصتي بالتشديد اي خاصتي وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في خمسة في وفي علي وحسين وحسن وفاطمة انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن حزم ورواه
احمد في المناقب والطبراني وعن زيد بن ارقم قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم
يوشك ان ياتيني رسول ربي عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما
كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث
فيه ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله عز وجل في اهل بيتي ثلاث مرات فقيل
لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن
اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم ال علي وال جعفر
وال عقيل وال العباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم خرجه مسلم
والثقل محركة كما في القاموس كل شي نفيس مصون قال ومنه الحديث اني
تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وهو بكسر المهملة وسكون المثناة
الفوقية والاخذ بهذا الحديث احرى وليس المراد بالاهل الازواج فقط
بل هم مع اله ولا يشك من تدبر القران ان نسا النبي صلى الله عليه وسلم

داخلات في الاية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم
علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان
للنساء خاصة لكان عنكن واجيب بان الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب
فيكون المراد به كالمراد بالاول وفي حديث كيفية الصلاة السابق ذكره على قول من
به كما قدمته مع غيره قريبا في الفصل السابق والله اعلم ولله در القايل ∴
يا ال بيت رسول الله حبكم ∴ فرض من الله في القران انزله ∴
يكفيكم من عظيم الفخر انكم ∴ من لم يصل عليكم لا صلاة له ∴
واخرج احمد عن ابي سعيد معنى حديث زيد بن ارقم السابق مرفوعا
بلفظ اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله
حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قاله الجوهري اهله
ونسله ورهطه الادنون اي الاقارب وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يا ايها
الناس ارقبوا محمدا في اهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشي المحافظة عليه يقول احفظوهم
فلا تؤذوهم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري ايضا والله لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الي من ان اصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة
عن منعه اباها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا جرى منه على سبيل الايمان
لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاجابة فيه على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل
الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال
من احبهم فبحبي احبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم
ولقد احسن القايل ∴

رايت ولاي ال طه فريضة ∴ علي رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى ∴ بتبليغه الا المودة في القربى

وفي الترمذي وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبوني بحب الله
واحبوا اهل بيتي بحبي **وفي المناقب لاحمد** من ابغض اهل البيت فهو منافق وروي
ابن سعد من صنع الى احد من اهل بيتي معروفا فعجز عن مكافاته في الدنيا فانا المكافي له في
القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله
عليه وسلم منهم وراه من ذكر وانثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن وام
كلثوم من فاطمة رضي الله عنهما **وجعفر واولاده** وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه
كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه احمد **وعقيل بن ابي طالب** وولده مسلم بن عقيل **وحمزة**
ابن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة **والعباس بن عبد المطلب**

واولاده الذكور العشرة

واولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبد الله والحارث ومعبد
وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله تعالى عنه ∴ ∴
تموا بتمام فصاروا عشرة ∴ يا رب فاجعلهم كراما بررة ∴ ∴
ويقال ان لكل واحد منهم رؤية **وكان له من الاناث** ام حبيبة وامينة
وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث بن ابي طالب والعباس بن ابي لهب
وكان زوج امينة بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة
وكانت زوج المقداد بن الاسود وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه
المغيرة والحارث وعبد بن الحارث هذا رؤية وكان يلقب ببه ثم وحدثني
الثانية نفيلة وامية واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت
صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف والله اعلم **وفي البخاري** من حديث سعد
ابن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني بمنزلة هارون من
موسى الا انه لا نبي بعدي **وفي لفظ اخر** اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من
موسى اي نازلا مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي
بعدي فعرف ان الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة **ولما**
كان هارون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي
للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله اعلم **ولما** استدل به من هذا الحديث على استحقاق
علي للخلافة دون غيره من الصحابة فان هارون كان خليفة موسى فاجيب بان هارون لم يكن
خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق اشار الى ذلك الخطابي
واما حديث الترمذي والنساي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي يعني بذلك
ولا الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر
اصبحت مولى كل مومن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في اي ولي كل مومن صح
كتاب مفرد وكثير من اسانيدها صحاح وحسان وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال من اذى عليا فقد اذاني اخرجه احمد **واخرج** الحافظ الذهبي من
احب عليا فقد احبني **وقد** ذكر النقاش في قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا انها نزلت في علي وقال محمد بن الحنفية لا تجد مومنا الا وهو يحب
عليا واهل بيته **وقال** ابو حيان في البحر ومن الغريب ما انشدنا الامام اللغوي
رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطبي لزيد بن اسحاق
النصراني الرسعني ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴

عدي وتيم لا احاول ذكرهم ∴ بسوء ولكني محب لهاشم ∴ ∴ ∴
وما يعتريني في علي ورهطه ∴ اذا ذكروا في الله لومة لايم ∴ ∴ ∴
يقولون ما بال النصارى تحبهم ∴ واهل النهى من اعرب واعاجم ∴ ∴ ∴

فقلت لهم اني لاحسب حبهم ... سري في قلوب الخلق حتى البهائم

وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها كانت فاطمة رضي الله تعالى عنها احب الناس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها علي احب الرجال اليه رواه الترمذي وفي
البخاري ان فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني والبضعة بفتح الموحده وحكي ضمها
وكسرها ايضا وسكون المعجمة اي قطعة لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها
فانه يكفر وفي الترمذي من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب انه صلى
الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما وخرجه مسلم
من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة وزاد ابو حاتم فما كان احد احب الي من الحسن
بعدما قال صلى الله عليه وسلم ما قال وفي حديث ابي هريرة ايضا عند الحافظ
السلفي قال ما رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في المسجد ثم قال ادع ابني فاتى الحسن بن علي يشتد
حتى وقع في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ويقول اللهم اني احبه
فاحبه واحب من يحبه ثلاث مرات وفي الترمذي من حديث انس انه صلى الله
عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيامة رواه احمد وقال الترمذي كان معي وقال حديث غريب
وليس المراد بالمعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب وتقدم نحوه في قوله تعالى
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين في المقصد السادس وفي حديث
ابي زهير بن الارقم رجل من الازد انه صلى الله عليه وسلم قال في الحسن من احبني
فليحبه فليبلغ الشاهد الغايب وفي البخاري هما ريحانتاي من الدنيا وكان
عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن او شفته رواه احمد عن عقبة بن
الحارث قال رايت ابا بكر وحمل الحسن وهو يقول
بابي شبيه بالنبي ... ليس شبيها بعلي ... وعلي يضحك وعن محمد
ابن سيرين عن انس كان يعني الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم
رواهما البخاري وعنده من رواية الزهري عن انس انه لم يكن احد اشبه بالنبي
صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي فقد يعارض رواية ابن سيرين وهذا قد يعارضه قول علي
في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمايل كما تقدم
في المقصد الثالث واجيب بان يحمل النفي على عموم الشبه والاثبات على معظمه وقول
انس لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن
سيرين عنه السابقة كان الحسين يعني بالبا اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم
ويمكن الجمع بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه يومئذ كان
اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين واما ما وقع في رواية ابن سيرين
فكان بعد ذلك اذ المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن ويحتمل ان يكون
كل منهما كان اشد شبها في بعض اعضايه فقد روى الترمذي وابن ماجة من طريق هاني عن

علي قال الحسن

علي قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس الى الصدر والحسين اشبه الى
النبي صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من ذلك وقد عد وممن كان له شبه بالنبي صلى الله
عليه وسلم سوى الحسن والحسين جعفر بن ابي طالب وقد قال عليه الصلاة والسلام
لجعفر اشبهت خلقي وخلقي قال الترمذي حديث حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر وقثم
ابن العباس وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابي طالب
ومن غير بني هاشم السايب بن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن
عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة رجل من اهل البصرة
وجه اليه معاوية وقبل بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا راه بكى فهولاء
عشرة نظمهم شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل بن حجر فقال ... شبه النبي لعشر سايب وابي سفيان والحسنين الطاهر بن هشام
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ... ومسلم كابس يتلوه مع قثم
وعدهم بعضهم سبعة وعشرين وممن كان يشبه ايضا فاطمة ابنته وابراهيم ولده وولد
جعفر عبد الله السابق ذكره واخوه عون وكان يشبه ايضا من اهل البيت غير هولا
ابراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب ويحيى بن القاسم بن محمد بن جعفر
بن محمد بن علي بن الحسن بن علي وكان يقال له الشبيه قال الشريف محمد اسعد
النسابة في الزورة الانيسة بمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا موضع خاتم
النبوة شامة قدر بيضة الحمام تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام وراه الناس
صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا ولذا وصف بالشبيه
والقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وعلي بن علي بن عبادة بن رفاعة
الرفاعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض والا
فتمام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال الابوصيري رحمه الله واجاد
منزه عن شريك في محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم
كما اشرت اليه في اول المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الى ذلك
ذكر حمل الصديق للحسن على عاتقه المشعر للاكرام من افضل البشر بعد النبيين
لاهل البيت المحمدي وحملهم على الاعناق لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي فلما تضمن الحديث ذكر الشبه الكريم
جر في الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو عن فرايد
الفوايد وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا
منه لا توذوا العباس فتوذوني من سب العباس فقد سبني اخرجه البغوي
في معجمه وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل
الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال ايها الناس من اذى عمي فقد اذاني فانما عم
الرجل صنو ابيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان

الاشارة

حتى يحبكم إلى الايمان الحقيقي المنبي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمتين فيلزم من نفي احدهما نفي الاخر ثم علل هذه المحبة بكونها لله ورسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل اذاه كاذي نفسه لانه عضو وعصبة ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما انه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذا عمه فقال وانما عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل ابيه قال ابن الاثير واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد انتهى وجلله عليه الصلاة والسلام وبنيه بكسا ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب وبين ابن السدي في روايته ان بنيه الذين جللوا بالكسا كانوا ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال اللهم ان هولاء اهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كستري لهم بهذه الشملة قال فما بقي في البيت مدرة ولا باب الا امن **وروي** انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك قال الطبري اخرجه ابو عمر والبغوي **وروي** الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين ابو سفيان بن الحارث خير اهلي او من خير اهلي **واخرج** الحاكم وصححه عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا اهل البيت احد الا ادخله الله النار **واعلم** انه قد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه الصلاة والسلام والثانية اهل بيته والثالثة ذوو القربى والرابعة عترته فاما الاولى فذهب قوم الى انهم هم اهل بيته وقال الاخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب او سبب واما اللفظة الثالثة وهي ذو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزلت قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هولاء الذين امرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون واما الذرية فنسل الرجل واولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف وبالسوار د الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف وقد وقع الاصطلاح

على اختصاصهم

شرفه

على اختصاصهم من بين ذوي كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء المزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المامون اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا الاخضر والبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود باخرة ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب اخضر توضع على عمائمهم شعار لهم ثم انقطع ذلك الى اواخر القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من انبا الغمر الى ابنا العمر وفيها امر السلطان الاشرف ان يمتازوا عن الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله ابن جابر الاندلسي

الاشراف

جعلوا لابنا الرسول علامة ... ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس ... خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا ليعرفهم من الاطراف

والاشرف هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون **واما اصحابه** رضوان الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة لما اخبر تعالى ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب فقال محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني هو الذي ارسل رسوله بالهدى الى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر مبتدا محذوف انتهى وهذه الاية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنى بالثنا على اصحابه فقال تعالى والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام فمن نظر اليهم اعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن اعمالهم قال مالك بلغني ان النصارى كانوا اذا راوا اصحابه الذين فتحوا الشام يقولون والله لهولاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى هنا ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطئه اي فراخه فآزره اي شدده وقواه فاستغلظ اي شب فطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم اذ روه وايدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع
ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الاية انتزع الامام مالك رحمه الله في رواية عنه
تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو
كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء والاحاديث في فضايلهم كثيرة ويكفي ثناء الله تعالى
عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة واجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف
لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ومن في قوله منهم كبيان الجنس واختلف في
تعريف فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ورآه من المسلمين واليه ذهب البخاري
وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم
او رآه ولو ساعة من نهار فهو من اصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج
من صحبه او رآه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه
او رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبد الله بن جحش فانه ليس بصحابي
اتفاقا وكذا ربيعة بن خطل وربيعة بن امية بن خلف الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح
وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان
والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء اغضبه وقد اخرج
له احمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي
ان يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى
الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح انه معدود من الصحابة لاطباق المحدثين
على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم احاديثهم من المسانيد
لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة تحبط العمل عند ابي حنيفة
ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه انها انما تحبط بشرط اتصالها
بالموت وحينئذ فالظاهر انها محبطة للصحبة المتقدمة اما من رجع الى الاسلام في حياته
صلى الله عليه وسلم كعبد الله ابن ابي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني
في الاسلام وهل يشترط في الرائي ان يكون بحيث يميز ما رآه او يكتفي بحصول مجرد الرؤية
قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا
مثل محمد بن ابي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر
وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل ان يدخل
مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في
الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية وروي عن سعيد بن المسيب انه
كان لا يعد في الصحابة الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او غزا
معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون
حين اجتماعه بالغا وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من احداث

الصحابة رضي الله عنهم ولما

الصحابة رضي الله عنهم واما التقييد بالرؤية فالمراد به عند عدم المانع
منها فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو صحابي جزما فالاحسن ان يعبر
باللقي بدل الرؤية ليدخل فيه ابن ام مكتوم ونحوه قال الحافظ زين الدين
العراقي وقولهم من راى النبي صلى الله عليه وسلم هل المراد رآه في حال نبوته
او اعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين الحنيفية
كزيد بن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده وقد
ذكره في الصحابة ابو عبد الله بن منده وكذا لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه
وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك ويدل
على ان المراد رآه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم
كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل
يختص جميع ذلك ببني ادم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم
لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون
فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على ابي
موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملايكة فيتوقف عدهم على ثبوت البعثة اليهم
فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم
وهذا كله فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح
انه ليس صحابيا والا لعد من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في
هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك
على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه الصلاة والسلام من المقصد
الرابع اذ حجة من اثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة
ليست دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا واما من رآه في المنام
وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك
لا يعد صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة وقد اجمع جمهور العلماء
من السلف والخلف على انهم خير خلق الله وافضلهم بعد النبيين وخواص الملايكة المقربين
لما روى البخاري من حديث عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه مرتين او ثلاثا قال في فتح الباري والقرن
اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان
واختلفوا في تحديدها من عشرة اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين
ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قايل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط
من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث

الصحابة وتقدم في اول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني آدم وفي رواية بريدة
عند احمد خير هذه الامة القرن الذين بعثت فيهم وقد ضبط الايمة من الحفاظ
آخر من مات من الصحابة بلا خلاف ابو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم
في صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل عشر ومائة وهو
الذي صححه الذهبي وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على راس مائة سنة
لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم احد وفي رواية مسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه ليس
من نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة واما ما ذكر ان عكراش بن ذويب عاش
بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان صح فمعناه انه استكمل المائة بعد الجمل لا انه
بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الايمة واما ما ذكر من امر بابا رتن فان ذلك
لا يروج على من له ادنى مسكة من العقل كما قاله الايمة واما آخر الصحابة موتا
بالاضافة الى النواحي فقد افردهم ابن منده واما قوله ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين
فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون واقتضى هذا الحديث ان تكون الصحابة افضل
من التابعين والتابعون افضل من اتباع التابعين لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى
المجموع او الافراد والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصايص هذه الامة
من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدري آخره
خير ام اوله قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي بها الى درجة الصحة
وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير احد التابعين باسناد
حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم
او خير ثلاثا ولن يخزي الله امة انا اولها والمسيح آخرها وروى ابو داود
والترمذي من حديث ابي ثعلبة رفعه يأتي ايام للعامل فيهن اجر خمسين قيل منهم
او منا يا رسول الله قال منكم وهو شاهد لحديث مثل امتي مثل المطر اوله لكن حديث
للعامل منهم اجر خمسين منكم لا يدل على افضلية غير الصحابة على الصحابة لان مجرد زيادة الاجر
لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة وايضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله
في ذلك العمل فاما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم من فضيلة المشاهدة فلا
يعدله فيها احد ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه بامره او انفق شيا من ماله
بسببه لا يعدله احد في الفضل بعده كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط
الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فمحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له الا مجرد
المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تاويل
الاحاديث المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاثة اصناف الاول المهاجرون الثاني
الانصار وهم الاوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من اسلم يوم
الفتح وقال ابن الاثير

الفتح وقال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون افضل من الانصار وهذا على سبيل
الاجمال واما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار افضل من جماعة من
متاخري المهاجرين وانما سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار ثم بعد ذلك متفاوتون
فرب متاخر في الاسلام افضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر العلما
للصحابة ترتيبا على الطبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث **الطبقة الاولى**
قوم اسلموا بمكة اول البعثة وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن ابي
طالب وابي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف في اول من
اسلم في المقصد الاول **الطبقة الثانية** اصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر
ابن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة فاسلم لذلك
جماعة من اهل مكة **الطبقة الثالثة** الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم عبد صح
من اذى المشركين اهل مكة منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن الاسد **الطبقة
الرابعة** اصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة اسعد بن
زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن عجلان وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر بن نابي
وجابر بن عبد الله بن رياب وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام واصحاب العقبة
الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر وقد تقدم اسما اهل العقبتين في المقصد
الاول **الطبقة الخامسة** اصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم
البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع
وعبد الله بن رواحة **الطبقة السادسة** المهاجرون الذين وصلوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقبا قبل ان يبني المسجد وينتقل الى المدينة
الطبقة السابعة وهم اهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب
ابن ابي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد رواه مسلم **الطبقة الثامنة** الذين هاجروا بعد بدر والحديبية
الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة
قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم
الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو
ابن العاص ومثل بعضهم بابي هريرة لكن قال الحافظ العراقي ولا يصح التمثيل به فانه هاجر
قبل الحديبية عقيب خيبر بل في اواخرها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم **الطبقة الحادية عشر**
الذين اسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من اسلم طايعا ومنهم من اسلم كارها ثم حسن
اسلام بعضهم والله اعلم بهم **الطبقة الثانية عشر** صبيان ادركوا النبي صلى
الله عليه وسلم ورأوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرهما كالسايب بن يزيد ثم
انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال **واما عدد اصحابه** صلى الله عليه وسلم

فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من اسلم من اول البعثة الى ان مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد ورد انه سار عام الفتح في عشرة آلاف من المقاتلة والى حنين في اثني عشر الفا والى حجة الوداع في تسعين الفا والى تبوك في سبعين الفا وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا والله اعلم بحقيقة ذلك ثم ان افضلهم على الاطلاق عند اهل السنة اجماعا ابو بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير ابا بكر ثم عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله بن عمر عن نافع كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر احدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا ولابي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب ابو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد ابي بكر وعمر واهل السنة على ان عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف الى تقديم علي على عثمان وممن قال به سفيان الثوري وقيل لا يفضل احدهما على الآخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى بن القطان وقال ابن معين من قال ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ولا شك ان من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلي فضله فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر ان حديث الاقتصار على الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله فالمقطوع به بين اهل السنة بافضلية ابي بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسألة اجتهادية ومستندها ان هؤلاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم في الخلافة وقال الامام ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة عامر بن الجراح وقد روى الترمذي عن سعيد بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف

ابن عوف وابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابي وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم ننشدك الله من العاشر قال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة يعني نفسه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه خرج الى المسجد فسال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه هاهنا فخرجت في اثره حتى دخل بير اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو جالس على بير اريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البير كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضأ ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد اخاه يات به فاذا بانسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذنك فقال ائذن له وبشره بالجنة فقلت ادخل وبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البير فرجعت فجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الصف الآخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم رواه احمد ومسلم وابو حاتم واخرجه البخاري واخرج ابو داود نحوه عن ابي سلمة عن نافع عن عبد الحارث الخزاعي قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة فقال لبلال امسك علي الباب فجاء ابو بكر يستاذن فذكر نحوه قال الطبراني وفي حديث ان نافع بن الحارث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل على تكرار القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد وانها عند ابي موسى ووهم القول بغيره وانشد لنفسه

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ... بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر ... ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

ولابن الوليد بن الشحنة

اسماء عشر رسول الله بشرهم ... بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد علي عثمان طلحة ابو ... بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر

كان له اخوان ابا بردة وابا رهم ... ايهما كان

عبارة التقريب للحافظ ابن حجر سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي احد العلماء الاثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية اتفقوا على ان مرسلاته اصح المراسيل وقال ابن المديني لا اعلم في التابعين اوسع علما منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين انتهى بحروفه ... وهذا هو الاشهر ... واهل المدينة يكسرون ... كان يقول سيب الله من سيبني انتهى بحروفه

فان قلت من اعتقد في الخلفا الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته
لبعضهم تكون اكثر هل يكون اثما به ام لا اجاب شيخ الاسلام الولي بن العراقي
ان المحبة قد تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان
افضل كانت محبته الدينية له اكثر فمتى اعتقدنا في واحد منهم انه افضل ثم احببنا غيره من جهة
الدين اكثر كان تناقضا نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل لامر
دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان افضل هذه
الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر مثلا
فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية
كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه
احبه محبة دينية زايدة على محبة ابي بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة دنيوية
لكونه من ذرية علي او لغير ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم وقد
روى الطبراني في الاوسط وعزاه للملا في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب
ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل
منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج واخرج الحافظ السلفي في مشيخته من
حديث انس مرفوعا حب ابي بكر واجب على امتي واخرج الانصاري عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال ابو بكر يا رسول الله نحن
اخوانك قال لا انتم اصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي واحبوني اني لاحب الي
احدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله انا نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي الا تحب
يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك قال فاحبهم ما احبوك بحبي اياك فمحبة من احبه
الرسول صلى الله عليه وسلم كال بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما ان محبته صلى الله عليه وسلم علامة محبة الله تعالى وكذلك
عداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيا احب من يحب وابغض
من يبغض قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد
الله ورسوله فحب ال بيته صلى الله عليه وسلم واصحابه واولاده وازواجه من
الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم
وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتدا بهم بان يمشي على
سننهم واداابهم واخلاقهم والعمل باقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن
الثنا عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد اثنى عليهم الله
تعالى في الكتاب المجيد ومن اثنى عليه الله فهو واجب الثنا والاستغفار لهم قالت
عايشة امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم
رواه مسلم وغيره وفايدة المستغفر لهم عايدة عليه قال سهل بن عبد الله
التستري

التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره ومما يجب
ايضا الامساك عما شجر بينهم اي وقع بينهم من الاختلاف والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
اصحابي فامسكوا وان يلتمس لهم فيما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج
لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من ماثرهم مما يطول ايراده
بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتاويلات فسبهم والطعن فيهم
ان كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عايشة رضي الله عنها والا فبدعة وفسق قال عليه
الصلاة والسلام يا ايها الناس احفظوني في اختاني واصهاري واصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة
احد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعي وقال عليه الصلاة والسلام الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فقد احبني ومن ابغضهم فقد ابغضني ومن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه رواه المخلص الذهبي
وهذا الحديث كما قاله بعضهم خرج مخرج الوصية باصحابي على طريق التاكيد والترغيب في حبهم
والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان وبغضهم من الكفر لانه اذا كان
بغضهم بغضا له كان كفرا بلا نزاع لحديث السابق لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم وقع عليه
ووصل اليه صلى الله عليه وسلم والغرض من الهدف الذي يرمى فيه فهو نهي عن رميهم موكدا
ذلك بتحذيرهم الله منه وما ذاك الا لشدة الحرمة وروي مرفوعا من سب احدا
من اصحابي فاجلدوه اخرجه تمام في فوايده وقال مالك بن انس وغيره فيما ذكره القاضي
عياض من ابغض الصحابة فليس له في المسلمين حق قال ونزع باية الحشر والذين جاوا من بعدهم
الاية المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض
والعاهات وتعبيره الرويا وانبايه بالانبا المغيبات اعلم انه لا سبيل لاحد
الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفها وقطرة مما افاضه الله عليه من سحاب عوارفه
واذا تاملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخص من بدايع الحكم وحسن
سيره وحكم حديثه وانبايه بانبا القرون السالفة والامم البايدة والشرايع الداثرة
كقصص الانبيا مع قومهم وقصة موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين واشباه ذلك وبدء الخلق واخبار الدار الاخرة وما في
التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار احوال الانبيا واممهم
واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوب شرايعهم ومضمنات
كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلما بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك
فضلا عما افاضه من العلم ومحاسن الاداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات الى فنون العلم

الذي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كاللغة والمعاني والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقايق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح امته كالطب والعيادة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد قضية بان مجال هذا الباب في حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع دون نفاذه الادلة وان بحر علمه ومعارفه زاخر لا تدركه الدلا **وهذا المقصد اعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول الفصل الاول** في طبه صلى الله عليه وسلم لذوي الامراض والعاهات **اعلم انه قد ثبت** انه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من اصحابه حتى لقد عاد غلاما كان يخدمه من اهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فاسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخاري وابو داود من حديث انس ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند راسه فقال اسلم فنظر الى ابيه وهو عنده فقال اطع ابا القاسم فاسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي انقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند راسه ويسال عن حاله ويقول كيف تجدك **وفي حديث جابر عند البخاري** ومسلم والترمذي وابي داود قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما ماشيان فوجداني اغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم وعند ابي داود فنفخ في وجهي فافقت وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا اراك ميتا وجعك هذا **وفي حديث** ابي موسى عند البخاري مرفوعا اطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني **وعنده من** رواية البراء امرنا صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة المريض **وعند مسلم** خمس تجب للمسلم على المسلم فذكر منها قال ابن بطال يحتمل ان يكون الامر على الوجوب بمعنى الكفاية كاطعام الجائع وفك الاسير ويحتمل ان يكون للندب على التواصل والالفة وعن الطبري يتاكد في حق من ترجى بركته ويسن فيمن يراعي حاله ويباح فيما عدا ذلك وهو فرض كفاية عند الحنفية كما قاله ابو الليث السمرقندي في مقدمته واستدل بعموم قوله عودوا المريض على مشروعية العيادة في كل مرض لكن استثنى بعضهم الارمد لكون عائده يرى ما لا يرى الارمد ورد بانه قد جاء في عيادة المريض الارمد بخصوصها حديث زيد بن ارقم قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني رواه ابو داود وصححه الحاكم واما ما اخرجه الطبراني والبيهقي مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي انه موقوف على يحيى بن ابي كثير ويوخذ من اطلاقه ايضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتدا مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الاحيا بانه لا يعاد الا بعد ثلاث واستند الى حديث اخرجه ابن ماجه عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال ابو حاتم هو حديث باطل ولا نطيل بايراد ما ورد في فضل العيادة ويكفي حديث ابي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السما طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجة

وفي سنن

وفي سنن ابي داود عن انس مرفوعا من توضا فاحسن الوضوء وعاد اخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا **وفي حديث** ابي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من اهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق رقبة **وعند احمد** عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات وترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب لملك قد مرض والزمه بملازمته فاراد يوم الجمعة ان يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال له ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم اشتهر ذلك وصار كثير من الناس يعتمده **ومن الغريب** ما نقله ابن الصلاح عن الفراوي ان العيادة تستحب في الشتا ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك ان المريض يتضرر بطول الليل في الشتا وبطول النهار في الصيف فيحصل له بالعيادة استرواح وينبغي اجتناب التطبب باعدا الدين من يهودي او نحوه فانه مقطوع بغشه سيما اذا كان المريض كبيرا في دينه او علمه خصوصا اذا كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فهو مسلم فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب ان من خاطر بنفسه يخشى عليه ان يدخل في عموم النهي فيمن قتل نفسه ولقد كثر الضرر في هذا الزمن باهل الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله والله تعالى يرحم القايل

لعن النصارى واليهود فانهم ... بلغوا بمكرهم بنا الاملا

خرجوا اطباء وحسابا لكي ... يتقسموا الارواح والاموالا

ومما كان يفعله صلى الله عليه وسلم ويامر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث ابي سعيد الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على مريض فنفسوا له في اجله فان ذلك يطيب نفسه يريد مثل ان تقول له لا باس عليك طهور ان شا الله ووجهك الان حسن وما اشبه ذلك وقد يكون من هذا ان يذكر له الاجور الداخلة عليه في مرضه وان المرض كفارة فربما اصلح ذلك قلبه وامن خوفه ذلك او نحوه وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من اشرف انواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب به نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي ويساعده على دفع العلة او تخفيفها الذي هو غاية تاثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تاثير عجيب في شفا علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورويتهم له ولطفهم به ومكالمتهم اياه قال في الهدي وكان صلى الله عليه وسلم يسال المريض عن شكواه وكيف يجد وعما يشتهيه فان اشتهى شيا وعلم انه لا يضره امر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته

شبهها بالماء في ازالة الاوساخ والدرن كما انها تزيل اوساخ الذنوب ودرنها فهو استعارة بالكناية وذكر الخوض والاستنقاع ترشيح وابتدا خوضه فيها من حين يتوجه الى المريض قاصدا عيادته لله تعالى

الفراوة ... المستيقظ ... عنوانه

انه

وربما توضأ وصبّ على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا بأس
عليك طهور ان شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عائشة رضي الله عنها كان صلى الله
عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله رواه ابو يعلى بسند حسن
واخرج الترمذي من حديث ابي امامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع احدكم
يده على جبهته فيسأله كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف اصبحت او كيف امسيت فاذا علمت هذا
فاعلم ان المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان فاما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به
الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب
ان تكون عارفة بربها فاطرها وباسمائه وصفاته وافعاله واحكامه وان تكون مؤثرة
لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة البتة الا بذلك
ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **واما طب الاجساد**
فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما
بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا بالله ومبينا لامته مواقع رضاه وآمرا
لهم بها ومواقع سخطه وناهيا لهم عنها ومخبرهم اخبار الانبياء والرسل واحوالهم مع اممهم
واخبار تخليق العالم وامر المبدأ والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها واسباب
ذلك واما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصود الغيرة بحيث انما يستعمل للحاجة اليه
فاذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهمم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها
وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب
لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهي مضرة زائلة يعقبها
المنفعة الدائمة التامة فاذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم
في الابدان على اختلاف درجاتها في الضرر وهل في الدنيا شر وداء الا وسببه الذنوب
والمعاصي فللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن في الدنيا
والآخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله في القلب والمعصية
تطفئ ذلك النور وللامام الشافعي رضي الله تعالى عنه

شكوت الى وكيع سوء حفظي ∴ فارشدني الى ترك المعاصي

وقال اعلم بان العلم نور ∴ ونور الله لا يؤتاه عاصي

ومنها حرمان الرزق ففي المسند ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه **ومنها**
وحشة يجدها العاصي بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة اصلا **ومنها** التعسير
اموره عليه فلا يتوجه لامر الا ويجده مغلقا دونه او متعسرا عليه **ومنها** ظلمة يجدها
في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت
حيرته حتى يقع في البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى هذه الظلمة
وتصير سوادا في الوجه يراه كل احد **ومنها** انها توهن القلب والبدن **ومنها** حرمان

الطاعة وتقصير العمر

(في الحاشية: والآخرة صح)

الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب
وقيل تأثير المعاصي في محق العمر انما هو بان حقيقة الحياة هي حياة القلب فليس عمر
المرء الا اوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد في
هذه الاوقات التي هي حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا اعرض عن الله واشتغل
بالمعاصي ضاعت عليه ايام حياته الحقيقية **ومنها** ان المعصية تورث الذل
ومنها انها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفئ نور العقل **ومنها**
انها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ولقد احسن القائل ∴

اذا كنت في نعمة فارعها ∴ فان الذنوب تزيل النعم

وحطها بطاعة رب العباد ∴ فرب العباد سريع النقم

ومن عقوباتها انها تستجلب مواد هلاك العبد في دنياه وآخرته فان الذنوب
هي امراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما ان البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ
قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية التي متى غلبت عليه
افسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه ويخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم
حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة تحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح
يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الردية وحمية توجب له حفظ الصحة
وتجنب ما يضادها وهي عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم
متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا
فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستوجب المواد المؤذية وتوجب التخليط
المضاد للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل وقد تراكمت
عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمي لها كيف تكون صحته وبقاؤه ولقد
احسن القائل

جسمك بالحمية حصنته ∴ مخافة من الم طاري

وكان اولى بك ان تحتمي ∴ عن المعاصي خشية الباري

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهي واستفرغ
التخليط بالتوبة النصوح لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا **وفي حديث
انس** الا ادلكم على دائكم ودوائكم الا ان داءكم الذنوب ودواءكم
الاستغفار فقد ظهر لك ان طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته
الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي **واما طب الاجساد**
فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات
مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج
الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما الى حرارة او برودة

وكل منهما اما الى رطوبة او يبوسة او الى ما يتركب منها وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع
قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو اعسرهما والطريق الى معرفته تحقيق السبب
والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذي يسعى في تفريق ما يضر بالبدن جمعه او عكسه وفي
تنقيص ما يضر بالبدن زيادته او عكسه ومدار ذلك على ثلاثة اشيا حفظ الصحة والاحتما
عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرآن **فالاول** في قوله
تعالى فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب
وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فابيح الفطر وكذا القول في المرض والثاني
وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه جواز التيمم عند خوف
استعمال الما البارد وقال تعالى في اية الوضوء وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من
الغايط او لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فاباح للمريض العدول عن
الما الى التراب حمية له ان يصيب جسده ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذ
له من داخل او خارج **والثالث** من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية فانه اشير
بذلك الى جواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار
المحتقن في الراس تحت الشعر لانه اذا حلق راسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة
فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذي انحباسه فقد ارشد تعالى عباده
الى اصول الطب ومجامع الحكم **وفي الصحيحين** من حديث عطا عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله دا الا وانزل معه شفا فتداووا **وعند**
احمد من حديث انس ان الله حيث خلق الدا خلق الدوا فتداووا **وعند البخاري**
في الادب المفرد واحمد واصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن اسامة
ابن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع دا الا وضع له شفا الا دا
واحدا وهو الهرم وفي لفظ الا السام وهو بمهملة مخففا الموت يعني الا دا الموت
اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت فيه واستثنا الهرم في الرواية الاولى اما لانه جعله
شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة او لقربه من الموت وافضائه اليه ويحتمل
ان يكون منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دوا له **ولابي داود** عن ابي الدردا رفعه ان الله
جعل لكل دا دوا فتداووا ولا تداووا بالحرام **وفي البخاري** ان الله تعالى لم يجعل
شفاكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوي بالحرام **وروى مسلم** عن جابر مرفوعا لكل دا
دوا فاذا اصيب دوا الدا برئ باذن الله تعالى فالشفا متوقف على اصابة الدوا
الدا باذن الله تعالى وذلك ان الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية او الكمية
فلا ينجع بل ربما احدث دا اخر **وفي رواية علي** عند الحميدي في كتابه المسمى بطب
اهل البيت ما من دا الا وله دوا فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر
فجعله بين الدا والدوا فكلما شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد الله برءه

امر الملك

امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله تعالى به **وفي حديث ابن**
مسعود رفعه ان الله لم ينزل دا الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله من جهله
رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل دا دوا
فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادوا القاتلة والادوا التي لا يمكن طبيب معرفتها
ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليه سبيلا لانه لا علم
للخلق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفا على مصادفة الدوا الدا وقد يقع
لبعض المرضى انه يتداوى من دايه بدوا فيبرا ثم يعتريه بعد ذلك الدا بعينه
فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدوا فرب مرضين تشابها ويكون
احدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطا من هنا وقد يكون متحدا لكن
يريد الله ان لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطبا وفي مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الى
اثبات الاسباب وان ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب
وكذلك تجنب المهلكات والدعا بطلب الشفا ودفع المضار وغير ذلك **وقد سئل الحارث**
ابن اسد المحاسبي في كتاب القصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين
ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق ولا سبقه في التوكل
سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم
من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث
اخر فقال يدخل من امتي سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فمباح لهم الدوا
والاسترقا فجعل المحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض وقال في التمهيد انما اراد بقوله
برئ من التوكل اذا استرقى الرقى المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو متعلق رغبته في
الشفا بوجود الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقى المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم
معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفا من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جا
في الشريعة وكان ناظرا الى رب الدوا ومتوقعا الشفا من الله تعالى ويقصد بذلك استعماله
بدنه اذا اصح لله وما تعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق بحاله لا ينقص
منه الدوا شيا اسوة لفعل سيد المتوكلين اذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى
فقد تبين ان التداوي لا ينافي التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب
التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل
كما يقدح في الامر والحكمة **وحكى** ابن القيم انه وجد في خبر اسرائيلي ان الخليل عليه الصلاة
والسلام قال يا رب ممن الدا قال مني قال فممن الدوا قال مني قال فما بال الطبيب
قال رجل ارسل الدوا على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل دا دوا تقوية
لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدوا والتفتيش عليه فان المريض
اذا استشعرت نفسه ان لدائه دوا يزيله تعلق فيه بروح الرجا وبرد

من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك
سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت
القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى **فان قلت** ما المراد بالانزال الذي
في قوله في الاحاديث السابقة الا انزل له دواء وفي الرواية الاخرى شفاء **فالجواب**
انه يحتمل ان يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل ان يكون المراد انزال علم ذلك على
لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم واين يقع طب حذاق الاطباء الذي غايته ان يكون ماخوذا
من قياس او منامات وحدث وتجربة بالوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه
وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطباء من الطب الى هذا الوحي كنسبة
ما عندهم من العلوم الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل هاهنا من الادوية التي تشفي من الامراض
ما لم تهتد اليها عقول اكابر الاطباء ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم واقيستهم من الادوية
القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه
والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب
فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف اديانها ومللها فوجد والها من التاثير في الشفا
ما لا يصل اليها علم اعلم الاطباء وقد جربت ذلك والسوء مرات فوجدته يفعل ما لا تفعله
الادوية الحسية **وكان علاجه** صلى الله عليه وسلم للمريض على ثلاثة انواع احدها
بالادوية الالهية الروحانية والثانية بالادوية الطبيعية والثالثة بالمركب
من الامرين ولا ريب ان طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن
الوحي ومشكاة النبوة وطب غيره اكثره حدث او تجربة وقد يختلف الشفاء عن بعض من
يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه
بالقبول واظهر الامثلة في ذلك القران الذي هو شفاء لما في الصدور ومع ذلك فقد
لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول
بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يناسب الا
الابدان الطيبة كما ان شفاء القران لا يناسب الا الارواح الطيبة والقلوب الحية
فاعراض الناس عن طب النبوة كاعراضهم عن الاستشفاء بالقران الذي هو الشفاء النافع
النوع الاول في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الالهية اعلم
ان الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط اعم ولا انفع ولا اعظم ولا انجح
من ازالة الداء من القران فهو للداء شفاء ولصدا القلوب جلاء كما قال تعالى
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين
ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفاء من الامراض
الروحانية وشفاء ايضا من الامراض الجسمانية اما كونه شفاء من الامراض الروحانية
فظاهر وذلك لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات الباطلة واشدها افسادا

الاعتقادات

الاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقران مشتمل على
دلايل المذهب الحق في هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة **ولما كان** اقوى الامراض
الروحانية هو الخطا في هذه المطالب والقران مشتمل على **تقريرها** الدلايل الكاشفة عما في
هذه المذاهب الباطلة من العيوب لا جرم كان القران شفاء من هذا النوع من المرض الروحاني
واما الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد
والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القران شفاء من هذا النوع
من المرض فثبت ان القران شفاء من جميع الامراض الروحانية **واما كونه شفاء** من
الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض واذا اعتبر الجمهور من
الفلاسفة واصحاب الطلسمات بان لقراءة الرقى المجهولة والعزايم التي لا يفهم منها شيء
اثارا عظيمة في تحصيل المنافع ودفع المفاسد افلا تكون قراءة القران العظيم المشتمل على ذكر جلال
الله تعالى وكبريائه وتعظيم الملايكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع
في الدين والدنيا ويتايد ما ذكرناه بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف
بالقران فلا شفاه الله **ونقل** عن الشيخ ابي القاسم القشيري رحمه الله ان ولده مرض
مرضا شديدا حتى اشرف منه على الموت واشتد عليه الامر قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام فشكوت اليه ما بولدي فقال لي اين انت من ايات الشفاء فانتبهت فافكرت فيها
فاذا هي في ستة مواضع في كتاب الله **وهي قوله** تعالى ويشف صدور قوم مومنين
وشفاء لما في الصدور يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين
امنوا هدى وشفاء قال فكتبتها ثم حللتها بالماء وسقيته اياها فكانما نشط
من عقال او كما قال وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان
الرفيع وتامل قوله عليه الصلاة والسلام في بعض ادعيته وان تجعل القران ربيع قلبي
وشفاء صدري اي يكون له بمنزلة الدواء الذي يستاصل الداء ويعيد البدن
الى صحته واعتداله **وفي حديث** عند ابن ماجه مرفوعا خير الدواء القران وهاهنا امر
ينبغي ان يتفطن له نبه عليه ابن القيم وهو ان الايات والاذكار والادعية التي
يستشفى بها ويرقى بها انفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل
وتاثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول المحل المنفعل او
لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم
تاثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من
اقتضايه اثره فان الطبيعة اذا اخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به
بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا اخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام
وكان الدواء في نفس فعالة وهمة مؤثرة اثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من اقوى الاسباب

هذا العطف على مقدر فيما سبق في قوله
لان المرض الروحاني نوعان الاعتقادات
الباطلة والاخلاق المذمومة فلما تم
النوع الاول وهو الاعتقادات الباطلة
شرع في النوع الثاني وهو الاخلاق
المذمومة فقال واما الاخلاق الخ

وقد نظمها بعضهم فقال
شفا الناس في ايات ست من القران جابها البشر
براة يونس نحل واسرى كذا الشعرا وفصلت لاد
وجلاء حزني وهمي

في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف اثره عنه اما لضعفه في نفسه بان يكون
دعا لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت
الدعاء واما لحصول المانع من الاجابة من اكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب
واستيلاء الغفلة والسهو واللهو **وقد روي الحاكم حديث** واعلموا ان الله لا يقبل
دعاء من قلب غافل لاه ومن انفع الادوية الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع
نزوله ويرفعه او يخففه اذا نزل وهو سلاح المومن واذا جمع الداعي حضور القلب والجمعية بالكلية
على المطلوب وصادف وقتا من اوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار
والذل والتضرع واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثناء على الله
تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة والح في المسالة
واكثر التملق والدعاء والتوسل اليه باسمائه وصفاته وتوجه اليه بنبيه صلى الله
عليه وسلم فان هذا الدعاء لا يكاد يرد ابدا لا سيما ان دعا بالادعية التي اخبر صلى الله
عليه وسلم انها مظنة الاجابة وانها متضمنة للاسم الاعظم والاختلاف في مشروعية
الفزع الى الله تعالى والالتجا اليه في كل ما ينوب الانسان **واما الرقى** فاعلم ان الرقى
بالمعوذات وغيرها من اسما الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار
من الخلق حصل الشفا باذن الله تعالى لكن لما عز هذا النوع فزع الناس الى الطب الجسماني
وفي البخاري من حديث عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان ينفث
على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق والناس والاخلاص فيكون من
باب التغليب والمراد الفلق والناس وكذلك كل ما ورد من التعويذ في القران
كقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين **واما** ما اخرجه احمد وابو
داود والنساي من حديث ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره
عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري
لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة **واما**
حديث ابي سعيد عند النساي كان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجان ومن عين الانسان
حتى نزلت المعوذات فاخذ بها وترك ما سواها وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع
من التعوذ بغيرها من السور بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما
وانما اجتزا بهما لما اشتملت عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة
وتفصيلا وقد اجمع العلما على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان يكون بكلام
الله تعالى وباسمايه وصفاته وباللسان العربي وانما يعرف معناه من غيره وان يعتقد
ان الرقية لا توثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح انه
لا بد من اعتبارها **وفي صحيح مسلم** من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا
يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى اذا لم يكن فيه شرك

بكلام الله

ولہ من حديث جابر

وله من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجا ال عمرو بن
حزام فقالوا يا رسول الله انه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فعرضوا
عليه قال ما ارى باسا من استطاع ان ينفع اخاه فلينفعه وقد تمسك قوم بهذا
العموم فاجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن دل حديث
عوف انه مهما كان من الرقى يودي الى الشرك يمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه
وقال قوم لا يجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن حصين لا رقية الا من
عين او حمة واجيب بان معنى الحصر فيه انهما اصل كل ما يحتاج الى الرقية فيلتحق بالعين
جواز رقية من به خبل او جن ويلتحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد
السمية وقد وقع عند ابي داود من حديث انس مثل حديث عمران بن حصين وزاد او دم
وفي مسلم من حديث انس ايضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى من العين
والحمة والنملة **وفي حديث اخر** والاذن **ولابي داود** من حديث الشفا
بنت عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة
والنملة قروح تخرج الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الافضل اي
لا رقية انفع كما قيل لا سيف الا ذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون
قبل وقوع البلاء والماذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي
وغيرهما **وروى ابو داود وابن ماجه** وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه
ان الرقى والتمايم والتولة شرك والتمايم جمع تميمة وهي خرزة او قلادة تعلق
في الراس كانوا في الجاهلية يعتقدون ان ذلك يدفع الافات والتولة بكسر المثناة
وفتح الواو واللام مخففا شي كانت المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر
وانما كان ذلك من الشرك لانهم ارادوا دفع المضار وجلب المنافع عند غير الله ولا
يدخل في ذلك ما كان باسما الله وكلامه فقد ثبت في الاحاديث استعمال ذلك قبل
وقوعه كما سياتي ان شا الله والخلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجا
اليه سبحانه في كل ما وقع وما يتوقع قال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو ما يستعمله
المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فياتي بامور مشتبهة مركبة من حق وباطل
يجمع الى ذكر الله تعالى واسمايه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم
والتعوذ بمردتهم **ويقال** ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين
لكونهم اعداء بني ادم فاذا عزم على الحية باسما الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ
اذا رقي بتلك الاسما سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن
بذكر الله واسمايه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريا من شوب
الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله تعالى علما الامة **وقال القرطبي**
الرقى ثلاثة اقسام احدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه

فاعرضوها علي قال صح

وما لا يعقل معناه لا يومن ان يودي الى الشرك فيمتنع احتياطا

او حية او عقرب لا شتراكهما في كونهما نفثة تاتي عن احوال شيطانية من انس صح

بكسر الشين وتخفيف الفا والمد

بعد

لئلا يكون فيه شركٌ او يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله او باسمايه
فيجوز فاذا كان ماثوراً فيستحب الثالث ما كان باسماء غير الله من ملك او صالح
او معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع
الذي يتضمن الالتجا الى الله تعالى والتبرك باسمايه فيكون تركه اولى الا ان يتضمن
تعظيم المرقي به فينبغي ان يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سالت
الشافعي عن الرقية فقال لا باس ان ترقي بكتاب الله تعالى وبما تعرف من ذكر الله قلت ايرقي
اهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله انتهى وفي الموطا ان ابا
بكر قال لليهودية التي كانت ترقي عايشة ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض
واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي والله اعلم
وروي ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي
يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من امر الناس القديم رقية الذي يكتاب بالعين
روي مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شي سابق
القدر لسبقته العين اي الاصابة بالعين شي ثابت موجود وهي من جملة ما تحقق
كونه قال المازري اخذ الجمهور بظاهر الحديث وانكره طوايف من المبتدعة لغير معنى
لان كل شي ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فهو من مجوزات
العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا
وانكارهم عما يخبر به من امور الاخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة
فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون واجيب بان طباع
الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العاين في الهوا الى بدن المعيون
وقد نقل عن من كان معيانا انه قال اذا رايت شيا يعجبني وجدت حرارة
تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمراة الحايض تضع يدها في اناء اللبن فيفسد ولو
وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك ان الصحيح قد ينظر للعين الرمدا فيرمد وقال
المازري زعم بعض الطبايعيين ان العاين ينبعث من عينه قوة سمية
تتصل بالمعين فيهلك او يفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعا واشار الى منع الحصر
في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشي على طريقة اهل السنة ان العين انما تضر عند
نظر العاين بعادة اجراها الله تعالى ان يحدث الضرر عند مقابلة شخص اخر وهذا
ثم جواهر حقيقة او لا هو امر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي
الى الاسلام من اصحاب الطبايع بالقطع بان جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العاين
فتتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك
عند شرب السم فقد اخطا بدعوى القطع ولكنه جايز ان يكون عادة ليست طبيعية
ضرورية ولا طبيعية انتهى وهو كلام سديد وليس المراد بالتاثير المعنى الذي
يذهب اليه الفلاسفة

يذهب اليه الفلاسفة بل ما اجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد
اخرج البزار بسند عن جابر رفعه اكثر من يموت بعد قضا الله وقدره بالنفس قال
الرازي يعني العين وقد اجرى الله العادة بوجود كثير من القوي والخواص في الاجسام
والارواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل
ذلك وكذا الاصفرار عند روية من يخافه وكثير من الناس يسقم بمجرد النظر اليه ويضعف
قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التاثيرات ولشدة ارتباطها
بالعين وليست هي المؤثرة وانما التاثير للروح والارواح مختلفة في طبايعها وكيفياتها
وخواصها فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الروية من غير اتصال به لشدة خبث
تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل ان التاثير بارادة الله تعالى وخلقه
وليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة واخرى بمجرد الروية
واخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقي والالتجا الى الله تعالى وتارة
يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي يخرج من عين العاين سهم معنوي ان صادق
البدن لا وقاية له اثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي
سوا انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي
لهذه العلة فمن التعوذات والرقي الاكثار من قراة المعوذتين والفاتحة واية
الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة ونحو اعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا
فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السما ومن شر ما يعرج فيها
ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر
طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها
للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن
ربيعة لما عان سهل بن حنيف الا بركت عليه ومما يدفع اصابة العين قول ما شا
الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم ارقيك
من كل شي يوذيك من شر كل ذي نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله يشفيك
وعنه ايضا من حديث عايشة كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى
بسم الله يبريك ومن كل دا يشفيك ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي
عين واخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شي سابق
القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغتسلوا وظاهر الامر للوجوب وحكى
المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال العاين
مما جرت به العادة بالشفاية فانه يتعين وقد تقرر انه يجبر على بذل الطعام
للمضطر وهذا اولى ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر

وقد وقع في حديث سهل بن حنيف عند احمد والنسائي أن اباه حدثه أن
النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب
الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان ابيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه
عامر بن ربيعة فقال ما رايت كاليوم ولا جلد مخباة فلبط سهل اي صرع وسقط
الى الارض فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من احد قالوا عامر بن
ربيعة فدعا عامرا فتغيظ عليه فقال علام يقتل احدكم اخاه هلا اذا رايت
ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه واطراف
رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على راسه وظهره
ثم كفي القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به باس قال المازري
المراد بداخلة ازاره الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الايمن قال وظن بعضهم انه
كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضي عياض ان المراد ما يلي جسده من الازار وقيل
اراد موضع الازار من الجسد وقيل اراد وركه لانه معقد الازار ورايت مما عزي
لخط شيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي قال ابن بكير عن مالك انه كناية عن
الثوب الذي يلي جلده وقال ابن الاثير في النهاية كان من عادتهم ان الانسان اذا اصابه
عين من احد جا الى العاين بقدح فيه ما فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه في القدح
ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه الايمن ثم يدخل يده
اليمنى فيصب على كفه اليسرى اليمنى فيصب على اليسرى ثم يدخل يده
اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر
ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى
ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته
اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب ذلك الماء المستعمل
على راس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرا باذن الله تعالى انتهى وقال
المازري وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد
لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربي ان توقف فيه متشرع قلنا له الله
ورسوله اعلم وقد عضدته التجربة المعاينة او متفلسف فالرد عليه اظهر
لان عنده ان الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ما هذا
سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر محاسن
من تخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكر البغوي في كتاب شرح السنة ان عثمان
ابن عفان راى صبيا مليحا فقال وسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال في
تفسيره ومعنى وسموا نونته اي سودوا والنونة النقرة التي تكون
في ذقن الصغير وذكر عن عبد الله الساجي انه كان في بعض اسفاره للحج او الغزو

على ناقة فارهة

على ناقة فارهة فكان في الرفقة رجل عاين قلما نظر الى شيء الا اتلفه فقيل لابي عبد الله احفظ
ناقتك من العاين فقال ليس له الى ناقتي سبيل فاخبر العاين بقوله فتحين غيبة ابي
عبد الله فجا الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء ابو عبد الله فاخبر ان
العاين قد عانها وهي كما ترى فقال دلوني عليه فوقف عليه فقال بسم الله حبس حابس
وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العاين عليه وعلى احب الناس اليه فارجع البصر
هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت
حدقتا العاين وقامت الناقة لا باس بها انتهى وفي حديث هذا الباب من الفوايد
ان العاين اذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين
تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح وان الذي يعجبه
الشيء يبادر الى الدعا للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه وان الاصابة
بالعين قد تقتل وقد اختلف في جريان القصاص بذلك فقال القرطبي
لو اتلف العاين شيا ضمنه ولو قتل فعليه القصاص او الدية اذا تكرر ذلك منه
بحيث يصير عادة وهو في ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم يتعرض
الشافعية للقصاص في ذلك بل منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال
النووي في الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام
دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه
فعل اصلا وانما غايته حسد وتمني لزوال النعمة وايضا فالذي ينشا عن
الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه
في زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من اثر العين انتهى قال الحافظ
ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه في معناه والفرق بينهما عسر ونقل
ابن بطال عن بعض اهل العلم انه ينبغي للامام منع العاين اذا عرف بذلك من مداخلة
الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره اشد من ضرر
المجذوم الذي منعه عمر من مخالطة الناس واشد من ضرر الثوم الذي منع الشارع
اكله من حضور الجماعة قال النووي وهذا القول صحيح متعين لا يعرف عن غيره
تصريح بخلافه ذكر رقيته صلى الله عليه وسلم التي كان يرقي بها عبد
العزيز قال دخلت انا وثابت على انس بن مالك فقال له ثابت يا ابا حمزة اشتكيت
فقال انس الا ارقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم
رب الناس مذهب الباس اشف انت الشافي لا شافي الا انت شفاء لا يغادر سقما
رواه البخاري وقوله اذهب الباس بغير همز للمواخاة واصله الهمز وقوله
لا شافي الا انت اشارة الى ان كل ما يقع من الدواء والتداوي ان لم يصادف
تقدير الله والا فلا ينجع وقوله لا يغادر بالغين المعجمة اي لا يترك وفي البخاري

ايضا عن مسروق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض اهله
يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس اذهب الباس واشفه وانت الشافي
لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما **وقوله** يمسح بيده اي على الوجع
وقوله لا شفاء الا شفاؤك بالرفع بدل من موضع لا شفاء **وعن عايشة** ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرقي ويقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف
له الا انت رواه البخاري ايضا **وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاصي** انه شكا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده في جسده منذ اسلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ضع يدك على الذي يصيبك يالم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا
وقل سبع مرات اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر وانما كرره
ليكون انجع وابلغ كتكرار الدواء لاخراج المادة **ذكر طبه صلى
الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من النوم** عن بريدة
قال شكا خالد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما انام الليل من
الارق فقال صلى الله عليه وسلم اذا اويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع
وما اظلت ورب الارضين وما اقلت ورب الشياطين وما اضلت
كن لي جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط علي احد منهم او يبغي علي
عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذي **ذكر طبه عليه
الصلاة والسلام من حر المصيبة ببرد الرجوع الى الله تعالى** في المسند
مرفوعا ما من احد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني
في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف له خيرا منها
قال في الهدي النبوي وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وانفعه له في عاجلته
واجلته فانها تتضمن اصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته
احدهما ان العبد واهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد
عارية فاذا اخذه فهو كالمعير ياخذ متاعه من المستعير **والثاني** ان مصير
العبد ومرجعه الى الله ولا بد ان يخلف الدنيا وراء ظهره ويجي ربه فردا
كما خلقه اول مرة بلا اهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيات
فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود او ياسى على
مفقود ففكره في مبديه **ومعاده** من اعظم علاج هذا الداء
قال ومن علاجه ان يطفي نار مصيبته ببرد التاسي باهل المصايب وانه
لو فتش العالم لم ير فيه الا مبتلى اما بفوات محبوب او حضور مكروه وان
سرور الدنيا احلام نوم او ظل زايل ان اضحكت قليلا ابكت كثيرا وان سرت
يوما اساءت دهرا وان متعت قليلا منعت طويلا وما ملات دارا حبرة

الا املا تها عبرة

الجزء الثاني من المواهب

الا ملاتها عبرة ولا سرته بيوم سرور الا خبات له يوم شرور **وقال** ابن
مسعود لكل فرحة ترحة وما ملي بيت فرحا الا ملي ترحا **ذكر طبه
عليه الصلاة والسلام من داء الهم والكرب والتوجه الى الرب** عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله
رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب العرش الكريم رواه الشيخان وقوله
عند الكرب اي عند حلول الكرب وعند مسلم كان يدعو بهن ويقولهن عند الكرب وعنده
ايضا كان اذا حزبه امر وهو بفتح المهملة والزاي وبالموحدة اي هجم عليه او غلبه
قال الطبري معنى قول ابن عباس يدعو انما هو تهليل وتعظيم يحتمل امرين احدهما
ان المراد تقديم ذلك قبل الدعا كما عند عبد بن حميد كان اذا حزبه امر قال فذكر الذكر
المذكور وزاد ثم دعا قال الطبري ويويد هذا ما روي الاعمش عن ابراهيم قال
كان يقال اذا بدا الرجل بالثنا قبل الدعا استجيب له واذا بدا بالدعا قبل الثنا
كان على الرجا **ثانيهما** ما اجاب به ابن عيينة وقد سيل عن الحديث الذي فيه
اكثر ما كان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة لا اله الا الله وحده لا شريك
الحديث **وقال** سفيان الثوري هو ذكر وليس فيه دعا ولكن قال النبي صلى
الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي
السايلين **وقال** امية بن الصلت في مدح عبد الله بن جدعان
اذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا اثنى عليك المرء يوما ... كفاه من تعرضك الثناء
فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثنا عن السوال فكيف بالخالق
ثم ان حديث ابن عباس هذا كما قاله ابن القيم قد اشتمل على توحيد الالهية
والربوبية ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم وهاتان الصفتان مستلزمتان
لكمال القدرة والرحمة والاحسان والتجاوز ووصفه بكمال ربوبيته الشاملة
العالم العلوي والسفلي والعرش الذي هو سقف المخلوقات واعظمها والربوبية
التامة تستلزم توحيده وانه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجا
والاجلال والطاعة الا له وعظمته المطلقة تستلزم اثبات كل كمال له
وسلب كل نقص وتمثيل عنه وحلمه يستلزم كمال رحمته واحسانه الى خلقه
فعلم القلب ومعرفته بذلك موجب محبته واجلاله وتوحيده فيحصل له من
الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه الم الكرب والهم والغم وانت تجد المريض
اذا ورد عليه ما يسره ويفرحه ويقوي نفسه كيف تقوى الطبيعة على دفع المرض
الحسي فحصول هذا الشفا للقلب اولى واحرى ثم اذا قابلت بين ضيق الكرب
وسعة هذه الاوصاف التي تضمنها هذا الحديث وجدته في غاية المناسبة

بيان افضل

قوله حبوك كذا في بعض النسخ وفي بعضها حياوك بفتح الحا والبا الموحدة

شيخ ترحا فهو ترح مثل تعب تعبا فهو تعب اذا حزن ...

لتفريج هذا الضيق وخروج القلب منه الى سعة البهجة والسرور وانما
يُصَدق هذه الامور من اشرقت عليه انوارها وباشر قلبه حقائقها قال
ابن بطال حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم فقال له شيخ
ان ابا بكر بن علي قد سعي به عند السلطان فسجن فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم في المنام وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه
وسلم قل لابي بكر بن علي يدعو بدعا الكرب الذي في صحيح البخاري حتى يفرج الله عنه
قال فاصبحت فاخبرته فدعا به فلم يمكث الا قليلا فاخرج **وفي حديث علي عند
النسائي** وصححه الحاكم لقنني رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمات وامرني
إن نزل بي كرب او شدة أن اقولها لا اله الا الله الكريم العظيم سبحان الله تبارك
الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وفي لفظ الحليم الكريم في الاول
وفي لفظ لا اله الا الله وحده لا شريك له العليم العلي العظيم لا اله الا الله
وحده لا شريك له الحليم الكريم وفي لفظ لا اله الا الله الحليم الكريم سبحانه تبارك
وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اخرجها كلها النسائي **وروى
الترمذي** عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اهمه الامر رفع طرفه الى السما فقال سبحان الله العظيم واذا اجتهد في الدعا
قال يا حي يا قيوم **وعنده ايضا** من حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
حزبه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك استغيث قال العلامة ابن القيم وفي تاثير
قوله يا حي يا قيوم برحمتك استغيث في دفع هذا الدا مناسبة بديعة فان
صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال مستلزمة بها وصفة القيومية متضمنة
لجميع صفات الافعال ولهذا كان اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل
به اعطى هو اسم الحي القيوم والحياة التامة تضاد جميع الالام والاسقام وهذا
لما كملت حياة اهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شي من الافات فالتوسل
بصفة الحياة والقيومية له تاثير في ازالة ما يضاد الحياة ويضر بالافعال فلهذا
الاسم الحي القيوم تاثير عظيم خاص في اجابة الدعوات وكشف الكربات ولهذا كان
صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد في الدعا قال يا حي يا قيوم **وروي ابو داود** عن ابي بكر
الصديق رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوات المكروب اللهم
رحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت وفي
هذا الدعا كما قاله في زاد المعاد من تحقيق الرجا لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه
وتفويض الامر اليه والتضرع اليه ان يتولى اصلاح شانه ولا يكله الى نفسه والتوسل
اليه بتوحيده مما له تاثير في دفع هذا الدا وكذا قوله في حديث اسما بنت عميس
عند ابي داود ايضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا اشرك به شيا **وفي**

مسند الامام احمد

هذا لابن القيم

مسند الامام احمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك ابن عبدك ابن امتك
ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاوك اسالك بكل اسم هو
لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به
في علم الغيب عندك ان تجعل القران العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلا حزني وذهاب
همي الا اذهب الله همه حزنه وهمه وابدل مكانه فرجا وانما كان هذا الدعا
بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية ابايه
وامهاته وان ناصيته بيده يصرفها كيف يشا وامضا القدر وان احكام الرب
تعالى نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك ولا حيلة له في دفعها وانه سبحانه
وتعالى عدل في هذه الاحكام غير ظالم لعبده ثم توسله باسما الرب سبحانه وتعالى
التي يسمي بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا **ومنها** ما استاثر به في علم
الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا فهذه الوسيلة اعظم الوسايل
واحبها الى الله واقربها تحصيلا للمطلوب **ثم** ساله ان يجعل القران لقلبه ربيعا
كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وان يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة
وبه يتم معاش العباد وان يجعله شفاء همه وغمه فيكون بمنزلة الدوا الذي
يستاصل الدا ويعيد البدن الى صحته واعتداله وان يجعله لحزنه كالجلا الذي
يجلو الطبوع والاصدية وغيرهما فاذا صدق العليل في استعمال هذا الدوا
اعقبه شفاء تاما **وفي سنن ابي داود** عن ابي سعيد الخدري قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فاذا هو برجل من الانصار يقال له ابو امامة
فقال يا ابا امامة ما لي اراك في المسجد في غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتني
وديون يا رسول الله فقال ألا اعلمك كلاما اذا انت قلته اذهب الله عز وجل همك
وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل اذا اصبحت واذا امسيت اللهم اني اعوذ
بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل
واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فاذهب الله همي وقضى
عني ديني وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية اشياء كل اثنين منها
قرينان مزدوجان فالهم والحزن اخوان والعجز والكسل اخوان والجبن
والبخل اخوان وضلع الدين وغلبة الدين اخوان فحصلت الاستعاذة من كل
شر **وفي سنن ابي داود** ايضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تاثير في دفع الهم والضيق لانه قد
اتفق اهل الملل وعقلاء كل امة على ان المعاصي والفساد يوجبان الهم والحزن

والحزن وضيق الصدر واذا هذا اتانا بير الذنوب والآثام في القلوب فلا دوا لها
الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيح
انها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي انها باب من ابواب الجنة وفي بعض الآثار
انها ما ينزل ملك من السما ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني
من حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني
امر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي
كتاب ابن السني من حديث ابي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا آية
الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله عز وجل وعنده ايضا من
حديث سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال صلى الله عليه وسلم اني
لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند الترمذي لم يدع بها
رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس
عن جعفر بن محمد يعني الصادق قال حدثني ابي عن جدي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
حزبه امر دعا بهذا الدعا اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك
الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي فلا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمت بها
علي قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند
نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من راني على
الخطايا فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي لا ينقضي ابدا ويا ذا النعماء التي لا تحصى
عددا اسالك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد وبك ادرا في نحور الاعداء والجبارين
اللهم اعني على ديني بالدنيا وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا
تكلني الى نفسي فيما حظرته علي يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه العفو هب
لي ما لا ينقصك واغفر لي ما لا يضرك انك انت الوهاب اسالك فرجا قريبا وصبرا
جميلا ورزقا واسعا والعافية من البلايا وشكر العافية وفي رواية واسالك
تمام العافية واسالك دوام العافية واسالك الشكر على العافية واسالك
الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **ذكر طبه صلى
الله عليه وسلم من داء الفقر** عن ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا
ادبرت عني وتولت قال له فاين انت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون
قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة
تاتك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد اقبلت علي
الدنيا

لعلها فيما غبت

العافية

الدنيا فما ادري اين اضعها رواه الخطيب في رواية مالك **ذكر طبه
صلى الله عليه وسلم من الحريق** عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الحريق فكبروا فان التكبير
يطفئه فان قلت ما وجه الحكمة في اطفا الحريق بالتكبير **اجاب** صاحب زاد
المعاد بانه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها
وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان
اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما
هدي الشيطان واليهما يدعوا وبهما يهلك بني ادم فالنار والشيطان كل منهما
يريد العلو في الارض والفساد وكبريا الله تقمع الشيطان وفعله فلهذا كان تكبير الله
له اثر في اطفا الحريق فان كبريا الله تعالى لا يقوم لها شي فاذا كبر المسلم ربه
اثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا
فوجدناه هكذا انتهى وقد جربت ذلك بطيبة فوجد في سنة خمس وتسعين
وثمانمائة فوجدت له اثرا عظيما لم اجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية طيور
بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة معلنة
بالتكبير **ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به
من دا الصرع** في الصحيحين ان امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي فقال ان شئت صبرت ولك الجنة
وان شئت دعوت الله لك ان يعافيك فقالت اصبر قالت فاني اتكشف
فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها قال العلامة ابن القيم الصرع صرعان صرع
من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الردية **والثاني** هو الذي تتكلم
فيه الاطباء واما علاج صرع الارواح فيكون بامرين امر من جهة المصروع يكون
بقوة نفسية وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها والتعوذ الصحيح
الذي قد تواطا عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لا يتم
له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بامرين ان يكون السلاح في نفسه جيدا وان
يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بان يكون فيه هذان الامران ايضا
حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله اخرج منه او يقول بسم الله الرحمن الرحيم لا حول
ولا قوة الا بالله قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخرج عدو الله
انا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك باية الكرسي ويامر بكثرة قراءة المصروع
ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمس وعشرون
سنة وخصوصا بسبب دماغي ايس من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا
السن فهذه المراة التي جا الحديث انها كانت تصرع وتتكشف يجوز ان يكون

وامر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع

صح

ضرعهما من هذا النوع فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول
الله الى اخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا **ومن الغريب**
قصة غزال الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغثت
به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجيء الى بصارعها في المنام بامره صلى الله عليه
وسلم فوبخته واقسم لا يعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد
اليها فلله الحمد **ذكر دوايه عليه الصلاة والسلام من داء السحر**
قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا
وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول او فعل يقتضي الكفر
كفر والا فلا واما تعليمه وتعلمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر
فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت توبته **وقال**
مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله
والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه
وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق قال القاضي عياض
وبقول مالك قال احمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين
قال اصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف انه مات بسحره وانه
يقتل غالبا لزمه القصاص وان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لا يقتل فلا
قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة
لا تحمل ما ثبت باعتراف الجاني قال اصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر
بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر انتهى واختلف في السحر فقيل هو
تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار ابي جعفر الاستراباذي من الشافعية
وابي بكر الرازي من الحنفية وطائفة قال النووي والصحيح ان له حقيقة
وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة
قال شيخ الاسلام ابو الفضل العسقلاني يكون محل النزاع هل يقع بالسحر
انقلاب عين او لا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقائلون بان له
حقيقة اختلفوا هل له تاثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض
او ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور
هو الاول وقال المازري جمهور العلماء على اثبات السحر ولان العقل لا ينكر ان
الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق او تركيب اجسام او مزج بين
قوى على تركيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض
العقاقير ببعض حتى يصير ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب
نافعا وقيل لا يزيد تاثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء
وزوجه

وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز ان يقع به اكثر من ذلك
لذكره الله تعالى قال المازري والصحيح من جهة العقل ان يقع به اكثر من ذلك
قال والاية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق نصا في
بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة اقوال وافعال حتى
يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا واما
المعجزة فتمتاز من الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على ان السحر
لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على يد فاسق ونقل نحوه النووي
في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي ان يعتبر حال من يقع منه الخارق
فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا للموبقات فالذي يظهر على يديه من
الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها
بالاكتساب غير انها لدقتها لا يتوصل اليها الا احاد الناس ومادته الوقوف
على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها واوقاتها واكثرها تخييلات بغير
حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن
سحرة فرعون وجاءوا بسحر عظيم مع ان حبالهم وعصيهم لم تخرج عن كونها
حبالا وعصيا وقال ابو بكر الرازي في الاحكام اخبر الله تعالى ان الذي ظنه
موسى انها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك ان عصيهم كانت مجوفة
قد مليت زيبقا وكذلك الحبال كانت من ادم محشوة زيبقا وقد حفروا
قبل ذلك اسرابا وجعلوا لها ازواجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك
الموضع وحمي الزيبق حركها لان من شان الزيبق اذا اصابته النار ان يطير
فلما اثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من راها
انها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق ان لبعض اصناف القرطبي
السحر تاثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان
بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا او عكسه بسحر الساحر
وقد ثبت في البخاري من حديث عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سحر حتى انه كان ليخيل اليه انه يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات ليلة
عندعايشة دعا ودعا ثم قال يا عايشة اشعرت ان الله افتاني فيما
استفتيته فيه اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
لصاحبه ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال ~~لبيد بن عاصم~~ لبيد بن الاعصم
قال في اي شيء قال في مشط ومشاقة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في
بير ذروان فجاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال
يا عايشة كان ماءها نقاعة الحناء وكان رءوس نخلها رءوس الشياطين فقلت

اي اجابني فيما دعوته
فاطلق على الدعاء استفتاء
لان الداعي طالب والمجيب
مستفت والمعنى اجابني
عما سالته عنه مع حرز

وله ذروان بذال معجمة مفتوحة وراء
ساكنة قال الرافعي كذا في هذه
الرواية وسرقة ذي اروان
الاصمعي انه الصواب قال
سمعتها وكلاها صحيح وهي
بير كانت معروفة بالمدينة في
بستان بني زريق

يارسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثور علي الناس
فيه شرا فامر بها فدفنت وفي رواية البخاري ايضا فاني لبير حتى استخرجه
فقال هذه البير التي رايتها قالت عايشة افلا تنشرت قال اما الله شفاني واكره
ان اثير على الناس شرا وفي حديث ابن عباس عند البيهقي في الدلايل بسند ضعيف
في اخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم انهم وجدوا وترا فيه احدى
عشرة عقدة وانزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرا اية انحلت عقدة واخرجه
ابن سعد بسند اخر منقطع عن ابن عباس ان عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله
عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي
رواية ذكرها في فتح الباري فنزل رجل فاستخرجه وانه وجد في الطلعة
تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر
فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرا اية انحلت عقدة وكلما
نزع ابرة وجد لها الما ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي
وقع فيها السحر كما اخرجه عنه ابن سعد بسند له الي عمر بن الحكم مرسلا
قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع
جات رؤساء اليهود الي لبيد بن الاعصم وكان حليفا في بني زريق وكان
ساحرا فقالوا انت اسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيا ونحن نجعل لك جعلا علي
ان تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية
ابي ضمرة عند الاسماعيلي فاقام اربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام
عند احمد ستة اشهر ويمكن الجمع بان تكون الستة اشهر من ابتداء تغير مزاجه
والاربعون يوما من استحكامه وقال السهيلي لم اقف في شي من الاحاديث المشهورة
علي قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع
معمر عن الزهري انه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا
بالاسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري انكر بعض المبتدعة
هذا الحديث وزعموا انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا وكل ما ادى الى ذلك
فهو باطل وزعموا ان تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل
هذا ان يخيل اليه انه يرى جبريل وليس هو ثم وانه يوحى اليه بشي ولم يوح
اليه بشي قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام علي صدق النبي
صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلي عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات
بتصديقه فتجويز ما قام الدليل علي خلافه باطل واما ما يتعلق ببعض امور الدنيا
التي لم يبعث لاجلها ولا كانت الرسالة من اجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض
للبشر كالامراض فغير بعيد ان يخيل اليه في امر من امور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته
عن مثل ذلك

عن مثل ذلك في امور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من انه كان يظن انه فعل الشي
ولم يكن فعله ان يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت
ولا يبقى علي هذا للملحد حجة وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بالتخيل
المذكور انه يظهر له من نشاطه ما الفه من سابق عادته من الاقتدار علي الوطي
فاذا دنا من المراة فتر ذلك كما هو شان المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى
حتى كاد ينكر بصره اي صار كالذي ينكر بصره بحيث انه اذا راي الشي يخيل اليه
انه علي غير صفته فاذا تامله عرف حقيقته ويويد جميع ما تقدم انه لم ينقل عنه
في خبر من الاخبار انه قال قولا فكان بخلاف ما اخبر به قال بعضهم وقد سلك
النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب
ففي اول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر في صبره على بلايه ثم لما تمادى ذلك
وخشي من تماديه ان يضعفه عن فنون عبادته جنح الى التداوي فقد اخرج
ابو عبيد من مرسل عبد الرحمن بن ابي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم
علي راسه يعني حين طب ثم جنح الي الدعا وكل من المقامين غاية في الكمال
وقال ابن القيم من انفع الادوية واقوى ما يوخذ من النشرة مقاومة السحر
الذي هو من تاثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعا والقراة
فالقلب اذا كان ممتليا من الله معمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء
والتوجه لا يخل به كان ذلك من اعظم الاسباب المانعة من اصابة السحر له قال
وسلطان تاثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يوثر في النسا
والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تتسلط علي ارواح تلقاها مستعد
لما يناسبها انتهي ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر علي النبي صلى الله
عليه وسلم مع عظم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال
من ذلك بان الذي ذكره محمول علي الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان
تجويز ذلك عليه واما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب
وهب بن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه
ذلك بالما ويقرا فيه اية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم
يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن اهله
وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وابو جعفر الطبري وغيرهما
انتهى وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ ابو محمد المرجاني اكثر تداويه
بالنشرة يعملها لنفسه وللاولاده ولاصحابه فيجدون علي ذلك الشفاء واخبر رحمه الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاها له في المنام وقال انه مرة راي النبي صلى الله عليه
وسلم وقال له ما تعلم ما عمل معك ومع اصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه

ايه وثوات ملامس القران

وهي هذه لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم الى اخر السورة
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين، لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله الى اخر السوره وسورة الاخلاص والمعوذتين
ثم يكتب اللهم انت المحيي وانت المميت وانت الخالق وانت البارئ وانت المبلي وانت المعافي
وانت الشافي خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اني اسالك
باسمائك الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلاء والمعافاة والشفاء والدواء
اسالك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حبيبك وبركات خليلك ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وحرمة كليمك موسى عليه الصلاة والسلام اللهم اشف
ذكر رقية تنفع لكل شكوى عن ابي الدرداء قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيئا فليقل ربنا الله الذي في السماء
تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر
لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك
على هذا الوجع فيبرا باذن الله تعالى رواه ابو داود في سننه رقيته
عليه الصلاة والسلام من الصداع روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب
عن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الكبير واعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار رواه ابن
السني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واصاب اسماء بنت ابي بكر رضي الله
تعالى عنها ورم في راسها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب
فقال بسم الله اذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك
بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وامرها ان تقول ذلك فقالت ثلاثة ايام فذهب الورم رواه الشيخ
ابن النعمان بسنده والبيهقي رقيته صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس
روى البيهقي ان عبد الله بن رواحة شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه
فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد
وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل ان يبرح
وروى الحميدي ان فاطمة رضي الله تعالى عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فادخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي تالم
فقال بسم الله وبالله اسالك بعزك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد
غير عيسى من روحك وكلمتك ان تكشف ما تلقى فاطمه بنت خديجه من الضر كله فسكن
ما بها ومن الغريب ما شاع وذاع عن شيخنا المجد الطبري امام مقام الخليل بمكة ورايته
يفعله غير مرة وضع يده على راس الموجوع ضرسه ويسال عن اسمه واسم امه وعن المدة
التي يريد الماكول ان لا يولمه فيها فيقول سبع سنين او تسع سنين مثلا بالوتر
قالوا فما يرفع يده

قالوا فما يرفع يده الا وقد سكن المه ويمكث المدة المذكورة لا يولمه اشيع ذلك
واشتهر ومما جرب ان يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم
قل هو الذي انشاكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون
وان شاء كتب وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم رقية
لعسر البول روى النسائي عن ابي الدرداء انه اتاه رجل يذكر
ان اباه احتبس بوله فاصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض
كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا انت رب
الطيبين فانزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرا
وامره ان يرقيه بها فرقاه بها فبرئ وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة
من حديث ابي داود رقية الحمى عن انس قال دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها
فانها مامورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتيهن اذهبها الله عنك
قالت فعلمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق
يا ام ملدم ان كنت امنت بالله العظيم فلا تصدعي الراس ولا تنتني الفم ولا تاكلي
اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها اخر قال فقالتها فذهبت
عنها رواه البيهقي وقد جرب ذلك كما رايته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظمي الدقيق
وجلدي الرقيق واعوذ بك من فورة الحريق يا ام ملدم ان كنت امنت بالله واليوم الاخر
فلا تاكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تفوري على الفم وانتقلي الى من يزعم ان مع الله الها اخر
فاني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى المثلثة
مما ذكره صاحب الهدي على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله
مرت بسم الله قلت وياخذ كل يوم ورقة يجعلها في فمه ويبتلعها بماء وقد رخص جماعة
من السلف في كتابة بعض القران وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعله الله فيه
قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ ابو محمد المرجاني لا تزال اوراق للحمى
وغيرها على باب الزاوية فمن كان به الم اخذ ورقة فاستعملها فيبرا باذن الله عز
وجل وكان المكتوب فيها ازل لم يزل ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال
المروزي بلغ ابا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله وبالله
ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم
الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك

بسم الله الرحمن الرحيم

وجبرونك الله الحق امين **وممّا جُرّب للخُراج** ونقله صاحب زاد المعاد ان
يكتب عليه ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا **ومما يكتب لعسر الولادة** ما روى الخلال
عن عبد الله بن اسلم عن احمد بن حنبل قال رايت ابي يكتب للمراة اذا عسر عليها
ولادتها في جام ابيض او شي نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم
سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال الخلال
اخبرنا المروزي ان ابا عبد الله جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله تكتب لامراة
قد عسر عليها ولدها منذ يومين فقال قل له يجي بجام واسع وزعفران
قال ورايته يكتب لغير واحد **وفي المدخل** يكتب في اناء جديد اخرج ايها الولد من
بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا اخرج بقدرة الله الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم
لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
وتشربها النفساء وترش على وجهها قال الشيخ المرجاني اخذته عن بعض السادة فما
كتبته لاحد الا نجح في وقته **وروي عن عكرمة** عن ابن عباس قال مر عيسى عليه الصلاة
والسلام على امراة وقد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله لي ان يخلصني
مما انا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج
النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها فاذا هي قايمة قال فاذا اعسر على
المراة ولدها فاكتبه لها **ومما يكتب ايضا لذلك** ويكون في اناء نظيف اذا السماء
انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدت والقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه وترش
على بطنها **ومما يكتب للرعاف** على جبهة المرعوف وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر ولا يجوز كتابتها بدم الرعاف كما يفعله بعض الجهال
فان الدم نجس فلا يجوز ان يكتب به كلام الله **ومما يكتب لعرق النسا** بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم رب كل شي ومليك كل شي وخالق كل شي انت خلقتني وخلقت عرق النسا فلا
تسلطه علي باذى ولا تسلطني عليه بقطع واشفني شفاء لا يغادر سقما لا شافي الا
انت **واما حفيظة رمضان** لا الاء الا الاؤك يا الله انك سميع عليم محيط
به علمك كهيعص وبالحق انزلناه وبالحق نزل الى اخرها فقال شيخنا اشتهرت
ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة ما بلدان انها حفيظة رمضان تحفظ
من الغرق والسرق والحرق وساير الافات وتكتب في اخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها
والخطيب على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهذه بدعة لا اصل لها وان وقعت في
كلام غير واحد من الاكابر بل اشعر كلام بعضهم وروده في حديث ضعيف وكان الحافظ
ابن حجر ينكرها

ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قايم على المنبر في اثناء خطبته حين يرى من يكتبها
انتهى **ذكر ما يقي من كل سوء** عن ابان بن عثمان عن ابيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بسم الله الذي لا يضر
مع اسمه شي في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يمسي
لم تصبه فجاة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجاة بلاء حتى يمسي قال
فاصاب ابان بن عثمان الفالج فجعل الذي يسمع منه الحديث ينظر اليه فقال ما لك
تنظر الي فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولكن اليوم الذي اصابني فيه ما اصابني غضبت فنسيت ان اقولها
رواه ابو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح **وعنه** فكان ابان قد
اصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له ابان ما تنظر الي اما ان الحديث كما
حدثتك ولكن لم اقله يومئذ ليمضي الله قدره **ذكر ما يستجلب به
المعافاة من سبعين بلاء** ذكر ابو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي في كتابه
اخبار افريقية عن انس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته امه وعوفي من سبعين
بلاء من بلاء الدنيا منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول فمن قال لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ولا منجا منه الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر ادناها
الفقر **وروى الطبراني** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء ايسرها الهم
ومن ذلك في الامان من الفقر عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر ابدا رواه ابن
ابي الدنيا **وروى** الطبراني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ابطا عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله **وعن جعفر بن محمد** عن ابيه
عن جده عن علي بن ابي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين
مائة مرة كان له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستفتح به باب الغنا
واستقرع به باب الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان
كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي **ذكر دواء داء الطعام**
روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله
خير الاسماء في الارض وفي السماء لا يضر مع اسمه داء اجعل فيه رحمة وشفاء لم يضره
ما كان **ذكر دواء ام الصبيان** عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن عفان الاموي ابو سعيد وقيل ابو عبد الله المدني ثقة من الثالثة مات سنة خمس ومائة
تقريب وهو بفتح الهمزة وتخفيف الموحدة وبالنون فتنة الصرف وعدمه انتهى

من وُلِد له مولودٌ فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم يضره أمّ
الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وأم الصبيان
هي الريح التي تعرض لهم فربما يغشى عليهم منها وسرّ التأذين كما قال صاحب تحفة
المودود بأحكام المولود أن يكون أول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة
لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام فكان
ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله في الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد
عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من
كلمات الأذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها
فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به **النوع الثاني
في طبه صلى الله عليه وسلم لأدوائه الطبيعية ذكر ما كان عليه
الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة** اعلم أن الصداع ألم في
بعض أجزاء الرأس أو كله فما كان منه في أحد جانبي الرأس لازما سمي شقيقة بوزن
عظيمة وسببه أبخرة مرتفعة أو أخلاط حارة أو باردة ترتفع إلى الدماغ فإن لم
تجد منفذا أحدثت الصداع فإن مال إلى أحد شقي الرأس أحدث الشقيقة وإن
ملك كل الرأس أحدث داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل
على الرأس كله **وأسباب الصداع** كثيرة **منها** ما تقدم **ومنها** ما يكون
عن ورم في المعدة أو في عروقها أو ريح غليظة فيها أو لامتلائها **ومنها**
ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والتعب والاستفراغ والسهر أو كثرة
الكلام **ومنها** ما يعرض عن ما يحدث من الأعراض النفسانية كالهم والحزن
والجوع والحمى **ومنها** ما يحدث عند حادثة في الرأس كضربة تصيبه أو ورم
في صفاق الدماغ أو حمل شيء ثقيل يضغط الرأس أو تسخينه بشيء خارج
عن الاعتدال أو تبريده بملاقاة الهواء والماء في البرد **وأما الشقيقة** فهي من
شرايين الرأس وحدها وتختص بالموضع الأضعف من الرأس وعلاجها بشد
العصابة **وقد** أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم ربما
أخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج **وفي** الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم
قال في مرض موته وا رأساه وأنه خطب وقد عصب رأسه فعصب الرأس ينفع
من الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس **وفي البخاري** من حديث ابن عباس
احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به وقد جاءت مقيدة
بما في بعض طرق ابن عباس فعند أبي داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس
أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وقد قال الأطباء إنها نافعة جدا
وورد أنه صلى الله عليه وسلم احتجم في الأخدعين والكاهل أخرجه الترمذي
وحسنه

وحسنه وأبو داود وابن ماجة وصححه الحاكم **وقد قال الأطباء** الحجامة على الأخدعين
تنفع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين والأسنان والأنف **وقد ورد** من
حديث ضعيف جدا أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رياح عن عبد الله بن طاوس عن أبيه
عن ابن عباس رفعه الحجامة في الرأس تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس
والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس وغيره بالكذب
وروى ابن ماجة في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صدع غلف رأسه
بالحناء ويقول إنه نافع بإذن الله من الصداع وفي صحته نظر وهو علاج خاص بما إذا كان الصداع
من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها وإذا كان كذلك نفع فيه الحناء
نفعا ظاهرا قالوا وإذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا لا يختص
بوجع الرأس بل يعم جميع الأعضاء **وفي تاريخ البخاري** وسنن أبي داود أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما شكا إليه أحد وجعا في رأسه إلا قال له احتجم ولا شكا وجعا في
رجليه إلا قال له اختضب بالحناء **وفي الترمذي عن علي** بن عبيد الله عن جدته وقد
وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم
قرحة ولا نكتة إلا أمرني أن أضع عليها الحناء **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
للرمد** وهو ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها **وسببه**
انصباب أحد الأخلاط أو أبخرة تصعد من المعدة إلى الدماغ فإن اندفع إلى
الخياشيم أحدث الزكام أو إلى العين أحدث الرمد أو إلى اللهاة والمنخرين
أحدث الخنان بالخاء المعجمة والنون أو إلى الصدر أحدث النزلة أو إلى القلب
أحدث الشوصة وإن لم ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد أحدث الصداع كما تقدم
وروي أنه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك
الحركة **وفي سنن ابن ماجة** عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين
يديه خبز وتمر فقال ادن وكل فأخذت تمرا فأكلت فقال أتأكل تمرا وبك رمد
فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الأخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روي أنه حمى عليا من الرطب لما أصابه الرمد **وفي البخاري** من حديث سعيد بن
زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الكمأة من المن وماؤها شفاء
للعين والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق يوجد في الأرض من غير أن يزرع **وروى
الطبري** من طريق المنذر عن جابر قال كثرت الكمأة على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فامتنع قوم من أكلها وقالوا هو جدري الأرض فبلغه ذلك فقال إن الكمأة
ليست جدري الأرض ألا إن الكمأة من المن واختلف في قوله من المن فقيل الذي
أنزل الله على بني إسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوا ومنه
الترنجبيل فكأنه يشبه الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج

اللحمة المشرفة من الحلق في أقصى الفم والجمع لهى ولهيات مثل حصاة وحصا وحصيات ولهوات أيضا على الأصل ه

الكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق ومن الطلب إلى نعيم عن ابن عباس مرفوعا فتحكمنا الخبز فأخرجت الكمأة ... شرح البخاري للعيني

وقال الخطابي انما اختصت عن... ليس المراد انها نوع من المن الذي انزل الله على بني اسرائيل فان الذي انزل على بني اسرائيل كان كالترنجبيل الذي يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكماة شيء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقي وانما اختصت الكماة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذي ليس في اكتسابه شبهة ويستنبط منه ان استعمال الحلال المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزي في المراد بكونها شفاء للعين قولان احدهما انه ماؤها حقيقة الا ان اصحاب هذا القول اتفقوا على انها لا تستعمل صرفا في العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رايين احدهما انه يخلط في الادوية التي يكتحل بها حكاه ابو عبيد ثانيهما انه يشق ويوضع على الجمر حتى يغلي ماؤها ثم يوخذ الميل فيجعل في ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الردية ويبقى النافع منه ولا يجعل الميل في مائها وهي باردة يابسة فلا ينجع وقال الاخر يجعل الكماة في قدر جديدة ويصب عليها الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يوخذ غطاء جديد نقي فيجعل على القدر فما جرى على الغطاء من بخار الكماة فذلك الماء الذي يكتحل به وقال ابن وافد ان ماء الكماة اذا اعتصر وجعل ورُبي به الاثمد كان من اصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوي اجفانها ويزيد الروح الباصر قوة وحدة وتدفع عنها نزول النوازل وقال ايضا اذا اكتحل بماء الكماة وحده بميل من ذهب يتبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة في البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء ان ماء الكماة يجلو العين منهم المسيحي وابن سينا وغيرهما قال والذي يزيل الاشكال عن هذا الخلاف ان الكماة وغيرها خلقت في الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الافات بامور اخرى من مجاورة او امتزاج او غير ذلك من الاسباب التي ارادها الله تعالى فالكماة في الاصل نافعة لما اختصت به من وصفها بانها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضر لنيته والعكس بالعكس والله اعلم

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة

وهي بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع في الحلق يعتري الصبيان غالبا وقيل هي قرحة تخرج بين الاذن والحلق او في الخرم الذي بين الانف والحلق وهو الذي يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم للهاة والمراد وجعها سمي باسمها وقيل هو موضع قريب من اللهاة واللهاة بفتح اللام اللحمة التي في اقصى الحلق وفي البخاري من حديث ام قيس بنت محصن الاسدية اسد خزيمة وهي اخت عكاشة انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم علام تدغرن

عليه وسلم علام تدغرن اولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة اشفية منها ذات الجنب يريد العود الهندي قوله تدغرن خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز الحلق وعن جابر ابن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة وعندها صبي يسيل منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة او وجع في راسه فقال ويلكن لا تقتلن اولادكن ايما امراة اصاب ولدها عذرة او وجع في راسه فلتاخذ قسطا هنديا فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فامرت عايشة فصنع ذلك للصبي فبري الجدري وفي القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون اولادهم بغمز اللهاة وبالعلاق وهو شيء يعلقونه على الصبيان فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشدهم الى ما هو انفع للاطفال واسهل عليهم والسعوط ما يصب في الانف وقد استشكل معالجتها بالقسط مع كونه حارا والعذرة انما تعرض في زمن الحر للصبيان وامزجتهم حارة لاسيما وقطر الحجاز حار واجيب بان مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفي القسط تجفيف الرطوبة وقد يكون نفعه في هذا الدا بالخاصية وايضا فالادوية الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض كثيرا او بالذات وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب اليماني على انا لم نجد شيا من التوجيهات لكان العجز خارجا عن القواعد الطبية

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لدا استطلاق البطن

في الصحيحين عن المتوكل عن ابي سعيد الخدري ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه وفي رواية استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه فقال اني سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن اخيك وفي رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم جا الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وفي رواية احمد عن يزيد بن هارون فقال في الرابعة اسقه عسلا قال فاظنه قال فسقاه فبري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرابعة صدق الله وكذب بطن اخيك قال الخطابي وغيره اهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطا يقال كذب سمعك اي زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب بطنه اي لم يصلح لقبول الشفا بل زل عنه وقال الامام فخر الدين الرازي لعله صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ان ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه الصلاة والسلام كان عالما بانه سيظهر نفعه بعد ذلك كان هذا جاريا مجرى الكذب فلهذا اطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به

مستقذا ... بلغة اهل الحجاز وغيرهم يقولونه بدريك ... العلاق بكسر العين وضبطه في التنقيح بفتحها

بلا ...

قوله بالخط الا ... وقد سقطت من شرح ابن حجر

... الناجي ... وقيل ابن ... بضم الدال بعدها واو ... من الثالثة ...

الاسهال واجب بان ذلك جهل من قايله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطبا على ان المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والغذا والزمان المالوف والتدبير وقوة الطبيعة على ان الاسهال يحدث من انواع منها الهيضة التي تنشا عن تخمة واتفقوا على ان علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى مسهل اعينت ما دام بالعليل قوة فكان هذا الرجل هذا استطلاق من تخمة اصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة من اخلاط لزجة تمنع استقرار الغذا فيها وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا علقت بها الاخلاط اللزجة افسدتها وافسدت الغذا الواصل اليها فكان دواؤها باستعمال ما يجلوا تلك الاخلاط ولا شي في ذلك مثل العسل لا سيما ان مزج بالما الحار وانما لم يفده في اول مرة لان الدوا يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب الدا ان قصر عنه لم ينفعه بالكلية وان جاوزه اوهى القوة واحدث ضررا اخر فكانه شرب منه اولا مقدارا لا يفي بمقاومة الدا فامره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات بحسب مادة الدا بري باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن اخيك اشارة الى ان هذا الدوا نافع وان بقا الدا ليس لقصور الدوا في الشفا ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم امره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها وقال بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه الغذا او يدر البول فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى يدفع الطعام ويسهل البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر وقال ابن الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل اربعة اقوال احدها انه حمل الاية على عمومها في الشفا والى ذلك اشار بقوله صدق الله اي في قوله فيه شفاء للناس فلما نبه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله تعالى الثاني ان الوصف المذكور على المالوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض كلها الثالث ان الموصوف له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل ان يكون امره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه اولا بغير طبخ انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفايين العسل والقران اخرجه ابن ماجه والحاكم مرفوعا واخرجه ابن ابي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح واثر علي اذا اشتكى احدكم فليستوهب من امراته من صداقها فليشتر به عسلا ثم ياخذ ما السما فيجمع هنيئا مريا مباركا اخرجه ابن ابي حاتم في التفسير بسند حسن وروينا عنه رضي الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفا فليكتب اية من القران في صحفة وليغسلها بما السما وليأخذ من امراته درهما عن

طيب نفس منها

طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفاء قال الحافظ ابن كثير بعد ان ذكره اي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء وقال ونزلنا من السما ما مباركا وقال فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا وقال في العسل فيه شفاء للناس

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة بما يمشيه ويلينه

روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث اسما بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار حار ثم قالت استمشيت بالسنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان شيا كان فيه شفاء من الموت لكان في السنا قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكره البخاري في تاريخه الكبير من حديث اسما بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي وذكر ابو محمد الحميدي في كتاب الطب له انه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم فانه حار حار وعليكم بالسنا فتداووا به فلو دفع الموت شي لدفعه السنا وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب الطب النبوي له انه صلى الله عليه وسلم قال ان المحاسبي ذكر في كتابه المسمى بالقصد الى الله ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنا بالتمر وفي سنن ابن ماجه من حديث ابراهيم ابن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل دا الا السام قيل يا رسول الله ما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر عروق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي منع الاطبا من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها واما السنا فهو نبت حجازي افضله المكي وهو دوا شريف مامون الغايلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفرا والسودا ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي والسنا والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قالوا والشربة من كل واحد منهما من اربعة دراهم الى سبعة دراهم واما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خططا سودا على السمن وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه الرازيانج وقيل انه الشبت وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطبا وهذا اجدر بالمعنى واقرب الى الصواب اي يخلط السنا مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون اصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنا واعانته على الاسهال

ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود

وهو الذي اصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى ابو داود عن سعد

اي حار جدا

يلعق

قال مرضت مرضا فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده على
فؤادي وقال لي إنك رجل مفؤود فائت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل متطبب
فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجاهن بنواهن ثم يلدك بهن تنبيه والخطاب
من الحديث العام الذي اريد به الخاص كاهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل
المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من احد جانبي الفم وفي التمر
خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا
خاصية اخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر
العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر ذكر طبه صلى الله عليه وسلم
لداء ذات الجنب في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة
اشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث زيد بن ارقم قال صلى الله
عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت اعلم ان ذات الجنب
ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للاعضاء وقد يطلق على ما يعرض في
نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر
والاضلاع فيحدث وجعا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي عليه الاطبا قالوا
ويحدث بسببه خمسة امراض الحمى والسعال والنخس وضيق النفس
والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب ايضا وجع الخاصرة وهو من الامراض
المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهو من سيئ الاسقام والمراد
بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوي به
الريح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي انه قال العود حار يابس
قابض محبس للبطن ويقوي الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب
فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز ان ينفع من ذات
الجنب الحقيقية ايضا اذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولا سيما في وقت
انحطاط العلة ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء عن
انس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه فاجتووا المدينة
فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من البانها
وابوالها فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثارهم فاخذوا فقطع ايديهم وارجلهم وسمل
اعينهم والقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم ان الاستسقاء
مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربوا لها اما الاعضاء الظاهرة
كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط واقسامه
ثلاثة لحمي وهو اصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو

مع الدم في الاعضاء ازرقي

بلوغها ابلاء وثوراة

مع الدم في الاعضاء ازرقي وهو الذي يجتمع في اسفل البطن مادة مائية
ردية يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو اردى انواعه عند اكثر
الاطبا وطبلي وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه
سمعت له صوتا كصوت الطبل وانما امرهم عليه الصلاة والسلام بشرب ذلك
لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتنضيجا للسدد اذ كان اكثر
رعيهم بالشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغيره لذلك من الادوية
النافعة للاستسقاء خصوصا اذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول
الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه
الفضول واطلاقه البطن واما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل
ان بعض الناس مرض بمعدته فراى الشيخ الجليل ابو محمد الجرجاني النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يبشر لهذا الدواء وهو ان ياخذ كل يوم على الريق وزن درهم من
الورد المربى ويكون ملتوتا بالمصطكا بعد دقها ويجعل فيها حبات من
الشونيز ويفعل ذلك سبعة ايام ففعله فبرئ ومرض بعض الناس ببرد
المعدة فراى الشيخ الجرجاني ايضا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبشر لهذا الدواء
اوقية ونصف عسل نحل ودرهمين شونيز ومثلها انيسون ونصف اوقية من
النعنع الاخضر ومن القرنفل درهم ومن القرفا نصف درهم وشيء من قشر
الليمون مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ ومرض
اخر بسلس الريح فراى الشيخ الجرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبشر لهذا
الدواء شونيز ثلاثة دراهم ومن خزامى درهمين ونصف ومن الكمون الابيض
ثلاثة دراهم ومثله من السعتر الشامي ومثله من الغاليا ووزن درهم من
البلوط وهو تمر الفؤاد واوقية من الزيت المرقي يجعل فيه من عسل النحل
ما يعقد به وهو ربع رطل ويؤخذ فيه غدوة النهار وزن درهمين على الريق وعند
النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبرئ ثم انه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال
في النوم لذلك الشخص الذي اخبره بهذا الدواء انه ينفع لادواء وهي الريح
وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد والم الحيض والم النفاس
ويعقد الرياح والزيت المرقي صفته ان ياخذ شيئا من الزيت الطيب ويجعله
في اناء نظيف ويحركه بعود ويقرا عليه الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من
انفسكم الى اخر السورة وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين لو انزلنا
هذا القران على جبل وحصل لاخر قولنج فراى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم
فاشار بهذا الدواء وهو ان ياخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف
من الزيت المرقي واحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يقطر عليه

بيان ٣
ويعقد

ويفعل مثله عند النوم ففعل ذلك حتى برئ بعمل له التلبينة ويستعملها
بعد ان يفطر على ذلك والتلبينة تعمل من دقيق ونخالة وربما عمل فيه عسل
ويكون غداؤه مصلوقة الدجاج او لحم الضان ففعله فبرئ بعد ان اعيى
الاطباء ومرض اخر بوجع الظهر فشكا للشيخ فراى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يشير بهذا الدواء وهو عسل نحل وشونيز ودهن الالية والزيت المرقي
ودقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمرخ على الموضع ويذر عليه دقيق العدس
بقشره مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يكون مثل الدقيق ففعله فبرئ
وشكا بعض الناس الدوخة في راسه فراى الشيخ النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فاشار الى هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل
من كل واحد درهم ونصف شونيز درهمين يدق الجميع ويعقد بعسل النحل
فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون فيكون العسل النحل غالبا عليه
ففعله فبرئ انتهى وهذا وان كان مناما فقد عضدته التجربة مع ارشاد
الشيخ المرجاني لذلك **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من عرق**
النسا وهو بفتح النون والمهملة العرق الحاصل بالعرق والاضافة فيه من
باب اضافة الشيء الى محله وقيل سمي بذلك لان المه ينسي ما سواه وهذا العرق
ممتد من مفصل الورك وينتهي الى اخر القدم وراء الكعب **وعن انس**
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النسا الية شاة اعرابية
تذاب ثم تجزأ ثلاثة اجزاء ثم تشرب على الريق في كل يوم جزء رواه ابن ماجه
وهذا الدواء خاص بالعرب واهل الحجاز ومن جاورهم وهو انفعه لهم لان
هذا المرض يحدث عن يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجه
بالاسهال والالية فيها الخاصيتان الانضاج والتليين وهذا المرض
علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها
ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى اعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم
ونحوها وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان يلطفها
تغذية ويكسبها مزاجا الطف منها ولا سيما الالية **ذكر طبه**
صلى الله عليه وسلم من الاورام والخراجات بالبط والبزل
يذكر عن علي رضي الله تعالى عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يا رسول الله بهذه مدة قال بطوا عنه
قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد **ذكر طبه صلى الله**
عليه وسلم بقطع العروق والكي روى البخاري ومسلم من حديث
جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع
له عرقا

له عرقا وكواه عليه **واخرج** مسلم عن جابر لما رمي سعد بن معاذ
في الاكحل حسمه النبي صلى الله عليه وسلم **وروى الطحاوي** وصححه الحاكم عن انس
قال كواني ابو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم **وعند الترمذي** انه
صلى الله عليه وسلم كوى اسعد بن زرارة من الشوكة **وروى** مسلم عن
عمران بن حصين كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية
ان الذي كان انقطع عني رجع الي يعني تسليم الملائكة **وروى** احمد وابو داود
والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا
فما افلحنا ولا انجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لا تنحسم
مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه من الالم
الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في امثالها اخر الدواء الكي
والنهي فيه محمول على الكراهة او على خلاف الاولى لما تقتضيه مجموع الاحاديث
وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن
كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح
لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد ان يدفع القدر
والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي
شرع التداوي له فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل
التعذيب بالنار لامر غير محقق وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم
الفعل لا يدل على المنع بل يدل على ان تركه ارجح من فعله ولذا وقع الثنا على
تاركه واما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار والتنزيه واما عن ما لا يتعين
طريقا الى الشفاء وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته الشفاء فيه اما
لكونهم كانوا يرون انه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون
اليه قبل حصول الداء لظنهم انه يحسم الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب
بالنار لامر مظنون قال في فتح الباري ولم ار في اثر صحيح ان النبي صلى الله عليه
وسلم اكتوى الا ان القرطبي نسبه الى كتاب اداب النفوس للطبري ان
النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكره الحليمي بلفظ روي انه اكتوى
للجرح الذي اصابه باحد قال الحافظ ابن حجر والثابت في الصحيح عن غزوة
احد ان فاطمة احرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكي المعهود
انتهى **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون** قال الخليل
الطاعون الوباء وقال ابن الاثير الطاعون المرض العام والوباء الذي
يفسد له الهواء فتفسد به الامزجة والابدان وقال القاضي ابو بكر بن
العربي الطاعون الوجع الغالب الذي يطفئ الروح سمي بذلك لعموم مصابه

وسرعة قتله وقال ابو الوليد الباجي هو مرض يعم الكثير من الناس
في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من امراض الناس وقال القاضي
عياض اصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد والوبا عموم الامراض فسميت
طاعونا تشبيها بها في الهلاك وقال النووي في تهذيبه هو بثر وورم
مولم جدا يخرج مع لهب ويسود ما حوله ويخضر ويحمر حمرة شديدة
بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقي ويخرج غالبا في المراق والاباط
وقد يخرج في الايادي والاصابع وساير البدن وقال ابن سينا الطاعون
مادة سمية تحدث ورما قتالا لا تحدث في المواضع الرخوة والمغابن
من البدن واغلب ما يكون تحت الابط وخلف الاذن او عند الارنبة
وسببه ورم ردي يستحيل الى جوهر سمي يفسد العضو ويغير ما يليه
ويودي الى القلب كيفية ردية فيحدث القي والغثيان والغشي
والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الاعضاء الا ما كان اضعف بالطبع واردأه
ما يقع في الاعضاء الرئيسة والاسود منه قل من يسلم منه واسلمه الاحمر
ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوبا في البلاد الوبية ومن ثم
اطلق على الطاعون وبا وبالعكس واما الوبا فهو فساد جوهر الهوا
هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشأ عند هيجان
الدم وانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غير ذلك من الامراض العامة
الناشية عن فساد الهوا يسمى طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم
المرض به او كثرة الموت والدليل على ان الطاعون يغاير الوبا ان الطاعون لم
يدخل المدينة النبوية وقد قالت عايشة دخلنا المدينة وهي
اوبى ارض الله وقال بلال اخرجونا الى ارض الوبا والطاعون من
طعن الجن وانما لم يتعرض له الاطبا لكونه من طعن الجن لانه امر لا يدرك
بالعقل وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم
ومما يؤيد ان الطاعون انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا في اعدل الفصول
وفي اصح البلاد هواء واطيبها ماء ولانه لو كان بسبب فساد الهوا لدام
في الارض لان الهوا يفسد تارة ويصح اخرى ويذهب احيانا ويجي احيانا
على غير قياس ولا تجربة فربما جاء سنة على سنة وربما ابطا سنين وبانه
لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة انه يصيب
الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك
لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع من الجسد ولا يتجاوزه ولان فساد
الهواء يقتضي تغيير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا في الغالب
يقتل غالبا

يقتل غالبا بلا مرض فدل على انه طعن الجن كما ثبت في الاحاديث الواردة
في ذلك منها حديث احمد والطبراني عن ابي بكر بن ابي موسى الاشعري قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز اعدائكم من الجن وهو لكم شهادة
قال شيخ الاسلام الحافظ بن حجر يقع في الالسنة وهو في النهاية تبعا للغريبين
الهروي بلفظ وخز اخوانكم ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل
البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة الا في الكتب المشهورة ولا في الاجزاء
المنثورة وقد عزاه بعضهم بمسند احمد والطبراني او كتاب الطواعين
لابن ابي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها والله اعلم انتهى وفي
الصحيحين من حديث اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرايل وعلى من كان قبلكم
فاذا سمعتم به بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا
منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي عن الخروج حكما منها
ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا وقع فالظاهر
مداخلة سببه لمن به فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى لا يقع
الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس
لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور او بغيره ضايع
المصلحة لفقد من يتعهده حيا وميتا وايضا لو شرع الخروج فخرج الاقوياء
لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء وقد قالوا ان حكمة الوعيد في الفرار من الزحف
لما فيه من كسر قلب من لم يفر وادخال الرعب عليه بخلافه وقد جمع الغزالي
بين الامرين فقال الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام
الاستنشاق فيصل الى القلب والرية فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر
الا بعد التاثير في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع به لا يخلص غالبا مما
استحكم ويضاف الى ذلك انه لو رخص للاصحا في الخروج لبقي المرضى لا يجدون
من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ما ذكره بعض الاطباء ان المكان الذي
يقع به تكيفت امزجة اهله بهواء تلك البقعة وتالفها وتصير لهم كالاهوية
الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا
اهويتها استصحب معه الى القلب من الابخرة الردية التي حصل بكيف بدنه
بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها ان الخارج يقول لو اقمت
لاصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال
العارف بن ابي جمرة البلا انما يقصد به اهل البقعة لا البقعة نفسها
فمن اراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فاينما توجه يدركه فارشدنا

الشارع الي عدم النصب **وقال** ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للامة في نهيه
عن الدخول الي الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه
فان في الدخول في الارض التي هو بها تعرضا للبلاء وموافاة له في محل سلطانه واعانة
الانسان علي نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الي ارضه من باب
الحمية التي ارشد الله تعالى اليها وهي حمية عن الامكنة والاهوية الردية واما
نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان احدهما حمل النفوس على
الثقة بالله والتوكل عليه والصبر علي اقضيته والرضي والثاني ما قاله
ايمة الطب انه يجب علي من كان يحترز من الوبا ان يخرج من بدنه الرطوبات
الفضلية ويقلل الغذا ويميل الي التدبير المجفف من كل وجه والخروج من
ارض الوبا والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي نصرة جدا وهذا كلام
افضل المتاخرين من الاطبا فظهر المعني الطبي من الحديث النبوي وما فيه من
علاج القلب والبدن وعلاجهما انتهي **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم**
من السلعة اخرج البخاري في تاريخه والطبراني عن شرحبيل
الجعفي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يا رسول الله
هذه السلعة قد اذتني تحول بيني وبين قايم السيف ان اقبض عليه وعنان الدابة
فنفث في كفي ووضع كفه علي السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما ادري
اثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجها ابيض بين جمال وكان به القوبا فلم يمس
من ذلك اليوم ومنها اثر رواه البيهقي وغيره **ذكر طبه صلى الله عليه**
وسلم من الحمي روي البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الحمي من فيح جهنم فاطفؤها بالما واختلفوا في نسبتها الي جهنم فقيل حقيقة
واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها باسباب تقتضيها
ليعتبر العباد كما ان انواع الفرح واللذة من نعيم الجنة اظهرها الله في هذه الدار
عبرة ودلالة وقيل بل الخبر ورد مورد التشبيه والمعني ان حر الحمي شبيه بجهنم
تنبيها للنفوس علي شدة حر النار وان هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها
وهو ما يصيب من قرب منها من حرها فقوله فاطفؤها بهمزة قطع امر بالاطفا وروي
الطبراني الحمي حظ المومن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند
الشيخين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمي او شدة الحمي من فيح جهنم
فابردوها بالما بهمزة وصل والرا مضمومة علي المشهور وحكي كسر الرا وفي رواية
ابن ماجة بالما البارد وفي رواية ابي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت اجالس
ابن عباس بمكة فاخذتني الحمي فاحتبست اياما فقال ما حبسك قلت الحمي
قال ابردها بما زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمي من فيح جهنم

فابردوها

بحر صح

فابردوها بالما او بما زمزم شك قال ابن القيم قوله بالما فيه قولان احدهما
انه كل ما وهو الصحيح والثاني انه ما زمزم ثم قال بعد ان روي حديث ابي
جمرة هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان امرا لاهل مكة بما زمزم
اذ هو متيسر عندهم ولغيرهم بما عندهم من الما انتهي وتعقب بانه وقع في رواية احمد
عن عفان عن همام فابردوها بما زمزم ولم يشك وكذا اخرجه النساي وابن
حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه علي عمومه هل المراد به الصدقة
بالما او استعماله علي قولين والصحيح انه استعماله واظن الذي حمل من قال ان المراد به
الصدقة به انه اشكل عليه استعمال الما البارد في الحمي ولم يفهم وجهه مع ان لقوله
وجها حسنا وهو ان الجزا من جنس العمل فكما اخمد لهيب العطش عن الظمان بالما
البارد اخمد الله لهيب الحمي عنه جزا وفاقا انتهي قال الخطابي وغيره
اعترض بعض الاطبا علي هذا الحديث بان قال الاغتسال المحموم بالما خطر يقربه
من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل
الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الي العلم فانغمس في الما
لما اصابته الحمي فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فاصابته علة صعبة كادت تهلكه
فلما خرج من علته قال قولا سيا لا يحسن ذكره وانما اوقعه في ذلك جهله
بمعني الحديث والجواب ان هذا الاشكال صدر عن صدر مرتاب
في صدق الخبر فيقال له اولا من اين حملت الامر علي الاغتسال وليس في الحديث
الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما في الحديث الارشاد
الي تبريد الحمي بالما فان اظهر الوجود او اقتضت صناعة الطب ان انغماس
كل محموم في الما او صبه اياه علي جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصد
الارشاد اراد الاغتسال علي كيفية مخصوصة واولي ما يحمل عليه كيفية تبريد
الحمي ما صنعته اسما بنت الصديق رضي الله تعالى عنهما فانها كانت ترش
علي بدن المحموم شيا من الما بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب
النشرة الماذون فيها والصحابي ولا سيما مثل اسما التي هي ممن كان
يلازم بيت النبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر
ابو نعيم وغيره من حديث انس يرفعه اذا حم احدكم فليسن عليه الما البارد
ثلاث ليال من السحر وقال المازري لا شك ان علم الطب من اكثر العلوم
احتياجا الي التفصيل حتي ان المريض يكون الشي دواه في ساعة فيصير دا
له في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه مثلا فيتغير
علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفا لشخص بشي في حالة ما لم يلزم منه
وجود الشفا به له او لغيره في ساير الاحوال والاطبا مجمعون علي ان المرض

بحمام

الواقع

يختلف علاجه بالسن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتاثير المالوف
وقوة الطباع ويحتمل ان يكون هذا في وقت مخصوص فيكون من الخواص
التي اطلع عليها النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي ويضمحل عند ذلك
جميع كلام اهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان اكثر الحميات التي تعرض
لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس قال
وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لان الحمى حرارة غريبة تشتعل
في القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم في العروق الى جميع البدن
وهي قسمان عرضية وهي الحادثة عن ورم او حركة او اصابة حرارة الشمس
او القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهي ثلاثة انواع وتكون عن
مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن فان كان مبدا تعلقها بالروح فهي حمى
يوم لا تقلع غالبا في يوم ونهايتها الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضاء
الاصلية فهي حمى دق هي اخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية
وهي بعدد الاخلاط الاربعة اعني صفراوية سوداوية بلغمية دموية وتحت
هذه الانواع المذكورة اصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب انتهى
واذا تقرر هذا فيجوز ان يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس
في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا يحتاج الى علاج اخر
وقد قال جالينوس لو ان شابا حسن اللحم خصب البدن ليس في
احشائه ورم استحم بماء بارد او سبح فيه في وقت القيظ عند منتهى الحمى
لا ينتفع بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء
البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن
وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة يرفعه الحمى سـ النار
قطعة من النار فابردوها عنكم بالماء البارد وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على راسه فاغتسل وصححه الحاكم
ولكن قال في اسناده راو ضعيف **وعن انس** رفعه اذا حم احدكم
فليشن عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال اخرجه الطحاوي
وابو نعيم في الطب **واخرج** الطبراني من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه
الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها الماء في الشنان
وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب
عنهم **وقد** اخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا اصاب
احدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفها عنه بالماء يستنقع في نهر
جار

جار ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك
بعد صلاة الصبح قبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة
ايام فان لم يبرا في خمس والا فسبع والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز
تسعا باذن الله قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة
مختلف فيه **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حكة الجسم
وما يولد القمل** لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة
رخص صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف في لبس
الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري **عن قتادة** ان انسا حدثهم
ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص
من حرير من حكة كانت بهما **وفي رواية** ان عبد الرحمن والزبير
شكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فارخص لهما في الحرير
فرايته عليهما في غزاة **وفي رواية** رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
ورخص ابن عوف والزبير بن العوام في حرير **وفي رواية** رخص لحكة كانت بهما
ويحتمل ان تكون العلتان باحد الرجلين او ان العلة حصلت من القمل فنسبت
العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب **قال** النووي هذا الحديث
صريح في الدلالة لمذهب الشافعي وموافقيه انه يجوز لبس الحرير للرجل اذا
كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا القمل وما في معنى ذلك **وقال** مالك
لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى **وتعقب** قوله لما فيه من البرودة
بان الحرير حار والصواب ان الحكمة فيه لخاصية فيه لدفع الحكة
وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة في مزاجه
مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازي الابريسم
اسخن من الكتان وابرد من القطن يربي اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل
ويصلب البشرة فالملابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفي وملابس
الكتان والحرير والقطن تدفي ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة
وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة ليس فيها شيء من
اليبس والخشونة كغيرها صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته
لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه الصلاة والسلام لهما
في لباس الحرير لمداواة الحكة **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم
الذي اصابه بخيبر** تقدم في غزوتها قصة اليهودية التي اهدت اليه الشاة
المسمومة **وقد روى** عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن
ابن كعب بن مالك ان امراة يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة

مصلية تخبرَ فقال ما هذه قالت هذه هدية وحذرت ان تقول من
الصدقة فلا ياكل فاكل النبي صلى الله عليه وسلم واكل اصحابه ثم قال
امسكوا ثم قال للمراة هل سميت هذه الشاة قالت من اخبرك قال هذا
العظم لساقها وهو في يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان
تستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبي صلى الله
عليه وسلم ثلاثة على كاهله وقد ذكروا في علاج السم انه يكون
بالاستفراغات وبالادوية التي تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها
واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء الكلي وانفعه الحجامة
ولاسيما اذا كان البلد حارا او الزمان حارا فان القوة السمية تسري في
الدم فتنبعث في العروق والمجاري حتى يصل الى القلب والاعضاء فاذا
بادر المسموم واخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية التي خالطته فان كان صح
استفراغا تاما لم يضره السم بل اما ان يذهب واما ان يضعف فتقوى
عليه الطبيعة فتبطل فعله او يضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم
على الكاهل لانه اقرب الى القلب فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل
بقي اثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها له بالشهادة
زاده الله فضلا وشرفا **النوع الثالث في طبه عليه الصلاة والسلام**
بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية :: ذكر طبه عليه الصلاة
والسلام من القرحة والجرح وكل شكوى :: عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة ارضنا وريقة بعضنا تشفى سقيمنا
وفي رواية كان يقول في الرقية تربة ارضنا وريقة بعضنا فيشفى سقيمنا باذن ربنا
رواه البخاري وفي رواية مسلم اذا اشتكى الانسان او كانت به قرحة او جرح قال
باصبعه هكذا ووضع بنان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة ارضنا
خبر مبتدا محذوف اي هذه تربة ارضنا وقوله تشفى سقيمنا ضبط بوجهين
نعم اوله على البنا للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح اوله على ان الفاعل مقدر
وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي معنى الحديث انه اخذ من ريق
نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق به شي منه ثم مسح به
الموضع العليل او الجرح قايلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم
بعض علمائنا ان السر فيه ان تراب الارض لبرودته ويبسه يبري الموضع الذي
به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها
وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابرا الجرح والورم ولاسيما
من الصايم الجايع وتعقبه القرطبي بان ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها

الريق

من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في اوقاته والا فالنفث
ووضع السبابة على الارض انما تعلق بهما ما ليس له بال ولا اثر وانما هذا
من باب التبرك باسما الله تعالى واثار رسوله صلى الله عليه وسلم واما
وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك او لحكمة اخفا اثار القدرة
بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث
الطبية على ان للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن
له تاثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر
ان يستصحب تراب ارضه ان عجز عن استصحاب مايها حتى اذا ورد المياه
المختلفة جعل شيا منه في سقايه ليامن مضرة ذلك ثم ان الرقا والعزايم
لها اثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها وقال
التوربشتي كان المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كانه تضرع بلسان
الحال انك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم ابدعته من ما مهين
فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشاته وقال النووي وقيل
المراد بارضنا ارض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عايشة
رضي الله تعالى عنها عند ابي داود والنساي ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس
ثم اخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال
الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقي **ذكر طبه صلى**
الله عليه وسلم من لدغة العقرب عن عبد الله بن مسعود رضي
الله تعالى عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته
عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب
ما تدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة
في الماء والملح ويقرا قل هو الله احد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن ابي
شيبة في مسنده وقال ابن عبد البر رقا صلى الله عليه وسلم من
العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بما فيه ملح وهذا طب مركب
من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع
التوحيد وفي المعوذتين استعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا
اوصى صلى الله عليه وسلم عقبة بن عامر ان يقراهما عقب كل صلاة رواه
الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة
وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما واما الماء والملح فهو الطب الطبيعي

فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولاسيما لدغة العقرب وفيه من
القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعتها
قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح
لذلك **ذكر الطب من النملة** وهي بفتح النون واسكان الميم
قروح تخرج في الجنب وسمي نملة لان صاحبه يحس في مكانه كان نملة تدب
عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن انس انه صلى الله عليه وسلم رخص
في الرقية من الحمة والعين والنملة وروي الخلال ان الشفا بنت عبد
الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت قد بايعته بمكة قالت يا رسول الله اني كنت ارقي في الجاهلية من النملة
فاريد ان اعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من افواهها
ولا تضر احدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات
وتقصد مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة
ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من البثرة روي النسائي عن بعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم قال عندك ذريرة فقلت نعم فدعا بها فوضعها على
بثرة بين اصبعين من اصابع رجله ثم قال اللهم مطفي الكبير ومكبر
الصغير اطفها عني فطفئت **ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حرق النار**
روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدرا فاصاب كفي من مائها
فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي امي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذهب الباس
رب الناس واحسبه قال واشف انت الشافي وتفل **ذكر طبه صلى الله
عليه وسلم بالحمية** وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما
يزيده فيقف على حاله الاولى حمية الاصحا والثانية حمية المرضى فان المريض
اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد واخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية
قوله تعالى وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فتيمموا صعيدا طيبا فحمى المريض
من استعمال الما لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في اوايل هذا المقصد
وقد قال بعض افاضل الاطبا راس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة
بمنزلة التخليط للمريض والناقه وانفع ما يكون الحمية للناقه من المرض
لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس اصعب من ابتدا المرض والفاكهة
تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة
وفي سنن ابن ماجة عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه
خبز وتمر فقال ادن وكل فاخذت تمرا واكلت فقال اتاكل تمرا وبك رمد
فقلت يا رسول الله امضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت

وفيه الاشارة

وفيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وان الرمد يضر به التمر وعن
ام المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه علي ناقه من مرض ولنا دوال معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياكل منها وقام علي ياكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي
انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيرا وسلقا فجئت به فقال صلى الله
عليه وسلم لعلي من هذا اصب فانه انفع رواه ابن ماجة وانما منعه صلى
الله عليه وسلم من اكله من الدوال لان في الفاكهة نوع ثقل على المعدة
ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من انفع الاغذية للناقه ففي ماء
الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية
من اكبر الادوية للناقه قبل الداء لكي يمتنع تزايده وانتشاره

لكم

قال ابن القيم ومما ينبغي ان يعلم ان كثيرا مما يحمى عنه العليل والناقه
والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشي
اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به
فان الطبيعة والمعدة يتلقيانه بالقبول والمحبة فيصلحان ما يخشى من
ضرره وقد يكون انفع من تناول ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء
ولهذا اقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو ارمد على تناول التمر اليسير
وعلم انها لا تضره ففي الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف فان المريض
اذا تناول ما يشتهيه من جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان انفع واقل ضررا
مما لا يشتهيه عن جوع صادق وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته
ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس **ذكر حمية المريض
من الما** عن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا احب الله العبد حماه الدنيا كما يظل احدكم يحمي مريضه سقيه الماء
قال الترمذي حديث حسن غريب وروى الحميدي مرفوعا لو ان الناس
اقلوا من شرب الما لاستقامت ابدانهم **ذكر امره صلى الله عليه وسلم
بالحمية من الما المشمس خوف البرص** روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني
هذا المعنى مرفوعا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا
خرج العقيلي نحوه عن انس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر فعلى هذا
يكره استعمال الما المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا
ان يكون في البلاد الحارة والاوقات الحارة دون الباردة وفي الاواني المنطبعة
على الاصح دون الحجر والخشب ونحوهما واستثني النقدان لصفا بهما

وللطبراني في الاوسط عن ابي
سعيد مرفوعا من شرب الما
على الريق انتقصت قوته وفيه
محمد بن مخلد الرعيني وهو
ضعيف صح

وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض
والبرك قطعا وان يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب وان يكون
مستعملا حال حرارته فلو برد زالت الكراهة في الاصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير
عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما قاله الجيلي وان يكون راس الانا
منسدا لتحبس الحرارة وفي شرح المهذب انها شرعية يثاب تاركها وقال
في شرح التنبيه اذا اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا
بالكراهة فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الاذي
حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي
في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكي الروياني في البحر عن النص **ذكر
الحمية من طعام البخلا** عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال طعام البخيل داء وطعام الاسخيا شفاء رواه التنيسي عن مالك في غير
الموطا كما ذكره عبد الحق في الاحكام **ذكر الحمية من دا الكسل**
روي ابو داود في المراسيل عن يونس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه راه
مضطجعا في الشمس قال يونس فنهاني وقال بلغني ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين **ذكر الحمية
من دا البواسير** عن الحسن قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يجامعن
احدكم وبه حقن خلا فانه يكون منه البواسير رواه ابو احمد الحاكم
**ذكر حمية الشراب من سم احد جناحي الذباب بانغماس
الثاني** عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال اذا وقع الذباب في انا احدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان في
احد جناحيه شفاء وفي الاخر داء وفي رواية ابي داود فانه يتقي بجناحه
الذي فيه الداء فليغمسه كله وفي رواية الطحاوي فانه يقدم السم ويؤخر
الشفاء وفي قوله كله رفع توهم المجاز في الاكتفا بالبعض قال شيخنا لم يقع
لي في شي من الطرق تعيين الجناح الذي فيه الشفا من غيره لكن ذكر بعض العلماء
انه تامله فوجده يتقي بجناحه الايسر فعرف ان الايمن هو الذي فيه الشفاء
واخرج ابو يعلي عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب اربعون ليلة
والذباب كله في النار الا النحل وسنده لا باس به قال الجاحظ كونه في النار
ليس تعذيبا له بل ليعذب اهل النار به ويتولد من العفونة ومن عجيب امره
ان رجيعه يقع علي الثوب الاسود ابيض وبالعكس واكثر ما يظهر في اماكن
العفونة مبدا خلقه منها ثم من التوالد وهو اكثر الطيور سفادا وربما
بقي عامة اليوم علي الانثي **وحكي** ان بعض الخلفاء سال الشافعي رضي الله
عنه لاي علة

عنه لاي علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكانت الحت عليه ذبابة
فقال الشافعي سالني ولم يكن عندي جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة
الحاصلة فرحمة الله عليه ورضوانه **ذكر امره صلي الله عليه وسلم بالحمية
من الوبا النازل في الانا بالليل بتغطيته** عن جابر قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم غطوا الانا واوكوا السقا فان في السنة ليلة ينزل فيها
وبا لا يمر باناء ليس عليه غطاء او سقا ليس عليه وكا الا نزل فيه من ذلك الوبا
رواه مسلم في صحيحه قيل وذلك في اخر شهور السنة الرومية **ذكر حمية الولد
من ارضاع الحمقا** روي ابو داود في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال
نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم ان تسترضع الحمقا فان اللبن يشبهه وعند ابن نشيه
حبيب يعدي وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير
الطباع وعند ابن حبيب ايضا مرفوعا انه نهي عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان اللبن ينزع لمن يسترضع **واما الحمية من البرد** فاشتهر
علي الالسنة اتقوا البرد فانه قتل ابا الدردا الحمي قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا اعرفه
فان كان واردا فيحتاج الي تاويل فان ابا الدردا عاش بعد النبي صلي الله عليه وسلم
دهرا انتهي **واما** ما اشتهر ايضا اصل كل دا البردة فقال شيخنا رواه ابو نعيم
والمستغفري معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن
نجيح عن الحسن البصري عن انس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين
ولابي نعيم ايضا من حديث ابن المبارك عن السايب بن عبد الله بن علي بن زخر عن ابن
عباس مرفوعا مثله وحديث عمرو بن الحارث عن دراج عن الهيثم عن ابي سعيد رفعه
اصل كل دا من البردة وقد قال الدارقطني عقب حديث انس
من علله عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو اشبه بالصواب وجعله
الزمخشري في الفايق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف
قال اهل اللغة رواه المحدثون يعني باسكان الرا والصواب البردة
يعني بالفتح وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة او لانها ثقيلة علي المعدة
بطية الذهاب من برد اذا ثبت وسكن وقد اورد ابو نعيم مضموما لهذا الحارث
حديث الحارث بن فضيل عن زياد بن ميناء عن ابي هريرة رفعه استدفئوا من الحر
والبرد وكذا اورد المستغفري مع ما عنده فيها حديث اصل كل دا البردة هما
ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون انتهي
الفصل الثاني في تعبيره صلي الله عليه وسلم الرويا يقال
عبرت الرويا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك
واما الرويا بوزن فعلي وقد تسهل الهمزة فهي ما يراه الشخص في منامه

قال القاضي ابو بكر بن العربي الرويا ادراكات يخلقها الله في قلب العبد على يدي
ملك او شيطان اما باسمايها اي حقيقتها واما بكناها اي بعبارتها واما تخليطا
وذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الى انها اعتقادات واحتج بان الرايي
قد يرى نفسه بهيمة او طايرا مثلا وليس هذا ادراكا فوجب ان يكون
اعتقادا لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول
اولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من قبيل المثل فالادراك
انما يتعلق به لا باصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس
في حقيقة الرويا وقال فيها غير الاسلاميين اقاويل كثيرة منكرة
لانهم حاولوا الوقوف على حقايق لا تدرك بالعقل ولا تقوم عليها برهان
وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت اقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب
جميع الرويا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم راي انه يسبح في الماء
ونحو ذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفرا راى النيران
والصعود في الجو وهكذا الى اخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان
يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع
في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الى الفلاسفة يقول ان صور ما يجري
في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النفوس منها انتقش
فيها قال وهذا اشد فسادا من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش
من صفات الاجسام واكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض
لا تنتقش فيها قال والصحيح ما عليه اهل السنة ان الله تعالى يخلق في النايم اعتقادات
كما يخلقها في اليقظان فاذا خلقها فكانه جعلها علما على امور اخرى يخلقها في ثاني
الحال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره ان الله
تعالى خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة
بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضر
والعلم عند الله واخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان
عن سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه قال لقي عمر عليا فقال يا ابا الحسن الرجل
يرى الرويا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من عبد ولا امة ينام فيمتلي نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي
لا يستيقظ دون العرش فتلك الرويا التي تصدق والذي يستيقظ دون
العرش فتلك الرويا التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث
منكر ولم يصححه المولف وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو ان رويا المومن
كلام يكلمه ربه في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من حديث

عبادة بن الصامت

عبادة بن الصامت اخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه
عمر بن ابي عمر وهو واه في مسنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير
عن عبادة قال الحكيم قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب قال الا وحيا او من وراء حجاب اي في المنام ورويا الانبيا
وحي بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس بخلاف رويا غير الانبيا
فانها قد يحضرها الشيطان وقال الحكيم ايضا وكل الله بالرويا ملكا اطلع على احوال
بني ادم من اللوح المحفوظ فينسخ منها ويضرب لكل على قصته مثلا فاذا نام
مثل له تلك الاشيا على طريق الحكمة ليكون له بشرى او نذارا او معاتبة والادمي
قد تسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما وهو يكيده بكل وجه ويريد
افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه روياه اما بتغليطه فيها او بغفلته عنها
وفي البخاري من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرويا الحسنة
من الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والمراد غالب
رويا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة تمكن
الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلط الشيطان
عليهم وقد استشكل كون الرويا جزءا من النبوة مع ان النبوة
قد انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم واجيب بان الرويا ان وقعت
منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من اجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير
النبي فهي جزء من اجزاء النبوة على سبيل المجاز وقيل المعنى انها جزء من علم النبوة
لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق وتعقب بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر
انه سيل ايعبر الرويا كل احد فقال ابالنبوة يلعب ثم قال الرويا جزء
من النبوة واجيب بانه لم يرد انها نبوة باقية وانما اراد انها لما اشبهت
النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي ان يتكلم فيها بغير علم فليس المراد
ان الرويا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه الرويا بالنبوة وجزء
الشي لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال اشهد ان لا اله الا الله رافعا
صوته لا يسمى موذنا وفي حديث ام كرز الكعبية عند احمد وصححه
ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعند احمد
من حديث عايشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات الا الرويا وفي حديث ابن
عباس عند مسلم وابي داود انه عليه الصلاة والسلام كشف الستارة وراسه
معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف ابي بكر فقال يا ايها الناس
انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له
والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من الرويا ما يكون منذرة

وهي صادقة يريها الله للمؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه وقوله من الرجل
لا مفهوم له فان المراة الصالحة كذلك وحكى ابن بطال الاتفاق عليه
وقوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وكذا في اكثر الاحاديث وروى
مسلم من حديث ابي هريرة جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة وعنده ايضا
من حديث ابن عمر جزء من سبعين جزءا وعند الطبري جزء من ستة وسبعين
وسنده ضعيف وعند ابن عبد البر من طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت
عن انس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم للنووي
وفي رواية عبادة اربعة وعشرين والذي تحصل من الروايات عشرة اقلها
ما عند النووي واكثرها من ستة وسبعين واضربنا عن باقيها
خوف الاطالة قال القاضي ابو بكر بن العربي اجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها
الا ملك او نبي وانما القدر الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم ان الرؤيا
جزء من اجزاء النبوة في الجملة لان فيها اطلاعا على الغيب من وجه واما تفصيل
النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازري لا يلزم العالم ان
يعرف كل شي جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده فمنه ما يعلم
المراد به جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل
وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وابدى لها مناسبة فنقل ابن بطال
عن ابي سعيد السفاقسي ان بعض اهل العلم ذكر ان الله تعالى اوحى الى نبيه في
المنام ستة اشهر ثم اوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها
الى الوحي في المنام جزء من ستة واربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين
سنة على الصحيح قال ابن بطال هذا التاويل بعيد من وجهين احدهما انه
قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني انه
يبقى حديث السبعين جزءا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه
المسئلة سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض اهل العلم يقول في تاويل هذا
العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك انه عليه الصلاة والسلام اقام بعد الوحي
ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة اشهر وهي نصف سنة فهي جزء
من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الخطابي وهذا وان كان وجها يحتمله
قسمة الحساب والعدد فاول ما يجب على من قاله ان يثبت ما ادعاه خبرا ولم
يسمع فيه اثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكانه قاله على سبيل الظن والظن
لا يغني من الحق شيئا وليس كل ما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كاعداد الركعات
وايام الصيام ورمي الجمار فانا لا نصل من علمها الى امر يوجب حصرها تحت اعدادها
ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للزومها وقد ذكروا في المناسبات

غير ذلك

غير ذلك مما يطول ذكره وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اصدق
الرؤيا بالاسحار رواه الدارمي وروى مسلم من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب
واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان
قولان احدهما ان يكون معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار وهو وقت استوائهما
ايام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبائع الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون اصدق
الرؤيا ما كان وقت اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار والثاني ان اقتراب
الزمان انتهاء مدته اذا دنا قيام الساعة وتعقب الاول بانه يبعد التقييد
بالمؤمن فان الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به وجزم ابن بطال بان الثاني
هو الصواب واستند الى ما اخرجه الترمذي من طريق معمر عن ايوب في هذا الحديث
بلفظ في اخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي
عند بسط العدل وكثرة الامن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر
لاستلذاذه فيتقارب اطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله اعلم
باخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة الباقية مع عيسى بن مريم عليهما
السلام بعد قتله الدجال فاهل هذا الزمان احسن الامة حالا بعد الصدر الاول
واصدقهم اقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا وانما كان كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوي ادراكه
فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب احواله الصدق في يقظته
استصحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه
يفسد قلبه ويظلم فلا يرى الا تخليطا واضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق
ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب ما تقدم انتهى ملخصا وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راى احدكم الرؤيا يحبها فانما هي
من الله فليحمد الله عليها وليتحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من
الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وفي رواية
مسلم والرؤيا السوء من الشيطان فمن راى رؤيا فكره منها شيئا فلينفث
عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها احدا فان راى رؤيا
حسنة فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح التحتانية
وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى وفي حديث ابي رزين عنده
الترمذي ولا يقصها الا على وادّ بتشديد الدال اسم فاعل من الود
او ذي راي وفي اخرى ولا يحدث بها الا لبيبا او حبيبا وفي اخرى لا تقص
رؤياك الا على عالم او ناصح وفي حديث ابي سعيد عند مسلم فليحمد الله

ولا يحدث بها وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا ثلاثة أشياء أن يحمد الله عليها وان
يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا
المكروهة أربعة أشياء أن يتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان ويتفل حين يهب
من نومه ولا يذكرها لأحد أصلا **وفي البخاري** من حديث أبي هريرة خامسة وهي الصلاة
ولفظه فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله
وصرح به مسلم وزاد مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن
جابر ورفعه إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من
الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه **قال النووي** وينبغي أن يجمع
هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها
كما صرحت به الأحاديث وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم ير في شيء من الأحاديث الاقتصار
على واحد ثم قال لكن أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية في دفع ضررها انتهى ولا
ريب أن الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لأنه إذا قام يصلي تحول عن جنبه
وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب
الأحوال إليه فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر
لذلك مستندا فإن أخذ من عموم قوله في حديث أبي هريرة ولا يقربك الشيطان
فيتجه قال وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة وحكمة التفل كما قال القاضي عياض
أمر به طرد الشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا وخصت
به اليسار لأنها محل الأقذار والتثليث للتأكيد وقد ورد التفل والنفث
والبصق قال النووي في الكلام والتثليث للتأكيد وقد ورد على النفث في الرقية
تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان إلا
وقال أبو عبيدة يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث وقيل عكسه
وسئلت عائشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه
قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد قال وقد جاء في حديث
أبي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي عياض وفائدة
التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفث المباشر للرقية المقارن
للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء قال النووي
أيضا وأكثر الروايات في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون
التفل والبصق محمولين عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن المطلوب
في الموضعين مختلف لأن المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم فالذي
يجمع الثلاثة الحمل على التفل فإنه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر إلى النفخ قيل له نفث وبالنظر
إلى الريق قيل بصق وأما قوله فإنها لا تضره فمعناه كما قاله النووي أن الله تعالى
له

قوله المطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره كما نقله عياض كما تقدم

جعل ما ذكر سببا

الثاني عشر من الجزء الثاني من المواهب اللدنية

جعل ما ذكر سببا للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال
وأما التحول فللتفاؤل بتحول تلك الحال التي كان عليها والحكمة في قوله في الرؤيا الحسنة
ولا يخبر بها إلا من يحب لأنه إذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضا وإما
حسدا فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فأمر بترك تحديث
من لا يحب لسبب ذلك وفيما روي من حديث أنس مرفوعا الرؤيا لأول عابر وهو حديث ضعيف
فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه
الحاكم عن أبي رزين العقيلي رفعه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت
وعند الدارمي بسند حسن عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امرأة من أهل المدينة
لها زوج تاجر يختلف في التجارة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي غائب
وتركني حاملا فرأيت في المنام أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاما أعور فقال خير
يرجع زوجك إن شاء الله تعالى سالما وتلدين غلاما بارا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب فسألتها فأخبرتني بالمنام فقلت لها لئن صدقت
رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكي فجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال مه يا عائشة إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فإن الرؤيا تكون
على ما يعبرها صاحبها **وعند سعيد بن منصور** من مرسل عطاء بن أبي رباح قال
جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني رأيت كأن جائز بيتي انكسر
وكان زوجها غائبا فقال رد الله زوجك عليك فرجع سالما الحديث قال أبو عبيدة وغيره
معنى قوله الرؤيا لأول عابر إذا كان العابر الأول عالما فعبر وأصاب وجه التعبير
وإلا فهي لمن أصاب بعده إذ ليس المدار إلا على إصابة الصواب في تعبير المنام ليتوصل
بذلك إلى مراد الله تعالى فيما ضربه من المثل فإن أصاب فلا يسأل غيره وإن لم يصب فليسأل ينبغي ان صح
الثاني وعليه أن يخبر بما عنده ويبين ما جهل الأول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره
ومن آداب المعبر ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر أنه كتب إلى أبي موسى فإذا رأى أحدكم
رؤيا فقصها على أخيه فليقل خيرا لنا وشرا لأعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده
منقطع **وفي حديث** ابن زمل عند الطبراني والبيهقي في الدلائل لما قص على النبي صلى الله
عليه وسلم رؤيا فقال صلى الله عليه وسلم خير تلقاه وشر تتوقاه وخير لنا وشر على أعدائنا
والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك الحديث وسنده ضعيف جدا أو باطل إن شاء الله تعالى
ومن آداب المعبر أن لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال
ولا في الليل وأن لا يقصها على امرأة لكن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الغداة
يقول هل رأى أحد الليلة رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص ويعبر لهم ما يقصونه
وبوب عليه البخاري باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه إشارة إلى
ضعف ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم قال

لا تقصص رؤياك على امراة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيها اشارة الى الرد على من قال من
اهل التعبير ان المستحب ان يكون التعبير من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن العصر الى قبل المغرب
فان الحديث دال على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس ولا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في اوقات
كراهة الصلاة **قال المهلب** تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح اولى من غيره من الاوقات لحفظ
صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله
بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر
بالخير ويحذر من الشر ويتاهب لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف
عنها وربما كانت انذار الامر فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا اول النهار
قاله في فتح الباري **وذكر ائمة التعبير** ان من اداب الرائي ان يكون صادق اللهجة
وان ينام على وضوء على جنبه الايمن وان يقرا عند نومه والشمس والليل والتين وسورة
الاخلاص والمعوذتين ويقول اللهم اني اعوذ بك من سيئ الاحلام واستجير بك من تلاعب
الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني اسالك رؤيا صادقة صالحة نافعة حافظة غير
منسية اللهم اريني في منامي ما احب وان لا يقصها على عدو ولا جاهل والله اعلم هذا واعلم
ان جميع المرائي تنحصر في قسمين اضغاث احلام وهي لا تنذر بشيء وهي انواع
الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى انه قطع راسه وهو
يتبعه او راى انه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك **وروى مسلم** عن جابر
جاء اعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت ان راسي قطع فانا اتبعه فزجره صلى الله عليه وسلم
وقال لا تخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام **الثاني** ان يرى ان بعض الملائكة تامره
ان يفعل المحرمات مثلا ونحوه من المحال عقلا **الثالث** ما يحدث به نفسه في اليقظة
او يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت عادته في اليقظة او ما يغلب على مزاجه
ويقع على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعلى الماضي قليلا **القسم الثاني** الرؤيا
الصادقة وهي رؤيا الانبياء ومن تبعهم من الصالحين وقد يقع لغيرهم بندور وهي التي تقع
في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم وقد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا
الصادقة التي كفلق الصبح ما لا يعد ولا يحد قالت عائشة اول ما بدي به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل
فلق الصبح الحديث رواه البخاري **وفي رواية** الرؤيا الصالحة وهما معنى واحد
بالنسبة الى امور الاخرة في حق الانبياء واما بالنسبة الى امور الدنيا فالصالحة في الاصل اخص
فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة
بالنسبة الى الدنيا كما وقع في الرؤيا يوم احد فانه صلى الله عليه وسلم راى بقرا
تذبح وراى في سيفه ثلما فاول البقر ما اصاب الصحابة يوم احد والثلم
الذي في سيفه برجل من اهل بيته فقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك

النصر والفتح

النصر والفتح على الخلق اجمعين **واما رؤيا غير الانبياء** فبينها عموم وخصوص ان فسرنا
الصادقة بانها التي لا تحتاج الى تفسير واما ان فسرناها بانها غير الاضغاث فالصالحة اخص
مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري الرؤيا الصادقة
ما تقع بعينه وانما ما يعبر في المنام او يخبر به من لا يكذب والصالحة ما فسر **واعلم ان**
الناس في الرؤيا على ثلاث درجات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها
صدق وقد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير والصالحون والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها
ما لا يحتاج الى تعبير ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلاثة اقسام
مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة والغالب في رؤياهم الاضغاث ويقل
فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير الى ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم واصدقهم رؤيا اصدقهم حديثا اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة **وقد**
وقعت الرؤيا الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه الصلاة
والسلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك **وقد** روى الامام احمد مرفوعا وصححه ابن حبان
من حديث ابي سعيد اصدق الرؤيا بالاسحار وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري
ان الرؤيا اول الليل يبطئ تاويلها من النصف الثاني ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت
اجزاء الليل وان اسرعها تاويلا رؤيا السحر ولا سيما عند طلوع الفجر **وعن جعفر**
الصادق اسرعها تاويلا رؤيا القيلولة **وعن محمد بن سيرين** رؤيا النهار
مثل الليل والنساء كالرجال **وعن القيرواني** ان المراة اذا رات ما ليس لها
له اهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما ان رؤيا الطفل لابويه **ومن مرائيه**
الكريمة صلى الله عليه وسلم شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند البخاري
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا انا نائم اتيت بقدح لبن
فشربت منه حتى اني لارى الري يخرج في اظفاري **وفي** رواية صالح بن كيسان
من اطرافي وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصرية ويحتمل ان تكون علمية ويؤيد
الاول ما اخرجه الحاكم والطبراني من طريق ابي بكر بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده في هذا الحديث
فشربت حتى رايته يجري في عروقي بين الجلد واللحم على انه محتمل ايضا **قال** بعض العارفين
الذي خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على ان يخلق المعرفة من بين شك وجهل
وهو كما قال لكن اطردت العادة بان العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة
فيكون من باب الكرامة **وقال العارف** ابن ابي جمرة تاول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن
بالعلم اعتبارا بما بين له اول الامر حين اتي بقدح خمر وقدح لبن فاخذ اللبن
فقال له جبريل اخذت الفطرة انتهى **وقد جاء** في بعض الاحاديث المرفوعة تاويله
بالفطرة كما اخرجه البزار من حديث ابي هريرة رفعه اللبن في المنام فطرة **وذكر**
الدينوري ان اللبن المذكور فهذا مختص بلبن الابل وانه لشاربه مال حلال

ثم اعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما اولته يا رسول الله قال العلم وفي رواية الكشميهني من الظاهري صح صح

قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة ايضا ولبن الشاة مال
وسرور وصحة في الجسم والبان الوحش شك في الدين والبان السباع غير
محمودة الا ان لبن اللبوة مال مع عداوة لذي امر وفي الحديث ان علم النبي
صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ احد درجته فيه لانه شرب حتى راي الري
يخرج من اطرافه واما اعطاوه فضله عمر ففيه اشارة الى ما حصل لعمر من العلم
بالله بحيث كان لا ياخذه في الله لومة لايم ووجه التعبير في الحديث
بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح
فاللبن للغذا البدني والعلم للغذا المعنوي ومن ذلك رويته صلى الله
عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين عن ابي سعيد الخدري رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نايم رايت الناس
يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ
دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا اما اولته
يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي
الحكيم من طريق اخري في هذا الحديث فقال ابو بكر على ما اولته
يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد اليا
جمع ثدي بالفتح والمعني ان القميص قصير جدا بحيث لا يصل من الحلق الى
نحو السرة بل فوقها وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل ان يريد به من
جهة السفل وهو الظاهر فيكون اطول ويحتمل ان يكون دونه من جهة
العلو فيكون اقصر ويويد الاول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة
فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبته ومنهم
من كان قميصه الى انصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين
والتقدير اولت ويجوز الرفع وفي رواية الحكيم المذكورة على الايمان
وقيل في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر
العورة في الدنيا والدين يسترها في الاخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل
فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير واتفق اهل التعبير على ان
القميص يعبر بالدين وان طوله يدل على بقا اثار صاحبه من بعده
وقال ابن العربي انما اول النبي صلى الله عليه وسلم القميص
بالدين لان الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة البدن
قال واما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه
عن الكفر ولو كان يتعاطى المعاصي والذي كان يبلغ اسفل من ذلك
وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي الى المعصية والذي يستر

رجله عن المشي

رجله عن المشي الى المعصية هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه
والذي يجر قميصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص واشار ابن ابي
جمرة الى ان المراد بالناس في هذا الحديث المومنين لتاويله القميص
بالدين قال والذي يظهر ان المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل بعضها
والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب
المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويوخذ من الحديث
ان كل ما يرى من القميص من حسن او غيره فانه يعبر بدين لابسه قال
والنكتة في القميص ان لابسه اذا اختار نزعه واذا اختار ابقاه فلما
البس الله المومنين لباس الايمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك
سابغ الثوب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب
نقص الايمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث ان اهل الدين
يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من
امثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا اعني جر القميص لما ورد
من الوعيد في تطويله ومن ذلك رويته عليه الصلاة والسلام
السوارين الذهب في يده الشريفة وتعبيرهما بالكذابين روي
البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سالت عبد الله بن عباس
رضي الله تعالى عنهما عن رويا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرها
فقال ابن عباس ذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا
نايم رايت انه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما
فاذن لي فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله احدهما
العنسي الذي قتله فيروز باليمن والاخر مسيلمة وفي رواية ابي هريرة
عند الشيخين بينما انا نايم اذ اتيت خزاين الارض فوضع في يدي
سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما
فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة
قال المهلب هذه الرويا ليست على وجهها وانما هي ضرب من المثل
وانما اول النبي صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لان الكذب
وضع الشي في غير موضعه فلما راى في ذراعه سوارين من ذهب
وليسا من لبسه لانهما من حلية النسا عرف انه سيظهر من يدعي ما ليس
له وايضا ففي كونهما من ذهب والذهب منهي عن لبسه دليل على
الكذب وايضا فالذهب مشتق من الذهاب فعلم انه شي يذهب
عنه وتاكد ذلك بالاذن له في نفخهما فطارا فعرف انه لا يثبت

لهما امر وان كلامه بالوحي الذي جاء به يزيلهما عن موضعهما وقال ابن
العربي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان امر مسيلمة
والعنسي فاول الرؤيا عليهما ليكون ذلك اخراجا للمنام عليهما
فان الرؤيا اذا عبرت خرجت ويحتمل ان يكون بوحي والمراد بخزاين
الارض التي ذكرها ما فتح على امته من الغنايم ومن ذخاير كسري
وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الارض التي فيها الذهب والفضة
وقال القرطبي انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النسا
ومما حرم على الرجال وفي طيرانهما اشارة الى اضمحلال امرهما
ومناسبة هذا التاويل لهذه الرويا ان اهل صنعا واهل اليمامة كانوا
اسلموا فكانوا كالساعدين للاسلام فلما ظهر فيهما الكذابان وبهرجا
على اهلهما بزخرف اقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع اكثرهم بذلك
فكان اليدين بمنزلة البلدين والسواران بمنزلة الكذابين وكونهما
من ذهب اشارة الى ما زخرفاه والزخرف من اسما الذهب وقال اهل
التعبير من راي انه يطير فان كان الى جهة السما بغير تعريج ناله ضرر وان
غاب في السما ولم يرجع مات وان رجع افاق من مرضه وان كان يطير عرضا
سافر ونال رفعة بقدر طيرانه ومن ذلك رويته عليه الصلاة والسلام
المراة السودا الثايرة الراس وتعبيرها بنقل وبا المدينة الى
الجحفة روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت امراة سودا ثايرة الراس خرجت من المدينة حتى قامت
بمهيعة وهي الجحفة فاولت وبا المدينة نقل اليها وهذا من قسم الرويا
المعبرة وهي مما ضرب به المثل ووجه التمثيل انه شق من اسم
السودا السوء والدا فتاول خروجها بما جمع اسمها وتاول من ثوران
شعر راسها ان الذي يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيرواني
كل شي غلبت عليه السودا في اكثر وجوهها فهو مكروه وقال
غيره ثوران الراس يؤول بالحمى لانها تثير البدن بالاقشعرار
وبارتفاع الراس لا سيما من السودا فانها اكثر استيحاشا ومن
ذلك رويته عليه الصلاة والسلام انه في درع حصينة وبقر تنحر
وتعبير ذلك عن ابي موسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت في المنام
اني اهاجر من مكة الى ارض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة او هجر فاذا هي
المدينة يثرب ورايت فيها بقرا والله خير فاذا هم النفر من المومنين
يوم احد واذا الخير ما جا الله به من الخير وثواب الصدق بعد

الذي اتانا

ذلك ان ع

الذي اتانا بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروي الامام احمد وغيره عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت كاني في درع حصينة ورايت بقرا تنحر
فاولت الدرع الحصينة المدينة والبقر بقرا وهذه الحديث اللفظة الاخيرة
وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا
الحديث سبب جاء بيانه في حديث ابن عباس عند احمد ايضا والنسايي والطبراني
وصححه الحاكم من طريق ابي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس
في قصة احد واشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ان لا يبرحوا من المدينة وايثارهم
الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى
الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل وفيه اني
رايت اني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر واتم منه وقد تقدمت
الاشارة اليه في غزوة احد من المقصد الاول والمراد بقوله واذا الخير
ما جا الله به من الخير وثواب الصدق الذي اتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر
ثم مكة اي ما جا الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المومنين قال في
فتح الباري وفي هذا السياق اشعار بان قوله في الخبر والله خير من
جملة الرويا قال والذي يظهر لي ان لفظة والله خير لم يتحرر لي ايراده
وان رواية اسحاق هي المحررة وانه راي بقرا وراي خيرا فاول البقر على
من قتل من الصحابة يوم احد واول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق
في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده الى فتح مكة والمراد بالبعدية
على هذا لا يختص بما بين بدر واحد نبه عليه ابن بطال ومن ذلك
رويته صلى الله عليه وسلم انه اتي برطب روي مسلم عن انس
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رايت الليلة فيما يري النايم
كانا في دار عقبة بن رافع واتينا برطب من رطب ابن طاب فاولته ان
الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الاخرة وان ديننا قد طاب ومن ذلك رويته
صلى الله عليه وسلم سيفا هزه وتعبيره ما روى في حديث ابي موسى
المتقدم انه صلى الله عليه وسلم قال ورايت في رويای هذه اني هززت
سيفا فانقطع صدره فاذا هو ما اصيب به المومنون يوم احد ثم هززته
اخرى فعاد احسن ما كان فاذا هو ما جا الله به من الفتح واجتماع المومنين
رواه الشيخان وهذه ايضا من ضرب المثل ولما كان النبي صلى
الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن امره
لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفي الهزة الاخرى لما عاد الى حالته
من الاستوا عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال اهل التعبير

ابن حجر

بلغ

السيف يصرف على اوجه منها ان من نال سيفا فانه ينال سلطانا اما
ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده فانثلم
سلمت زوجته واصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس
وان سلما او عطبا فكذلك وقايم السيف يتعلق بالاب والعصبات
ونعله بالام وذوي الرحم وان جرد السيف واراد قتل شخص فهو لسانه يجرده
في خصومة وربما عبر السيف بسلطان جابر وقال بعض اهل التعبير
ايضا من راى انه اغمد سيفا فانه يتزوج او ضرب شخصا بسيف فانه يبسط
لسانه فيه ومن راى انه يقاتل شخصا وسيفه اطول من سيفه فانه يغلبه
ومن راى سيفا عظيما فلتوقع فتنة ومن قلد سيفا قلد امرا فان كان قصيرا لم يدم
امره **ومن ذلك رويته عليه الصلاة والسلام على قليب** عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم رايتني على قليب
وعليها دلو فنزعت منها ما شا الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع منها
ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا
فاخذها عمر بن الخطاب فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب
حتى ضرب الناس بعطن وعبقري القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفي
رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفي روايه فاتاني ابو بكر
فاخذ الدلو من يدي ليريحني وفي رواية موسى عن سالم عن ابيه رايت الناس
اجتمعوا فقام ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له
ثم قام ابن الخطاب فاستحالت غربا فما رايت من الناس يفري فريه
حتى ضرب الناس بعطن رواه البخاري قال النووي قالوا هذا
المنام مثال جرى للخليفتين من ظهور اثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما
وكل ذلك ماخوذ من النبي صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به اكمل
مقام وقرر قواعد الدين ثم خلفه ابو بكر فقاتل اهل الردة وقطع دابرهم
ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام في زمنه فشبه امر المسلمين بقليب فيه الماء الذي
فيه حياتهم وصلاحهم واميرهم بالمستقي لهم منه وقال في قوله فاخذ
الدلو من يدي ليريحني اشارة الى خلافة ابي بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم
لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام ابو بكر بتدبير امر الامة ومعاناة
احوالهم واما قوله وفي نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله في قصر مدة ولايته
واما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دايرة الاسلام
بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس في قوله عليه
الصلاة والسلام ويغفر الله له نقص ولا اشارة الى انه وقع منه ذنب

والنمايي كلمة

وانما يي كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت في يده غربا اي تحولت
الدلو غربا بالفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة اي دلوا عظيما واخرج
احمد وابو داود عن سمرة بن جندب ان رجلا قال يا رسول الله كان دلوا اعظيما
دلي من السما فجا ابو بكر فاخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جا عمر فاخذ بعراقيها
فشرب حتى تضلع ثم جا عثمان فاخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فانتشطت
وانتضح عليه منها شي والعراقي جمع عرقوة الدلو وهي الخشبة المعروضة على فم
الدلو وهما عرقوتان كالصليب وقد عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها
وانتشطت اي جذبت ورفعت فهذه نبذة من مراييه الكريمة صلى الله عليه
وسلم مع تعبيرها **واما تعبيره ما راه غيره** فعبره صلى الله عليه وسلم له
مما يخص ويعم من امور الدنيا والاخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من
صلاة الصبح اقبل على اصحابه فقال من راى منكم الليلة رويا فليقصها علي
اعبرها له فيقص الناس عليه مراييهم **وروي** البخاري والترمذي
عن سمرة بن جندب قال كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول لاصحابه
هل راى احد منكم رويا فيقص عليه الناس عليه ما شا ان يقص وانه قال ذات
غداة هل راى احد منكم رويا فقالوا ما منا احد راى شيا قال لكني اتاني الليلة
اتيان وانهما ابتعثاني فقالا لي انطلق فانطلقت فاتينا على رجل مضطجع
واذا اخر قايم عليه بصخره واذا هو يهوي بالصخره لراسه فيثلغ راسه الحديث
واقام عليه الصلاة والسلام يسال اصحابه هل راى منكم الليلة احد رويا
ما شا الله ثم ترك السوال فكان يعبر لمن قص متبرعا به واختلف النقلة في
سبب تركه السوال فقيل سبب ذلك عند الترمذي وابي داود انه صلى الله
عليه وسلم قال ذات يوم من راى منكم رويا فقال رجل يا رسول الله رايت كان ميزانا
نزل من السما فوزنت انت وابو بكر فرجحت انت بابي بكر ووزن ابو بكر وعمر فرجح ابو
بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فراينا الكراهة في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتمي قالوا فمن حينيذ لم يسال النبي صلى الله عليه وسلم احدا عن رويا
قال بعضهم وسبب كراهته عليه الصلاة والسلام ايثاره لستر العواقب واخفاء
المراتب فلما كانت هذه الرويا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في
التعيين خشي ان يتواتر ويتوالى الى ما هو ابلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه
حكمة بالغة ومشية نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكر ابن المنير سبب تركه للسوال
حديث ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم
وهو ثان رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر الله انه كان توابا سبعين مرة ثم يقول
سبعون بسبعماية لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم اكثر من سبعماية ثم يستقبل الناس

بوجهه فيقول هل راى احد منكم شيا قال ابن زمل فقلت ذات يوم انا يا رسول الله
قال خير تلقاه وشر توقاه وخير لنا وشر لاعدائنا والحمد لله رب العالمين
اقصص رؤياك قال رايت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس
على الجادة منطلقون فبينما هم كذلك اشتفا ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عين
مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من انواع الكلا فكاني بالرعلة الاولى حين اشرفوا
على المرج كبروا ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فلم يضلوه يمينا ولا شمالا ثم جاءت
الرعلة الثانية من بعدهم وهم اكثر منهم اضعافا فلما اشفوا على المرج كبروا
ثم اكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الاخذ بالضغث ومضوا على ذلك
قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل
فمالوا في المرج يمينا وشمالا فلما رايت ذلك لزمت الطريق حتى اتيت اقصا المرج فاذا انا المرج
بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وانت في اعلاها درجة واذا عن يمينك رجل
اقنى ادم اذا هو تكلم يسمو يكاد يفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة
تار احمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم اصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك
شيخ كانكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفا شارف واذا انت كانك
تبعثها يا رسول الله فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري قال
عنه فقال اما ما رايت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم
عليه من الهدى فانتم عليه واما المرج الذي رايت فالدنيا وغضارة عيشها لم نتعلق
بها ولم تردنا ولم نردها واما الرعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه
راجعون واما انت فعلى طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني واما المنبر فالدنيا
سبعة الاف سنة انا في اخرها الفا واما الرجل الطويل الادم فذلك موسى نكرمه بفضل
كلام الله اياه واما الرجل الربعة الاحمر فذلك عيسى عليه السلام نكرمه بفضل منزلته
من الله واما الشيخ الذي رايت نقتدي به فذلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم واما الناقة
العجفا الشارف التي رايتني ابعثها فهي الساعة علينا اي على الامة تقوم لا نبي بعدي
ولا امة بعد امتي قال الراوي فما سال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا
احدا عن رؤيا الا ان يجي الرجل متبرعا فيحدثه بها رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي
في الدلايل وسنده ضعيف جدا ومن غرايب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير
ان زرارة بن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يا رسول
الله اني رايت في طريقي هذا رؤيا رايت اتانا تركتها في الحي ولدت جديا اسفع احوى
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من امة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت امة
اظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما باله اسفع احوى قال ادن مني
فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما راه مخلوق ولا علم به

قال فهو ذاك

قال فهو ذاك قال ورايت النعمان بن المنذر وعليه قرطان ودملجان
ومسكتان قال ذاك ملك العرب رجع الى افضل زيه وبهجته قال عاد
ورايت عجوزا شمطا تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورايت نارا خرجت
من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورايتها تقول لظى لظى بصير واعمى
اكلكم اكلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في اخر
الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال يقتل الناس امامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق
الراس وخالف صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسي انه محسن ودم المومن
عند المومن احلى من شرب الما البارد فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة
المحشو بحلاوة الحق المكسو بطلاوة الصدق المجلو بانوار الوحي والاسفع الذي
اصاب جسده لون اخر والاحوى الاسود الذي ليس بالشديد والمسكتان السواران
من ذهب واطباق الراس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت
تعبيره عليه الصلاة والسلام بالسوارين هنا يرجع الى بشرى وعبر بهما بالكذابين فيما مر
اجيب بان النعمان بن المنذر كان ملك العرب وكان مملكا من جهة الاكاسرة
وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي النعمان فليسا بمنكرين
في حقه ولا موضوعين في غير موضعهما عرفا واما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن لباس
الذهب لاحاد امته فجدير ان يهمه ذلك لانه ليس من زيه فاستدل به على امر
يوضع في غير موضعه ولكن حمدت العاقبة بذهابهما ولله الحمد ومن ذلك ما روي
عن قيس بن عباد بضم العين وتخفيف الموحدة كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن
عمر فمر عبد الله بن سلام فقالوا هذا رجل من اهل الجنة فقلت له انهم قالوا كذا وكذا قال
سبحان الله ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم انما رايت كان عمودا وضع في روضة
خضرا فنصب فيها وفي راسها عروة وفي اسفلها منصف والمنصف الوصيف فقال ارقه
فرقيته حتى اخذت بالعروة فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت عبد الله وهو فقال ع
اخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري وفي رواية خرشة بينما انا نايم اتاني
رجل فقال لي قم فاخذ بيدي فانطلقت معه فاذا انا بجواد بجيم ودال مشددة جمع جادة
وهي الطريق المسلوك عن شمالي قال فاخذت لاخذ فيها اي اسير فقال لا تاخذ فيها فانها طريق
اصحاب الشمال وفي رواية النسائي من طريقه فبينما انا امشي اذ عرض لي طرق
عن شمالي فاردت ان اسلكها فقال انك لست من اهلها وفي رواية مسلم فاذا منهج على
يميني فقال لي خذ ها هنا فاتى بي جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت اذا اردت ان اصعد
خررت حتى فعلت ذلك مرارا وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة
الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام
حتى تموت وفي رواية خرشة عند النسائي وابن ماجة قال رايت خيرا

العروة

اما المنهج فالمحشر واما الجبل فهو منزل الشهداء ازاد مسلم ولن تناله وهذا اعلم من اعلام
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فان عبد الله بن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في اول
خلافة معاوية وقولهم انه من اهل الجنة ماخوذ من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست
من اهلها وانما قال ما كان ينبغي لهم ان يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهية
ان يشار اليه بالاصابع خشية ان يدخله العجب عافانا الله من سائر المكاره وقال
القيرواني الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها وتعبر
ايضا بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك انتهى وقال
غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهولة تدل لمن تمسك بها على قوته في دينه
واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري عن ام العلاء وهي امراة من نسائهم
بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت لعثمان بن مظعون بعد موته في النوم
عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله
يجري له وقد قيل يحتمل انه كان لعثمان شيء من عمله بقي له ثوابه جاريا كالصدقة وانكره
مغلطاي وقال لم يكن له شيء من الامور الثلاثة التي ذكرها مسلم في حديث ابي هريرة
رفعه اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بانه كان
له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو السايب مات في خلافة ابي بكر فهو احد
الثلاث قال وقد كان عثمان من الاغنياء ولا يبعد ان يكون له صدقة استمرت بعد
موته وقال المهلب العين الجارية تحتمل وجوها فان كان ماؤها صافيا عبرت
بالعمل الصالح والا فلا وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة او معروف لحي او
ميت وقال اخر عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ امنية ان كان صاحبها مستورا
فان كان غير عفيف اصابته مصيبة يبكي لها اهل داره والله اعلم فهذا طرف من تعبيره
عليه الصلاة والسلام تهدي الى غيره مما يشابهه والا فالذي نقل عنه صلى الله عليه
وسلم من غرايب التاويل ولطايف التعبير كما قاله ابن المنير لا تحصره المجلدات
وانت اذا تاملت ان كل كرامة او تبيها لواحد من هذه الامة في علم او عمل هي من اثار
معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وسر تصديقه وبركات طريقه وثمرات الاهتدا بهديه
وتوفيقه ولو استحضرت ما اوتيه الامام محمد بن سيرين من لطايف التعبير مما شاع
وذاع وامتلات به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا عجبا بل عجبا عجابا ايقنت
بان ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا تدرك
حقيقة كنهه الاشارات واذا كان ابن سيرين هذا واحدا من امته عليه الصلاة والسلام
نقل عنه في فن التعبير ما لا يعد لكثرته فكيف به صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا
لديه

الفصل الثالث في انبايه صلى الله عليه وسلم بالانباء المغيبات

اعلم ان علم الغيب مختص بالله تعالى وما وقع منه على لسان رسوله

صلى الله عليه وسلم

له ح بالمدينة

صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحي او بالهام والشاهد لهذا قوله تعالى
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ليكون معجزة له واستدل
به على ابطال الكرامات واجيب بتخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسطه
وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تارة بالملايكة كاطلاعنا على احوال الاخرة
بتوسط الانبيا وفي حديث ان انه عليه الصلاة والسلام قال والله اني لا اعلم الا ما علمني
ربي فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانبا المنبية عن الغيوب ليس هو الا من
اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته ودلايل على صدق رسالته وقد اشتهر وانتشر
امره عليه الصلاة والسلام بين اصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان احدهم ليقول
لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحا ويشهد لهذا قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... اذا انشق معروف من الصبح ساطع
ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غايب ... فتصديقها في ضحوة اليوم او في غد

هذا **الفصل ينقسم قسمين الاول** فيما اخبر عليه الصلاة والسلام
مما نطق به القران العظيم من ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا
بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقتضي العادة
خلافه ومن ذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم الاية فانه قد كانت لقريش فئتان احداهما ذات غنيمة دون الاخرى
فاخبر الله تعالى عن ما في ضمايرهم وانجز لهم ما وعد ولا شك ان الوعد كان قبل اللقا
لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جايز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر
وهذا اخبار عن المستقبل لان السين معنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر وقد كان
عددهم ما بين التسعماية الى الالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين
ثلثماية وثلاثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما للزبير بن العوام والاخرى
للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل ابطالهم واغتنام اموالهم
ومن ذلك قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
يريد ما قذف الله في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب
ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شيت فقال عليه الصلاة والسلام
ان شا الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم
ليستاصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده وسبب نزول

فقد ولن تفعلوا اجارة

ن الخوف

هذه الاية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك
لان الروم اهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق
كسرى كتابه وفرح المشركون به فاخبر تعالى بان الروم بعد ان غلبوا سيغلبون
في بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى العشر فغلبت الروم اهل فارس
يوم الحديبية واخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين ومن ذلك قوله
تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه ابدا فاخبر انهم لا يتمنون الموت
بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه ابدا فاخبر فوجد مخبره
كما اخبر فلو لم يعلموا ما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولو لم يعلم
ذلك لخشي ان يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة اخبار
بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس
من عمل القلب فيخفى وروى مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم
بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ومن ذلك قوله تعالى وعد
الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم الاية هذا وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بانه سيجعل امته خلفاء
الارض ايمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم
من بعد خوفهم من الناس امنا وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه
لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب
وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام وهاداه هرقل
ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي
ملك الحبشة الذي تملك بعد اصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
واختار الله له ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته ابو بكر الصديق رضي الله عنه
فلم شعث ما وهي عند موته عليه الصلاة والسلام واطد جزيرة العرب ومهدها
وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا اطرافا منها وجيشا
اخر صحبة ابي عبيدة الى ارض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر
ففتح الله للجيش الشامي في ايامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران
وما والاها وتوفاه الله واختار له ما عنده ومن على الاسلام واهله بان الهم الصديق
ان يستخلف عمر الفاروق فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبيا
على مثله في قوة سيرته وكمال عدله وتم في ايامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار
مصر الى اخرها واكثر اقليم فارس وكسر كسرى واهانه غاية الهوان وتقهقر الى اقصى
مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وانفق اموالها
في سبيل الله كما اخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة

العثمانية

١١٦

النوع

العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى اقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد الى
اقصاها هنالك اندلس وقيروان وسبتة مما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق
الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مداين العراق وخراسان
والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجبي بالخراج من المشارق
والمغارب الى حضرة امير المومنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته
وجمعه للامة على حفظ القران فيما نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق
الله ورسوله ومن ذلك قوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود اذل
الكفار في كل مكان وزمان كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهو ظاهر في العيان بان دين
الاسلام كما اخبر عال على سائر الاديان ومن ذلك قوله اذا جاء نصر الله الى اخرها
فكان كما اخبر دخل الناس في الاسلام افواجا ثم مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد

القسم الثاني

العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه **الفصل**
الثالث فيما اخبر عليه الصلاة والسلام من الغيوب سوى ما في
القران العزيز فكان كما اخبر به في حياته وبعد مماته

اخرج الطبراني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لي الدنيا
فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفي هذه وعن حذيفة
قال لقد قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا في مقامه ذلك الى قيام الساعة
الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هولاء وانه ليكون
منه الشي فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه عرفه
ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قايد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا وقد سماه لنا
باسمه واسم ابيه وقبيلته رواه ابو داود وروى مسلم من حديث
ابن مسعود في الدجال فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لاعرف اسماءهم واسماء اباءهم والوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الارض يوميذ
فوضح من هذا الخبر وغيره مما ياتي من الاخبار وسنح من خواطر الابرار الاخيار انه صلى
الله عليه وسلم عرفهم بما يقع في حياته وبعد موته وما فقدا الختم وقوعه فلا سبيل الى فوته
رواه مسلم وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك
طاير بجناحيه في السما الا ذكر لنا منه علما ولا شك ان الله قد اطلعه على ازيد من ذلك والقى عليه
علم الاولين والاخرين واما علم عوارف المعارف الالهية فتلك لا يتناهى عددها واليه صلى الله
عليه وسلم ينتهي عددها ومن ذلك ما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر

اربع تكبيرات وفي حديث انس عند احمد والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين صعد احدا ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فرجف بهم الجبل فضربه برجله
وقال له اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فكان كما اخبر عليه الصلاة
والسلام ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده
لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى
في العراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام فاعلمنا صلى الله عليه
وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فاما كسرى
فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي
صلى الله عليه وسلم واما قيصر فانهزم من الشام ودخل اقصا بلاده فافتتح المسلمون بلاده
واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله
عنه كما قدمته وقال عليه الصلاة والسلام لسراقة كيف بك اذا لبست سواري
كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما
سراقة ومن ذلك اخباره عليه الصلاة والسلام بالمال الذي تركه عمه العباس عند
ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها واسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من
المقصد الاول واخباره بشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف
تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الآن نغزوهم ولا يغزونا فلم يغزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث صلى الله عليه
وسلم جيشا الى مؤتة وامر عليهم زيد بن حارثة فان اصيب فجعفر بن ابي طالب فان اصيب
فعبد الله بن رواحة فلما التقى المسلمون بمؤتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف
له حتى نظر الى معركتهم فقال اخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا
له ثم اخذ الراية جعفر بن ابي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر
ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم فاخبر اصحابه
بقتلهم في الساعة التي قتلوا فيها ومؤتة دون دمشق بارض البلقاء وعن اسما
بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم الذي قتل فيه جعفر
واصحابه فقال يا اسما اين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه بالدموع
فبكى فقلت يا رسول الله ابلغك عن جعفر شيء قال نعم قتل اليوم رواه يعقوب الاسفرايني
في كتابه دلايل الاعجاز وخرجه ابن اسحاق والبغوي ومن ذلك قوله عليه الصلاة
والسلام زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي
منها وكان امتدت في المشارق والمغارب ما بين اقصى الهند الى اقصا المشرق الى بحر
طنجة حيث لا عمارة وراه وذلك لم تملكه امة من الامم ومن ذلك اعلامه
قريشا

الثالث عشر من الجزء الثاني من المواهب

قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم
وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال عليه الصلاة والسلام ومن ذلك
ما رواه الطبراني في الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسجد منى فاتاه رجل من الانصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يا رسول الله جئنا نسالك
فقال ان شئتما اخبرتكما بما جئتما تسالاني عنه فعلت وان شئتما ان امسك وتسالاني فعلت
فقالا اخبرنا يا رسول الله فقال الثقفي للانصاري سل فقال اخبرني يا رسول الله فقال
جئتني تسالني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه وعن ركعتيك بعد
الطواف وما لك فيهما وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه وعن وقوفك عشية
عرفة وما لك فيه وعن رميك الجمار وما لك فيه وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة فقال
والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت اسالك ومن ذلك ما روي عن واثلة
ابن الاسقع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في نفر من اصحابه يحدثهم فجلست
وسط الحلقة فقال لي بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوني واياه فاني اعلم ما الذي اخرجه من منزله قلت
يا رسول الله ما الذي اخرجني قال اخرجك من منزلك لتسال عن البر وعن الشك قال
قلت والذي بعثك بالحق ما اخرجني غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
البر ما استقر في الصدر واطمان اليه القلب والشك ما لم يستقر في الصدر
فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون ومن ذلك قوله
لفاطمة رضي الله تعالى عنها في مرضه انك اول اهلي لحوقا بي فعاشت بعده ثمانية اشهر
وقيل ستة اشهر وقوله عليه الصلاة والسلام لنسائه اسرعكن بي لحوقا اطولكن
يدا فكانت زينب بنت جحش لانها كانت تعمل بيدها وتصدق ومن ذلك
قوله عليه الصلاة والسلام لعلي اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله
اعلم قال قاتلك اخرجه احمد في المناقب وعند ابن ابي حاتم الذي يضربك على هذه
واشار الى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لتخضبن هذه من هذه واشار الى لحيته وراسه وعند الضحاك الذي يضربك
على هذه فيسيل منها هذه واخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني
وابي نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مؤمر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة
من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية اما انك ستلي امر امتي من بعدي فاذا كان
ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معاوية فما زلت ارجوها حتى قمت مقامي
هذا رواه ابن عساكر واخرج ابن عساكر ايضا من حديث عروة بن رويم مرفوعا
لن يغلب معاوية ابدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية
ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا مظلوما واشار الى

عثمان رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب
وخرجه احمد فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم
على هذه الاية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي الشفا انه عليه الصلاة والسلام قال
يقتل عثمان وهو يقرا في المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم انتهى وقد اخرجه الحاكم عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرا سورة البقرة فتقع قطرة من
دمك على فسيكفيكهم الله لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى مسلم عن اسامة
ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف على اطم من اطام المدينة ثم قال هل ترون ما ارى اني
لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتلة عثمان وتتابعت
الفتن الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة وجرت فيها
وقايع كثيرة موجودة في كتب التواريخ واخرج البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة
قتل اهلها حتى لا يكاد ينفلت منهم احد واخرج ايضا عن مالك بن انس قال قتل يوم الحرة
سبعمائة رجل من حملة القران منهم ثلثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد واخرج
ايضا عن مغيرة قال انتهب مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة ايام وافتض فيها الف عذراء
وقال عليه الصلاة والسلام لابي موسى وهو قاعد على قف بير اريس لما طرق عثمان الباب
ايذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة الى ما تقدم من استشهاده يوم الدار [illegible]
من ذلك كله ما رواه احمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل
فقال يقتل فيها هذا مظلوما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح واخبر عليه الصلاة والسلام
بوقعة الجمل وصفين وقتال عايشة والزبير عليا كما اخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن ام سلمة
قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عايشة فقال
انظري يا حميرا الا تكوني انت ثم التفت الى علي ان وليت من امرها شيا فارفق بها وعن
ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الادبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوءب ويقتل حولها
قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت رواه البزار وابو نعيم واخرج الحاكم وصححه
والبيهقي عن ابي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال له علي انشدك الله هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية
ابي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام
في الحسن بن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قاله
عليه الصلاة والسلام لانه لما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا فبقي
سبعة اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه
فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد فعلم ان لن
تغلب احدى الفيتين حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر اليه دون

على ان يشترط عليه

ماكادت

١١٩

ابيه
على ان يشترط عليه ان لا يطالب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في ايام ابيه
فاجابه معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق ابيض وقال اكتب ما شئت فانا
التزمه واصطلحا على ذلك فكان الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين
فيتين عظيمتين من المسلمين واخرج الدولابي ان الحسن قال كانت جماجم
العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى
وحقن دماء المسلمين ومن ذلك اعلامه عليه الصلاة والسلام بقتل الحسين
بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من حديث
انس بن مالك بلفظ استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم
فاذن له وكان في يوم ام سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا
الباب لا يدخل احد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك
اتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت اريتك المكان الذي يقتل فيه
واراه فجا بسهلة او تراب احمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول
انها كربلا واخرجه ابو حاتم في صحيحه ورواه احمد نحوه والسهلة بالكسر رمل خشن
ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملا قالت ثم ناولني كفا من تراب
احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت
ام سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت اقول ان يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم
الحديث واستشهد الحسين كما قال عليه الصلاة والسلام بكربلا من ارض العراق بناحية
الكوفة ويعرف الموضع ايضا بالطف وقتله سنان بن انس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه
بعثوا براسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فجعلوا يشربون بالراس فبينما هم كذلك اذ
خرجت عليهم يد من الحائط معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

اترجوا امة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الراس خرجه منصور بن عمار وذكر ابو نعيم الحافظ في كتاب دلايل
النبوة عن نضرة الازدية انها قالت لما قتل الحسين بن علي امطرت السماء دما فاصبحنا
وحبابنا وجرارنا مملوة دما وكذلك روي في احاديث غير هذه وقال عليه الصلاة
والسلام لعمار تقتلك الفية الباغية رواه البخاري ومسلم فكان كما قال عليه الصلاة والسلام
ومن ذلك ما رواه ابو عمر بن عبد البر ان عبد الله بن عمر راى رجلا مع النبي صلى الله عليه
فلم يعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايته قال نعم قال ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك
فعمي في اخر عمره ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لثابت بن قيس بن شماس تعيش
حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه البيهقي وابو نعيم فقتل يوم مسيلمة الكذاب
باليمامة ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن الزبير ويل لك

فيه

نحوه

فبينما هم خرجت

من الناس وويل للناس منك فكان من امره مع الحجاج ما كان ومن ذلك
حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون خلافة
ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية وقوله ملكا عضوضا اي يصيب الرعية
فيه ظلم وعسف كانهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة عند ابي داود والترمذي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا بعد ذلك
قال سعيد بن جمهان امسك خلافة ابي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي
فوجدناها ثلاثين سنة فقيل له ان بني امية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذب بنوا
الزرقا بل هم ملوك من شر الملوك واخرج ابو نعيم عن ابن عباس ان ام الفضل
مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فاتيني به قالت فلما
ولدته اتيته به فاذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى والباه من ريقه وسماه عبد الله
وقال اذهبي بابي الخلفا فاخبرت العباس فاتاه فذكر له فقال هو ما اخبرتك هذا ابو الخلفا
حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم
واخرج ابو يعلي عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ليغلبن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ومن ذلك اخباره
عليه الصلاة والسلام يوشك ان بعالم المدينة اخرج الحاكم وصححه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون
عالما اعلم من عالم المدينة قال سفيان بن عيينة نرى هذا العالم مالك بن انس وقال
عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت اكباد الابل الى احد مثل ما ضربت اليه وقال
ابو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب
العلم وممن روى عنه من الائمة المشهورين محمد بن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي
والاوزاعي امام اهل الشام والليث بن سعد امام اهل مصر وابو حنيفة النعمان بن ثابت الامام
وصاحباه ابو يوسف ومحمد بن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام احمد ويحيى بن يحيى
شيخ البخاري وابو رجا قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضل
ابن عياض وعبد الله بن المبارك وابراهيم بن ادهم ذكر ذلك العلامة عيسى بن مسعود الزواوي
في كتابه المنهج السالك الى معرفة قدر الامام مالك واخباره بعالم قريش عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملا طباق الارض علما
رواه ابو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن ابي هريرة
من تاريخ بغداد للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام احمد وغيره
هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم
ما انتشر من علم الشافعي وما كان الامام احمد ليذكر حديثا موضوعا يحتج به او يستانس في امر
شيخه الشافعي واما قوله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عالم قريش الى اخره

بصيغة التمريض

119

بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده لا يخلوا من ضعف قاله العراقي ردا
على الصاغاني في زعمه انه موضوع وقد جمع الحافظ ابن حجر طرقه في كتاب سماه لذة العيش في
طرق حديث الائمة من قريش كما افاده شيخنا واخبر عليه الصلاة والسلام بان طائفة من امته
لا تزال ظاهرين حتى ياتي امر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبان الله يبعث
لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث ابي هريرة وبذهاب
الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه بلفظ تذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان
من حديث ابي سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما
اذ اتاه ذو الخويصرة فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل ان لم اعدل
خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال عليه الصلاة
والسلام دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القران
لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية اية ذلك رجل اسود
احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر يخرجون على خير فرقة
من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي نعته واخبر عليه الصلاة والسلام ايضا بالرافضة اخرجه البيهقي عن
علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في امتي قوم يسمون الرافضة
يرفضون الاسلام واخبر ايضا بالقدرية والمرجية وقال هم مجوس هذه الامة
رواه الطبراني في الاوسط عن انس وقد اخبر عليه الصلاة والسلام الكرام باشياء بين
موته وبين الساعة وحذر من مفاجاتها كما يحذر من حاد عن الطاعة وقال لا الساعة
لا تقوم حتى تظهر جملة من الامارات في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى يطيش منها
الجاهل والعالم كما روي من رفع الامانة والقران واشتهار الخيانة وحسد الاقران
وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما شهدت بصحته الاخبار وقضى بحقيقته
وقوعه الاعتبار وقد تعين ان نلم بذكر طرف من الاثار الصحاح والحسان فروى
البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى
تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون
كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل
ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال حتى
يهم الرجل من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي فيه
وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى
تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر
الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل

على الحق

وافاضه ان علي بن ابي طالب فاتلهم وانا
معه وامر بذلك الرجل فالتمس فوجد
فاتي به حتى نظرت اليه على نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعت

فيفيض

ن

وتظهر

امنوا

بلبن لقحته

بلبن لقحته فلا يطعمها ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها انتهى فهذه ثلاث عشرة علامة جمعها ابو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينتظر من صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر اكثر هذه العلامات **فاما قوله** حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة فيريد فتنة معاوية وعلي بصفين قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذا اول خطب طرق الاسلام وتعقبه القرطبي بان اول امر دهم الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت عمر لان بموته صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وكان اول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت عمر سل سيف الفتنة فقتل عثمان وكان من قضا الله وقدره ما كان وما يكون **واما قوله** دجالون كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم اربع نسوة وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي اخرجه الحافظ ابو نعيم وقال هذا حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبا من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العلم ولم يبق الا رسمه **واما الزلازل** فوقع منها شيء كثير وقد شاهدنا بعضها **واما قوله** حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع **وقوله** حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه لما يرى من عظيم البلا ورياسة الجهلا وخمول العلما وغير ذلك مما ظهر كثير منه **وفي** حديث ابي هريرة عند الشيخين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل ببصرى وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعا بعد العشا ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة **وفي** يوم الثلاثا اشتدت حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت حطمتها وارتجت الارض ومن عليها وعجت الاصوات لباريها ودامت الحركة اثر الحركة حتى ايقن اهل المدينة بوقوع الهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة ثمانية عشر حركة في يوم واحد دون ليلته قال القرطبي وكان يلي المدينة نسيم بارد ببركته صلى الله عليه وسلم وشوهد من هذه النار غليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لي بعض اصحابنا ولقد رايتها صاعدة في الهوا من مسيرة خمسة ايام قال وسمعت انها رئيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب الدين القسطلاني اقامت اثنين وخمسين يوما قال وكان اطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسرا والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه عليها القرطبي في التذكرة وافردها بالتاليف الشيخ قطب الدين القسطلاني في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز فان فيه من دقائق الحقائق بالعجب

يسقي فيه

كغليان ح

العجاب

العجاب والله الموفق للصواب

المقصد التاسع من لطيفة من عبادته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فامره تعالى بعبادته حتى ياتيه الموت وهو المراد باليقين وانما سمي الموت باليقين لانه امر متيقن فان قلت ما الفائدة في قوله تعالى حتى ياتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادات **اجاب** القرطبي تبعا لغيره بانه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا ولما قال حتى ياتيك اليقين اي اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وهذا مصير منه الى ان الامر المطلق لا يفيد التكرار وهي مسيلة معروفة في كتب الاصول اختلف فيها وهي هل الامر المطلق يفيد التكرار او المرة الواحدة او لا يفيد شيا منهما على مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل المامور به من غير اشعار بالمرة او المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية باقل منها وهذا مختار الامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه الآمدي وابن الحاجب وغيرهما **الثاني** انه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابو حاتم القزويني فان عمّ للتكرار ابدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمان قضا الحاجة والنوم وغيرهما من الضرورات **الثالث** انه يدل على المرة حكاه الشيخ ابو اسحاق في شرح اللمع عن اكثر اصحابنا وابي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط او صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا في شرح العلامة ابي الحسن الاشموني لنظمه جمع الجوامع للعلامة السبكي **وقد** روى جبير بن نفير مطلقا مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة وابو نعيم في الحلية عن ابي مسلم الخولاني وقد امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية باربعة اشياء التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلماء في انه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين انه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم

المامور

قال اهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كانه يقول يجب علي
عبادتك الهي سواء اعطيتني الخيرات او القيتني في المكروهات وقال تعالى
فاعبده واصطبر لعبادته فامره تعالى عليه الصلاة والسلام بالعبادات والمصابرة
على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت لم لم يقل واصطبر على عبادته
بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن
في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اصبر له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى
ان العبادة تورد عليك شدايد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي وقال
تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فاول
درجات السير الى الله عبودية الله واخرها التوكل عليه واذا كان العبد لا يزال
مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه ما دام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة
لا يستغني عنه البتة وكواني باعمال الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله اقرب كان
جهاده في الله اعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله
عليه وسلم اعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظايف العبادة ومحافظة عليها الى ان توفاه الله
تعالى وتامل صحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا كلما ترقوا في القرب مقاما عظم جهادهم
واجتهادهم ولا تلتفت الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف حيث قال القرب
الحقيقي ينقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من
كد العمل زاعما بذلك سقوط التكليف عنه وهولاء اعظم كفرا والحادا حيث
عطلوا العبودية وظنوا انهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي
من اماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى اعلى مقام ينا له العبد
لما سقط عنه من التكليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف العلماء
هل كان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله ام لا فقال جماعة
لم يكن متبعا لشيء وهو مذهب الجمهور واحتجوا بانه لو كان ذلك لنقل ولما امكن
كتمه وتستره في العادة اذ كان من مهم امره فاولى ما اهتم به من سيرته ولفخر
به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شيء من ذلك جملة وذهب طايفة الى
امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول
المستند الى النقل اولى وذهب اخرون الى الوقف في امره عليه الصلاة والسلام وترك
قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام ابي
المعالي وقال الاخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا
فوقف بعضهم على التعيين واحجم وجسر بعضهم على التعيين فصمم ثم
اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى
فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر منها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر

قوله

بشيء

وابعدها

وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا
حجة لهم في ان عيسى عليه الصلاة والسلام اخر الانبيا فلزمت شريعته من جاء بعده لانه لم
يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا نبينا صلى الله عليه
وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة
المذاهب فيه نظر لانه بقي عليه منها شيء فقد قيل شريعة ادم ايضا وهو محكي عن ابن برهان
وقيل جميع الشرايع حكاه صاحب المحصول عن المالكية واما من قال انه عليه الصلاة
والسلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع هو منفرد به وان المقصود من بعثته
عليه الصلاة والسلام احياء شرع ابراهيم وعول في اثبات مذهبه على قوله تعالى
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا قول ساقط مردود لا يصدر مثله
الا عن سخيف العقل كثيف الطبع وانما المراد بهذه الاية الاتباع في التوحيد لانه
لما وصف ابراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الاية بانه ما كان من المشركين
فلما قال ان اتبع كان المراد ذلك ومثله قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من قال انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الاية وشرايعهم مختلفة
لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فان
قيل النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك واثبت التوحيد بناء على الدلايل القطعية
واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع حمل قوله ان اتبع على هذا المعنى فوجب حمله
على الشرايع التي يصح حصول المتابعة فيها اجاب الفخر الرازي بانه يحتمل
ان يكون المراد الامر بمتابعته في كيفية الدعوى الى التوحيد وهو ان يدعو اليه
بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلايل مرة بعد اخرى بانواع كثيرة على ما هو الطريقة
المالوفة في القران وقد قال صاحب الكشاف لفظة ثم في قوله ثم اوحينا اليك يدل على
تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله فان اشرف ما اوتي خليل الله
من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل ان
هذه اللفظة دلت على تباعد النعت في المرتبة على ساير المدايح التي مدحه الله بها انتهى
ومراده بالمدايح المذكورة في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من
المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا
حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين وقال ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد
وليت شعري كيف تلك العبادات واي انواعها وعلى اي وجه فعلها يحتاج ذلك
لنقل ولا استحضره الان انتهى وقال شيخ الاسلام البلقيني في شرح
البخاري لم يجي في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام
وروى ابن اسحاق وغيره انه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حرا في كل عام

نعم و

شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من نسك قريش في الجاهلية ان يطعم الرجل من جاءه
من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وحمل بعضهم
التعبد على التفكر قال وعندي ان هذا التعبد يشتمل على انواع كثيرة وهي الاعتزال عن الناس
كما صنع ابراهيم عليه الصلاة والسلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله تعالى فان انتظار الفرج
عبادة كما رواه علي بن ابي طالب مرفوعا وينضم الى ذلك الافكار وعن بعضهم كانت
عباداته عليه الصلاة والسلام في حرا التفكر انتهى وفيه ان ان اشرع
فيما قصدته على النحو الذي اردته وقد اقتصرت من عباداته صلى الله عليه وسلم على جملة
انواع **النوع الاول في الطهارة** وفيه فصول **الاول في ذكر وضوئه**
صلى الله عليه وسلم ومقدار ما كان يتوضأ به اعلم ان الوضوء بالضم
الفعل وبالفتح الماء الذي يتوضأ به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمي
به لان المصلي يتنظف به فيصير وضيئا وقد استنبط بعض العلماء كما حكاه في فتح
الباري ايجاب النية في الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
لان التقدير اذا اردتم القيام الى الصلاة فتوضؤوا لاجلها ومثله قوله اذا رايت الامير
فقم اي لاجله وقال ابن القيم لم يرو انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في اول وضوئه
نويت رفع الحدث ولا غيرها لا هو ولا اصحابه البتة ولم يرو عنه لا باسناد صحيح ولا ضعيف
انتهى قلت اما التلفظ بالنية فلا نعلم انه روي صلى الله عليه وسلم
واما كونه اتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازي في المعالم اعلم انا اذا اردنا ان نقول
في امر من الامور انه هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا الى اثباته طرق الاول
انا اذا اردنا ان نقول انه عليه الصلاة والسلام توضأ مع النية والترتيب قلنا لا شك ان الوضوء
مع النية والترتيب افضل والعلم الضروري حاصل بان افضل الخلق لم يواظب على
ترك الافضل طول عمره فثبت انه اتى بالوضوء المرتب المنوي ولم يثبت عندنا
انه اتى بالوضوء العاري عن النية والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت
انه اتى بالوضوء المرتب المنوي فوجب ان يجب علينا مثله والطريق الثاني ان
نقول لو انه عليه الصلاة والسلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلائل
الدالة على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت انه ما تركه بل فعله
وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عمر مرفوعا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ
ما نوى قال البخاري فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم
والاحكام واشار بذكر الوضوء الى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعي
وابي حنيفة وغيرهما وحجتهم انه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى عبادة كالصلاة
ونوقض بالتيمم فانه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على
اشتراط النية في الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلا بد من

قصد تمييزه

وسواكه صح

قصد تمييزه عن غيره ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال بالنيات
ليس المراد منه نفي ذات العمل لانه قد يوجد بغير نية بل المراد نفي احكامها
كالصحة والكمال لكن الحمل على نفي الصحة اولى لانه اشبه بنفي الشيء بنفسه
ولان اللفظ دل على نفي الذات بالتصريح وعلى نفي الصفات بالتبع فلما منع
الدليل نفي الذات بقيت دلالته على نفي الصفات مستمرة قال ابن دقيق العيد
الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال
الاعمال ورجح الاول لان الصحة اكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها
اولى وفي هذا الكلام ايهام ان بعض العلماء لا يرى باشتراط النية وليس
الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في
اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم وخالف
الاوزاعي في اشتراطها في التيمم ايضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران النية
باول العمل كما هو معروف في مبسوطات الفقه واما قوله اي البخاري فدخل فيه
الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على طريق البخاري ان الايمان عمل
واما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كساير اعمال القلوب من خشية
الله وتعظيمه ومحبته والتقرب اليه لانها متميزة لله فلا يحتاج الى نية تميزها لان النية انما تميز العمل لله
من العمل لغيره ريا وتميز مراتب الاعمال كالفرض عن الندب وتميز
العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله ايضا والاحكام اي
المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فيشمل البيوع والانكحة
والاقارير وغيرها وكل صورة لم تشترط فيها النية فذلك لدليل خاص
وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما يشترط فيه النية مما لا يشترط فقال كل عمل
لا يظهر له فايدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة
فيه وكل عمل ظهرت فايدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة
لملايمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله معنى اخر يترتب
عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق
مناط التفرقة قال واما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء
فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى
فرضت النية مفقودة استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي واما
الاقوال فتحتاج النية في ثلاثة مواطن احدها التقرب الى الله تعالى
فرارا من الريا والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث
قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري
وقد اختلف العلماء في الوقت الذي وجب فيه الوضوء فقال بعضهم اول

مافرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
الاية ونقل ابن عبد البر اتفاق اهل السير ان غسل الجنابة
فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت الصلاة وانه
لم يصل قط الا بوضوء وقال هذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك
اهل السنة بهم حاجة الى دليل على من زعم ان الوضوء لم يكن قبل نزول الرد؛
اية المائدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت فاطمة على النبي صلى الله
وهي تبكي فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا ليقتلوك
فقال ائتوني بوضوء فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح ان يكون
ردا على من انكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من انكر وجوده حينئذ
وقد جزم ابن الجهم المالكي بانه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم ابن حزم
بانه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما اخرجه ابن لهيعة في المغازي التي
يرويها عن ابي الاسود عن عروة ان جبريل عليه السلام علم النبي صلى
الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله
احمد من طريق ابن لهيعة ايضا لكن قال عن الزهري عن عروة عن اسامة
ابن زيد عن ابيه واخرجه ابن ماجه من رواية رشدين بن سعد عن عقيل
عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند واخرجه الطبراني
في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط
الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة **وعن** انس قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون
قال يجزي احدنا الوضوء ما لم يحدث رواه البخاري وابو داود والترمذي
وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يتوضأ لكل صلاة رواه الدارمي **وروى** مسلم عن بريدة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات
بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيئا لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر
يعني لبيان الجواز **وفي** رواية احمد وابي داود من حديث عبد الله بن
ابي عامر الغسيل انه صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء لكل صلاة طاهرا كان
او غير طاهر فلما شق ذلك عليه امر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه
الوضوء الا من حدث واختلف العلماء في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث
وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من
الشافعية وقيل بالقيام الى الصلاة حسب ويدل عليه ما رواه اصحاب
السنن عن ابن عباس مرفوعا انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة

وقد تمسك

وقد تمسك بحديث عبد الله بن ابي عامر هذا من قال بوجوب
السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحاق
وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لا تثبت الا بدليل
صحيح **واخرج** الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن
عن عائشة مرفوعا ثلاث هن علي فرائض وهن لكم سنة الوتر
والسواك وقيام الليل **وقد** روى احمد في مسنده باسناد
حسن من حديث واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقد حكى بعضهم الاجماع
على انه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض الشافعية انه اوجبه للصلاة ونوزع
فيه واتفقوا على انه مستحب مطلقا ويتاكد في احوال **منها** عند
الوضوء وارادة الصلاة **ومنها** عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيح
من حديث حذيفة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص
فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد
بالسواك للصلاة او عند الوضوء **ومنها** قراءة القران كما جزم به الرافعي
ومنها تغير الفم سواء كان فيه تغير الرائحة او تغير اللون كصفرة الاسنان
كما ذكره الرافعي **ومنها** دخول المنزل جزم به النووي في زوائد الروضة
لما روى مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك **ومنها** ارادة
النوم كما ذكره الشيخ ابو حامد في الرونق وروي فيه ما رواه ابن عدي
في الكامل من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك
اذا اخذ مضجعه وفيه حرام بن عثمان متروك **ومنها** الانصراف من
صلاة الليل لما روى ابن ماجه من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل ركعتين ركعتين
ثم ينصرف فيستاك ويجزي بكل خشن ولو باصبع غيره الخشنة
وقد جزم النووي في شرح المهذب ودقائق المنهاج انه يجزي بها قطعا
قال في شرح تقريب الاسانيد وما ادري ما وجه التفرقة بين اصبعه
واصبع غيره وكونه جزءا منه لا يظهر منه ما يقتضي منعه بل كونها
اصبعه ابلغ في الازالة لانه يتمكن بها اكثر من تمكن غيره ان يسوكه
باصبعه لا جرم قال النووي في شرح المهذب المختار اجزاؤه مطلقا
قال وبه قطع القاضي حسين والمحاملي في اللباب والبغوي هـ
واختاره في البحر انتهى وقد اتفق اصحاب الشافعي على استحباب الاراك

فروى الطبراني من حديث ابي خيرة الصنابحي وله صحبة حديثا قال فيه ثم امر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باراك فقال استاكوا بهذا وفي مستدرك الحاكم من حديث عائشة في دخول اخيها عبد الرحمن بن ابي بكر في مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من اراك فاخذته عائشة فطيبته ثم اعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به والحديث في الصحيحين وليس فيه ذكر الاراك وفي بعض طرقه عند البخاري ومعه سواك من جريد النخل وقد روى ابو نعيم في كتاب السواك من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقي ايضا من حديث ربيعة بن اكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال اصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض الاسنان في طول الفم وهل الاولى ان يباشر المستاك بيمينه او بشماله قال بعضهم بيمينه لحديث كان يعجبه التيمن في ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على انه هل هو من باب التطهير والتطيب او من باب ازالة القاذورات فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمين وان قلنا بالثاني فبشماله لحديث عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلائه وما كان من اذى رواه ابو داود باسناد صحيح قال في شرح تقريب الاسانيد وما استدل به على انه يستحب باليمين ليس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن في الترجل والبداءة بالاعضاء اليمنى في التطهير والبداءة بالجانب الايمن في الاستياك واما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح بذلك ابو العباس القرطبي فقال في المفهم حكاية عن مالك انه لا يتسوك في المساجد لانه من باب ازالة القذر والله اعلم **واما مقدار ما كان عليه الصلاة والسلام يتوضأ ويغتسل من الماء فعن انس** قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضأ بالمد وفي رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك رواه البخاري ومسلم وابو داود وعنده يتوضأ باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذي وعنده انه صلى الله عليه وسلم قال يجزي في الوضوء رطلان من ماء وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل

بالصاع

(هامش: احمد و)

بالصاع ويتوضأ بالمد رواه ابو داود وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد والصاع خمسة ارطال وثلث برطل بغداد وهو على ما قاله النووي مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع درهم وحذر صلى الله عليه وسلم من (هامش: امته) الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار رواه احمد باسناد لين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذي من حديث ابي بن كعب

الفصل الثاني في وضوئه صلى الله عليه وسلم مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا

عن ابن عباس قال توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه البخاري وابو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الاية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين العدد فبين الشارع ان المرة الواحدة للايجاب وما زاد عليها للاستحباب واما حديث ابي بن كعب انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء مرة مرة (هامش: فتوضأ ع) وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف اخرجه ابن ماجه وله طرق اخرى كلها ضعيفة كما قاله في فتح الباري وعن عبد الله بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال (هامش: جه و) هو نور على نور ذكره رزين وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا رواه احمد ومسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة المصابيح ولم يأت في شيء من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم انه زاد على ثلاث بل روي عنه انه نهى عن الزيادة على الثلاث فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال من زاد على هذا او نقص فقد اساء وظلم رواه ابو داود باسناد جيد لكن عده مسلم من جملة ما انكروه على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص من الثلاثة واجيب بانه امر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل فيه حذف تقديره ومن نقص من واحدة ويؤيده ما رواه نعيم بن حماد من طريق المطلب ابن حنطب مرفوعا الوضوء مرة ومرتين وثلاثا فان نقص عن واحدة او

زاد على الثلاث فقد اخطأ وهو مرسل رجاله ثقات واجيب
عن الحديث ايضا بان الرواة لم يتفقوا على ذكرا لنقص فيه بل اكثرهم
يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي
لا احب ان يزيد المتوضي على ثلاث فان زاد لم اكرهه اي لم احرمه لان قوله
لا احب يقتضي الكراهة وهذا هو الاصح عند الشافعية انه يكره كراهة
تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية عن قوم ان الزيادة على الثلاث
تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد وقال احمد واسحاق وغيرهما
لا يجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك لا امن ان يأثم ويلزم من القول
بتحريم الزيادة على الثلاث او كراهتها انه لا يندب تجديد الوضوء على
الاطلاق الفصل الثالث في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم
عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه دعا بإناء فافرغ على يديه ثلاث مرات
فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه
ثلاثا ويديه ثلاثا الى المرفقين ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى
الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوئي
هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري
وقد استدل بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف
ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا واما اشتراط نية الاغتراف فليس في هذا الحديث ولا
ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالي مجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا
لان الاستعمال انما يقع في المغترف منه وبهذا قطع البغوي وقد ذكروا في حكمة
تاخير غسل الوجه انه لاعتبار اوصاف الماء لان اللون يدرك بالبصر
والطعم يدرك بالفم والريح بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق
قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة وقال النووي في قوله نحو
وضوئي انما لم يقل عليه الصلاة والسلام مثل لان حقيقة مماثلته لا يقدر
عليها غيره لكن تعقبه في فتح الباري بانه ثبت التعبير بها في رواية البخاري
من الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن حمران عن عثمان ولفظه من
توضأ مثل هذا ولمسلم من طريق زيد بن اسلم عن حمران عن عثمان توضأ
مثل وضوئي هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق
على المثلية مجازا ولان مثل وان كانت تقتضي المساواة ظاهرا لكنها تطلق
على الغالب فبهذا تلتئم الروايتان ويكون المتروك بحيث لا يخل
بالمقصود انتهى وعن عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري انه
قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء فأكفأ منه
على

على يديه فغسلهما ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه
ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين
ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح براسه فاقبل بيديه وادبر ثم غسل رجليه
الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية
فاقبل بهما وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع
الى المكان الذي بدا منه رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود بدا
والترمذي والنسائي وفي رواية لابي داود ثم مسح براسه واذنيه
ظاهرهما وباطنهما وادخل اصابعه في صماخي اذنيه وفي رواية ابي داود
والترمذي والنسائي عن عبد خير عن ابي عمارة بن زيد بن خولي بفتح
الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمداني من كبار اصحاب
علي بن ابي طالب قال اتانا علي وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور
وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي باناء فيه ماء وطست فافرغ من الاناء على يمينه الاء
فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا فمضمض ونثر من الكف
الذي ياخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى
ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح براسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا
ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح راسه
انتهى وقال النووي والاحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفي بعضها
الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعي بحديث عثمان رضي الله عنه في صحيح مسلم
انه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقي الاعضاء انتهى ه
واجيب بانه مجمل مبين في الروايات الصحيحة ان المسح لم يكرر
فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول وبان المسح مبني على التخفيف فلا قياس على
الغسل الذي المراد منه المبالغة في الاسباغ وبان العدد لو اعتبر في المسح لصار
في صورة الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء واحتج الشافعية ايضا بما رواه ابو
داود في سننه من حديث عثمان من وجهين صحح احدهما ابن خزيمة انه صلى الله
عليه وسلم مسح راسه ثلاثا وفي رواية ابي داود ايضا والترمذي من حديث
الربيع بنت معوذ فغسل يديه ثلاثا ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا وتمضمض
واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ومسح براسه مرتين بدا بمؤخر
راسه ثم بمقدمه وباذنيه كليهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا
وقد اجاب العلماء عن احاديث المسح مرة واحدة بان ذلك
لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال ابن السمعاني كما حكاه في فتح

الباري اختلاف الرواية يحمل على التعدد فيكون مسح تارةً مرةً وتارةً ثلاثا
فليس في رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج للتعدد بالقياس على
المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق في الطهارة الحكمية بين
الغسل والمسح قال ومن اقوي الادلة على عدم العدد الحديث المشهور الذي صححه
ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاصي في صفة الوضوء
بعد ان فرغ من زاد على هذا فقد اساء وظلم فان في رواية سعيد بن منصور
التصريح بانه مسح راسه مرة واحدة فدل على ان الزيادة في مسح الراس على
المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الاحاديث في تثليث المسح ان صحت على
ارادة الاستيعاب بالمسح لا انها مسحات مستقلة لجميع الراس جمعا بين
الادلة انتهى وفي حديث عبد الله بن زيد المتقدم عند البخاري الذي
ذكرته قبل ثم مسح راسه بيديه فاقبل بهما وادبر وفي رواية بدا بمقدم راسه
حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما الى المكان الذي بدا منه وزاد ابن الصباغ
في قوله ثم مسح راسه كله كما هو في رواية ابن خزيمة وفي رواية غيره كما
قدمته براسه بزيادة الباء موافقة لقوله تعالى وامسحوا برؤسكم قال
البيضاوي الباء اي في الاية مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين
قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين
الفعل معنى الالصاق فكانه قال والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم
انتهى وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤسكم جميع الراس او بعضه
فدلت السنة ان بعضه يجزي والفرق بين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم بيعض
ان المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الراس اصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف
بدلا عن غسل الرجل لان الرخصة فيه ثبتت بالاجماع وقد روي من حديث
عطاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا فحسر العمامة عن راسه ومسح
مقدم راسه وهو مرسل لكنه اعتضد بمجيئه من وجه اخر موصولا اخرجه
ابو داود من حديث انس وفي اسناده ابو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد
كل من المرسل والموصول بالاخر وحصلت القوة من الصورة المجموعة
وهذا مثال لما ذكره الشافعي من ان المرسل يعتضد بمرسل اخر او مسند
وفي الباب ايضا عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم راسه اخرجه سعيد عن عمر
ابن منصور وفيه خالد بن يزيد بن ابي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر
الاكتفا بمسح بعض الراس قاله ابن المنذر وغيره ولم يصح عن احد من الصحابة
انكار ذلك قاله ابن حزم قال الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوي به المرسل المتقدم ذكره

انتهى

انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الراس فذهب الشافعي في جماعة ان
الواجب ما ينطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة اخذا باليقين وذهب مالك واحمد
وجماعة الى وجوب استيعابه اخذا بالاحتياط وقال ابو حنيفة في رواية هو
الواجب ربعه لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع
والله اعلم وعن طلحة بن مصرف عن ابيه عن جده قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضا والماء يسيل من وجهه ولحيته
على صدره فرايته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه ابو داود
وعنه ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا فمضمض ثلاثا
واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجه وفي حديث مسلم ان عثمان
دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض
واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد
عند البخاري ثم غسل ومضمض واستنشق من كف واحدة قال هكذا
وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي وفيه ان السنة في المضمضة
والاستنشاق ان ياخذ الماء لهما بيمينه قال وفي الافضل في كيفية المضمضة
والاستنشاق خمسة اوجه الاصح يتمضمض ويستنشق بثلاث غرفات
يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة يتمضمض
منها ثلاثا ثم يستنشق والثالث يجمع بينهما ايضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم
يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع
يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من احداهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا
والخامس يفصل بينهما بست غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق
بثلاث غرفات قال والصحيح الاول وبه جاءت الاحاديث الصحيحة وقد ذهب
الامام احمد وابو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو ان يبلغ الماء الى خياشيمه
مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي هريرة اذا توضا احدكم
فليجعل في انفه ماء ثم لينتثر لظاهر الامر وحمله الجمهور مالك والشافعي واهل
الكوفة على الندب لقوله عليه الصلاة والسلام للاعرابي توضا كما امرك الله
وليس في الاية ذكر الاستنشاق والله اعلم وعند ابي داود كان عليه الصلاة
والسلام يمسح الماقين وعن عثمان انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته
رواه الترمذي وابن ماجه وعند الدارقطني من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام
اذا توضا عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها
وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا توضا اخذ كفا من ماء فادخله
تحت حنكه وخلل به لحيته ويقول هذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود

وعن ابي رافع كان صلي الله عليه وسلم اذا توضا حرك خاتمه رواه ابن
ماجه والدارقطني وضعف وعن المستورد بن شداد كان صلي الله عليه
وسلم اذا توضا يدلك اصابع رجليه بخنصره رواه الترمذي وابو داود وابن
ماجه وعن عايشة كانت يد رسول الله صلي الله عليه وسلم اليمني
لطهوره وطعامه وكانت اليسري لخلايه وما كان من اذي وعن المغيرة
ابن شعبة انه كان مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سفر وانه ذهب
لحاجة له وان مغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضا رواه البخاري ومسلم
وعن صفوان بن عسال صببت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
الماء في السفر والحضر في الوضوء رواه ابن ماجه وفي ذلك جواز استعانة
الرجل بغيره في صب الماء في الوضوء من غير كراهة وكذا احضار الماء من
باب اولي ولا دليل في هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد
روي الحاكم في المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ انها قالت اتيت
النبي صلي الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبي فسكبت عليه وهذا اصرح
في عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه في الحضر ولكونه بصيغة الطلب
والله اعلم وفي الترمذي من حديث معاذ بن جبل كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم اذا توضا مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عايشة كانت له عليه الصلاة
والسلام خرقة يتنشف بها بعد الوضوء قال الترمذي هذا حديث ليس بالقايم
وابو معاذ الرازي ضعيف عند اهل الحديث وقد احتجم صلي الله عليه وسلم فصلي ولم
يتوضا ولم يزد علي غسل محاجمه رواه الدارقطني واكل كتف شاة
وصلي ولم يتوضا رواه البخاري ومسلم وللنسايي قال اخر الامرين من رسول
الله صلي الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلي الله عليه وسلم
لبنا فلم يمضمض ولم يتوضا وصلي رواه ابو داود واتي بالسويق فامر به فثري
فاكل ثم قام الي المغرب فمضمض رواه البخاري ومالك والنسايي وكان
صلي الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضا وربما لم يتوضا لان عينيه تنام
ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل علي ان النوم ليس حدثا بل مظنة
الحدث فلو احدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع خلاف
غيره قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي ياتيه في منامه

الفصل الرابع في مسحه صلي الله عليه وسلم علي الخفين

اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بان المسح علي الخفين متواتر وجمع
بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا اعلم انه
قد روي عن احد من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة

عنه مصرحة

الرابع عشر من الجزء الثاني من المواهب

١٢٧

عنه مصرحة باثباته وقد اشار الشافعي في الام الي انكار ذلك علي المالكية
والمعروف المستقر عندهم الان قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون
المقيم وهذا الثاني مقتضي ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن
المنذر اختلف العلماء ايهما افضل المسح علي الخفين او نزعهما وغسل الرجلين والذي
اختاره ان المسح افضل لاجل من طعن فيه من اهل البدع من الخوارج والروافض
وقال النووي مذهب اصحابنا ان الغسل افضل لكونه الاصل لكن بشرط ان لا يترك
المسح وقد تمسك من اكتفي بالمسح بقوله تعالي وارجلكم عطفا علي وامسحوا برؤوسكم
فذهب الي ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكي عن ابن عباس
في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي وقتادة
الواجب الغسل او المسح وعن بعض اهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث
الصحيحة من فعله صلي الله عليه وسلم كما سياتي ان شا الله تعالي فانه بيان للمراد
واجابوا عن الاية باجوبة منها انه قري وارجلكم بالنصب عطفا علي ايديكم
وقيل معطوف علي محل برؤوسكم كقوله تعالي يا جبال اوبي معه والطير بالنصب
وقيل المسح في الاية محمول علي مشروعية المسح علي الخفين فحملوا قراءة الجر
علي مسح الخفين وقراءة النصب علي غسل الرجلين وحمل البيضاوي الجر علي الجوار
قال ونظيره كثير في القران كقوله تعالي عذاب يوم اليم وحور عين بالجر
في قراءة حمزة والكسايي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك
وفايدته التنبيه علي انه لا ينبغي ان يقصد في صب الماء عليهما ويغسلا غسلا
يقرب من المسح انتهي وعن المغيرة بن شعبة انه غزا مع رسول الله صلي
الله عليه وسلم غزوة تبوك قال فتبرز رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل الغايط
فحملت معه اداوة قبل الفجر فلما رجع اخذت اهريق علي يديه من الاداوة
فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه
فضاق كم الجبة فاخرج يديه من تحت الجبة والقي الجبة علي منكبيه وغسل
ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلي العمامة ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني
ادخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت وعند الترمذي من حديث المغيرة
ايضا انه صلي الله عليه وسلم مسح علي الخفين علي ظاهرهما وعند ابي داود من
حديثه ايضا ومسح عليه الصلاة والسلام علي الجوربين والنعلين وعنه
قال مسح صلي الله عليه وسلم علي الخفين فقلت يا رسول الله نسيت فقال بل انت
نسيت بهذا امرني ربي عز وجل رواه ابو داود واحمد وعن عمرو بن امية الضمري
قال رايته عليه الصلاة والسلام مسح علي عمامته وخفيه رواه البخاري واحمد
وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالي عنه جعل صلي الله عليه وسلم

المسح على الخفين ثلاثة ايام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم

الفصل الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم

اعلم ان التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصايص هذه
الامة واجمعوا على ان التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سوا كان من حدث انع
اكبر او حدث اصغر وسواء تيمم عن الاعضا كلها او بعضها واختلف في كيفيته و
فمذهبنا ومذهب الاكثرين انه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى
المرفقين وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا
على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا
وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية ابي امامة
عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث
حذيفة خاص فينبغي ان يحمل العام عليه فيختص الطهورية بالتراب ومنع بعضهم
الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بان قال تربة كل مكان
ما فيه من تراب او غيره واجيب بانه ورد في الحديث بلفظ التراب اخرجه
ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا اخرجه احمد
والبيهقي باسناد حسن وعن عمار قال جا رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه فقال اني اجنبت فلم اصب الماء فقال عمار لعمر اما تذكر ان كنا في سفر انا وانت
فاما انت فلم تصل واما انا فتمعكت فصليت فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
يكفيك هذا وضرب النبي صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما
وجهه وكفيه رواه البخاري ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب
وسقوط استحباب التكرار في التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن
ابي الجهيم بن الحرث بن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول
فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه
على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي رواه البغوي في شرح السنة وقال حديث
حسن وهذا محمول على ان الجدار كان مباحا او مملوكا لانسان كان يعرف رضاه

الفصل السادس في غسله صلى الله عليه وسلم

والغُسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا اريد به الماء فهو مضموم واما المصدر
فيجوز فيه الضم والفتح حكاه ابن سيدة وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال
بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذي يغتسل به وبالكسر
ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على الاعضاء وحقيقة
الاغتسال غسل جميع الاعضاء مع تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية ووجوب الغسل
على الجنب مستفاد من قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلاة

وانتم سكاري

وانتم سكاري حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا
ففي الاية الاولى اجمال وهو قوله فاطهروا بينته قوله في الاية الثانية حتى
تغتسلوا ويؤيده قوله تعالى في الحايض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن
المفسر بالاغتسال اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوف على نسايه بغسل واحد رواه مسلم من حديث انس وعن ابي رافع
طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على نسايه يغتسل عند هذه وعند هذه
قال فقلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا اخرا قال هذا ازكى واطيب
واطهر رواه احمد وابو داود والنسايي وقد اجمع العلماء على انه لا يجب
الغسل بين الجماعين واما الوضوء فاستحبه الجمهور وقال ابو يوسف
انه لا يستحب واوجبه ابن حبيب من المالكية واهل الظاهر لحديث
اذا اتى احدكم اهله ثم اراد ان يعود فليتوضا بينهما وضوا رواه مسلم وحمله
بعضهم على الوضوء اللغوي فقال المراد به غسل الفرج انتهى وقالت
عايشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة
بدا فغسل يديه ثم يتوضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء
فيخلل بها اصول الشعر ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض
الماء على جسده كله رواه البخاري ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف
مما بهما ويحتمل ان يكون هو الغسل المشروع عند القيام من النوم
ويدل عليه زيادة ابن عيينة في هذا الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما في
الاناء رواه الشافعي والترمذي وزاد ايضا ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم
وابي داود وهي زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من مسه
في اثناء الغسل ويحتمل ان يكون الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة
بحيث يجب غسل اعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل ان يكتفي بغسلها
في الوضوء عن اعادته وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة في اول عضو
وانما قدم اعضاء الوضوء تشريفا لها وليحصل له صورة الطهارتين
الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب مع
الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم ابو ثور وداود وغيرهما
الى ان الغسل لا ينوب عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها اصول الشعر
اي شعر راسه ويدل عليه رواية حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقي يخلل
بها شق راسه الايمن فيتبع بها اصول الشعر ثم يفعل بشق راسه الايسر
كذلك وقال القاضي عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية في الغسل
اما للعموم قوله اصول الشعر واما بالقياس على شعر الراس وفايدة التخليل

ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا هو
التخليل غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر متلبدا بشيء يحول بين الماء
وبين الوصول الى اصوله واختلف في وجوب الدلك فلم يوجبه الاكثر
ونقل عن مالك والمزني في وجوبه واحتج ابن بطال بالاجماع على
وجوب امرار اليد على اعضاء الوضوء عند غسلها فيجب ذلك في الغسل
قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بان جميع من لم يوجب الدلك اجازوا
وغمس اليد في الماء للمتوضئ من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة
وفي قوله في هذا الحديث ثلاث غرفات استحباب التثليث في الغسل
قال النووي ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردي فانه قال
لا يستحب التكرار في الغسل قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ومنه خصه
ما ذكرته قلت وكذا قال الشيخ ابو علي السنجي وكذا قال القرطبي وقالت
ميمونة وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين او
ثلاثا ثم افرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم تمضمض
واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم افاض على جسده ثم تحول من مكانه
فغسل قدميه رواه البخاري ولم يقيد في هذه الرواية بعدد فيحمل على
اقل مسمى وهو المرة الواحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه
مشروعية المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم تمضمض
واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بان الفعل
المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب
وليس الامر هنا كذلك وعنها توضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه
للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما اصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء
ثم نحى رجليه فغسلهما رواه البخاري وفيه التصريح بتاخير الرجلين في وضوء
الغسل الى اخره وهو مخالف لظاهر رواية عايشة ويمكن الجمع بينهما
اما بحمل رواية عايشة على المجاز واما بحمله على حالة اخرى وبحسب
اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الى استحباب
تاخير غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب
تاخيرهما والا فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي
اصحهما واشهرهما ومختارهما انه يكمل وضوءه قال ولم يقع في شيء من
طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الراس في هذا الوضوء وتمسك
به المالكية لقولهم ان وضوء الغسل لا يمسح فيه الراس بل يكفي فيه بغسلها
وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انا فافيض الماء
على راسي ثلاثا واشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن ابي هريرة
قال اقيمت الصلاة

بلغ

قالوا

قال اقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل
ثم خرج الينا وراسه تقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر اي تذكر لا انه
قال ذلك لفظا وعلم الراوي بذلك من قراين او باعلامه بعد ذلك
فظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة السابقة فيوخذ منه جواز التخلل الكثير
بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنه ايضا من حديث ميمونة وضعت
للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا فسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما
ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها
فتمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب على راسه وافاض على
جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته ثوبا فلم ياخذه فانطلق وهو ينفض
يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم ياخذه على كراهة التنشيف
بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال يتطرق اليها الاحتمال فيجوز ان
يكون عدم الاخذ لامر اخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق
بالخرقة او غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة بلل الماء
او للتواضع او لشيء راه في الثوب من حرير او وسخ وقد وقع عند احمد في
هذا الحديث عن الاعمش قال فذكرت ذلك لابراهيم النخعي فقال لا باس
بالمنديل وانما رده مخافة ان يصير عادة وقال التيمي في شرحه في هذا
الحديث دليل على انه كان يتنشف ولولا ذلك لم تاته بالمنديل وقال ابن
دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل على انه لا كراهة في التنشيف لان كلا
منهما ازالة وقال النووي اختلف اصحابنا فيه على خمسة اوجه اشهرها
ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب وقيل مكروه في
الصيف مباح في الشتاء وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين من ماء الغسل
وكذا ماء الوضوء لكن فيه حديث ضعيف اورده الرافعي وغيره ولفظه لا
تنفضوا ايديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم اجده
وتبعه النووي وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه
وسلم اذا اراد ان ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضا للصلاة اي وضوءا
كما للصلاة اي وضوءا شرعيا لا لغويا وليس المراد انه توضا لاداء الصلاة
والحكمة فيه انه يخفف الحدث ولاسيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه
فيرتفع الحدث عن تلك الاعضاء المخصوصة على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن
ابي شيبة بسند رجاله ثقات عن شداد بن اوس الصحابي قال اذا اجنب
احدكم من الليل ثم اراد ان ينام فليتوضا فانه نصف غسل الجنابة

فيجوز

رواه البخاري، وفيه رد على من حمل الوضوء هنا على التنظيف وقوله وتوضا للصلاة صح

وقيل الحكمة فيه انه احد الطهارتين فعلي هذا يقوم التيمم مقامه وقد
روي البيهقي باسناد حسن عن عايشة انه صلي الله عليه وسلم كان
اذا اجنب فاراد ان ينام توضا او تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا
عند عسر وجود الماء وقيل غير ذلك انتهي ملخصًا في فتح الباري

النوع الثاني في ذكر صلاته صلي الله عليه وسلم

إعلم أن بالصلاة يحصل تحقيق العبودية واداء حق الربوبية
وساير العبادات وسايل الي تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى للمصلي
في كل ركعة ما فرق علي اهل السموات فلله ملايكة في الركوع منذ خلقهم الله
تعالي لا يرفعون من الركوع الي يوم القيامة وهكذا السجود والقيام والقعود
واجتمع فيها ايضا من العبوديات ما لم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت
والاستقبال للقبلة والاستفتاح بالتكبير والقراة والقيام والركوع
والسجود والتسبيح في الركوع والدعاء في السجود الي غير ذلك فهو
مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراة بمجردها عبادة
وكذا كل فرد فرد وقد امر الله تعالي نبيه بالصلاة في قوله سبحانه اتل ما اوحي
اليك من الكتاب واقم الصلاة وقال تعالي وامر اهلك بالصلاة واصطبر
عليها وفي ذلك كما نبه عليه صاحب التنوير امدنا الله بمدده اشارة الي ان في هذه كما صح
الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها لانها تاتي في اوقات ملاذ العباد
واشغالهم فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله الي القيام بين يديه والفراغ مما سوي
الله تعالي فلذلك قال تعالي واصطبر عليها قال ومما يدل علي ان في القيام بالصلاة
تكاليف العبودية وان القيام بها علي خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالي
واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا علي الخاشعين فجعل الصبر والصلاة
مقترنين اشارة الي انه يحتاج في الصلاة الي الصبر علي ملازمة اوقاتها وصبر علي مسبح
القيام بمسنوناتها وواجباتها وصبر بمنع القلوب فيها عن غفلاتها
ولذلك قال تعالي بعد ذلك وانها لكبيرة الا علي الخاشعين فافرد الله الصلاة
بالذكر ولم يفرد الصبر به اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل علي
ما قلناه اولان الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان احدهما هو عين
الاخر كما قال تعالي في الاية الاخري والله ورسوله احق ان يرضوه انتهي
ملخصا ثم ان الكلام فيها ينقسم الي خمسة

القسم الاول في الفرايض وما يتعلق بها وفيه ابواب

الاول في الصلوات الخمس وفيه فصول الاول في فرضها عن انس
قال فرضت علي النبي صلي الله عليه وسلم ليلة اسري به خمسون صلاة ثم نقصت

حتي

حتي جعلت خمسا ثم نادي يا محمد انه لا يبدل القول لدي وان لك بهذه
الخمس خمسين رواه الترمذي هكذا مختصرا ورواه البخاري ومسلم
في حديث طويل تقدم في مقصد الاسرا مع ما فيه من المباحث
وعن ابن عباس قال فرض الله الصلاة علي لسان نبيكم في الحضر
اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة رواه مسلم وابو داود
والنسايي وقوله في الخوف ركعة محمول علي ان المراد ركعة مع الامام
وينفرد بالاخري وعن عايشة فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين
ثم اتمها في الحضر واقرت الصلاة في السفر علي الفريضة الاولي رواه البخاري
وعنده في كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهري عن عروة عن
عايشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر صلي الله عليه وسلم ففرضت اربعا
فعين في هذه الرواية ان الزيادة في قولها في الحديث الذي قبله وزيد في صلاة هذا
الحضر وقعت بالمدينة وقد اخذ بظاهر الحديث الحنفية وبنوا عليه ان
القصر في السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفهم بقوله تعالي فليس عليكم
جناح أن تقصروا من الصلاة لان نفي الجناح لا يدل علي العزيمة هو
والقصر انما يكون في شي اطول منه ويدل علي انه رخصة ايضا قوله عليه
الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته رواه مسلم
واما خبر فرضت الصلاة ركعتين في السفر فمعناه لمن اراد الاقتصار عليهما
جمعا بين الاخبار قاله في المجموع

الفصل الثاني في ذكر تعيين الاوقات التي صلي فيها صلي الله عليه وسلم الصلوات الخمس

عن جابر ان جبريل اتي النبي صلي الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلاة
فتقدم جبريل ورسول الله صلي الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله
صلي الله عليه وسلم فصلي الظهر حين زالت الشمس واتاه حين كان الظل مثل ظل شخصه
فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله صلي الله عليه وسلم خلفه والناس خلف
رسول الله صلي الله عليه وسلم فصلي العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فتقدم
جبريل ورسول الله صلي الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلي الله
عليه وسلم فصلي المغرب ثم اتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله
صلي الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم فصلي
العشاء ثم اتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله صلي الله عليه
وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلي الله عليه وسلم فصلي الغداة ثم
اتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالامس
فصلي الظهر ثم اتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلي

العصر ثم اتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى العشاء ثم اتاه
حين امتد الفجر واصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس فصلى
الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النسائي وفي رواية
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان
الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل
ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين
طلع ثم صلى الغداة الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل [الفجر]
مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء الى ثلث الليل او نصف الليل
شك احد رواته ثم صلى الفجر فاسفر وعن ابن عباس قال صلى الله عليه
وسلم امني جبريل عند البيت مرتين فصلى الظهر في الاولى حين كان الفيء
مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت
الشمس وافطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر
وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله
كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى المغرب
كوقته الاول ثم صلى العشاء الاخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين
اسفر ثم التفت الي جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت فيما
بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر حين كان
ظله مثله اي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينئذ فلا
اشتراك بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس
ما لم يحضر العصر وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي
جواز فعل الظهر اذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا مصير الفيء مثل
الشراك كما اتفق عليه ائمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة واما حديث ابن عباس
فالمراد انه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لا انه اخر الى ان صار
مثل الشراك ذكره في المجموع وقد بين ابن اسحاق في المغازي ان صلاة
جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي
ليلة الاسراء ولفظه قال نافع بن جبير وغيره لما اصبح صلى الله عليه وسلم من
الليلة التي اسري به لم يرعه الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك
سميت الاولى اي صلاة الظهر فامر فصيح باصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا
فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر الحديث وفيه رد على
من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة والحق ان ذلك وقع قبلها ببيان
جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وانما دعاهم بقوله الصلاة

جامعة لان الاذان

جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على
جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب عن قصة ابي بكر
في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فانه محمول على انه
كان مبلغا فقط كما سيأتي تقريره ان شاء الله تعالى وقد صلى صلى الله عليه
وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها رواه البخاري
ومسلم وقال انس كان صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة [حية فيذهب الذاهب الى العوالي فياتيهم والشمس مرتفعة ثم]
وبعض العوالي من المدينة على اربعة اميال رواه البخاري ومسلم وفي
ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع
بعد ان تمضي مسافة اربعة اميال والمراد بالشمس ضوؤها وعن
سلمة بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت
الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن
رافع بن خديج كنا نصلي المغرب معه صلى الله عليه وسلم فينصرف احدنا
وانه ليبصر مواقع نبله رواه البخاري ومسلم والنبل بفتح النون
السهام العربية اي يبصر مواقع سهامه اذا رمى بها ومقتضاه [بالمغرب في اول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء باق وكان صلى الله عليه وسلم]
المبادرة اذا كان الحر ابرد بالصلاة واذا كان البرد عجل
رواه النسائي من حديث انس ويؤخر العصر ما دامت الشمس بيضاء
نقية رواه ابو داود من رواية علي بن شيبان وقال عليه الصلاة
والسلام اذا قدم العشاء فابدؤوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن
عشائكم رواه البخاري ومسلم وعن ابي داود من رواية علي
ابن شيبان لا تؤخر الصلاة لطعام ولا غيره واعتم صلى الله عليه وسلم
بالعشاء ليلة حتى ناداه عمر الصلاة نام النساء والصبيان فخرج صلى
الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من اهل الارض احد غيركم قال ولا يصلي
يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل
الاول زاد في رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام وفي رواية فخرج
وراسه يقطر يقول لولا ان اشق على امتي او على الناس لامرتهم [ومسلم]
بالصلاة هذه الساعة رواه البخاري وفي رواية ابي داود من حديث
ابي سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم
فاخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوا واخذوا مضاجعهم
وانكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف
وسقم السقيم لاخرت هذه الصلاة الى شطر الليل وفي حديث ابي هريرة
لولا ان اشق على امتي لامرتهم ان يؤخروا العشاء الى ثلث الليل او نصفه

صححه الترمذي فعلى هذا من وجد به قوة على تاخيرها ولم يغلبه النوم
ولم يشق على احد من الماموين فالتاخير في حقه افضل وقد
قرر النووي ذلك في شرح مسلم وهو اختيار كثير من اهل الحديث
من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوي يستحب الى الثلث
وبه قال مالك واحمد واكثر الصحابة والتابعين وهو قول
الشافعي في الجديد وقال في القديم التعجيل افضل وكذا قال في
الاملا وصححه النووي وجماعة وقالوا انه مما يفتى به على القديم
وتعقب بانه ذكره في الاملا وهو من كتبه الجديدة
والمختار من حيث الدليل افضلية التاخير قاله في فتح الباري

الفصل الثالث في ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم

وفيه فروع الاول في صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم
روى ابو داود انه عليه الصلاة والسلام سمع بلالا يقيم الصلاة
فلما قال قد قامت الصلاة قال اقامها الله وادامها وكان صلى الله
عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه من حديث عائشة
وروى البخاري عن ابن عمر قال رايت النبي صلى الله
عليه وسلم افتتح التكبير في الصلاة واستدل بهما على تعيين
لفظ التكبير دون غيره من الفاظ التعظيم وهو قول الجمهور
ووافقهم ابو يوسف وعند الحنفية ينعقد بكل لفظ يقصد
به التعظيم وقد روى البزار باسناد صحيح على شرط مسلم
عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال
الله اكبر ولاحمد والنسائي من طريق ابن حبان انه سال ابن
عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله اكبر كلما وضع
ورفع وليعلم ان التكبيرة للاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط
وهو مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر
لم يقل به احد غير الزهري ولم يختلف احد في ايجاب النية في الصلاة
قال البخاري في اواخر الايمان باب ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام
الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة قال
ابن القيم في الهدي النبوي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة
قال الله اكبر ولم يقل شيئا قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال اصلي صلاة
كذا مستقبل القبلة اربع ركعات اماما او ماموما ولا اداء ولا
قضاء ولا فرض الوقت قال وهذه عشر بدع لم ينقل عنه احد قط

باسناد صحيح ولا ضعيف

باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة البتة ولا عن
احد من الصحابة ولا استحبه احد من ~~الصحابة~~ التابعين ولا الائمة الاربعة
وقول الشافعي في الصلاة انها ليست كالصيام فلا يدخل احد فيها الا بذكر اي
تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعي امرا لم يفعله صلى الله عليه
وسلم في صلاة واحدة ولا احد من الصحابة انتهى وعبارة الشافعي
في كتاب المناسك ولو نوى الاحرام بقلبه ولم يلب اجزاه وليس
كالصلاة لان في اولها نطقا واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ ابو علي
السنجي في شرح التلخيص وابن الرفعة في المطلب والزركشي
في الديباج وغيرهم انما اراد الشافعي بذلك تكبيرة الاحرام فقط انتهى
وبالجملة فلم ينقل احد انه عليه الصلاة والسلام تلفظ بالنية ولا علم
احدا من اصحابه التلفظ بها ولا اقره على ذلك بل المنقول عنه في
السنن انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها
التسليم وفي الصحيحين انه عليه الصلاة والسلام لما علم المسيء
صلاته فقال له اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرا بما تيسر معك من القران
فلم يامره بالتلفظ بشيء قبل التكبير نعم اختلف العلماء في التلفظ
بها فقال قائلون هو بدعة لانه لم ينقل فعله وقال اخرون هو مستحب
لانه عون على استحضار النية القلبية وعبادة اللسان كما انه
عبودية للقلب والافعال المنوية عبودية ~~للقلب والافعال المنوية عبودية~~
الجوارح وبنحو ذلك اجاب الشيخ تقي الدين السبكي والحافظ عماد الدين
ابن كثير واطنب ابن القيم في غير الهدي في رد الاستحباب واكثر
من الاستدلال بما في ذكره طول يخرجنا عن المقصود لاسيما والذي
استقر عليه اصحابنا استحباب النطق بها وقاسه بعضهم على ما في الصحيحين
من حديث انس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا
يقول لبيك عمرة وحجا وفي البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق اتاني الليلة آت من ربي
فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وهذا تصريح
باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا
بانه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابة بما
يهلون به ويقصدونه من النسك وامتثالا للامر الذي جاء من
ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه الصلاة والسلام اكثر من ثلاثين
الف صلاة فلم ينقل عنه انه قال نويت اصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة

كما ان فعله سنة فليس لنا ان نسوي بين ما فعله وتركه فنأتي من القول
في الموضع الذي تركه بنظير ما اتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج
والصلاة اظهر من ان يقاس احدهما على الاخر انتهى ما قاله هذا المتعقب
فليتأمل وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه
حتى يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فاذا اراد ان يركع فعل مثل ذلك فاذا
رفع راسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية واذا رفع راسه من
الركوع رفعهما كذلك ايضا وقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد وفي اخرى
نحوه وقال ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه
البخاري ومسلم وعند ابي داود من حديث علقمة كان صلى
الله عليه وسلم اذا قام من السجود سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي
بهما منكبيه كما صنع حين افتتح وهو قطعة من حديث رواه ايضا الترمذي
وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك قال النووي اجمعت
الامة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الاحرام واختلفوا فيما سواها العلماء
فقال الشافعي واحمد وجمهور من الصحابة يستحب رفعهما عند الركوع
وعند الرفع منه وهو رواية عن مالك وللشافعي قول انه يستحب رفعهما
في موضع رابع وهو اذا قام من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب
فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يفعله رواه البخاري
وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى رواه ابو داود
ومذهب الشافعي والاكثرين ان المصلي اذا وضع يده تحت صدره
فوق سرته وقال ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعي تحت سرته وكان
عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة فقال له ابو
هريرة بابي انت وامي اسكاتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال
اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب
اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم
اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد رواه البخاري ومسلم وعن
علي كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة وفي رواية اذا افتتح الصلاة
كبر ثم قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك
له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم انت الملك لا اله الا انت ربي وانا عبدك
ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا انه لا يغفر الذنوب الا انت
واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف

عني سيئها

عني سيئها الا انت لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس
اليك انا بك واليك تباركت وتعاليت استغفرك واتوب اليك الحديث
رواه مسلم وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة
قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم انه راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان
الله بكرة واصيلا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه
قال ابن عمر نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة رواه ابو داود
وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلي
تطوعا قال الله اكبر وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما
انا من المشركين وذكر الحديث مثل حديث جابر الا انه قال وانا من
المسلمين ثم قال اللهم انت الملك لا اله الا انت سبحانك وبحمدك ثم يقرا رواه النسائي

**الفرع الثاني في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم البسملة
في اول الفاتحة** روي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه ابو داود وقال الترمذي ليس اسناده
بذاك ورواه الحاكم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر
ببسم الله الرحمن الرحيم قال صحيح وفي صحيح ابن خزيمة عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة وعدها اية لكنه من رواية عمر بن هارون عنها
البلخي وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن ابي مليكة وروى الحافظ
ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه في تفسيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم وهي السبع احداهن
المثاني والقران العظيم ام الكتاب ورواه الدارقطني ايضا عن ابي هريرة
مرفوعا بنحوه او مثله وقال كلهم ثقات وروى البيهقي عن علي وابن
عباس وابي هريرة انهم فسروا قوله سبعا من المثاني بالفاتحة وان البسملة هي
الاية السابعة منها وعن شعبة عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم وابا بكر وعمر كانوا يفتتحون القران بالحمد لله رب العالمين رواه البخاري اي كانوا يفتتحون بالفاتحة
وفي رواية مسلم فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم كذا اخرجه
مسلم وغيره لكنه حديث معلول اعله الحفاظ كما هو في كتب علوم الحديث
وفي شرح الفية العراقي لشيخنا الحافظ ابي الخير السخاوي امتع الله بوجوده
في باب المعلل ما نصه وعلة المتن القادحة فيه تحدث نفي قراءة البسملة
في الصلاة المروي عن انس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول انس صليت خلف النبي

صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يفتتحون
بالحمد لله رب العالمين نفي البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون
بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في اخرها وفي لفظ فلم يكونوا
يفتتحون القراءة ببسم الله وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا والراوي
لذلك مخطئ في ظنه وكذا قال الشافعي رحمه الله في الام ونقله عنه الترمذي
في جامعه المعنى انهم يبدؤن بقراءة ام القران قبل ما يقرا بعدها لا انهم
يتركون البسملة اصلا ويتايد بثبوت تسمية ام القران بجملة الحمد لله
رب العالمين في صحيح البخاري وكذا بحديث قتادة قال سيل انس كيف كانت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم
يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم اخرجه البخاري في صحيحه
وكذا صححه الدارقطني والحازمي وقال انه لا علة له لان الظاهر
كما اشار اليه ابو شامة ان قتادة لما سال انسا عن الافتتاح في
الصلاة باي سورة واجابه بالحمد لله ساله عن كيفية قراءته فيها
وكانه لم يرو ابهام السايل مانعا من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السايل
اولا وقد اخرج ابن خزيمة في الصحيحين وصححه الدارقطني ان ابا سلمة
ابن يزيد سال انسا اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله او
ببسم الله فقال لا احفظ فيه شيا قال وهذا مما يتايد به خطا النافي
ولكن قد روي هذا الحديث عن انس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق
ان المعلل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد بن مسلم عن مالك
عنه بل ومن بعض اصحاب حميد ايضا عنه فانها في ساير الموطا عن مالك
صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرا بسم الله لا ذكر للنبي
صلى الله عليه وسلم وكذا الذي عند ساير حفاظ اصحاب حميد عنه انما هو
في الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن مهدي حيث قال ان حميدا كان اذا
رواه عن انس لم يرفعه واذا قال فيه عن قتادة عن انس رفعه واما رواية قتادة
وهي من رواية الوليد بن مسلم وغيره عن الاوزاعي ان قتادة كتب اليه يخبره
ان انسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول
قراءة ولا في اخرها فلم يتفق اصحابه عنه على هذا اللفظ بل اكثرهم لا ذكر عندهم
للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون ببسم الله وممن اختلف عليه فيه
من اصحابه شعبة فجماعة منهم عندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وابو داود الطيالسي عنه
فقط حسبما وقع من طريق غير واحد بلفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله
وهي موافقة للاوزاعي وابو عمر الدوري وكذا الطيالسي وعندي ايضا بلفظ
فلم اسمع احدا

غير م

فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله بل كذا اختلف قتادة من اصحاب انس فان اسحق
ابن ابي طلحة وثابت البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار ثلاثتهم عن انس
بدون نفي واسحق ايضا ومنصور بن زاذان وابو قلابة وابو نعامة كلهم عنه وثابت
باللفظ النافي للجهر خاصة ولفظ اسحق منهم يفتتحون القراءة بالحمد لله رب
العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني
شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع
على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية منصور بن زاذان فلم يسمعنا قراءة بسم الله
واصرح منه رواية الحسن عن انس كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون بسم الله وبهذا
الجمع زالت دعوى الاضطراب كما انه ظهر ان الاوزاعي الذي رواه عن قتادة مكاتبة
مع كون قتادة ولد اكمه وكاتبه مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ
فيجاب عن قول انس لا احفظه فان المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن
النفي عدم استحضار انس رضي الله تعالى عنه لاهم شيء يستحضره وبامكان
نسيانه حين سؤال ابي سلمة له وقد تذكره له بعد فانه يثبت ان قتادة ساله
ايقرا الرجل في الصلاة بسم الله فقال صليت وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
وعمر فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله ويحتاج اذا استقر محصل حديث انس عن نفي
الجهر الى دليل له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر له الشارح دليلا وارشد
شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يوخذ منه ذلك بل قال ان قول نعيم المجمر
صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرا بام القران حتى بلغ
ولا الضالين فقال الناس امين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين
يقول الله اكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول
الله صلى الله عليه وسلم اصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة وابن
حبان وقد رواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
ولكن تعقب الاستدلال به باحتمال ان يكون ابو هريرة اراد بقوله اشبهكم في معظم
الصلاة لا في جميع اجزائها لا سيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة
واجيب بان نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الاجزا
فيحمل على عمومه حتى يثبت دليل يخصه ومع ذلك فيطرقه احتمال ان يكون سماع
نعيم لها من ابي هريرة حال مخافتته لقربه منه وقد قال الامام فخر الدين الرازي
في تصنيف له في الفاتحة هـ ى ف ب الشافعي باسناده ان معاوية وكذا رواه الحاكم في مستدركه
قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض
الى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والانصار يا معاوية
اسرقت الصلاة اين بسم الله الرحمن الرحيم اين التكبير عند الركوع

والسجود فاعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ثم قال الشافعي وكان
معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا ان الجهر بالتسمية
والتكبير كان كالامر المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار لما
قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه انتهى وهو حديث حسن
اخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله ثقات ثم قال الامام
بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على ان الجهر بهذه
الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده
بعد ان ترجم بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمان عن اسماعيل بن
حماد عن ابي سليمان عن ابي خالد الوالبي الكوفي عن ابن عباس قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم
ووافقه على تخريجه الدارقطني وابو داود وضعفه بل وقال الترمذي
ليس اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم
الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم يمد بها صوته الحديث
وهو عند الحاكم في مستدركه ايضا مانصه وقد قال بهذا عدة من اهل العلم
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو هريرة وابن عمر
وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رووا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
وبه يقول الشافعي انتهى ~~[illegible]~~
~~[illegible]~~
انتهى وقال الشيخ ابو امامة بن النقاش والذي يروم تحقيق هذه المسئلة
ينبغي ان يعرف ان هذه المسئلة بعلم القراآت امس وذلك لان من القرا
الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان
يقرا بها اية من الفاتحة وهم عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وغيرهم
من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها اية من الفاتحة كابن عامر
وابي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم قراءتها خارجها
فمن قرا على قراءة من جعلها من ام القران لزمه فرضا ان يقرا بها ومن قرا على قراءة
من لم يرها من ام القران فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف
فيها كالخلاف في حرف من حروف القران وكلا القولين صحيح ثابت لا مطعن
على مثبته ولا على منفيه ولا ريب ان النبي صلى الله عليه وسلم تارة
قراها وتارة لم يقرا بها هذا هو الانصاف ثم قال والمستيقن الذي يجب المصير
اليه ان كلا من العملين ثابت لانه لا يختلف اثنان من اهل الاسلام ان هذه

القراآت السبع

القراآت السبع كلها حق مقطوع بها من الله وليست هذه اول كلمة فيها
ولا اول حرف اختلف في اثباته وحذفه وقل سورة من القران ليس ذلك
كلفظ هو في سورة الحديد وهو الغني الحميد ولفظ من في سورة التوبة
في قوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار والفات عديدة وواوات كذلك وهلا اشد
وكل هذا من نتيجة كون القران على سبعة احرف وهذا هو الذي يدل على
بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان
الاختلاف لا يثبت معه قران فما ادري ما هذا الظن وهذا الذي ذكرناه هو
الذي يرتحك من تلك التقريرات من الجانبين ثم قال ولا ريب ان الواقع
من النبي صلى الله عليه وسلم كلا الامرين من الجهر والاسرار فجهر واسر
غير ان اسراره كان اكثر من جهره وقد صح في الجهر احاديث لا مطعن فيها لمنصف
نحو ثلاثة احاديث كما انه قد صح في الاسرار بها احاديث لا مطعن فيها لعار من
العصبية ولا يلتفت لمن يقول ان الواقع من النبي صلى الله عليه وسلم
كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين بماذا ترى ظهر اسم
الامام الشافعي وغلب ذكره فقال ارى ذلك باظهار اسم الله في البسملة
لكل صلاة انتهى **الفرع الثالث في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم**
الفاتحة وقوله امين بعدها كان صلى الله عليه وسلم اذا قرا غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال آمين ومد بها صوته وفي رواية وخفض بها صوته
رواه الترمذي وفي رواية ابي داود ورفع بها صوته وفي رواية لم
جهر بآمين وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين
جهر بآمين وتكلك اخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدي
عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة ام القران رفع صوته وقال آمين
وللحميدي من طريق سعيد المقبري عن ابي هريرة بنحوه بلفظ اذا قال الامام
ولا الضالين ولابي داود وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر
نحو رواية الزبيدي وفيه رد على من اومى الى النسخ فقال انما كان النبي صلى
الله عليه وسلم يجهر بآمين في ابتداء الاسلام ليتعلمهم فان وائل بن حجر انما اسلم في
اواخر الامر **الفرع الرابع في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة**
في صلاة الغداة عن ابي هريرة كان صلى الله عليه وسلم يقرا في صلاة
الغداة ما بين الستين الى المائة رواه النسائي **وعن** عمرو بن حريث
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم
وفي رواية للنسائي يقرا في الفجر اذا الشمس كورت **وعن** جابر بن
سمرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في الفجر بق والقران المجيد ونحوها

تخفيفها

وكانت قراءته بعد ~~تخفيفها~~ رواه مسلم وعن عبد الله بن السايب قال
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المومنون
حتى جا وزذكر موسى وهارون او ذكر عيسى شك الراوي او اختلف
عليه اخذت النبي صلى الله عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه مسلم
قال النووي فيه جواز قطع القراة وجواز القراة ببعض السورة وكرهه مالك
انتهى وتعقب بان الذي كرهه مالك ان يقتصر على بعض السورة مختارا
والمستدل به ظاهر في انه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل
به على انه لا يكره قراة بعض الاية اخذا من قوله حتى جاذكر موسى وهارون
او ذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع في وسط اية نعم الكراهة
لا تثبت الا بدليل وادلة الجواز كثيرة وفي حديث زيد بن ثابت انه صلى
الله عليه وسلم قرا الاعراف في الركعتين وام ابو بكر رضي الله تعالى عنه
بالصحابة في صلاة الصبح بسورة البقرة قراها في الركعتين وهذا اجماع منهم
وقرا في الصبح اذا زلزلت في الركعتين كلتيهما قال الراوي فلا ادري انسي ام
قراة لك عمدا رواه ابو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرا في صبح الجمعة
الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابي هريرة وانما كان
يقروهما كاملتين وقراة بعضهما خلاف السنه وانما كان يقراهما لما
اشتملتا عليه من ذكر المبدا والمعاد وخلق ادم ودخول الجنة والنار
واحوال يوم القيامة لان ذلك كان ويقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية في العلم
المشهور وقرره تقريرا حسنا كما افاده ابن حجر قال وقد ورد في حديث
ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على قراتهما في صبح الجمعة
اخرجه الطبراني ولفظه يديم ذلك واصله في ابن ماجه لكن بدون هذه
الزيادة ورجاله ثقات لكن صوب ابو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد
لم يقف عليه فقال في الكلام على حديث الباب ليس في الحديث ما يقتضي فعل
ذلك دايما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة
ليست نصا في المداومة لكن الزيادة المذكورة نص في ذلك ولهذه الزيادة
شاهد من ابن عباس ~~عند الطبراني~~ بلفظ كل جمعة اخرجه الطبراني في الكبير واما
تعيين السورة للركعة فورد من حديث علي عند الطبراني بلفظ كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرا في الركعة الاولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفي الركعة
الثانية هل اتى على الانسان وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراة السجدة في الصلاة
فقيل لكونها تشتمل على زيادة سجود في الفرض قال القرطبي فهو تعليل فاسد بشهادة

هذا الحديث

هذا الحديث وقيل لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين
الجهرية والسرية لان الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث
ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة فيها سجدة في صلاة الظهر فسجد بهم فيها
رواه ابو داود والحاكم فبطل التفرقة ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد
العوام انها فرض قال ابن دقيق العيد اما القول بالكراهة مطلقا فيا باها الحديث
لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسده فينبغي ان تترك احيانا لتندفع فان
المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل في بعض الاوقات
انتهى قال صاحب المحيط من الحنفية يستحب قراتهما في صبح يوم الجمعة
بشرط ان يقرا غير ذلك احيانا لئلا يظن الجاهل انه لا يجزي غيره قال ولم ار في شي
من الطرق التصريح بانه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرا الم تنزيل في هذا المحل
الا في كتاب الشريعة لابي داود من طريق اخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال غدوت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في صلاة الفجر فقرا سورة فيها
سجدة فسجد الحديث وفي اسناده من ينظر في حاله انتهى وعن علي عند
الطبراني في المعجم الاوسط ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في الصبح يوم الجمعة في الم
تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال ان يكون قرا السورة ولم يسجد
الفرع الخامس في ذكر قراته صلى الله عليه وسلم في
صلاتي الظهر والعصر عن ابي قتادة قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقرا في الظهر في الاوليين بام الكتاب وسورتين وفي الركعتين الاخريين
بام الكتاب ويسمعنا الاية احيانا ويطول في الركعة الاولى ما لا يطيل في الركعة
الثانية وهكذا في العصر وهكذا في الصبح رواه البخاري ومسلم قال الشيخ
تقي الدين السبكي كان السبب في تطويله الاولى على الثانية ان النشاط في الاولى
يكون اكثر فناسب التخفيف في الثانية حذرا من الملل انتهى وروى
عبد الرزاق عن معمر عن يحيى اخر هذا الحديث فظننا انه يريد بذلك ان يدرك
الناس الركعة الاولى وعن ابي سعيد الخدري قال كنا نحزر اي نقدر قيام هو
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاوليين
من الظهر قدر الم تنزيل السجدة وفي رواية في كل ركعة قدر ثلاثين اية وحزرنا قيامه
في الركعتين الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرنا في الركعتين الاوليين من العصر على
قدر قيامه في الركعتين الاخريين من الظهر وفي الاخريين من العصر على النصف رواه مسلم
وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرا في الظهر بالليل اذا يغشى
وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى وفي العصر نحو ذلك الحديث رواه مسلم وعنه
كان يقرا في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق

رواه ابو داود والترمذي وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه
وسلم الظهر فنسمع منه الاية بعد الايات من لقمان والذاريات
رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه دليل على جواز الاكتفا بظاهر الحال
والاخبار دون التوقف عن اليقين لان الطريق الى العلم بقراة السورة
في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية
وكانه ماخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على قراة باقيها ويحتمل ان يكون
الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم عقيب الصلاة دايما او غالبا بقراة
السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن انس رضي الله تعالى عنه
قرا صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث
الغاشية رواه النسائي وعن ابي سعيد رضي الله عنه كانت صلاة
الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم ياتي اهله فيتوضا
ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم رواه مسلم **الفرع الثالث**
في ذكر قراته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب عن ام الفضل بنت الحارث
قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالمرسلات عرفا رواه البخاري
ومسلم ومالك وابو داود والترمذي والنسائي وفي رواية انها لاخر
ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته
عن ابن شهاب انها اخر صلاته صلى الله عليه وسلم ولفظه ما صلى لنا بعدها
حتى قبضه الله اورده البخاري في باب الوفاة وعنده في باب انما جعل
الامام ليوتم به من حديث عايشة ان الصلاة التي صلاها النبي صلى الله
عليه وسلم باصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما لان الصلاة
التي حكتها عايشة كانت في المسجد والتي حكتها ام الفضل كانت في بيته
كما رواه النسائي لكن يعكر رواية ابن اسحاق عن ابن شهاب في هذا الحديث
بلفظ خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب راسه في مرضه
الذي فصلى المغرب الحديث رواه الترمذي ويمكن حمل قولها خرج الينا اي
من مكانه الذي كان راقدا فيه الى من في البيت فصلى فتلتيم الروايات وعن
جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور
رواه البخاري ومسلم زاد البخاري في الجهاد وكان اي جبير بن مطعم جا في
اسارى بدر وزاد الاسماعيلي وهو يوميذ مشرك وللبخاري في المغازي
وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وللطبراني فاخذني من قراته الكرب
ولسعيد بن منصور فكانما صدع قلبي وفي قوله سمعته صلى الله عليه وسلم
دليل على الجهر بها والله اعلم وعن مروان بن الحكم قال لي زيد بن

ثابت مالك تقرا

ثابت مالك تقرا في المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا بطولى الطوليين رواه البخاري زاد ابو داود قلت وما طولى
الطوليين قال الاعراف وفي رواية للنسائي من حديث عايشة رضي الله
تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها في ركعتين
وعن عبد الله بن عتبة قرا صلى الله عليه وسلم بحم الدخان
رواه النسائي وهذه الاحاديث في القراة مختلفة المقادير لان الاعراف
من السبع الطوال والطور من طوال المفصل والمرسلات من اوساطه
قال الحافظ ابن حجر ولم ار حديثا مرفوعا فيه التنصيص على القراة فيها بشي
من قصار المفصل الا حديثا في ابن ماجة عن ابن عمر نص فيه على الكافرون
والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة واما حديث ابن عمر
فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطني اخطا بعض رواته
فيه واما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن سماك وهو متروك
والمحفوظ انه قرا بهما في الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض اصحابنا
وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن ابي هريرة قال ما رايت احدا اشبه
صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرا في الصبح
بطوال المفصل وفي المغرب بقصار المفصل رواه النسائي وصححه ابن خزيمة
وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن في الاستدلال به نظر نعم حديث لعله نظر
رافع انهم كانوا ينتضلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراة فيها
وطريق الجمع بين هذه الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان احيانا يطيل القراة في
المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على المامومين وليس في
حديث جبير دليل على ان ذلك تكرر منه وفي حديث زيد بن ثابت اشعار
بذلك لكونه انكر على مروان المواظبة على القراة بقصار المفصل ولو كان
مروان يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن
لم يرد زيد فيما يظهر المواظبة على القراة بالطوال وانما اراد منه ان يتعاهد
ذلك كما راه من النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ام الفضل
اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الصبح باطول من المرسلات
لكونه كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على ابي داود
ادعاه نسخ التطويل لانه روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة
انه كان يقرا في المغرب بالقصار وقال هذا يدل على نسخ حديث زيد ولم
يبين وجه الدلالة وكيف يصح دعوى النسخ وام الفضل تقول ان اخر صلاة
صلاها بهم قرا بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف المباح

فجايز للمصلي ان يقرا في المغرب وفي الصلوات كلها بما احب الا انه اذا كان
اماما استحب له ان يخفف القراة انتهي والراجح عند النووي ان المفصل
من الحجرات الي اخر القران والله اعلم **الفرع السابع في ذكر ما كان
صلي الله عليه وسلم يقرا في صلاة العشاء** عن البراء
كان صلي الله عليه وسلم يقرا في العشاء والتين والزيتون فما
سمعت احد احسن صوتا او قراةً منه صلي الله عليه وسلم رواه
البخاري ومسلم وكان صلي الله عليه وسلم اذا اتي علي اية عذاب
وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرا
سبح اسم ربك الاعلي قال سبحان ربي الاعلي رواه احمد وابو
داود من رواية ابن عباس وقال صلي الله عليه وسلم من قرا منكم
والتين والزيتون فانتهي اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلي
وانا علي ذلك من الشاهدين ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة
فانتهي الي قوله اليس ذلك بقادر علي ان يحيي الموتي فليقل بلي
ومن قرا والمرسلات فبلغ فباي حديث بعده يومنون فليقل امنا
بالله رواه ابو داود والترمذي الي قوله وانا علي ذلك من
الشاهدين وكان صلي الله عليه وسلم يسكت بين التكبير
والقراة اسكاتة وعنها ساله ابو هريرة ويسكت بعد الفاتحة
ويسكت ثالثة بعد قراة السورة وهي سكتة لطيفة جدا حتي
يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراة بالركوع واما السكتة
الاولي فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح واما الثانية فلاجل قراة
الماموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدرها ذكره في زاد المعاد
وعن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما عن رسول الله
صلي الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته واذا فرغ من القراة ثم قال
بعد ذلك واذا قرا ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراة
ان يسكت حتي يتراد اليه نفسه رواه الترمذي **الفرع الثامن
في ذكر صفة ركوعه صلي الله عليه وسلم** عن ابي حميد الساعدي
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قام الي الصلاة رفع يديه حتي يحاذي
بهما منكبيه فذكر الحديث الي ان قال ثم يكبر ويرفع يده حتي يحاذي
منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه علي ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب
راسه ولا يقنع رواه ابو داود والدارمي **الفرع التاسع في ذكر
مقدار ركوعه صلي الله عليه وسلم** عن جبير قال سمعت انس

ابن مالك

ابن مالك يقول ما صليت وراء احد بعد رسول الله صلي الله عليه
وسلم اشبه صلاة بصلاة رسول الله صلي الله عليه وسلم من هذا
الفتي يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات
وسجوده عشر تسبيحات رواه ابو داود وعن البراء كان
ركوع رسول الله صلي الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين
واذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء
رواه البخاري ومسلم قال النووي هذا الحديث محمول علي بعض
الاحوال والا فقد ثبت في الحديث تطويل القيام فانه كان يقرا في
الصبح بالستين الي المائة وفي الظهر بالم السجدة وانه كان تقام
الصلاة فيذهب الذاهب الي البقيع فيقضي حاجته ثم يرجع الي اهله
فيتوضا ثم ياتي المسجد فيدرك الركعة الاولي وانه قرا سورة
المومنون حتي بلغ ذكر موسي وهارون وانه قرا في المغرب
بالطور والمرسلات وفي البخاري بالاعراف فكل هذا يدل علي انه
كانت له في اطالة القيام احوال بحسب الاوقات وهذا الحديث
الذي نحن فيه جري في بعض الاوقات انتهي وقال ابن القيم
مراد البراء ان صلاته صلي الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا اطال
اطال القيام والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود
وتارةً يجعل الركوع والسجود بقدر القيام وهديه عليه الصلاة
والسلام الغالب تعديل الصلاة وتناسبها **الفرع العاشر في ذكر
ما كان يقوله صلي الله عليه وسلم في الركوع والرفع منه** عن عايشة
رضي الله عنها كان صلي الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران رواه
البخاري ومسلم ومعني يتاول القران يعمل بما امر به في قوله
تعالي فسبح باسم ربك العظيم واستغفره انه كان توابا فكان
صلي الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع في الجزالة المستوفي
ما امر به في الاية وعنها كان صلي الله عليه وسلم يقول في ركوعه
سبوح قدوس رب الملايكة والروح رواه البخاري وعن
حذيفة انه كان صلي الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحان ربي
العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلي وكان صلي الله عليه وسلم
اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد
ملء السموات وملء الارض وملء ما شيت من شيء بعد رواه مسلم

قال النووي يبدأ يعني المصلي بقول سمع الله لمن حمده حين
الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قايما ثم يشرع في
ذكر الاعتدال وهو ربنا لك الحمد الى اخره قال وهذا الحديث دلالة هو
للشافعي فطايفة انه يستحب لكل مصل من امام وماموم ومنفرد
ان يجمع بين سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد في حال استوايه
وانتصابه في الاعتدال لانه ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا
وقد قال عليه الصلاة والسلام صلوا كما رايتموني اصلي رواه البخاري
انتهى وقال ابن القيم كان عليه الصلاة والسلام اذا استوى
قايما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم
ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح
انتهى قلت وقع في صحيح البخاري من حديث ابي هريرة في رواية
الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك
الحمد فجمع بين اللهم والواو وهو يرد على ابن القيم كما ترى ه
وقال الشيخ تقي الدين السبكي في شرح العمدة كان اثبات الواو
دال على معنى زايد لانه يكون التقدير ربنا استجب او ما قارب
ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعاء ومعنى
الخبر واذا قيل باسقاط الواو دل على احدهما انتهى وقال ابن العراقي
اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامة وقال لان الواو للعطف
وليس هنا شي يعطف عليه وعن مالك واحمد في ذلك خلاف
وقال النووي كلاهما جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على وجه
الجواز وان الامرين جايزان ولا ترجيح لاحدهما على الاخر انتهى وعن
ابي سعيد الخدري كان صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع
قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شيت
من شي بعد اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع
لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم
قوله ملء السموات وملء الارض اي حمدا لو كان اجساما لملا السموات
والارض ومعنى سمع الله لمن حمده اي اجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا
لثوابه استجاب الله له فاعطاه ما تعرض له فانا اقول ربنا لك الحمد
ليحصل ذلك وقوله اهل الثنا منصوب على النداء وقوله وكلنا
لك عبد بالواو يعني احق قول العبد لا مانع لما اعطيت الى اخره واعترض
بينهما قوله وقوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قالت رب اني
وضعتها

وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراة من قرا
وضعتُ بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الغنا اي لا ينفع
ذا الغنا منك غناه وانما ينفعه الايمان والطاعة والله اعلم وفي
رواية ابن ابي اوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد
قوله من شي بعد اللهم طهرني بالماء والثلج والبرد

ثم التصحيح

النوع الحادي عشر في ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه صلى الله عليه وسلم

اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه
وقد روي انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه ايضا
وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والذي عزاه ان الراوي غلط
من قوله كان يكبر في كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه في كل
خفض ورفع وهو ثقة ولم يطعن بسبب غلطه ووهم فتحقيقه نبه
عليه في زاد المعاد وكان عليه الصلاة والسلام يضع ركبتيه
قبل يديه رواه ابو داود ثم جبهته وانفه وقال امرت ان اسجد
على سبعة اعظم الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين رواه
البخاري ومسلم من حديث ابن عباس قال النووي فينبغي للساجد ان يسجد
على هذه الاعضا كلها وان يسجد على الجبهة والانف جميعا فاما الجبهة
فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفي بعضها والانف مستحب فلو تركه
جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك
والاكثرين وقال ابو حنيفة عليهما مخالفا لظاهر الحديث قال الاكثرون بل ظاهر
الحديث انهما في حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين صارت
ثمانية وكان عليه الصلاة والسلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو
بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت ميمونة جافى بين يديه
حتى لو شاءت بهمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يذكر عنه
صلى الله عليه وسلم انه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك في حديث
صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف عن ابي هريرة قال
كان صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله
ابن محرز وهو متروك وذكر ابو داود في المراسيل انه صلى الله عليه وسلم
راى رجلا يصلي فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه
وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده اللهم اغفر لي
ذنبي كله دقه وجله اوله واخره وعلانيته وسره رواه مسلم
من حديث ابي هريرة وقوله دقه وجله بكسر اولهما اي قليله وكثيره

وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في السجود وهما منصوبتان وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك رواه مسلم قال الخطابي في هذا الحديث معنى لطيف وذلك انه عليه الصلاة والسلام استعاذ بالله وساله ان يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمواخذة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه لا غير ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا احصي ثناء عليك اي لا اطيقه ولا اتي عليه وقيل لا احيط به وقال مالك لا احصي نعمتك واحسانك والثناء بها عليك وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله انت كما اثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة اي دون التفصيل والاحصا والتعيين فوكل ذلك الى الله سبحانه وتعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما انه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثني عليه فكل شيء اثني به عليه وان كثر وطال وبالغ فيه فقدر الله اعظم وسلطانه اعز وصفاته اكثر واكبر وفضله واحسانه اوسع واسبغ انتهى وهاهنا فايدة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القران في الركوع والسجود وهي ان القران اشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالى ان لا يقرا في هاتين الحالتين ويكون حالة القيام والانتصاب اولى به والله اعلم فروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع راسه من السجود مكبرا غير رافع يديه فيرفع منه راسه قبل يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان عليه الصلاة والسلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقب السجدة الثانية في كل ركعة يقوم عنها ولا يستحب في سجود التلاوة في الصلاة وكان عليه الصلاة والسلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني رواه ابو داود والدارمي من حديث ابن عباس

الفرع الثاني عشر في ذكر صفة جلوسه صلى الله عليه وسلم في التشهد

وكان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد

جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى رواه مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه ان الجلوس في الصلاة يكون مفترشا سوا فيه جميع الجلسات وعند مالك ليس متوركا بان يخرج رجله اليسرى من تحته ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا الجلسة التي يعقبها السلام والجلسات عند الشافعي اربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة كل ركعة يعقبها قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا الا الاخيرة ولو كان على المصلي سجود سهو فالاصح انه يجلس مفترشا في تشهده فاذا سجد سجدتي السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل مذهب الشافعي واحتج ابو حنيفة باطلاق حديث عايشة هذا واحتج الشافعي بحديث ابي حميد الساعدي في صحيح البخاري وفيه تصريح بالافتراش في الجلوس الاول والتورك في اخر الصلاة وحمل حديث عايشة على هذا الجلوس في غير التشهد الاخير للجمع بين الاحاديث انتهى فليتامل مع قول ابن القيم في الهدي انه لم ينقل احد عنه صلى الله عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه في التشهد الاول ولا اعلم احدا قال به انتهى وقال ابو حميد الساعدي في عشرة من اصحابه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فاعرض فذكر الحديث الى ان قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم اخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلي رواه ابو داود والدارمي وفي رواية لابي داود فاذا قعد في الركعتين قعد على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى واذا كان في الرابعة افضى بوركه اليسرى الى الارض واخرج قدميه من ناحية واحدة الحديث وكان عليه الصلاة والسلام اذا قعد في التشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين واشار بالسبابة وفي رواية مسلم وضع يديه على ركبتيه ورفع اصبعه اليمنى التي تلي الابهام ويدعو بها ويده اليسرى على ركبتيه باسطها عليها وعند ابي داود من حديث وايل ابن حجر وحد مرفقه الايمن على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع اصبعه فرايته يحركها ويدعو وفي حديث ابن الزبير عنده ايضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان صلى الله عليه وسلم يستقبل باصابعه القبلة في رفع يديه وفي ركوعه وفي سجوده وفي التشهد ويستقبل باصابع رجليه القبلة في سجوده

الفرع الثالث عشر في ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يتشهد

دائما في هذه الجلسة ويعلم اصحابه ان يقولوا التحيات المباركات
الصلوات الطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلي عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا عبده ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذي اختاره
الشافعي بزيادة المباركات لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضي عياض
رحمه الله تعالى وعبارة الشافعي فيما اخرجه البيهقي بسنده الي الربيع بن
سليمان اخبرنا الشافعي جوابا لمن ساله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا
نري الرواية اختلفت فيه عن النبي صلي الله عليه وسلم فروي ابن مسعود
خلاف هذا فساق الكلام الي ان قال فلما رايته واسعا وسمعته يعني
حديث ابن عباس صحيحا ورايته اكثر لفظا من غيره يعني من المرفوعات
اخذت به غير معنف لمن اخذ بغيره هذا اخر كلامه وليس فيه تصريح
بالافضلية والعلم عند الله وقال ابو حنيفة واحمد وجمهور الفقهاء
واهل الحديث تشهد ابن مسعود افضل لانه عند المحدثين اشد صحة وقال
مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه افضل لانه علمه للناس علي
المنبر ولم ينازعه احد فدل علي تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول
سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين انهما واجبان وقال احمد الاول واجب
يجبر تركه بالسجود والثاني ركن تبطل الصلاة بتركه وقال ابو حنيفة ومالك
وجمهور الفقهاء هما سنتان وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان
عليه الصلاة والسلام ياتي بالتشهدين وفي الغيلانيات عن القاسم بن
محمد قال علمتني عايشة قالت هذا تشهد رسول الله صلي الله عليه وسلم التحيات لله
والصلوات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلي
عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
وهو مثل حديث ابن مسعود وشواهد رواه البيهقي باسناد جيد قال
النووي وفي هذا فايدة حسنة وهي ان تشهده عليه الصلاة والسلام بلفظ
تشهدنا انتهي قال الحافظ ابن حجر وكانه يشير الي رد ما وقع في الرافعي انه صلي الله
عليه وسلم كان يقول في التشهد واشهد اني رسول الله وتعقبوه بانه لم يرد
كذلك صريحا نعم في البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خفت ازواد القوم
فذكر الحديث وفيه فقال صلي الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول
الله ومن لطايف التشهد ما قاله البيضاوي وعلمهم ان يفردوه صلي
الله عليه وسلم بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم فان قيل كيف يشرع هذا اللفظ
وهو خطاب بشر مع كونه منهيا عنه في الصلوات فالجواب ان ذلك من خصايصه

صلي الله عليه وسلم

صلي الله عليه وسلم فان قلت ما الحكمة في العدول عن الغيبة الي الخطاب في
قوله عليك ايها النبي مع ان اللفظ هو الذي يقتضيه السياق كان يقول
السلام علي النبي فينتقل من تحية الله الي تحية النبي ثم الي تحية النفس ثم الي
الصالحين اجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي
علمه للصحابة ويحتمل ان يقال علي طريق اهل المعرفة بالله ان المصلين لما استفتحوا
باب الملكوت بالتحيات اذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت
اعينهم بالمناجاة فنبهوا علي ان ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته
فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قايلين السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال الحكيم الترمذي في قوله
السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين من اراد ان يحظي بهذا السلام الذي
سلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم وقال
القفال في فتاويه ترك الصلاة يضر جميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم
اغفر لي وللمومنين والمومنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلي
عباد الله الصالحين فيكون مقصرا لخدمة الله وفي حق رسوله وفي نفسه
وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية بتركها واستنبط منه
السبكي ان في الصلاة حقا للعباد وان من تركها اخل بجميع حق المومنين من مضي
ومن يجي الي يوم القيامة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين انتهي
وتقدم الكلام علي وجوب الصلاة عليه صلي الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير
وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلي الله عليه وسلم وروي الطبراني
مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل علي نبيه وكذا عند ابن ماجة
والدارقطني وعن ابن مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلي صلاة لم يصل فيها
علي وعلي اهل بيتي لم تقبل منه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا تشهد احدكم في الصلاة فليقل اللهم صل علي محمد وعلي ال محمد وارحم محمدا وال محمد
كما صليت وباركت وترحمت علي ابراهيم وعلي ال ابراهيم انك حميد مجيد رواه
الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيي بن السباق وهو مجهول
عن رجل مبهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن ابي زيد
من زيادته وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلي الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة
بالوحي ففي الزيادة علي ذلك استدراك عليه انتهي قال الحافظ ابن حجر وابن ابي زيد
ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم
صل علي محمد وال محمد فزاد وترحم علي محمد وال محمد وبارك علي محمد وال محمد الي اخره فان
كان انكاره لكونه لم يصح فمسلم والا فدعوي من ادعي انه لا يقال وارحم محمدا مردودة

مردود لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها في التشهد السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم وجدت لابن ابي زيد مستندا فاخرج رفعه
الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن ابي هريرة من قال اللهم
صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
شهدت له يوم القيامة وشفعت له ورجال سنده رجال الصحيح الا سعيد بن
سليمان مولى سعيد بن العاصي الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول
وهذا كله فيما يقال مضموما الى السلام او الصلاة وقد وافق ابن العربي
الصيدلاني من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز
مطلقا وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه
غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك كله لايهامه النقص
لان الترحم غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه
فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه
عليه الصلاة والسلام قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي
وان كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل
الى غيره واخرج ابو العباس السراج عن ابي هريرة انهم قالوا يا رسول الله
كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى
آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وفي حديث
بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد
كما جعلتها على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ووقع في حديث ابن مسعود عند ابي داود
والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث ابي سعيد على محمد عبدك ورسولك
كما صليت على ابراهيم ولم يذكر آل محمد ولا آل ابراهيم وعند ابي داود من حديث
ابي هريرة اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المومنين وذريته واهل
بيته ووقع في آخر حديث ابن مسعود في العالمين انك حميد مجيد قال
النووي في شرح المهذب ينبغي ان يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول
اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وبارك مثله وزاد في آخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك
ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك وقال في التحقيق
والفتاوى مثله الا انه يسقط النبي الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم
يستوعب ما ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال الاذرعي لم يسبق الى
ما قاله والذي يظهر ان الافضل لمن تشهد ان ياتي باكمل الروايات ويقول

كل ما ثبت

كل ما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم احداث صفة
في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه الى ذلك ابن القيم
وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة اللهم اني اعوذ بك من
عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال واعوذ بك من
فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم واعوذ بك من المأثم والمغرم
فقال له قائل ما اكثر ما تستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا
غرم حدث فكذب ووعد فاخلف رواه البخاري ومسلم من رواية
عائشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته
من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات واعظمها والعياذ بالله
امر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت
اضيفت الى الموت لقربها منه ويجوز ان يكون اراد بها فتنة القبر ولا يكون مع هذا
الوجه متكررا مع قوله عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة اليه
والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذي في نوادر
الاصول عن سفيان الثوري ان الميت اذا سئل من ربك تراءى
له الشيطان فيشير الى نفسه اي انا ربك فلهذا ورد سؤال التثبيت
له حين يسأل وقد استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم
بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم وما تاخر واجيب باجوبة منها
انه قصد التعليم لامته ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون
المعنى هنا اعوذ بك لامتي ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية
والتزام خوف الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال امره في الرغبة
اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الاجابة لان في ذلك تحصيل
الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه
اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك احرى
بالملازمة واما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه انه لا يدركه
فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل ان يكون ذلك
قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله في الحديث الآخر عند مسلم ان يخرج
وانا فيكم فانا حجيجه الحديث والله اعلم وعن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم
واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة الدجال الاعور واعوذ بك
من فتنة المحيا والممات رواه ابو داود وعن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم

اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما
اسرفت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت
رواه مسلم وغيره وفي رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت الي اخره ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية علي ارادة السلام لان
مخرج الطريقين واحد واورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة وسلم
وهذا ظاهر في انه بعد السلام ويحتمل انه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسياتي
الجواب عما استشكل في دعايه عليه الصلاة والسلام بهذا الدعاء وادعيته
صلي الله عليه وسلم ان شا الله تعالي وحاصل ما ثبت عنه صلي الله عليه وسلم
من المواضع التي كان يدعو بها في داخل صلاته ستة مواطن **الاول**
عقب تكبيرة الاحرام كما في حديث ابي هريرة في الصحيحين اللهم باعد بيني وبين
خطاياي الحديث ونحوه **الثاني** في الركوع كما في حديث عايشه عند
الشيخين كان يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم
وبحمدك اللهم اغفر لي **الثالث** في الاعتدال من الركوع كما في حديث
ابن ابي اوفي عند مسلم انه كان يقول بعد قوله من شي بعد اللهم طهرني
بالثلج والبرد والما البارد **الرابع** في السجود وهو اكثر ما كان يدعو فيه
وامر به **الخامس** بين السجدتين اللهم اغفر لي الي اخره **السادس** في التشهد
وكان ايضا يدعو في القنوت وفي حال القراة اذا مر باية رحمة سال واذا مر باية
عذاب استعاذ وتقدم كل في ذلك والله الموفق **الفرع الرابع عشر**
في ذكر تسليمه عليه الصلاة والسلام وكان صلي الله عليه وسلم
يسلم عن يمينه وعن شماله حتي يري بياض خده رواه مسلم والنسايي من
حديث عامر بن ربيعة عن ابيه وفي حديث ابن مسعود كان يسلم عن يمينه
وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذي وزاد ابو داود
حتي يري بياض خده وفي رواية للنسايي حتي يري بياض خده من هاهنا وبياض
خده من هاهنا الحديث وهذا كان فعله الراتب رواه عنه خمسة عشر صحابيا
وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسهل بن سعد ووايل بن
حجر وابو موسي الاشعري وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن
عمر وجابر بن سمرة والبرا بن عازب وابو مالك الاشعري وطلق بن علي
واوس بن اوس وابو ثور وعدي بن عميرة وهذا مذهب الشافعي وابو
حنيفة واحمد والجمهور ومذهب مالك في طايفة المشروع تسليمة ودليل
مذهبنا ما تقدم **واما** ما روي انه صلي الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة
تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح واجود ما في ذلك حديث عايشة انه صلي
الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة

الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته
حتي يوقظنا وهو حديث معلول وهو في السنن لكنه في قيام الليل والذين
رووا عنه التسليمتين ما شهدوا في الفرض والنفل وحديث عايشة ليس
هو صريحا في الاقتصار علي تسليمة واحدة بل اخبرت انه كان يسلم تسليمة يوقظهم
بها ولم تنف الاخري بل سكتت عنها وليس سكوتها مقدما علي رواية من حفظها وضبطها
وهم اكثر عددا واحاديثهم اصح والله اعلم **واختلف** في التسليم فقال مالك
والشافعي واحمد وجمهور العلما انه فرض لا تصح الصلاة الا به وقال ابو حنيفة
والثوري والاوزاعي سنة لو ترك صحت صلاته واحتج بانه عليه الصلاة والسلام
لم يعلمه الاعرابي حين علمه واجبات الصلاة واحتج الجمهور بحديث ابي داود
مفتاح الصلاة الطهور وتحليلها التسليم **وكان** صلي الله عليه وسلم اذا قام
في الصلاة طاطا راسه رواه احمد وكان لا يجاوز بصره اشارته وكان قد جعل
الله قرة عينه في الصلاة كما قال وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه النسايي ولم يكن
يشغله عليه الصلاة والسلام ما هو فيه عن مراعاة احوال المامومين مع كمال
اقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين يديه وكان يدخل في الصلاة فيريد
اطالتها فيسمع بكا الصبي فيتجوز في صلاته مخافة ان يشق علي امه رواه
البخاري وابو داود والنسايي وكان يوم بالناس وهو حامل امامة بنت ابي
العاص بن الربيع علي عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووي وهذا يرد لمذهب
الشافعي رحمه الله ومن وافقه انه يجوز حمل الصبي والصبية وغيرهما من الحيوان
في صلاة الفرض والنفل للامام والماموم والمنفرد وحمله اصحاب مالك رحمه
الله علي النافلة ومنعوا جواز ذلك في الفريضة وهذا التاويل فاسد لان قوله
يوم الناس صريح او كالصريح في انه كان في الفرض وادعي بعض المالكية انه
منسوخ وبعضهم انه خاص به صلي الله عليه وسلم وبعضهم انه كان لضرورة
وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح في جواز
ذلك وليس فيه ما يخالف الشرع لان الادمي طاهر وما في جوفه من النجاسة
معفو عنها لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم علي الطهارة
ودلايل الشرع متظاهرة علي هذا والافعال في الصلاة لا تبطلها اذا قلت او
تفرقت وفعله عليه الصلاة والسلام للجواز وتنبيها علي هذه القواعد
التي ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه ابو سليمان الخطابي ان هذا الفعل يشبه
ان يكون بغير تعمد لحملها في الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلاة والسلام
فلم يدفعها فاذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم انه حملها ووضعها مرة بعد
اخري لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا كان علم الخميصة شغله فكيف

لايشغله هذا هذا كلام الخطابي وهو باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله في
صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا رفع من السجود اعادها وقوله في رواية غير
مسلم خرج حاملا امامة وصلى وذكر الحديث واما قضية الخميصة فانها
تشغل القلب بلا فايدة وحمل امامة لا نسلم انه يشغل القلب وان شغله
فيترتب عليه فوايد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل لهذه
الفوايد بخلاف الخميصة والصواب الذي لا يعدل عنه ان الحديث كان
للبيان والتنبيه على هذه القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم الدين
وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فيجي الحسن والحسين فيركب
على ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه على ظهره وكان يرد السلام
بالاشارة على من يسلم عليه وهو في الصلاة قال جابر بعثني رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحاجة فادركته وهو يصلي فسلمت عليه فاشار الي رواه مسلم
وقال عبد الله بن مسعود لما قدمت من الحبشة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي فسلمت عليه فاومى براسه رواه البيهقي وكان يصلي وعايشة
معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام
بسطتهما رواه البخاري وكان عليه الصلاة والسلام لا يلتفت في صلاته
وفي البخاري عن عايشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد
وروى ابو داود من حديث سهل بن الحنظلية انه صلى الله عليه وسلم
قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال انس بن ابي مرثد الغنوي انا يا رسول
الله قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في اعلاه فلما
اصبحنا ثوب بالصلاة فجعل صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت الى الشعب
حتى اذا قضى الصلاة قال ابشروا فقد جاء فارسكم فهذا الالتفات من
الاشتغال بالجهاد في الصلاة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف
وقريب منه قول عمر رضي الله عنه اني لاجهز الجيش وانا في الصلاة فهذا
جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر في معاني القران واستخراج كنوز
العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم يصلي فعرض له الشيطان ليقطع
عليه صلاته فاخذه فخنقه حتى سال لعابه على يده رواه
وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل يعني يبكي وفي رواية
ولصدره ازيز كازيز الرحا من البكا رواه احمد ولم يكن صلى الله عليه
وسلم يغمض عينيه في صلاته وعن انس قال كان قرام لعايشة

سترت به

سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم اميطي عنا قرامك هذا
فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي رواه البخاري ولو كان يغمض لما
عرضت له في صلاته وقد اختلف الفقهاء في كراهيته والحق ان يقال ان كان
تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو افضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع
كان يكون في قبلته زخرفة او غيرها مما يشغل قلبه فلا يكره التغميض قطعا
بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه الحالة وقد كانت صلاته صلى الله عليه
وسلم متوسطة عارية عن الغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها
والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل ما السنة تخفيفه كالتشهد
الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلى بدا الوسوسة عافانا الله منها وهي
نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع مستنبط في افعاله واقواله شيا لم
يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد من الصحابة وقد قال عليه الصلاة
والسلام ان خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها
وعنه ايضا واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ومما نسب الى امام الحرمين الوسوسة
نقص في العقل او جهل باحكام الشرع ومن غرايب ما يقع لهولاء
الموسوسين ان بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة وربما
فاته الوقت ومنهم من يشتغل في النية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما تفوته
ركعة واكثر ومنهم من يحلف انه لا يزيد على هذه التكبيرة ثم يكذب ومن العجايب
ان بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع الامام فاذا خشي فوات الركوع
كبر سريعا وادركه فمن لم يحصل له النية في القيام الطويل حال فراغ باله
فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم من يكثر
التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من المامومين ولا ريب ان ذلك مكروه
ومنهم من يزعج اعضاه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير
كانه يكبر على العدو ومنهم من يغسل عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر
ويقرا بلسانه ويسمع باذنه ويعلمه بقلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في
انكاره يقين نفسه ويجحده لما راه ببصره وسمعه باذنه وقد
سال رجل ابا الوفا بن عقيل فقال اني اكبر واقول ما كبرت واغسل العضو في الوضو
واقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك
فقال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن
يكبر ثم يقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة فمن اراد التخلص
من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السنية ويقتدي

بملته الحنيفية فان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك فليتضرع الى الله
ويبتهل اليه في كشف ذلك

الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم

ليعلم ان القنوت يطلق على
القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخضوع كما قال
تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى امن هو قانت
اناء الليل ساجدا وقايما الاية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت
من القانتين والمراد به هنا الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام وعن
انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القرا
فعرض لهم حيان من سليم رعل وذكوان عند بير يقال له بير معونة
فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك
بدء القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسال رجل
انسا عن القنوت ابعد الركوع ام عند الفراغ من القراة قال بل عند فراغ
القراة وفي اخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو على رعل
وذكوان ويقول عصية عصت الله ورسوله وفي اخرى بعث صلى الله
عليه وسلم سرية يقال لهم القرا فاصيبوا فما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجد على شي ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه رواية
البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية
ابي داود والنساي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع وفي اخرى قنت شهرا
ثم تركه وفي اخرى للنساي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان
وعن ابن عباس قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله
لمن حمده من الركعة الاخرة يدعو على احياء من سليم على رعل وذكوان وعصية
ويؤمن من خلفه رواه ابو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم
العن فلانا وفلانا وفلانا بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فانزل
الله عليه ليس لك من الامر شي الى قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن
ابي هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف وفي رواية في صلاة الفجر وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل
تعالى عليه ليس لك من الامر شي الاية رواه البخاري ومسلم وعن

البراء

البراء كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي
ولابي داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن ابي مالك الاشجعي قال
قلت لابي يا ابت انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وعثمان وعلي بن ابي طالب هاهنا بالكوفة خمس سنين اكانوا يقنتون قال اي
بني محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال اشهد اني سمعت ابن
عباس يقول ان القنوت في صلاة الفجر بدعة رواه الدارقطني قال بعض العلما
الصواب انه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه للقنوت اكثر من فعله انما
قنت عند النوازل للدعا لقوم وللدعا على اخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم
وخلصوا من الاسر واسلم من دعا عليهم فجاوا تايبين وكان قنوته لعارض فلما
زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت في صلاة الفجر
والمغرب ذكره البخاري في صحيحه عن انس وذكره مسلم عن البرا وصح عن ابي هريرة انه
قال والله اني لاقربكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقنت في
الركعة الاخيرة من الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده قال ابن ابي فديك
ولا ريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا رد على القايل
بكراهة القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله
بدعة واهل الحديث متوسطون بين هولاء ومن استحبه ويقولون فعله سنة وتركه
سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة
ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت ومن ترك فقد احسن انتهى ومذهب
الشافعي رحمه الله ان القنوت مشروع في صلاة الصبح دايما في الاعتدال من
ثانية الصبح لما رواه انس ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت في الفجر حتى
فارق الدنيا رواه احمد وغيره وقال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من
الحفاظ منهم الحاكم والبيهقي وابو عبد الله محمد بن علي البلخي وفي البيهقي
العمل بمقتضاه عن الخلفا الاربعة وقال بعضهم اجمعوا انه صلى الله عليه وسلم
قنت في الصبح ثم اختلفوا هل ترك فيتمسك بما اجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا
فيه انتهى واما حديث ابن ابي فديك عن عبد الله بن سعيد بن ابي سعيد
المقبري عن ابيه عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع
راسه من الركوع في الركعة الثانية من صلاة الصبح يرفع يديه ويدعو بهذا الدعا
اللهم اهدني فيمن هديت الى اخره فقال ابن القيم في زاد المعاد ما ابين الاحتجاج
به لو كان صحيحا او حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح
حديثه في القنوت انتهى وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ورد عليه كما قاله
ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلى

الله عليه وسلم يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم
اهدني فيمن هديت اخرجه محمد بن نصر في كتاب قيام الليل والصحيح انه
لا يتعين فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء وفيه وجه انه لا يحصل الا
بالدعاء المشهور وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت
وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما اعطيت وقني شر ما قضيت فإنك تقضي
ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت رواه ابو داود
والترمذي والنسائي من حديث الحسن بن علي قال علمني رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر فذكره واسناده صحيح قال
البيهقي قد صح ان تعليم هذا الدعاء وقع لقنوت صلاة الصبح والقنوت
الوتر انتهى وقوله فإنك تقضي بالفاء والواو في وانه لا يذل ورنا
قبل وتعاليت الا ان الفاء لم تقع في رواية ابي داود وزاد البيهقي بعد قوله
انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن ابي عاصم في كتاب التوبة
نستغفرك اللهم ونتوب اليك وتسن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في آخره لان النسائي قد رواه من حديث الحسن بسند صحيح او حسن
كما قاله في شرح المهذب ولفظه اي النسائي وصلى الله على النبي وجزم في
الاذكار باستحباب الصلاة على الآل والسلام وخالفه صاحب الاقليد
فقال اما ما وقع في كتب اصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الائمة الآن
من ذكر الآل والازواج والاصحاب فكل ذلك لا اصل له قلت عبارة النووي
في الاذكار يستحب ان يقول عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد وسلم فقد جاء في رواية النسائي باسناد حسن وصلى الله تعالى على
النبي انتهى وتعقب بان لفظ الدعوى خلاف الدليل ويزيد عليه ذكر الآل
والتسليم نعم وقعت الزيادة عند الرافعي والروياني معزوة لحديث
الحسن بن علي عند النسائي لكنها ليست عنده في رواية احد من الرواة
عنه على ان لفظ وصلى الله على محمد النبي زايد على رواية الترمذي وهي
زيادة غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي احد رواته لانه غير معروف
وعلى تقدير ان يكون هو عبد الله بن علي بن الحسين بن علي فهو منقطع لانه
لم يسمع من جده الحسن بن علي فقد تبين انه ليس من شرط الحسن
لانقطاعه او لجهالة راويه ولم تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه اخر
وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى نعم اصل الحديث الى اخر
وتعاليت حسن لاعتضاده برواية الترمذي وغيره بخلاف الزيادة
اذ لم تجيء في غيره وحيث سننا الصلاة على الآل على ما جزم به النووي

فينبغي عدها

فينبغي عدها في القنوت بعضا قال في المجموع عن البغوي ويكره إطالة
القنوت كالتشهد الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفي تحقيقه
في باب سجود السهو من ان الاعتدال ركن طويل اما على ما صححه فيهما
في صلاة الجماعة من انه قصير وهو ما في المنهاج والروضة فقد يقال القياس
البطلان لان تطويل الركن القصير عمدا مبطل ويجاب بحمل ذلك على غير محل
القنوت اذ البغوي نفسه القائل بكراهة الاطالة قائل بان تطويل الركن
القصير مبطل عمده ويسن للمنفرد والامام برضى المحصورين الجمع في
قنوت الوتر بين القنوت السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم انا نستعينك
الى اخره والاولى تاخيره عن القنوت السابق ويسن رفع يديه رواه البيهقي
باسناد جيد قال في المجموع وفي مسح وجهه بهما وجهان اشهرهما
نعم واصحهما لا قال البيهقي ولا احفظ في مسحه هنا عن احد من السلف
شيئا وان روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة ومسح غير الصدر
كالصدر مكروه وقال النووي في الاذكار اختلف اصحابنا في رفع اليدين
في القنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة اوجه اصحها يستحب رفعهما ولا يمسح
الوجه والثاني يرفع ويمسحه والثالث لا يمسح ولا يرفع واتفقوا على انه
لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر
الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية للاتباع رواه
البخاري قال الماوردي وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه
المأموم أمّن كما كانت الصحابة يؤمنون خلفه صلى الله عليه وسلم
في ذلك رواه ابو داود باسناد حسن ويوافقه في الثناء سرا او يسكت
لانه ثناء او ذكر لا يليق به التأمين والدعاء يشمل الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبري وان لم يسمع المأموم
قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير
وتر وصبح الا لنازلة من خوف وقحط او وباء او جراد ونحوها فيستحب
ان يقنت في مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة وفي
البخاري من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت في النازلة
انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام ابي يحيى زكريا الانصاري
مع زيادة من غيره والله أعلم **الفصل الرابع في ذكر سجوده
صلى الله عليه وسلم للسهو في الصلاة** إعلم أن السهو هو
الغفلة عن الشيء وذهاب القلب الى غيره قاله الازهري وفرق بعضهم
فيما حكاه القاضي عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى وزعم أن

السهو جائز في الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان
قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل فكان صلى الله عليه وسلم
يسهو في الصلاة ولا يغفل عنها فكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدي وهو ضعيف من جهة الحديث
ومن حيث اللغة اما من جهة الحديث فلما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله
عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون واما من حيث اللغة فقول الازهري
المازني ونحوه قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه
عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر
الفرق بين السهو الذي وقع من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عن
الصلاة الذي ذم الله فاعله وقد كان سهوه عليه الصلاة والسلام من اتمام نعم
الله على امته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا
معنى الحديث المنقطع الذي في الموطا الآتي التنبيه عليه ان شاء الله تعالى
انما انسى او انسى لاسن فكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه
احكام شرعية تجري على سهو امته الى يوم القيامة واختلف في حكمه
فقال الشافعية مسنون كله وعن المالكية السجود للنقص واجب دون
الزيادة وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات فيجب لتركها سهوا وبين
السنن القولية فلا يجب وكذا يجب اذا سها بزيادة فعل او قول يبطلها عمده
وعن الحنفية واجب كله وحجتهم قوله عليه الصلاة والسلام في حديث
ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والامر للوجوب وقد ثبت من فعله
عليه الصلاة والسلام وافعاله في الصلاة محمولة على البيان وبيان الواجب
ولا سيما مع قوله عليه الصلاة والسلام صلوا كما رايتموني اصلي انتهى وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين الاول السجود قبل
التسليم فعن الاعرج عن عبد الله بن بحينة انه قال صلى لنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس
معه فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس
ثم سلم رواه البخاري وفي رواية له عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن
بحينة ايضا انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من
الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية
ايضا عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في صلاة
الظهر وعليه جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس
قبل ان يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس رواه مسلم ايضا
وزاد الضحاك

وزاد الضحاك عن الاعرج عند ابن خزيمة بعد قوله ثم قام فلم يجلس فسبحوا
به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية الترمذي قام في الظهر وعليه
جلوس فلما اتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم
وفي هذا مشروعية سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة ساهيا
لم يلزمه شيء او عامدا بطلت صلاته لانه تعمد الاتيان بسجدة زائدة ليست
مشروعة وانه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل به على ان
سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه في كون جميعه كذلك نعم يرد على من
زعم ان جميعه بعد السلام كالحنفية واستدل به ايضا على ان الماموم يسجد
مع الامام اذا سها الامام وان لم يسه الماموم وان سجود السهو لا تشهد
بعده وان محله اخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل ان يتشهد ساهيا اعاد
عند من يوجب التشهد الاخير وهو الجمهور وفيه ان من سها عن التشهد
الاول حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم
كما في رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه
بالركن بطلت صلاته عند الشافعي القسم الثاني في

السجود بعد التسليم عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال
صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر او العصر فسلم فقال له ذو
اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه احق ما يقول قالوا نعم فصلى ركعتين اخريين ثم سجد سجدتين
قال سعيد ورايت عروة بن الزبير صلى المغرب ركعتين فسلم وتكلم
ثم صلى ما بقي وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم
رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر
في ان ابا هريرة حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال
ان المراد به صلى بالمسلمين وسبب ذلك قول الزهري ان صاحب
القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون القصة وقعت قبل بدر
وقبل اسلام ابي هريرة باكثر من خمس سنين لكن اتفق ائمة الحديث
كما نقله ابن عبد البر وغيره على ان الزهري وهم في ذلك وسببه
انه جعل القصة لذي الشمالين هو الذي قتل ببدر وهو خزاعي واسمه
عمير واما ذو اليدين فتاخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما اخرجه
الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سياتي فلما وقع
عند الزهري بلفظ فقام ذو الشمالين وهو يعرف انه قتل ببدر قال
لاجل ذلك ان القصة وقعت قبل بدر وقد جوز بعض الايمة

ان تكون القصة وقعت لكل من ذى الشمالين وذي اليدين
وان اباهريره روى الحديثين فارسل احدهما وهوقصة ذى الشمالين
وشاهد الاخرى وهو قصة ذى اليدين وهذا يحتمل فى طريق الجمع
وروى البخارى ايضا عن ابن سيرين عن ابى هريره قال صلى رسول الله
الله عليه وسلم احدى صلاتى العشا قال محمد بن سيرين واكثر
ظنى العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة فى مقدم المسجد
فوضع يده عليها وفيهم ابو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان
الناس فقالوا اقصرت الصلاة ورجل يدعوه النبى صلى الله عليه وسلم
ذا اليدين فقال انسيت ام قصرت الصلاه فقال لم انس ولم تقصر
فقال بلى قد نسيت فصلى ركعتين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده
او اطول ثم رفع راسه وكبر **وعن** ابن عمران بن الحصين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم فى ثلاث ركعات
ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان فى يده طول
فقال يارسول الله فذكر صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى
انتهى الى الناس فقال اصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم
سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده لم يروه البخارى
ورواه احمد وابو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء
بعدها موحدة واخره قاف هو اسم ذى اليدين كما ذكره الاكثر
وطول يديه يمكن ان يحمل على الحقيقة او كناية عن طولها بالعمل او البذل
قال الحافظ ابن حجر الظاهر فى نظرى توحد حديث ابى هريرة وان كان
قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه القصه والحامل لهم على ذلك
اختلاف الواقع فى السياقين ففى حديث ابى هريره ان السلام من ذ
وقع فى اثنتين وانه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة من المسجد وفى حديث
عمران هذا انه سلم من ثلاث وانه دخل منزله فلما فرغ من الصلاة
فاما الاول فقد حكى ابن كيكلدى العلاى ان بعض شيوخه حمله على
ان المراد به انه سلم فى ابتدا الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق
الجمع يكتفى فيها بادنى مناسبة وليس بابعد من دعوى تعدد القصه
فانه يلزم منه كون ذى اليدين فى كل مرة استفهم النبى صلى الله عليه
وسلم على ذلك واستفهم النبى صلى الله عليه وسلم الصحابه عن صحة قوله
واما الثانى فلعل الراوى لما راه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن انه
دخل منزله لكون الخشبه كانت فى جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية

ابى هريره

ابى هريره ارجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما اخرجه الشافعى
وابو داود وابن ماجة وابن خزيمه انتهى **وعن** معاوية
ابن حُديج بضم الحا المهملة اخره جيم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقى من الصلاة ركعة فادركه رجل
فقال نسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد فامر بلالا فاقام
الصلاة فصلى بالناس ركعة فاخبرت بذلك الناس فقالوا اتعرف
الرجل قلت لا الا ان اراه فمر بى فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد
الله رواه ابو داود والبيهقى فى سننهما وابن خزيمة فى
صحيحه وعين الصلاة المغرب وقال ابن خزيمه وهذه القصة غير قصة
ذى اليدين لان المعلم للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القصه
طلحة بن عبيد الله ومخبره فى تلك القصة ذو اليدين انما كان
فى الظهر او العصر وفى هذه القصه انما كان السهو فى المغرب
لا فى الظهر ولا فى العصر **وعن** محمد بن سيرين عن ابى
هريره رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
من اثنتين فقال له ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يارسول
الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدق ذو اليدين فقال الناس
نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين اخريين ثم سلم ثم كبر
فسجد مثل سجوده او اطول ثم رفع وفى رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد
يعنى ابن سيرين فى سجدتى السهو تشهد فقال ليس فى حديث ابى هريرة
رواه البخارى ومسلم ومالك وابو داود والترمذى والنسائى
قال الحافظ ابن حجر لم يقع فى غير هذه الروايه لفظ القيام وقد استشكل
انه صلى الله عليه وسلم كان قايما واجيب بان المراد بقوله فقام اى
اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبه كما مر وقد يفهم من قول محمد
ابن سيرين عن التشهد ليس فى حديث ابى هريره انه ورد فى حديث
غيره وهو كذلك فقد رواه ابو داود والترمذى وابن حبان
والحاكم من طريق اشعث بن عبد الملك عن محمد بن سيرين عن خالد
الحذاء عن ابى قلابه عن ابى المهلب عن عمران بن الحصين ان النبى
صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسها فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم
قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال
ابن حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه
البيهقى وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية اشعث لمخالفته غيره من

الحفاظ عن ابن سيرين فزيادة اشعث شاذة لكن قد ورد في التشهد
في سجود السهو عن ابن مسعود عن ابي داود والنسائي وعن
المغيرة عند البيهقي وفي اسنادهما ضعف فقد يقال ان الاحاديث
الثلاثة في التشهد باجتماعها ترتقي الى درجة الحسن قال العلاي وليس
ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله اخرجه ابن ابي شيبة
انتهى ملخصا من فتح الباري وفي رواية ابي سفيان عن ابي هريرة
عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم من ركعتين
فقام ذو اليدين فقال اقصرت الصلاة يا رسول الله ام نسيت
فقال رسول الله كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يا رسول الله
وفي رواية ابي داود من طريق حماد بن زيد عن هشام بن حسان عن ابن
سيرين في هذا الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد للسهو وهذا يؤيد من قال
لا بد من تكبيرة الاحرام في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفا
بتكبيرة السجود والحجة لهم في سجود السهو وهو ظاهر غالب الاحاديث وقال ابو داود
لم يقل احد كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فاشار الى شذوذ هذه الزيادة
ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع الذي كان عليه
الصلاة والسلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع الاستفهام
هل قصرت لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم انس ولم
تقصر صريح في نفي النسيان ونفي النقص وفيه تفسير المراد بقوله
في رواية ابي سفيان المتقدمة كل ذلك لم يكن وتاييد لما قاله اصحاب
المعاني ان لفظ كل اذا تقدمت وعقبها النفي كان نفيا لكل فرد
لا للمجموع بخلاف ما اذا تاخرت كان يقول لم يكن كل ذلك ولهذا
اجاب ذو اليدين في رواية ابي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك واجابه
في هذه الرواية بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين وكان مقررا
عند الصحابة ان السهو غير جائز عليه في الامور البلاغية جزم بوقوع
النسيان لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء فيما
طريقه التشريع وان كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول
السهو في الاقوال التبليغية وخص الخلاف في الافعال لكنهم تعقبوه نعم
اتفق من جوز ذلك على انه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل
او بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم انس ولم تقصر ثم تبين انه نسي
ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد منه ان الاعتقاد
عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفايدة السهو في مثل ذلك بيان الحكم

الشرعي

الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو مطلقا فاجابوا عن
هذا الحديث باجوبة فقيل قوله لم انس نفيا للنسيان ولا يلزم منه نفي
السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي فيه قوله
في هذه الرواية بلى قد نسيت واقره على ذلك وقيل قوله لم انس على ظاهره
وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل
لكونه ابلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم
ولم يلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد او نقص شك بعض الرواة
والصحيح انه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شيء قال
وما ذلك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد
سجدتين ثم سلم فلما اقبل علينا بوجهه قال انه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم
به ولكن انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا
شك احدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد
سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما انا بشر مثلكم ولم يكتف
باثبات وصف النسيان حتى دفع قول من عساه يقول ليس نسيانه
كنسياننا فقال كما تنسون وبهذا الحديث ايضا يرد قول من قال
معنى قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه حيث قال اني لا انسى
ولكن انسى لاسن وانكار اللفظ الذي انكره على غيره حيث قال بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا ايضا بان حديث اني لا انسى
لا اصل له فانه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث
الشديد واما الاخير فلا يلزم من ذم اضافة
نسيان الاية ذم اضافة نسيان كل شيء فان الفرق بينهما واضح جدا وقيل
ان قوله لم انس راجع الى السلام اي سلمت قصدا بانيا على ما في اعتقادي
انني صليت اربعا وهذا جيد وكان ذو اليدين فهم العموم فقال بلى قد
نسيت وكان هذا القول اوقع شكا احتاج معه الى استثبات الحاضرين
وبهذا التقدير يندفع ايراد من استشكل كون ذي اليدين عدلا ولم يقبل خبره
بمفرده فسبب التوقف فيه كونه اخبر عن امر متعلق بفعل المسؤول
مغاير لما في اعتقاده وبهذا يجاب من قال ان من اخبر بامر حسي بحضرة جمع
لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطؤ ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم يكذبوه
انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد
المسؤول خلاف ما اخبر به وفيه ان الثقة اذا انفرد بزيادة خبر وكان
المجلس متحدا وامتنع في العادة غفلتهم عن ذلك انه لا يقبل خبره

يقبل

وفيه جواز البنا على الصلاة لمن اتى بالمنافي سهوا وقال سحنون انما يبني
من سلم من ركعتين كما فى قصة ذى اليدين لان ذلك وقع على
غير القياس فيقتصر به على مورد النص والزم بقصر ذلك على احدى
صلاتى العشي فيمنعه مثلا فى الصبح والذين قالوا بجواز البنا مطلقا
قيدوه بما اذا لم يطل الفصل وفيه ان الكلام سهوا لا يقطع الصلاة
خلافا للحنفيه واستدل بها على ان تعمد الكلام لمصلحة الصلاة
لا يبطلها وتعقب ـــــــ بانه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم الا
ناسيا واما قول ذى اليدين له بلى قد نسيت وقول الصحابة له صدق
ذو اليدين فانهم كانوا تكلموا معتقدين للنسخ فى وقت يمكن وقوعه
فيه فتكلموا ظنا انهم ليسوا فى صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد
قوله عليه الصلاة والسلام لم تقصر واجيب بانهم لم ينطقوا وانما اومووا
كما عند ابى داود فى رواية ساق مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابي
وقال حمل القول على الاشارة مجاز سايغ بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات
التي فيها التصريح بالقول الى هذه وهو قوي اقوي من قول غيره
يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم بالاشارة لكن يبقي في قول ذى
اليدين بل قد نسيت ويجاب عنه وعن البقيه على تقدير ترجيح انهم
نطقوا بان كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع
الصلاه وتعقب ـــــــ بانه لا يلزم من وجوب الاجابه عدم قطع الصلاة
واجيب ـــــــ بانه ثبت فى التشهد وهو حي بقولهم السلام عليك
ايها النبي ولم تفسد الصلاة والظاهر ان ذلك من خصايصه **وعن**
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فسجد سجدتين بعد
ما سلم رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذى والنساى بهذا اللفظ
الا ان مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وقد اختلف فى ذلك فقال مالك والمزني
وابو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان السهو بالنقصان او بالزياده
ففي الاول يسجد قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر
انه اولي من قول غيره للجمع بين الخبرين قال وهو موافق للنظر لانه في النقص
جبر فينبغي ان يكون من اصل الصلاة وفى الزياده ترغيم للشيطان فيكون خارجها
وقال ابن دقيق العيد لا شك ان الجمع اولي من الترجيح وادعا النسخ ويترجح
الجمع المذكور بالمناسبه المذكوره واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم
على وفقها فيتبع الحكم جميع محالها فلا يتخصص الا بنص وتعقب
بان كون السجود فى الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر ايضا
لما وقع

لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص فى المعنى
وقال الخطابى لم يرجع من فرق بين الزياده والنقصان الى فرق صحيح
وايضا فقصة ذى اليدين وقع فيها السجود اقوى المذاهب قول مالك
ثم احمد فقد قال غيره بل طريق احمد اقوى لانه قال يستعمل كل حديث فيما يرد
فيه وما لم يرد فيه شي يسجد قبل السلام قال ولولا ما روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم فى ذلك لرايت كله قبل السلام لانه من شان الصلاة فيفعله قبل التسليم
وعند امامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله
بعد السلام واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بانه لم
يعلم بزيادة الركعة الا بعد السلام حين سالوه هل زيد فى الصلاة وقد اتفق العلما
في هذه الصورة على ان سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم علمه بالسهو
وانما تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة فى الصلاة لانه كان زمان توقع النسخ واجاب
بعضهم بما وقع فى حديث ابن مسعود من الزيادة وهي اذا شك احدكم فى صلاته
فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين واجيب
بانه معارض بحديث ابي سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك احدكم فى صلاته
فلم يدر كم صلي فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين
قبل ان يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين
على حالتين ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام او بعده
ونقل الماوردي الاجماع على الجواز وانما الخلاف فى الافضل وكذا اطلق النووي
وتعقب ـــــــ بان امام الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الاجزاء عن
المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن ان يقال الاجماع الذي نقله الماوردي
والنووي قبل هذه الآراء في المذاهب المذكورة والله اعلم قاله الحافظ
ابن حجر رحمه الله ولو سها سهوين فاكثر فعند الشافعي ومالك وابي حنيفة
واحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو فى التطوع كالفرض

الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها

عن ثوبان كان صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر
ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه
مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت انه كان اذا
صلي اقبل على اصحابه فيحمل ما ورد من الدعا بعد الصلاة على انه كان يقوله بعد ان يقبل
على اصحابه بوجهه الشريف فقد كان عليه الصلاة والسلام يسرع الانفتال الى
الماموبين وكان ينفتل عن يمينه وعن شماله وقال ابن مسعود رايته صلى الله

عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال انس
اكثر ما رايته صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت
ام سلمة كان اذا سلم مكث في مكانه يسيرا قالت فنرى والله اعلم لكي ينصرف
النساء قبل ان يدركهن الرجال رواه البخاري وقالت عايشة كان لم
يقعد الا مقدار ما يقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا
الجلال والاكرام رواه مسلم وهذا الحديث يتمسك به من قال ان
الدعاء بعد الصلاة لا يشرع والجواب ان المراد بالنفي المذكور نفي استمراره
عليه الصلاة والسلام جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول
ما ذكر وكان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع
ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة
وكان يقول باعلى صوته لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا
نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل لا اله الا الله مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم رواه مسلم من حديث عبد الله
ابن الزبير وعن سعد انه كان يعلم بنيه هولاء الكلمات ويقول ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة اللهم اني اعوذ بك من الجبن واعوذ
بك من البخل واعوذ بك من ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر
رواه البخاري وعن زيد بن ارقم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول في دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك
له اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شيء
انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك واهلي
في كل ساعة من الدنيا والاخرة يا ذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله اكبر الله اكبر
الله نور السموات والارض الله الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله اكبر الله اكبر
رواه ابو داود واحمد ورايت في كتاب الهدي لابن القيم واما الدعاء بعد
السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء المنفرد والامام والماموم فلم يكن ذلك
من هدي النبي صلى الله عليه وسلم اصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن وخصص
بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء
بعده ولا ارشد اليه امته وانما هو استحسان راه من راه عوضا من السنة
بعدها قال وغاية الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وامر بها فيها قال
وهذا هو اللائق بحال المصلي فانه مقبل على ربه مناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة

وانتهى

وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سواله في حال مناجاته والقرب منه وهو
مقبل عليه ثم يسال اذا انصرف عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة
يستحب لمن اتى بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان يفرغ منها
ويدعو بما شاء ويكون دعاوه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر
لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه النفي وهو الذكر
لا لكونه مطلقا شيء لما سياتي ثم رايت شيخ مشايخنا امام الحفاظ ابا الفضل بن حجر
تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني لاحبك فلا تدع دبر كل صلاة
دبر كل صلاة ان تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اخرجه ابو داود والنساي وحديث زيد بن ارقم والنساي وحديث صهيب
رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم اصلح لي ديني اخرجه النساي
وصححه ابن حبان وغيره ثم قال فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب اخرها
وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام
اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد اخرج الترمذي من حديث
ابي امامة قيل يا رسول الله اي الدعاء اسمع قال جوف الليل الاخير ودبر
الصلوات المكتوبات وقال حسن واخرج الطبري من رواية جعفر بن
محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة افضل من الدعاء بعد النافلة كفضل
المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي
الدعاء بعد الصلاة مطلقا وليس كذلك فان حاصل كلامه انه نفاه بقيد استمرار
استقبال المصلي القبلة وايراده عقب السلام واما اذا انفتل بوجهه او قدم
الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعاء حينئذ انتهى وكان
عليه الصلاة والسلام حين تقام الصلاة في المسجد اذا راهم قليلا جلس واذا راهم جماعة
صلى رواه ابو داود وقال ابن مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم يمسح
مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني
منكم اولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه البخاري ومسلم وقال
ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فاخذ
بيدي من وراء ظهره فعدلني كذلك من وراء ظهره الى الشق الايمن رواه البخاري
وقال انس سقط صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا
عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا اجمعين
فلما قضى الصلاة قال انما جعل الامام ليوتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال
واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا اجمعين زاد بعض الرواة واذا صلى قايما فصلوا

لعله جعل

قياما رواه البخاري ومسلم قال الحميدي ومعاني سايرا لروايات
متقاربة وزاد البخاري قوله اذا صلي جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه
القديم وقد صلي في مرضه الذي مات فيه جالسا والناس خلفه قياما لم يامرهم
بالقعود وانما يوخذ بالاخر فالاخر في امره صلي الله عليه وسلم انتهي وقال
الشافعي وابو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر علي القيام ان يصلي خلف
القاعد الا قايما واحتجوا بانه صلي الله عليه وسلم صلي في مرض موته بعد هذا
قاعدا وابو بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلما زعم ان ابا بكر رضي الله
عنه كان هو الامام والنبي صلي الله عليه وسلم مقتدي به لكن الصواب انه صلي
الله عليه وسلم كان هو الامام

الباب الثاني في ذكر صلاته صلي الله عليه وسلم الجمعة

عن انس بن مالك قال اتي جبريل النبي
صلي الله عليه وسلم بمراة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبي صلي الله عليه وسلم
ما هذا فقال هذه الجمعة فضلت بها انت وامتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصاري
ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو
عندنا يوم المزيد فقال النبي صلي الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد فقال ان
ربك اتخذ في الفردوس واديا افيح فيه كثيب من مسك فاذا كان يوم الجمعة
انزل الله ما شاء من ملايكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت
تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون
فجلسوا من وراهم علي تلك الكثب فيقول الله انا ربكم قد صدقتكم وعدي
فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسالك رضوانك فيقول الله انا ربكم قد
صدقتكم وعدي فسلوني اعطكم فيقولون ربنا نسالك رضوانك فيقول قد رضيت
عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم المزيد اي يوم الجمعة لما يعطيهم
ربهم فيه من الخير وفيه استوي ربك علي العرش رواه الشافعي في مسنده وروي
مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خير يوم طلعت
عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم
الساعة الا في يوم الجمعة وروي البيهقي في الدعوات من حديث انس
كان صلي الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان
وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة اغر ويوم الجمعة يوم ازهر وليوم الجمعة
من الخواص ما يبلغ العشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا اطيل بذكرها
بسببهما وليست من غرضي وهو افضل ايام الاسبوع كما ان يوم عرفة افضل ايام العام
وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية علي ساير
الايام وقال ابو امامة بن النقاش يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم النحر افضل

ايام العام قال وغير هذا لا يسلم قايله من اعتراض يعجز عن دفعه انتهي وعن
ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال نحن الاخرون السابقون يوم القيامة
بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه
فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصاري بعد غد رواه البخاري وفي
رواية ابن عيينة عن ابي الزناد عن مسلم نحن الاخرون ونحن السابقون اي الاخرون
زمانا والاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة وقوله بيد بفتح الموحدة
وسكون المثناة التحتية وفتح الدال المهملة اي غير واذا عرف هذا فقوله
انما جعل السبت علي الذين اختلفوا فيه اي علي نبيهم موسي حيث امرهم بالجمعة
فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا علي نبيهم في ذلك اليوم
لاجله فان قيل هل في العقل وجه يدل علي ان يوم الجمعة افضل من السبت والاحد
وذلك لان الملل اتفقوا علي انه تعالي خلق العالم في ستة ايام وبدء الخلق والتكوين
في يوم الاحد وتم في يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق
ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعني وقالت النصاري مبدا الخلق
والتكوين في يوم الاحد فنجعل هذا عيدا لنا فهذان اليومان معقولان فما الوجه في جعل
يوم الجمعة عيدا فالجواب ان يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام
وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة
يوم العيد اولي من هذا الوجه والله اعلم قال ابن بطال وليس المراد في الحديث
انه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك ما فرض الله تعالي عليه
وهو مومن وانما يدل والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الي اختيارهم ليقوموا
فيه بشريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روي ابن ابي
حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فابوا ولفظه ان الله فرض
علي اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسي جعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك
بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالي ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
وهم القايلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا الله له بان نص لنا عليه
وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد
صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلي الله عليه
وسلم وقبل ان ينزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة
ايام وللنصاري مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالي
ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الي اسعد بن زرارة فصلي بهم
يومئذ وانزل الله تعالي بعد ذلك اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا
فله شاهد باسناد حسن اخرجه احمد وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة

من حديث كعب بن مالك قال كان اول من صلي بنا الجمعة قبل مقدم
رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة اسعد بن زرارة فمرسل ابن
سيرين يدل علي ان اوليك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد
ولا يمنع ذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن
من اقامتها وثم لذلك جمع بهم اول ما قدم المدينة انتهي وقال ابن
اسحاق لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة اقام يقبا في بني عمرو بن عوف
يوم الاثنين ويوم الثلاثا ويوم الاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم
ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في
بطن الوادي فكانت اول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تاسيس مسجده
وكان صلي الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه
البخاري من حديث انس وفي رواية اذا اشتد البرد بكر بالصلاة
واذا اشتد الحر ابرد بالصلاة يعني الجمعة وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري
ومسلم كنا نصلي معه صلي الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة ثم
اعلم ان الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وقال سعيد بن جبير هي
بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلي الجمعة فقد ترك ركعتين من
صلاة الظهر ولم يكن يوذن في زمانه صلي الله عليه وسلم علي المنار وبين يديه
وانما كان بلال يوذن وحده بين يديه صلي الله عليه وسلم اذا جلس علي المنبر
كما صرح به ايمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان
المرغيناني من الحنفية في هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس واذن الموذن
بين يدي المنبر بذلك جري التوارث ولم يكن علي عهد رسول الله صلي الله
عليه وسلم الا هذا الاذان وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم البيع عند
اذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمان وكثروا امر باذان
قبله علي الزوراء ثم نقله هشام الي المسجد وجعل الاخر بين يديه انتهي ونحوه فلماح
قال عبد الحق في تهذيب الطالب واما قول ابن ابي زيد في رسالته وهذا
الاذان الثاني احدثه بنو امية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الثاني
في الاحداث وهو الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني
والثاني هو الاول ومنشاوه ما تقدم انتهي وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية
ويجلس الامام علي المستراح ليستريح من تعب الصعود ثم يوذن الموذن
بعد جلوسه فان التاذين كان حين يجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم
ولم يكن قبله اذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس امرهم بالتاذين ثانيا ثم بين يديهم
الجلوس الي فراغ الموذن انتهي وعن السايب بن زيد قال كان النداء
يوم الجمعة

يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام علي المنبر علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث علي الزورا
رواه البخاري وقال الزوراء موضع بالسوق بالمدينة وفي رواية له ايضا
ان التاذين الثاني يوم الجمعة امر به عثمان حين كثر اهل المسجد وهو
يفسر بما فسر به قول ابن ابي زيد السابق وعند ابن خزيمة كان الاذان
علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وابي بكر وعمر اذانين يوم الجمعة
قال ابن خزيمة قوله اذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا او لاشتراكهما في الاعلام
وللنساي كان بلال يوذن اذا جلس النبي صلي الله عليه وسلم علي المنبر
فاذا نزل اقام وفي رواية وكيع عن ابن ابي ذيب فامر عثمان بالاذان الاول
ونحوه للامام الشافعي من هذا الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة بينهما
لانه باعتبار كونه مزيدا يسمي ثالثا وباعتبار كونه مقدما علي الاذان
والاقامة اولا واما قوله في رواية البخاري ان التاذين الثاني فمتوجه
بالنظر الي الاذان الحقيقي لا الاقامة وقال الشيخ خليل في التوضيح
واختلف النقل هل كان يوذن بين يديه عليه الصلاة والسلام او
علي المنار الذي نقله اصحابنا انه كان علي المنار نقله ابن القاسم عن مالك
في مجموعه ونقل ابن عبد البر في كافيته عن مالك ان الاذان بين
يدي الامام ليس من الامر القديم وقال غيره هو اصل الاذان في
الجمعة وكذلك نقل صاحب تهذيب الطالب والمازري وفي الاستذكار انه
هذا اشتبه علي بعض اصحابنا وانكر ان يكون الاذان يوم الجمعة
بين يدي الامام كان في زمنه عليه الصلاة والسلام وابي بكر
وعمر وان ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول من قل علمه
ثم استشهد بحديث السايب بن يزيد المروي في البخاري السابق ثم
قال وقد رفع الاشكال فيه ابن اسحاق عن الزهري عن السايب بن يزيد
قال كان يوذن بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا جلس علي
المنبر يوم الجمعه وابو بكر وعمر انتهي والحكمة في جعل الاذان في هذا
المحل ليعرف الناس بجلوس الامام علي المنبر فينصتون له اذا خطب
قاله المهلب قال في فتح الباري وفيه نظر فان سياق محمد بن اسحاق عند
الطبراني وغيره في هذا الحديث ان بلالا كان يوذن علي باب المسجد
فالظاهر انه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات والذي يظهر
ان الناس اخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك لكونه كان حينيذ
خليفة مطاع الامر لكن ذكر الفاكهاني ان اول من احدث الاذان الاول بمكة

الحجاج وبالبصرة زياد وفي تفسير جويبر عن الضحاك عن معاذ ان
عمر امر مؤذنين ان يؤذنا للناس الجمعة خارجا من المسجد حتى تسمع
الناس وامر ان يؤذن بين يديه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين وهذا منقطع بين مكحول
ومعاذ ولا يثبت وقد تواترت الاخبار ان عثمان هو الذي زاده فهو
المعتمد وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الاثر عن ابن جريج
قال قال سليمان بن موسى اول من زاد الاذان بالمدينة عثمان
فقال عطاء كلا انما كان يدعو الناس ولا يؤذن غير اذان واحد انتهى
لكن عطاء لم يدرك عثمان بن عفان فرواية من اثبت ذلك عنه
مقدمة على انكاره ويمكن الجمع بان الذي كان في زمن عمر بن
الخطاب استمر على عهد عثمان ثم راى ان يجعله اذانا وان يكون على
مكان عال ففعل ذلك فنسب اليه لكونه بالفاظ الاذان وترك ما كان
يفعله عمر لكونه مجرد اعلام وروى ابن ابي شيبة عن ابن عمر
قال الاذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان يكون قال ذلك على سبيل
الانكار وان يكون اراد انه لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام
يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك ثم ان فعل
عثمان رضي الله تعالى عنه كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروه عليه انتهى
واول جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه كما قدمناه في حديث
الهجرة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطبهم وهي اول خطبة
خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره
واستهديه وأومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة
من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان
ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم
بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة
وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل
بها على وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما يبتغون من الاخرة
ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي
به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين

يفتقر

حتى يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه
وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد هو
الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول
لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر
والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا ومن يتق
الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته
وسخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة
خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم
سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله
اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم
المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة
ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه
من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي
على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره
وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكئا على قوس او عصا
(في الحاشية: علي قوس ومحو)
وفي (في الحاشية: سنن) ابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب واذا
خطب في الجمعة خطب على عصا وعن ابي داود باسناد حسن انه صلى الله عليه
وسلم قام متوكئا على قوس او عصا قالوا والحكمة في التوكؤ على نحو السيف
الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة من
يريد الجهاد به ونازع فيه العلامة ابن القيم في الهدي النبوي وقال ان الدين
لم يقم الا بالقران والوحي كذا قال والله اعلم وكان صلى الله
عليه وسلم اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجة وكان صلى الله عليه وسلم
يخطب قايما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قايما رواه مسلم من رواية جابر بن
سمرة وفي رواية له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرا
القران ويذكر الناس وفي حديث ابن عمر عند ابي داود كان عليه
الصلاة والسلام يخطب خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ
المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب قال
ابن المنذر الذي عليه اهل العلم من علماء الامصار الخطبة قايما ونقل غيره
(في الحاشية: ثم)
عن ابي حنيفة ان القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك
رواية انه واجب فان تركه اساء وصحت الخطبة وعند الباقين ان

الباقين ان القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة واستدلوا بحديث
جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام بمشروعية الجلوس
بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج الى الفصل
بالجلوس ولان الذي نقل عنه الجلوس : هو معاوية كان معذورا فعند
ابن ابي شيبة الجلوس بين الخطبتين مما تقدم من طريق الشعبي ان معاوية
انما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه واستدل الشافعي بوجوب الجلوس بين الخطبتين
بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وكان صلى الله
عليه وسلم يقول بعد الثناء اما بعد كما قاله البخاري وكان صلى الله عليه وسلم
اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر
جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن
بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله
وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى
بكل مومن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي
وعلي رواه مسلم والنسائي من حديث جابر وفي رواية كانت خطبته صلى
الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على اثر ذلك وقد
علا صوته وذكر نحوه وفي اخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثني عليه بما
هو اهله ثم يقول من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير
الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم وعن ام هشام بنت حارثة بن النعمان
قالت ما اخذت ق والقران المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقراها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم وعن الحكم بن حزن
الكلفي قال قدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سابع سبعة او تاسع تسعة فلبثنا
عنده اياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على
قوس او قال على عصا فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات
ثم قال يا ايها الناس انكم لن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما امرتكم به ولكن سددوا
وابشروا رواه احمد وابو داود وعن يعلى بن امية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا
ربك رواه البخاري ومسلم وعن ابي الدرداء قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا
بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم تسعدوا
واكثروا الصدقة ترزقوا وامروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر
تنصروا ايها الناس ان اكيسكم اكثركم ذكرا للموت واكرمكم احسنكم استعدادا

له الا وان من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والانابة الى
دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتاهب ليوم النشور
رواه ورواه ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله مختصرا
بنحوه وفي مراسيل ابو داود عن الزهري قال كان صدر خطبة
النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدا الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد بالحق
رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع
رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه وعنه ايضا عنه قال بلغنا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا خطب كل ما هو ات قريب
لا بعد لما هو ات يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شاء الله كان ولو
كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شي الا
باذن الله عز وجل وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب يوم
الجمعة يقول بعد ان يحمد الله ويصلي على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم
فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المومن
بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين اجل قد بقي
لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته
ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد
الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار اقول قولي هذا
واستغفر الله لي ولكم وعن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم
خطب يوما فقال الا ان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر الا
وان الاخرة اجل صادق يقضي فيها ملك قادر الا وان الخير كله بحذافيره
في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الا فاعملوا وانتم من الله على حذر
واعلموا انكم معروضون على اعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند ابي نعيم
في الحلية نحوه واختلف هل يجب الانصات ويمنع من جميع انواع الكلام
حال الخطبة ام لا وعن الشافعي في المسئلة قولان مشهوران وبنا هما بعض
الاصحاب على الخلاف في ان الخطبتين بدل عن الركعتين ام لا فعلى الاول يحرم لا على
الثاني والثاني هو الارجح عندهم فمن ثم اطلق من اطلق منهم اباحة الكلام
حتى شنع من شنع عليهم من المخالفين وعن احمد ايضا روايتان عنهما

ايضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن
عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل
من التابعين و دخل ابو سليك الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم
يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين
رواه البخاري ومسلم وابو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع من
الداخل من تحية المسجد وتعقب بانها واقعة عين لا عموم لها (صلاة)
فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه قوله في حديث ابي سعيد عند اهل
السنن جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في هيئة بذلة فقال
له اصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فامره
بان يصلي ليراه بعض الناس وهو قايم فيتصدق عليه و ورد ايضا ما يؤيد
الخصوصية وهو ما اخرجه ابن حبان وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لسليك في اخر الحديث لا تعودن لمثلها ومما يضعف الاستدلال
به على جواز التحية في تلك الحالة انهم اطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس
فهذا ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه القصة على جواز التحية
وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه
الصلاة والسلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز التحية
فان المانعين منها لا يجيزون التطوع لعلة التصدق قال ابن المنير
لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند طلوع الشمس وساير الاوقات
المكروهة ولا قايل به و مما يدل على ان امره بالصلاة لم ينحصر
في قصد التصدق معاودته عليه الصلاة والسلام بامره بالصلاة في
الجمعة بعد ان حصل له في الجمعة الاولى ثوبين فدخل بهما في الثانية فتصدق (الثانية)
باحدهما فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك اخرجه النسايي وابن خزيمة
من حديث ابي سعيد ايضا ولاحمد وابن حبان انه كرر امره بالصلاة
ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على ان قصد التصدق عليه جزء علة
لا علة كاملة واما اطلاق من اطلق ان التحية تفوت بالجلوس فقد
حكى النووي في شرح مسلم عن المحققين ان ذلك في حق العامد
العالم اما الجاهل والناسي فلا وحال هذا الداخل محمولة في الاولى
على احدهما وفي المرتين الاخيرتين على النسيان والحامل للمانعين على التاويل
المذكور انهم زعموا ان ظاهره معارض للامر بالانصات والاستماع
للخطبة و قد اجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من ادلة المانعين بما
يطول ذكره ثم قال وهذه الاجوبة التي قدمناها تندفع من اصلها بالعموم

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي قتادة اذا دخل احدكم المسجد
فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه قال و ورد اخص منه في
في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله (قال)
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب اذا جا احدكم والامام
يخطب او قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه و لمسلم من طريق ابي سفيان
عن جابر انه قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز ثم
قال اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز
فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق اليه التاويل ولا اظن عالما يبلغه هذا
اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه و قال العارف ابو محمد بن ابي جمرة هذا الذي
اخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التاويل و قد قال قوم انما امره صلى
الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه الصلاة والسلام
في قصة سليك عند ابن ماجة اصليت ركعتين قبل ان تجي لان ظاهره من البيت (قبل ان يجيء)
ولهذا قال الاوزاعي ان كان صلى في البيت قبل ان يجي فلا يصلي اذا دخل المسجد
وتعقب بان المانع من صلاة التحية لا يجيز التنفل حال الخطبة
مطلقا ويحتمل ان يكون معنى قوله قبل ان تجي اي الى الموضع الذي انت به الان
وفايدة الاستفهام احتمال ان يكون صلاهما في مؤخر المسجد ثم تقدم
ليقرب من سماع الخطبة ويؤيده ان في رواية مسلم اصليت الركعتين
بالالف واللام وهي للعهد ولا عهد هناك اقرب من تحية المسجد واما
سنة الجمعة التي قبلها فياتي الكلام فيها ان شا الله تعالى وكانت صلاته
صلى الله عليه وسلم قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية
جابر بن سمرة زاد في رواية ابي داود يقرا بايات من القران ويذكر
الناس وله في اخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة انما هو كلمات
يسيرات وعن عمرو بن حريث انه صلى الله عليه وسلم خطب وعليه
عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم
في الهدي النبوي وكان عليه الصلاة والسلام اذا اجتمع الناس
خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان
ولا طرحة ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل
الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس وياخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه
قام صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد
خبر ولا غيره ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس
او عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرا بسورة الجمعة

بيتمدع

يامر الناس بالدنو منه ويامرهم بالانصات ثم نهي وينظر في قوله ولم
يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان على قوس او عصا قبل ان
يتخذ المنبر **وكان** صلى الله عليه وسلم يقرا بسورة الجمعة في الركعة
الاولي واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي
وابو داود والحكمة في قراته صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها
علي وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيها من القواعد والحث علي التوكل
والذكر وغير ذلك مما فيها من القواعد لانهم كانوا يجتمعون في مجلس
اكثر من اجتماعهم فيها **وفي** حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان
يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلي وهل اتاك حديث الغاشية
وقد اختلف في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا
احدها يصح من الواحد نقله ابن حزم **الثاني** اثنان كالجماعة وهو قول
النخعي واهل الظاهر **الثالث** اثنان مع الامام عند ابي يوسف ومحمد والليث
الرابع ثلاثة معه عند ابي حنيفة وسفيان الثوري **الخامس** سبعة
عند عكرمة **السادس** تسعة عند ربيعة **السابع** اثنا عشر عند ربيعة
ايضا في رواية **الثامن** مثله غير الامام عند اسحاق **التاسع** عشرون
في رواية ابن حبيب عن مالك **العاشر** ثلاثون كذلك **الحادي عشر**
اربعون بالامام عند امامنا الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين
عقلاء مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا
حاضرين من اول الخطبة الي ان تقام الجمعة وحجة الشافعي ما رواه
الدارقطني وابن ماجة والبيهقي في الدلايل عن عبد الرحمن بن كعب
ابن مالك قال كنت قايدا ابي حين ذهب بصره فاذا خرجت به الي الجمعة
فسمع الاذان صلي علي ابي امامة واستغفر له قال فمكث كذلك
حينا لا يسمع الاذان في الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابت استغفارك
لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال يا بني هو اول من جمع
بالمدينة قال قلت له كم كنتم يوميذ قال اربعون رجلا **وقال**
جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك
جمعة خرجه الدارقطني **وروي** البيهقي عن ابن مسعود انه صلي
الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا اربعين رجلا قال شيخ الاسلام
زكريا الانصاري نفع الله بوجوده قال في المجموع قال اصحابنا وجه
الدلالة ان الامة اجمعوا علي اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح الجمعة
الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها باربعين وثبت صلوا

كما رايتموني اصلي

وفي قراءة سورة المنافقين توبيخ لحاضريها من المنافقين وحثهم على التوبة

كما رايتموني اصلي ولم يثبت صلاته لها باقل من ذلك فلا يجوز باقل منه قال
واما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنا عشر فليس فيه ان ابتداها باثني عشر بل
يحتمل عودهم او عود غيرهم مع سماعهم اركان الخطبة **وفي مسلم** انفضوا
في الخطبة وفي رواية البخاري انفضوا في الصلاة وهي محمولة علي الخطبة جمعا بين
الاخبار انتهي **الثاني عشر** اربعون غير الامام عند الشافعي ايضا وبه قال عمر
ابن عبد العزيز وطايفة **الثالث عشر** خمسون عند احمد في رواية وحكيت عن عمر
ابن عبد العزيز وطايفة **الرابع عشر** ثمانون حكاه المازري **الخامس عشر**
جمع كثير بغير حصر ولعل هذا الاخير ارجحها من حيث الدليل قاله في فتح
الباري

الباب الثالث في ذكر تهجده صلوات الله وسلامه عليه

قال الله تعالي له عليه الصلاة والسلام ومن الليل فتهجد به اي
بالقران والمراد منه الصلاة المشتملة علي القران والهجود في اللغة النوم
وعن ابي عبيدة الهاجد النايم والهاجد المصلي بالليل **وعن** الازهري
الهاجد النايم وقال المازني التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة اخري بعد
رقدة ثم صلاة اخري بعد رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلي
الله عليه وسلم وقوله نافلة لك اي عبادة زايدة في فرايضك ويمكن
نصرة هذا القول بان قوله فتهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون
هذا التهجد واجبا **وروي** الطبري عن ابن عباس ان النافلة للنبي
صلي الله عليه وسلم خاصة لانه امر بقيام الليل وكتب عليه دون امته واسناده
ضعيف وقيل معناه زيادة لك خالصة لان تطوع غيره يكفر ما علي صاحبه
من ذنب وتطوعه هو صلي الله عليه وسلم يقع خالصا لكونه لا ذنب عليه
فكل طاعة ياتي بها صلي الله عليه وسلم سوي المكتوبة انما تكون لزيادة
الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة بخلاف الامة فان لهم ذنوبا
محتاجة الي الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها لتكفير الذنوب والسيات
وروي مسلم من طريق سعد بن هشام عن عايشة قال ان الله افترض
قيام الليل في اول هذه السورة يعني يا ايها المزمل فقام النبي صلي الله عليه
وسلم واصحابه حتي انزل الله في اخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل
تطوعا بعد فريضة **وروي** محمد بن نصر من حديث جابر في قيام الليل من طريق
سماك بن عباس شاهدا لحديث عايشة في ان بين الايجاب والنسخ سنة
وحكي الشافعي عن بعض اهل العلم ان اخر السورة نسخ افتراض قيام
الليل الا ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس **وروي** محمد
ابن نصر من حديث جابر ان نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع ابي عبيدة في جيش الخبط

عن م

الخبط

وكان ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو
ضعيف فوجوب قيام الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه
وسلم اكثر الاصحاب لا والصحيح نعم ونقله الشيخ ابو حامد عن النص
وقالت عايشه رضي الله تعالى عنها قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه
وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع هذا يا رسول الله وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا قالت فلما
بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع رواه البخاري
ومسلم والفاء في قوله افلا اكون للسببية وهي عن محذوف تقديره اترك
تهجدي افلا اكون عبدا والمعنى ان المغفرة سبب لكون التهجد شكرا
فكيف اتركه قال ابن بطال في هذا الحديث اخذ الانسان
على نفسه بالشدة في العبادة وان اضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم
اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن يعلم ذلك فضلا عمن لم يامن انه
استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض
ذلك الى الملال لان حال النبي صلى الله عليه وسلم كانت اكمل الاحوال
فكان لا يمل من عبادة ربه وان اضر ذلك ببدنه بل صح انه صلى الله عليه
وسلم قال وجعلت قرة عيني في الصلاة كما اخرجه النساي من حديث
انس فاما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له ان يكره
نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون
فان الله لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس والشيطان
على المجتهد في العبادة بمثل ما ذكر خصوصا اذا كبر فيقول قد ضعفت
وكبرت فابق على نفسك لئلا ينقطع عملك بالكلية وهذا وان كان
ظاهره جميلا لكن فيه دسايس فانه ان اطاعه فانه يكون
استدراجا يؤول به الى ترك العمل شيا فشيا الى ان ينقطع بالكلية
وما ترك سيد المرسلين المغفور له شيا من عمله بعد كبره نعم كان
يصلي بعض ورده جالسا بعد ان كان يقوم حتى تتفطر قدماه فكيف
بمن اثقلت ظهره الاوزار ولا يامن عذاب النار ان يغفل حال
شبيبته ويتوانى عند ظهور شيبه فينبغي للانسان ان يستعد
قبل حلول شيبه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك فان من
شاب فقد لاح صبح سواد ليل شعره وقد قال تعالى منذرا لمن
يدخل في الصباح ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فكيف
بقرب من دخل في الصباح وظهر كوكب نهاره في افق راسه ولاح

قال القرطبي

قال القرطبي ظن من ساله صلى الله عليه وسلم عن سبب
تحمله المشقة في العبادة انه انما يعبد الله خوفا من الذنوب
وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه غفر له لا يحتاج الى ذلك
فافادهم ان هناك طريقا اخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة
وايصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها سببا فيتعين كثرة الشكر
على ذلك والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر
ذلك منه سمي شكورا ومن ثم قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور وفيه ما كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه من
الاجتهاد في العبادة والخشية من ربه قال العلماء انما الزم
الانبياء انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه
ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا
بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العباد
والله اعلم انتهى ذكر سياق صلاته صلى الله عليه وسلم
بالليل عن شريح بن هاني قالت عايشة رضي الله تعالى
عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل
بيتي الا صلى اربع ركعات او ست ركعات رواه ابو داود وكان
يقوم اذا سمع الصارخ رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة
وهو يصرخ في النصف الثاني وقالت كان عليه الصلاة والسلام
ينام اول الليل ويقوم اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن
المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج رواه
الشيخان وقالت ايضا كان عليه الصلاة والسلام ربما اغتسل
في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما اوتر في اول الليل وربما
اوتر في اخره وربما جهر بالقراة وربما خفت وقالت ام سلمة
كان يصلي وينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي
والنساي وفي رواية للنساي كان يصلي العتمة ثم يسبح
ثم يصلي بعدها ما شاء من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم
يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الاخرة
تكون الى الصبح وعن انس قال ما كنا نشا ان نرى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه
نايما الا رايناه رواه النساي وكان اذا استيقظ
من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك

ينام ثم ينام قدر ما صلى
ثم يصلي قدر ما نام ثم

لذنبي واسالك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب رواه ابو داود من حديث عايشة وعنها كان عليه الصلاة والسلام اذا هب من الليل كبر عشرا وحمد الله عشرا ثم قال اللهم اني اعوذ بك من ضيق الدنيا ومن ضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة رواه ابو داود وقد روي حديث قيامه بالليل ونره عايشة وابن عباس قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعايشة في شي من امر قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل فالقول قول عايشة لكونها اعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى فاما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر او بعضه قعد ينظر الي السما فقرا ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها ثم صب في الجفنة ثم توضا وضوا حسنا بين الوضوين لم يكثر وقد ابلغ فقام فصلى فقمت فتوضات فقمت عن يساره فاخذ باذني فادارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فاذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضا وكان في دعايه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وفي رواية فصلى ركعتين خفيفتين قلت قرا فيهما بام الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فاتاه بلال فقال الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى للناس وفي رواية فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا ايها المزمل وفي رواية فصلى ركعتين ركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم اوتر بخمس لم يجلس فيهن وفي رواية النساي انه صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام حتى استثقل فرايته ينفخ فاتاه بلال الحديث وفي اخرى له فتوضا واستاك وهو يقرا هذه الاية حتى فرغ منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضا واستاك ثم صلى ركعتين ثم قام ثم نام ثم قام فتوضا واستاك ثم صلى ركعتين واوتر ولمسلم فاستيقظ فتسوك وتوضا

وهو يقول ان

وهو يقول ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين اطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات رواه مسلم بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضا ويقرا هولا الايات ثم اوتر بثلاث واما حديث عايشة فعن سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المومنين انبيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الست تقرا القران قلت بلى قالت كان خلقه القران قلت يا ام المومنين انبيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شا ان يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضا ويصلي تسع ركعات ولا يجلس منها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن واخذه اللحم اوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني وللنساي كنا نعد لرسول الله له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شا ان يبعثه من الليل فيستاك ويتوضا ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيهن الا عند الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ويدعو بينهن ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد ويحمد الله ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو قاعد زاد في اخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما اسن صلى الله عليه وسلم واخذه اللحم اوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع اي بني وفي رواية له فصلى ست ركعات يخيل الي انه سوى بينهن في القراة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه وعن عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم واحمد وعنها كان عليه الصلاة والسلام ~~اذا قام من الليل~~ يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة رواه ابو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس في شي الا في اخرها رواه البخاري ومسلم وفي البخاري عن مسروق سالت عايشة رضي الله تعالى عنها عن

رواه مسلم

وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول

صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدى عشرة
سوى ركعتي الفجر وعنده ايضا عن القاسم بن محمد عنها كان صلى الله
عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر
قال القرطبي اشكلت روايات عايشة على كثير من اهل العلم
حتى نسب بعضهم حديثها الى الاضطراب وهذا انما يتم لو كان الراوي
عنها واحدا واخبرت عن وقت واحد والصواب ان كل شي ذكرته من ذلك
محمول على اوقات متعددة واحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان
الجواز انتهى فاما ما اجابت به مسروقا فمرادها ان ذلك وقع منه في
اوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة تسعا وتارة احدى عشرة
واما حديث القاسم فمحمول على ان ذلك كان غالب احواله قيل
والحكمة في عدم الزيادة على احدى عشرة ان التهجد والوتر مختص
بصلاة الليل وفرايض النهار الظهر وهي اربع والعصر وهي اربع
والمغرب وهي ثلاث وتر النهار فناسب ان تكون صلاة الليل كصلاة
النهار في العدد جملة وتفصيلا واما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة
الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها وعن زيد بن خالد الجهني انه
قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى
ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك
ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون
اللتين قبلهما اربع مرات كذا في صحيح مسلم وموطا مالك وسنن ابي
داود وجامع الاصول لابن الاثير فقد كان قيامه عليه الصلاة والسلام
بالليل انواعا احدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر
بثلاث كما في حديث ابن عباس عند مسلم ثانيها انه كان يفتتح صلاته
بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين
ويوتر بواحدة رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة ثالثها
ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رابعها
ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية
لا يجلس الا في اخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس
خامسها تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده
ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد ويحمده
ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم قاعدا رواه

مسلم من حديث عايشة

مسلم من حديث عايشة سادسها يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها
ركعتين جالسا رواه مسلم ايضا من حديثها سابعها كان يصلي مثنى مثنى
ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن رواه احمد عنها ثامنها ما رواه النسائي عن
حذيفة انه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه
سبحان ربي العظيم مثل ما كان قايما ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فما
صلى الا اربع ركعات حتى جاء بلال يدعوه الى الغداة رواه ابو داود ولفظه
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول الله اكبر ثلاثا
ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرا البقرة ثم ركع
فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع
راسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه يقول لربي الحمد ثم سجد فكان
سجوده نحوا من قيامه فكان يقول في سجوده سبحان ربي الاعلى ثم رفع راسه من
السجود فكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول رب اغفر
لي رب اغفر لي فصلى اربع ركعات قرا فيهن البقرة وال عمران والنسا والمايدة
او الانعام شك شعبة وروى البخاري ومسلم بلفظ صليت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند الماية ثم
مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقراها ثم
افتتح ال عمران فقراها يقرا مسترسلا اذا مر باية فيها تسبيح سبح واذا مر
بسوال سال واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان
ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا لك الحمد ثم قام
قياما طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الاعلى فكان سجوده قريبا من
قيامه وزاد النسايي لا يمر باية تخويف وتعظيم لله عز وجل الا ذكره وقد كانت
هيئة صلاته عليه الصلاة والسلام ثلاثة احدها انه كان اكثر صلاته
قايما فعن حفصة قالت ما رايته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى
كان قبل وفاته بعام فكان يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه احمد ومسلم
والنسايي وصححه الترمذي الثاني كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه البخاري
ومسلم وغيرهما من حديث عايشة بلفظ واذا قرا وهو قاعد ركع وسجد وهو
قاعد الثالث كان يقرا قاعدا الى ان يبقى يسير من قراءته قام فركع رواه مسلم
من حديث عايشة ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا ويقرا وهو جالس فاذا بقي من قراءته
وهو قايم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عايشة
رضي الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا رواه الدارقطني وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة يقرا فيهما وهو

قدر ما يكون ثلاثين اية او اربعين اية قام وقرا صح

والملكوت صح

قايما صح

جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع **قالت عايشة** كان يوتر بواحدة ثم يركع
ركعتين يقرا فيهما وهو جالس فاذا اراد ان يركع قام فركع رواه ابن ماجة **وعن
ابي امامة** ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو
جالس يقرا فيهما اذا زلزلت والكافرون رواه احمد **واختلف** في هاتين الركعتين
فانكرهما مالك وكذا النووي في المجموع وقال احمد لا افعله ولا امنعه انتهي
والصواب انه انما فعلهما بيانا لجواز الصلاة بعد الوتر ولفظة كان لا تفيد دواما
ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة فانه صلي الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه
السنة بالفرض حتي يكون للوتر صلاة بعده **واما قيامه عليه الصلاة والسلام
ليلة النصف من شعبان** فعن عايشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله
صلي الله عليه وسلم من الليل فصلي فاطال السجود حتي ظننت انه قد قبض
فلما رايت ذلك قمت حتي حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع راسه من
السجود وفرغ من صلاته قال يا عايشة او يا حميرا اظننت ان النبي صلي الله عليه
وسلم قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكني ظننت انك قبضت
لطول سجودك فقال اتدرين اي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة
النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويوخر اهل الحقد
كما هم رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عنها وقال هذا مرسل جيد يعني
ان العلاء لم يسمع من عايشة وقد ورد في ليلة النصف من شعبان احاديث
كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن
امثلها ما نبه عليه الحافظ ابن رجب حديث عايشة قالت فقدت النبي صلي الله
عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع راسه الي السما فقال اكنت تخافين ان
يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله ظننت انك اتيت بعض نسايك
فقال ان الله تعالي ينزل ليلة النصف من شعبان الي سما الدنيا فيغفر لاكثر
من عدد شعر غنم بني كلب رواه احمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه **وفي**
سنن ابن ماجة باسناد ضعيف عن علي موقوفا اذا كان ليلة النصف من شعبان
فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالي ينزل فيها لغروب الشمس الي السما
الدنيا فيقول الا مستغفر فاغفر له الا مسترزق فارزقه الا مبتلي
فاعافيه الا كذا الا كذا حتي يطلع الفجر **وقد كان** التابعون من اهل الشام
كخالد بن معدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف في العبادة وعنهم اخذ الناس
تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك اثار اسراييلية فلما اشتهر ذلك عنهم
اختلف الناس فيه فمنهم من قبله منهم وقد انكر ذلك اكثر العلماء من اهل
الحجاز منهم عطا وابن ابي مليكة ونقله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن فقها
اهل المدينة

ان الله عزوجل يطلع علي عباده ليلة النصف من شعبان

اهل المدينة وهو قول اصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة **واختلف**
علما اهل الشام في صفة احيايها علي قولين **احدهما** انه يستحب احياوها
جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون فيها احسن
ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم
اسحاق بن راهوية علي ذلك وقال في قيامها في المسجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله
عنه حرب الكرماني في مسايله **والثاني** انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة
والقصص والدعا ولا يكره ان يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول
الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام احمد كلام
في ليلة النصف من شعبان ويتخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين
عنه في قيام ليلتي العيد فانه في رواية لا يستحب جماعة لانه لم ينقل عن النبي
صلي الله عليه وسلم ولا عن اصحابه فعلها واستحبها في رواية لعبد الرحمن
ابن يزيد الاسود لذلك وهو من التابعين وكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت
فيها شي عن النبي صلي الله ولا عن اصحابه انما ثبت عن طايفة من التابعين من اعيان
فقها اهل الشام انتهي ملخصا من اللطايف **واما قوله** تعالي في سورة الدخان
انا انزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزاله تعالي القران في ليلة القدر كما قال
تعالي انا انزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالي شهر
رمضان الذي انزل فيه القران قال الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من
شعبان كما روي عن عكرمة فقد ابعد النجعة فان نص القران انها في رمضان
واما الحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري
اخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة ان الاخنس قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم تقطع الاجال من شعبان الي شعبان حتي ان الرجل لينكح ويولد
له وقد خرج اسمه في الموتي فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص
انتهي **واما قيامه عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان وهو الذي سمي
بالتراويح جمع ترويحة** وهي المرة الواحدة وسميت بذلك لانهم اول ما اجتمعوا
عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين **فعن عايشة** رضي الله تعالي عنها
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان
احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المييزر رواه البخاري وابو داود
والنسايي **ولمسلم** قالت كان صلي الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا
يجتهد في غيره **وفي** رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره
وعنها ان رسول الله صلي الله عليه وسلم صلي في المسجد فصلي بصلاته ناس ثم
صلي من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم

وفي العشر الاخير منه ما لا يجتهد في غيره صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال قد رايت الذي صنعتم ولم يمنعني
من الخروج اليكم الا اني خشيت ان تفرض عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم
وابو داود وفي رواية للبخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف
الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فاصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع
اكثر منهم فخرج عليه الصلاة والسلام في الليلة الثانية فلما كان في الليلة الرابعة
عجز المسجد عن اهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون
الصلاة فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر اقبل على
الناس ثم تشهد فقال اما بعد فانه لم يخف علي شانكم الليلة ولكني خشيت
ان تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا
قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم
توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال
وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في ان الشروع ملزم وفيه نظر واجاب
المحب الطبري انه يحتمل ان يكون الله عز وجل اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة
افترضتها عليهم فاحب التخفيف عنهم وقيل خشي ان يظن احد من الامة من
مداومته عليها الوجوب قال القرطبي اي يظنونه فرضا فيجب على من ظن ذلك
كما اذا ظن المجتهد حل شيء او تحريمه فانه يجب العمل به وقد استشكل الخطابي
اصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث الاسراء من ان الله تعالى قال هن خمس
وهن خمسون لا يبدل القول لدي فاذا امن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة
وهذا يدفع في صدر الاجوبة المتقدمة واجاب عنه الخطابي بان صلاة
الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وافعاله الشرعية يجب على الامة
الاقتداء به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب
من طريق الامر بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض جديد زايد على الخمس وهذا
كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في اصل
الشرع قال وفيه احتمال اخر وهو ان الله تعالى فرض الصلاة خمسين ثم حط
معظمها بشفاعة نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما استوهب
لها والتزمت ما استعفى لهم نبيهم عليه الصلاة والسلام فيه لم يستنكر
ان يثبت ذلك فرضا عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي
جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله
عليه وسلم وعلى وجوب الاقتدا بافعاله وفي كل من الامرين نزاع ثم اجاب بثلاثة اجوبة
احدها انه يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد
جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث زيد بن ثابت
حتى خشيت

فصلوا ... فلما اص... الناس يذكرون ذلك ... اهل ال... من الل... الثالثة فخرج ... بصلا... صح

حتى خشيت ان يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا ايها الناس في
بيوتكم فمنعهم من التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وامن مع اذنه في
المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم وثانيها ان يكون المخوف افتراض
قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا يكون ذلك زايدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب
اليه قوم في العيد ونحوها ثالثها يحتمل ان يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة
فقد وقع في حديث الباب ان ذلك كان في رمضان وفي حديث سفيان بن حسين خشيت
ان يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام رمضان لا يتكرر
كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زايدا على الخمس واقوى هذه الاوجه الثلاثة
في نظري الاول وعن النعمان بن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس
وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا ان لا ندرك الفلاح
وكانوا يسمونه السحور رواه النسائي واختلف العلماء اهل الافضل في صلاة
التراويح ان تصلى جماعة في المسجد او في البيوت فرادى فقال الشافعي وجمهور
اصحابه وابو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعاير
الظاهرة فاشبه صلاة العيد فان قلت قد ذكر الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه
الصلاة والسلام اني خشيت ان تفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه اقوى الاوجه
فالجواب انه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الامن من ذلك ورجح عمر
التجميع لما في الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط
لكثير من المصلين وقال مالك وابو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل
صلاتها فرادى في البيوت لقوله عليه الصلاة والسلام افضل صلاة المرء في بيته
الا المكتوبة قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز او لانه كان
معتكفا واما عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان
فعن ابي سلمة انه سال عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي
اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن
وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر قال
يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه البخاري ومسلم واما ما رواه
ابن ابي شيبة من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين
ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد عارضه حديث عايشة هذا وهي اعلم بحال
النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها وقد كان الامر من زمنه صلى الله عليه

وسلم استمر على ان كل واحد يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدر من
خلافة عمر **وفي البخاري** ان عمر رضي الله تعالى عنه خرج ليلة الى المسجد فاذا الناس
اوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر
رضي الله تعالى عنه اني لو جمعت هولاء على قارئ واحد لكان امثل ثم عزم فجمعهم على ابي
ابن كعب ثم خرج ليلة اخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر رضي الله عنه
نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها افضل من التي تقومون يريد اخر الليل
وكان الناس يقومون اوله وانما اختار ابيا لانه كان اقرأهم كما قال عمر رضي
الله تعالى عنه **وروى سعيد بن منصور** من طريق عروة ان عمر رضي الله عنه جمع الناس
على ابي بن كعب فكان يصلي بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطا امر
عمر ابي بن كعب وتميم الداري ان يقوما للناس في رمضان **وروى البيهقي**
باسناد صحيح ان الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في شهر
رمضان عشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ركعة ان الرواتب في
غير رمضان عشر ركعات فضوعفت لانه وقت جد وتشمير وفي الموطا بثلاث
وعشرين **وجمع البيهقي** بينهما بانهم كانوا يوترون بثلاث وفي الموطا عن محمد
ابن يوسف عن السايب بن يزيد انها احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين
والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل ان ذلك الاختلاف بحسب
تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة يقل الركعات وبالعكس **وقد روى محمد**
ابن نصر من طريق داود بن قيس قال ادركت الناس في امارة ابان بن عثمان
وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث
وقال مالك هو الامر القديم عندنا وعند الزعفراني عن الشافعي رايت الناس يقومون
بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك ضيق وعنه
قال ان اطالوا القيام واقلوا السجود فحسن وان اكثروا السجود واخفوا القراءة
فحسن والاول احب انتهى وهل يجوز لغير اهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين قال
النووي قال الشافعي لا يجوز ذلك لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه وسلم يعني حرم
وموقفه وخالفه قول الحليمي ومن اقتدى باهل المدينة فقام بست وثلاثين
فحسن ايضا وينبغي ان يسلم من كل ركعتين فلو صلوا اربعا بتسليمة واحدة جاز انتهى
والفرق ان التراويح بمشروعية الجماعة اشبهت الفرايض قاله النووي في فتاواه
وصرح به في الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل
اكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان قال فقرأ بالبقرة ثم النساء
ثم ال عمران لا يمر باية تخويف الا وقف وسال قال فما صلى الركعتين حتى جاءه
بلال فاذنه بالصلاة اخرجه احمد واخرجه النسائي وعنده ايضا انه ما صلى

الا اربع ركعات وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقراها في غير الصلاة
الباب الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر فقد صح عنه
صلى الله عليه وسلم انه اوتر بخمس لم يجلس الا في اخرها لكن احاديث الفصل اثبت
واكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار
على ثلاث بان الصحابة اجمعوا على ان الوتر بثلاث موصولة حسن جايز واختلفوا
فيما زاد او نقص قال فاخذنا بما اجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه **وتعقبه**
محمد بن نصر المروزي بما رواه من طريق عراك بن مالك عن ابي هريرة مرفوعا
وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم **وعن**
سليمان بن يسار انه كره الثلاث في الوتر وقال لا يشبه التطوع الفريضة انتهى
لكن قد روى الحاكم من حديث عايشة انه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث
لا يقعد الا في اخرهن وروى النسائي من حديث ابي بن كعب نحوه ولفظه يوتر
بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ولا يسلم الا في اخرهن
وبين في عدة طرق ان السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين هذا وبين
ما تقدم من النهي عن التشبيه بصلاة المغرب ان يحمل النهي على صلاة الثلاث
بتشهدين وقد فعله السلف ايضا **وروى محمد بن نصر** من طريق الحسن ان عمر
كان ينهض في الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة ان عمر اوتر
بثلاث لم يسلم الا في اخرهن ومن طريق ابن طاوس عن ابيه انه كان يوتر بثلاث
لا يقعد بينهن وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين في الوتر حتى يامر ببعض
حاجته وهذا ظاهره انه كان يصلي الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى
على ما مضى وفي هذا رد على من قال لا يصح الوتر الا موصولا واخرج من ذلك ما روى
الطحاوي من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن ابيه انه كان يفصل بين شفعه ووتره
بتسليمة واخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوي وقد استدل
بعضهم على فضل الفصل بانه صلى الله عليه وسلم امر به وفعله واما الوصل فورد
من فعله فقط وقد حمل المخالف من الحنفية كل ما ورد من الثلاث على الوصل
مع ان كثيرا من الاحاديث ظاهر في الفصل كحديث عايشة يسلم من كل ركعتين
فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص في موضع النزاع وحمل
الطحاوي هذا ومثله على ان الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك في
دعوى ذلك الا بالنهي عن البتيراء مع احتمال ان يكون المراد بالبتيراء
ان يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شيء وهو اعم من ان يكون مع الوصل والفصل
وقد اختلف السلف في امرين **احدهما** في مشروعية ركعتين بعد الوتر
عن جلوس **والثاني** فيمن اوتر ثم اراد ان يتنفل في الليل هل يكتفي بوتره الاول

انتهى

ويتنفل ما شاء او يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر
آخر ام لا فاما الاول فوقع عند مسلم من طريق ابي سلمة عن عايشة
رضي الله تعالى عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر
وهو جالس وقد ذهب اليه بعض اهل العلم وجعلوا الامر في قوله اجعلوا اخر
صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن اوتر اخر الليل واجاب من لم يقل بذلك
بان الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله النووي على انه صلى الله عليه وسلم
فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا واما الثاني فذهب
الاكثر الى انه يصلي شفعا ما اراد ولا ينقض وتره بقوله عليه الصلاة والسلام
لا وتران في ليلة وهو حديث حسن اخرجه النساي وابن خزيمة من حديث
طلق بن علي وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية التنفل بركعة
واحدة غير الوتر واختلف السلف ايضا في مشروعية قضاء الوتر فنفاه
الاكثر وفي مسلم وغيره عن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم
كان اذا نام من الليل من وجع او غيره فلم يقم من الليل صلى ثنتي عشرة ركعة
وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شي من الاخبار
انه قضى الوتر ولا امر بقضايه وعن عطا والاوزاعي يقضي ولو طلعت
الشمس الى الغروب وهو وجه عند الشافعية حكاه النووي في شرح مسلم
وعن سعيد بن جبير يقضي من القابلة وعن الشافعية يقضي مطلقا
وقالت عايشة رضي الله تعالى عنها اوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من اوله
واوسطه واخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وابو داود
والترمذي والنساي والمراد باوله بعد صلاة العشاء ويحتمل ان يكون اختلاف
وقت الوتر باختلاف الاحوال فحيث اوتر اوله لعله كان وجعا وحيث وتر في
وسطه لعله كان مسافرا واما وتره في اخره فكان غالب احواله لما عرف
من مواظبته على الصلاة اخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي
انه السدس الاخير وقيل اوله الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس
عند ابن خزيمة والمراد به الفجر الاول وروى احمد من حديث معاذ مرفوعا
زادني ربي صلاة وهي الوتر وقتها من العشاء الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف
وكذا في حديث خارجة بن حذافة السهمي في السنن وهو الذي احتج به من
قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب واما حديث بريدة رفعه
الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا واعاد ذلك ثلاثا ففي سنده ابو المنيب
وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله فيحتاج من احتج به الى ان يثبت لفظة حق بمعنى
واجب في عرف الشارع وان لفظ واجب بمعنى ما ثبت من طريق الاحاد

والله اعلم وقد كان

والله اعلم وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعايشة راقدة معترضة على
فراشه فاذا اراد ان يوتر ايقظها فتوتر كما في البخاري وهذا يدل على استحباب
جعل الوتر اخر الليل سواء المتهجد وغيره ومحله اذا وثق ان يستيقظ بنفسه
او بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه الصلاة والسلام
سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نايمة للوتر وابقاها للتهجد
وتعقب بانه لا يلزم من ذلك الوجوب نعم يدل على تاكيد امر الوتر انه فوق
غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النايم لادراك الصلاة ولا يختص
ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة
وادراك اول الوقت وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد ان
يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب لان النايم وان لم يكن مكلفا
لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله اعلم وعن
علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرا فيهن
بتسع سور من المفصل يقرا في كل ركعة بثلاث سور اخرهن قل هو الله احد
رواه الترمذي وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقرا في الوتر بسبح اسم
ربك الاعلى وقل يايها الكافرون وقل هو الله احد في كل ركعة ركعة وعن
عايشة رضي الله تعالى عنها كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية
بقل يايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين رواه ابو داود
والترمذي ولابي داود وكان اذا سلم قال سبحان الملك القدوس وعند النساي
ثلاثا يطيل في اخرهن وفي رواية ويرفع صوته بالثالثة وعن علي رضي الله عنه
كان عليه الصلاة والسلام يقول في اخر وتره اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك
وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك رواه ابو داود والترمذي والنساي وابن ماجة قال ابن
تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته وقد كان
عليه الصلاة والسلام يقرا في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما
الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد
فسورة قل هو الله احد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب
تعالى من الاحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص
ونفي الولد والوالد والكفو المتضمن لنفي الشبيه والمثيل والنظير فتضمنت
اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد
العلمي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القران فان القران مداره
على الخبر والانشا ثلاثة امر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق

والانشا

تعالى واسمايه وصفاته واحكامه وخبره عن خلقه فاخلصت سورة الاخلاص
الخبر عنه وعن اسمايه وصفاته واحكامه وخبره عن خلقه فاخلصت عنه سورة
الاخلاص الخبر عنه وعن اسمايه وصفاته فعدلت ثلث القران وخلصت قاريها المومن
بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يايها الكافرون من الشرك العملي قاله
ابن القيم **واما** القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الاخير من رمضان
فقال النووي في الاذكار باستحبابه ولم يذكر لذلك دليلا **وقد** اخرج ابو داود
باسنادين رجالهما ثقات لكن احدهما منقطع وفي الاخر راو لم يسم
ان عمر لما جمع الناس على ابي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف الاخير **وعن**
الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قال علمني جدي كلمات اقولهن في الوتر
اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي
فيما اعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضي عليك وانه لا يذل من
واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وعند الفطر رواية شريك
رواه الطبراني وغيره

الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى

اختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه
وسلم ام لا فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلماء من رجح رواية المثبت
على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها تتضمن زيادة علم خفيت على
النافين قالوا وقد يجوز ان يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس
ويوجد عند الاقل **ومنهم** من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد برواية
المثبت اما لضعفها او صرفها كما سياتي عن صلاة الضحى **قال الحاكم** وفي
الباب عن ابي سعيد وابي ذر الغفاري وزيد بن ارقم وابي هريرة وبريدة
الاسلمي وابي الدرداء وعبد الله بن ابي اوفى وعتبان بن مالك وعتبة
ابن عبد السلمي ونعيم بن همار الغطفاني وابي امامة الباهلي
وعايشة بنت ابي بكر وام هاني وام سلمة كلهم شهدوا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الضحى انتهى **واما حديث** ابي سعيد فاخرجه الحاكم
والترمذي عن عطية العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي
حسن غريب قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد **واما حديث**
ابي ذر الغفاري فرواه البزار في مسنده **واما حديث**
زيد بن ارقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي
من الضحى الحديث **واما حديث** ابي هريرة فرواه البزار في مسنده
بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك صلاة الضحى في سفر ولا غيره

واسناده ضعيف فيه

واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمتي ضعيف جدا **واما حديث**
بريدة الاسلمي فرواه **واما حديث** ابي الدرداء
فرواه الطبراني **واما حديث** ابن ابي اوفى فرواه ابن عدي والحاكم
بلفظ قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر
براس ابي جهل قال بعض العلماء النافين لرواية المثبتين هذا الحديث ان كان
صحيحا فهو صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة **واما حديث**
عتبان بن مالك فرواه احمد من رواية محمود بن الربيع عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى في بيته سبحة الضحى **واما حديث** عتبة بن عبد فرواه
واما حديث نعيم بن همار فرواه **واما حديث**
ابي امامة **واما حديث** عايشة فرواه مسلم واحمد وابن ماجة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شا الله **وعن** عبد الله
ابن شقيق قال سالت عايشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى
قالت لا الا ان يجي من مغيبه **واما حديث** ام هاني فرواه البخاري
ومسلم قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل
وصلى ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه وللنساي انها
ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره
بثوب فسلمت فقال من هذه قلت ام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني
ركعات ملتحفا في ثوب واحد **ولابي داود** ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات سلم من كل ركعتين **وقد**
استدل بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه
نظر لاحتمال ان يكون السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به
وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم انه صلى الضحى فطول فيها اخرجه ابن
ابي شيبة من حديث حذيفة **واما حديث** ام سلمة فرواه الحاكم من
طريق اسحاق بن بشر المحاربي قالت كان صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة
الضحى ثنتي عشرة ركعة **قلت** وروي عن ابن جبير بن مطعم عن ابيه
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ست ركعات رواه الحاكم ايضا
وعن انس بن مالك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر
سبحة الضحى ثماني ركعات رواه احمد **وعن علي** ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يصلي من الضحى رواه النساي في سننه الكبرى واحمد وابو يعلى
واسناده جيد **وعن ابن عمر** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من
الضحى الا يومين يوم يقدم مكة **وعن ابي بكرة** عند ابن عدي في الكامل

وصححه ابن خزيمة والحاكم

من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن ابي بكرة قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجاء الحسن وهو غلام فلما سجد ركب
ظهره الحسن وعمرو بن عبيد متروك وعن جابر بن عبد الله ان النبي الحديث
صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات رواه الحاكم قال الشيخ
ولي الدين بن العراقي وقد ورد فيها احاديث كثيرة صحيحة مشهورة
حتى قال محمد بن جرير الطبري انها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي
وهي كانت صلاة الانبياء قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه قال الله وعليه
تعالى مخبرا عن داود انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
فابقى الله تعالى من ذلك في دين محمد العصر ونسخ صلاة الاشراق
واحتج القايلون بالنفي بحديث عايشة رضي الله تعالى عنها ان كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب ان يعمل خشية ان يعمل
به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة
الضحى قط واني لاسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود
وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر اتصلي الضحى قال لا قلت فعمر
قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله
رواه البخاري وقوله لا اخاله اي لا اظنه وهو بكسر الهمزة وتفتح ايضا
والخا المعجمة وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون افضل
من صلاة الضحى وروي عن مجاهد قال دخلت انا وعروة بن الزبير
المسجد فاذا ابن عمر جالس عند حجرة عايشة فاذا الناس في المسجد يصلون
صلاة الضحى فسالناه عن صلاتهم فقال بدعة وروي ابن ابي شيبة
باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال سالت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال
بدعة ونعمت البدعة وروي عبد الرزاق باسناد صحيح عن سالم عن ابيه
قال لقد قتل عثمان وما احد يسبحها وما احدث الناس شيا احب الي
منها وقد جمع العلماء بين هذه الاحاديث بانه صلى الله عليه وسلم كان لا يداوم
على صلاة الضحى مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها وكان يفعلها كما
صرحت به عايشة كما تقدم وكما ذكرته ام هاني وغيرها وقول عايشة
ما رايته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان
لا يكون عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا
وقد يكون حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت
زوجاته او غيرها وما راته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رايته
وعلمت بغير روية انه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم او باخبار غيره

فروث ذلك وقول

بتشديد الرا ابن مشمرج بضم اوله وفتح المعجمة وسكون الميم وكسر الرا بعدها جيم ابو عبد الله العجلي ابو المعتمر البصري ثقة عابد من كبار الثالثة مات بعد المائة تقريب

فروث ذلك وقول عمر ابن عمر لا اخاله توقف وكان سبب توقفه
انه بلغه عن غيره انه صلاها ولم يثق بذلك عمن ذكره واما قوله انها
بدعة فمؤول على انه لم تبلغه الاحاديث المذكورة او اراد انه صلى الله
عليه وسلم لم يداوم عليها او ان اظهارها في المساجد ونحوها بدعة
وانما السنة النافلة في البيوت والله اعلم وبالجملة فليس في
احاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى لان نفيه
محمول على عدم رويته لا على عدم الوقوع في نفس الامر والذي نفاه
صفة مخصوصة كما قدمناه وقد روي ابن ابي شيبة عن ابن مسعود
انه راي قوما يصلونها فانكر عليهم وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب
اخرون الى استحباب فعلها غبا فتصلي في بعض الايام دون بعض وكان ابن
عباس يصليها يوما ويدعها عشرة ايام وذهب اخرون الى انها انما تفعل
لسبب من الاسباب وانه عليه الصلاة والسلام انما صلاها يوم الفتح
من اجل الفتح وكان الامرا يسمونها صلاة الفتح متمسكين بما قاله عياض
وغيره ان حديث ام هاني ليس بظاهر في انه عليه الصلاة والسلام قصد
سنة الضحى وانما فيه انها اخبرت عن وقت صلاته فقط قال وقد قيل
انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه النووي
بان الصواب صحة الاستدلال به لما رواه ابو داود من طريق كريب
عن ام هاني انه صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة
من طريق ابي مرة عن ام هاني في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى وروي ابن عبد البر في التمهيد من طريق
عكرمة بن خالد عن ام هاني قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال هذه صلاة الضحى
واستدل به على ان اكثر الضحى ثماني ركعات واستبعده السبكي ووجه
بان الاصل في العبادة التوقف وهذا اكثر ما ورد من فعله عليه الصلاة
والسلام وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن ابي اوفى انه عليه الصلاة
والسلام صلى الضحى ركعتين اخرجه ابن عدي واما ما ورد من قوله عليه من ح
الصلاة والسلام ففيه زيادة على ذلك كحديث انس مرفوعا من صلى الضحى
ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة اخرجه الترمذي واستغربه
وليس في اسناده من اطلق عليه الضعف ومن ثم قال الروياني اكثرها
ثنتا عشرة ركعة وقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كانه
يشير الى حديث انس لكن اذا ضم اليه حديث ابي الدردا رفعه وفيه

من صلي ثنتي عشرة ركعة بني الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث ابي
ذر عند البزار وفي اسناده ضعيف ايضا قوي وصلح للاحتجاج ونقل الترمذي
عن احمد انه اصح شي ورد في الباب حديث ام هاني وهو كما قال ولهذا قال
النووي في الروضة افضلها ثمان واكثرها ثنتا عشرة ففرق بين الاكثر
والافضل **واجاب** القايلون بانها لا تفعل لا لسبب عن قول ابي هريرة
المروي في البخاري اوصاني خليلي صلي الله عليه وسلم بثلاث لا ادعهن حتي
اموت بصوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحي الحديث بانه قد روي ان ابا
هريرة كان يختار درس الحديث بالليل علي الصلاة فامره بالضحي بدلا عن قيام
الليل ولهذا امره ان لا ينام الا علي وتر ولم يامر بذلك ابا بكر ولا عمر ولا
ساير الصحابة انتهي **قال** الحافظ ابن حجر وهذه الوصية لابي هريرة قد
ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم **ولابي ذر** فيما رواه النسائي قال
والحكمة في الوصية علي المحافظة علي ذلك تمرين النفس علي جنس الصلاة
والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص
ومن فوايد صلاة الضحي انها تجزي عن الصدقة التي تصبح علي مفاصل
الانسان الثلاثمائة وستين مفصلا كما اخرجه مسلم من حديث ابي ذر
قال فيه ويجزي من ذلك ركعتا الضحي وقد ذكر اصحابنا الشافعية انها
افضل التطوع بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها
صلاة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحي **وحكي الحافظ** ابو
الفضل العراقي في شرح الترمذي انه اشتهر بين العوام ان من صلي الضحي ثم
قطعها يعمي فصار كثير من الناس يتركها اصلا لذلك وليس لما قالوا
اصل بل الظاهر انه مما القاه الشيطان علي السنة العوام ليحرمهم الخير
الكثير لا سيما ما وقع في حديث ابي ذر واقتصر في الوصية للثلاثة المذكورين
علي الثلاثة المذكورة في الحديث لان الصلاة والصيام اشرف العبادات البدنية
ولم يكن المذكورون من اصحاب الاموال فكان يجزيهم من الصدقة علي
السلامي كما في الحديث والله اعلم **وروي الحاكم** من طريق ابي الخير عن عقبة
ابن عامر قال امرنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان نصلي الضحي بسور
منها والشمس وضحاها ومناسبة ذلك ظاهرة جدا والله اعلم **تنبيه**
قال شيخ الاسلام الحافظ ابو الفضل ابن حجر قول عايشة في الصحيح ما رايت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحي يدل علي ضعف ما روي
عنه صلي الله عليه وسلم ان صلاة الضحي كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة
من العلما من خصايصه صلي الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك في خبر صحيح **وقول**
الماوردي.

الماوردي في الحاوي انه صلي الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الي ان مات
يعكر عليه ما رواه مسلم من حديث ام هاني انه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفي ام
هاني لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من اثبته الي دليل ولو وجد لم يكن حجة لان
عايشة ذكرت انه كان اذا عمل عملا اثبته فلا يستلزم المواظبة علي هذا الوجوب عليه انتهي
قال ابن العربي في عارضة الاحوذي **انا** ابو الحسن الازدي **انا** طاهر **انا** علي **نا** ابو
العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكري **نا** الختلي **نا** ابو غسان
نا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحي ولم تومروا بها رواه الدارقطني

القسم الثاني في صلاته صلي الله عليه وسلم النوافل واحكامها

وفيه بابان **الاول في النوافل المقرونة بالاوقات** وفيه فصلان **الاول** في
رواتب الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع **الاول** في احاديث جامعة لرواتب
مشتركة **عن** نافع **عن** ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يصلي قبل
الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد صلاة العشاء
ركعتين وكان يصلي بعد الجمعة حتي ينصرف فيصلي في بيته ركعتين قال واخبرتني
حفصة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح
وبدا الصبح صلي ركعتين خفيفتين قبل ان تقام الصلاة رواه البخاري فهذه عشر
ركعات لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بان يصلي
الجمعة وسنتها التي بعدها ثم تبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها
كما نبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في دلالة كان علي التكرار وصحح ابن الحاجب انها
تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف وصحح الامام
فخر الدين في المحصول انها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا **وقال** النووي في شرح
مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن دقيق
العيد انها تقتضيه عرفا فعلي هذا ففي الحديث دلالة علي تكرر فعل هذه النوافل من النبي
صلي الله عليه وسلم وانه كان هذا دابه وعادته **وعن** عايشة كان صلي الله عليه وسلم
يصلي في بيته قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين **و**كان
يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي
فيصلي ركعتين وفي اخره وكان اذا طلع الفجر صلي ركعتين الحديث رواه مسلم فهذه
ثنتا عشرة ركعة **وعنها** كان صلي الله عليه وسلم لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين
قبل الغداة وفي رواية لم يكن يتركهما سرا وعلانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح
وركعتان بعد العصر رواه البخاري ومسلم **الثاني** في ركعتي الفجر قالت عايشة
لم يكن صلي الله عليه وسلم علي شي من النوافل اشد تعاهدا منه علي ركعتي الفجر رواه

البخاري ومسلم وابو داود والترمذي ولمسلم ايضا لهما أحبُّ اليَّ من الدنيا جميعا **وكان** يصليهما اذا سكت المؤذن بعد ان يستنير الفجر ويخففهما رواه الشيخان وهذا لفظ النسائي **واختلف** في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلاة الصبح في اول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض وما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام **وقد ذهب** بعضهم الى اطالة القراءة فيهما وهو قول اكثر الحنفية ونقل عن الشعبي واورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته في صلاة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر واخرجه ابن ابي شيبة بسند صحيح عن الحسن البصري وكان كثيرا ما يقرا في الاولى منهما قولوا امنا بالله وما أنزل الينا الاية التي في البقرة وفي الاخرة قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله اشهدوا بانا مسلمون رواه مسلم وابو داود والنسائي من رواية ابن عباس **وفي** رواية ابي داود من حديث ابي هريرة قولوا امنا بالله وما انزل الينا في الركعة الاولى وبهذه الاية ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين او انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم قال ابو داود شك الراوي **وقال** ابو هريرة قرا في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه مسلم وابو داود والترمذي **وقد روي** ابن ماجة باسناد قوي عن عبد الله ابن شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرا بهما في ركعتي الفجر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد **ولابن ابي شيبة** من طريق ابن سيرين عن عائشة كان يقرا فيهما بهما **وللترمذي** والنسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرا بهما **وقد استدل** بعضهم بهذا على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ذلك عرف بقراءته بعض السورة ويدل على ذلك ان في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم ايضا بهذه الاحاديث المذكورة على انه لا تتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورة الاخلاص **واجيب** بانه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر فيها انتهى **وكان عليه الصلاة والسلام** اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيمن **وقد قيل** الحكمة فيه ان القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه ابلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وهذا انما يصح بالنسبة الى غيره عليه الصلاة والسلام **واما** ما روي ان ابن عمر راى رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما صنعت قال اردت ان افصل بين صلاتي فقال له واي صلاة فصل افضل من السلام

قال فانها سنة

قال فانها سنة قال بل بدعة رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روي من انكار ابن مسعود ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما اخرجهما ابن ابي شيبة فهو محمول على انه لم يبلغهم الامر بفعله وارجح الاقوال مشروعيته للفصل لكن لم يداوم عليه الصلاة والسلام عليه **وكذا** احتج الائمة على عدم الوجوب وحملوا الامر الوارد بذلك عند ابي داود وغيره على الاستحباب وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي ويشهد لهذا ما اخرجه عبد الرزاق ان عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح وفي اسناده راو لم يسم وقيل ان فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعي رضي الله تعالى عنه ان السنة تتادى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال النووي انها سنة لظاهر حديث ابي هريرة وقد قال ابو هريرة راوي الحديث ان الفصل بالمشي الى المسجد لا يكفي وافرط ابن حزم فقال تجب على كل احد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح فرد عليه العلماء بعده حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد بن زياد به وفي حفظه مقال والحق انه يقوم به الحجة وذهب بعض السلف الى استحبابها في البيت دون المسجد وهو محكي عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فعله في المسجد اخرجه ابن ابي شيبة **وقال** عليه الصلاة والسلام من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعد ما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية ابي هريرة **الثالث** في راتبة الظهر عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم والترمذي **وعن عائشة** رضي الله تعالى عنها كان عليه الصلاة والسلام لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري ايضا فاما ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى اربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا اظهر **واما** ان يقال كان يفعل هذا وهذا المحكي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وابن عمر ما شاهد والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما **وقال ابو جعفر** الطبري الاربع كانت في كثير من احواله والركعتان في قليلها انتهى **وقد يقال** ان الاربع التي قبل الظهر تكن سنة الظهر بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال **وروى البزار** من حديث ثوبان انه صلى الله عليه وسلم كان يستحب ان يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة يا رسول الله اراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها ابواب السماء وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها ادم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى

للمتهجد

المختار صح

كل صح

لم صح

وعن عبد الله بن السايب كان صلى الله عليه وسلم يصلي اربعا بعد ان تزول الشمس
قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح لها ابواب السماء واحب ان يصعد لي فيها عمل صالح رواه
الترمذي وروى الترمذي ايضا حديثا في اربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب
مثلهن في السحر وما من شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرأ يتفيؤا
ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون الاية فهذه والله اعلم هي الاربع التي
ارادت عايشة انه كان لا يدعهن واما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح
هذا ان سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربع وردا مستقلا
سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذا والله اعلم ان انتصاف النهار مقابل
لانتصاف الليل وابواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهي بعد
انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا فيه تفتح ابواب السماء وهذا ينزل فيه الرب
تبارك وتعالى عن حركة الاجسام الرابع في سنة العصر عن علي كان صلى الله
عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه ابو داود وعن علي ايضا كان صلى
الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل بينهن بالتسليم على الملائكة
المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذي وروي مرفوعا ايضا
حديث رحم الله امرءا صلى قبل العصر اربعا وقالت عايشة ما كان
صلى الله عليه وسلم ياتيني في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين وفي رواية ما ترك
ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان ابا سلمة
سالها عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل
العصر ثم انه شغل عنهما او نسيهما فصلاهما بعد العصر ثم اثبتهما وكان اذا صلى
صلاة اثبتها يعني داوم عليها ولابي داود قالت كان يصلي بعد العصر ركعتين
وينهى عنهما ويواصل وينهى عن الوصال وقال ابن عباس رضي الله عنهما
انما صلى عليه الصلاة والسلام ركعتين بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه
عن الركعتين اللتين بعد الظهر فقضاهما بعد العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي
وقالت ام سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى عنهما ثم رايته يصليهما
حتى صلى العصر ثم سالته عنهما فقال انه اتاني ناس من عبد القيس بالاسلام
فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه ان ابن عباس قال
كنت اضرب مع عمر بن الخطاب الناس عنهما قال ابن القيم قضاء السنن
الرواتب في اوقات النهي عام له ولامته واما المداومة على تلك الركعتين في وقت
النهي فخاص به قال وقد عد هذا من خصائصه انتهى والدليل عليه رواية
عايشة رضي الله تعالى عنها كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى
عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على ذلك
لا أصل القضاء

لا أصل القضاء وأما رواية ابن عباس عند الترمذي انه انما صلاهما
بعد العصر لانه اشتغل بقسمة مال اتاه فهو من رواية جرير عن عطاء
وقد سمع منه بعد اختلاطه فان صح فهو شاهد لحديث ام سلمة لكن ظاهر
قوله ثم لم يعد معارض لحديث عايشة المذكور في هذا الباب فيحمل
النفي على علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت مقدم على النافي
وكذا ما رواه النسائي من طريق ابي سلمة عن ام سلمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث
وفي رواية عنها لم اره يصليهما قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين بانه
صلى الله عليه وسلم لم يكن يصليهما الا في بيته فلذلك لم يره ابن عباس
ولا ام سلمة ويشير الى ذلك قول عايشة في رواية وكان لا يصليهما
في المسجد مخافة ان تثقل على امته ومراد عايشة رضي الله تعالى عنها
بقولها ما كان في يومي بعد العصر الا صلى ركعتين من الوقت
الذي شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد انه كان يصلي بعد
العصر من اول ما فرضت الصلوات مثلا الى اخر عمره والله اعلم الخامس
في راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما احصي ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر
بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد رواه الترمذي وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة
في المغرب حتى يتفرق اهل المسجد رواه ابو داود وكان اصحابه
عليه الصلاة والسلام قبل المغرب قبل ان يخرج عليهم عليه الصلاة والسلام
رواه البخاري ومسلم وابو داود من حديث انس وفي رواية ابي داود قال
انس رآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يامرنا ولم ينهنا وقال
عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم
وظاهره ان الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة المغرب كان امرا قد
قرر اصحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب واما كونه
عليه الصلاة والسلام لم يصلهما فلا ينفي الاستحباب بل يدل على
انهما ليسا من الرواتب والى استحبابهما ذهب احمد واسحاق واصحاب
الحديث وعن ابن عمر ما رايت احدا يصليهما على عهده صلى الله عليه
وسلم وعن الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة انهم كانوا لا يصلونهما
فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب بان دعوى النسخ لا دليل
عليها ورواية المثبت وهو انس مقدم على رواية النافي وهو ابن عمر

وعن سعيد بن المسيب انه كان يقول حق على كل مومن اذا اذن
المؤذن ان يركع ركعتين وعن مالك قول اخر باستحبابهما وهو عند
الشافعية وجه رجحه النووي ومن تبعه وقال في شرح مسلم قول من
قال إن فعلهما يودي الى تاخير المغرب علي اول وقتها خيال فاسد عن ع
منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتاخر به الصلاة عن اول وقتها
ومجموع الادلة يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه
وسلم صلوا المغرب ركعتين لمن شاء خشية ان يتخذها الناس سنة قبل ع ٣
رواه ابو داود قال المحب الطبري لم يرد نفي استحبابهما لانه لا يمكن
ان يامر بما لا يستحب بل هذا الحديث من ادل الادلة على استحبابها
ومعنى قوله سنة اي شريعة وطريقة لازمة وكان المراد انحطاط
مرتبتهما عن رواتب الفرايض ولهذا لم يعدهما اكثر الشافعية
في الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بانه لم يثبت انه
صلى الله عليه وسلم واظب عليهما وقال عليه الصلاة والسلام في الصلاة
بعد المغرب هذه صلاة البيوت رواه ابو داود والنسايي من حديث
كعب بن عجرة وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى بعد المغرب في ع
ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته علي عليين رواه رزين السادس
في راتبة العشاء قالت عايشة رضي الله عنها ما صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتي الا صلى اربع ركعات او ست
ركعات رواه ابو داود وفي مسلم قالت عايشة رضي الله عنها
ثم يصلي بالناس العشاء فيدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث
ابن عمر عند الشيخين وتقدما اول هذا القسم والله اعلم الفرع السابع
في راتبة الجمعة عن نافع عن عبد الله بن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين
وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد
الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيا في الصلاة قبل صلاة
الجمعة قال ابن المنير كما حكاه في فتح الباري كانه يقول الاصل استواء
الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال
ابن بطال انما اعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من اجل انه كان صلى
الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة
فيه ان الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك
التنفل بعدها في المسجد خشية ان يظن انها التي حذفت انتهى وعلى

هذا فينبغي ان لا يتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا
المعنى وقد روى ابو داود وابن حبان من طريق ايوب
عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها
ركعتين في بيته ويحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل
ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على اثبات سنة الجمعة
التي قبلها وتعقب بان قوله وكان يفعل ذلك عايد على قوله
ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل عليه رواية الليث عن
نافع عن عبد الله انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته
ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك رواه مسلم
واما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت
فلا يصح ان يكون مرفوعا لانه عليه الصلاة والسلام كان يخرج اذا زالت
الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان المراد قبل دخول
الوقت فذلك مطلق نافلة لا صلاة راتبة فلا حجة فيه لصلاة الجمعة لسنة
التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد انكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها
وبالغوا في الانكار ومنهم الامام شهاب الدين ابو شامة لانه لم يكن
يؤذن للجمعة الا بين يديه عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر فلم يكن
يصليها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلاة قال ابن
العراقي ولم ار في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب
سنة الجمعة قبلها انتهى وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها احاديث
اخرى ضعيفة منها عن ابي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل
الجمعة اربعا وبعدها اربعا واقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين
قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله بن الزبير مرفوعا ما من
صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري وعن عطاء
قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم تقدم فيصلي اربعا
واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فيصلي ركعتين ولم يصل في المسجد
فقيل له فقال كان رسول [illegible] الله عليه وسلم يفعله رواه ابو داود وفي رواية
الترمذي قال رايت ابن عمر [illegible] بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك اربعا وعن
ابن عمر ايضا قال كان صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين رواه النسايي
وفي رواية كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي اخرى ان ابن عمر كان يصلي بعد
الجمعة ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم
حديث دخول سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب

وقوله صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه
من المباحث في صلاة الجمعة **الفصل الثاني في ذكر صلاته صلى**
الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع **الاول** في عدد الركعات **عن** ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل
قبلها ولا بعدها ثم اتى النساء وبلال معه فامرهن بالصدقة فجعلت المراة
تتصدق بخرصها وسخابها **وفي اخرى** وفي رواية خرج في يوم اضحى او فطر
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري
ومسلم وابو داود والترمذي والنساي **الفرع الثاني** في عدد التكبير
عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والاضحى **في**
الاولى سبع تكبيرات **وفي** الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي
الاحرام والركوع رواه ابو داود **وعن كثير** بن عبد الله عن ابيه عن جده ان
النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراة وفي
الاخرى خمسا قبل القراة رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي **الفرع**
الثالث في الوقت والمكان عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فاول شي يبدا به الصلاة
الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج
لصلاة العيد الى المصلى وانه افضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله
عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في الامصار
واما اهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول ولاصحابنا الشافعية
وجهان **احدهما** الصحرا افضل لهذا الحديث **والثاني** وهو الاصح عند اكثرهم
المسجد افضل الا ان يضيق قالوا وانما صلى اهل مكة في المسجد لسعته وانما خرج
النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على ان المسجد افضل اذا اتسع والمراد
بالمصلى المذكور الذي على باب المدينة الشرقي **قال** ابن القيم ولم يصل
العيد بمسجده الا مرة واحدة اصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت
الحديث وهو في سنن ابي داود وابن ماجة انتهى ولفظ ابي داود عن ابي
هريرة قال اصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المسجد زاد رزين ولم يخرج بنا الى المصلى **الفرع الرابع** في الاذان والاقامة
عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير
مرة ولا مرتين بغير اذان ولا اقامة رواه مسلم وابو داود والترمذي **وعن**
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا اذان ولا اقامة
رواه ابو داود **الفرع الخامس** في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة

العيدين

العيدين **عن** ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا في الاضحى والفطر بقاف والقران المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر
رواه مسلم ومالك وابو داود والترمذي **وعن** النعمان بن بشير قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك
حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرا بهما رواه مسلم ومالك وابو داود
والترمذي والنساي **الفرع السادس** في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه
صلاة العيدين عليها عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
يصلون العيدين قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنساي
وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدا بالصلاة قبل الخطبة
وفي رواية قام فبدا بالصلاة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فاتى النساء فذكرهن
وهو يتوكا على يد بلال وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء صدقة **وفي اخرى**
قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدا بالصلاة قبل الخطبة بلا اذان
ولا اقامة ثم قام متوكيا على بلال فامر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ
الناس وذكرهم ثم مضى حتى اتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان
اكثركن حطب جهنم فقامت امراة من وسط النساء سفعا الخدين فقالت
لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال
فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال من اقراطهن وخواتيمهن
رواه البخاري ومسلم **وفي** رواية ابي سعيد الخدري عند البخاري فاول
شي يبدا به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم
فيعظهم ويوصيهم ويامرهم فان كان يريد ان يقطع بعثا قطعه او يامر بشي امر
به ثم ينصرف فقال ابو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو امير
المدينة في اضحى او فطر فلما اتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا
مروان يريد ان يرتقيه فقلت له غيرتم والله الحديث **ولابن خزيمة**
خطب عليه الصلاة والسلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بانه لم يكن في المصلى
في زمانه عليه الصلاة والسلام منبر ويدل على ذلك قول ابي سعيد فلم يزل الناس
على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان اول من اتخذه مروان **ووقع** في المدونة
للامام مالك ان اول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم
على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين اصح فقد رواه
مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل ان يكون عثمان فعل
ذلك مرة ثم تركه حتى اعاده مروان ولم يطلع على ذلك ابو سعيد قاله شيخ الاسلام
ابن حجر رحمه الله تعالى **الفرع السابع** في اكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر

قبل خروجه الى صلاة العيد عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات رواه البخاري وقال قال مرجا بن رجا ٢
حدثني عبيد الله حدثني انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأكلهن
وترا ورواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم الفطر
حتى يأكل تمرات ثلاثا او خمسا او سبعا او اقل من ذلك او اكثر وترا
قال المهلب الحكمة في الاكل قبل الصلاة ان لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد
فكانه اراد سد هذه الذريعة وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب
الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال امر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره
على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لاكل قدر الشبع اشار الى ذلك ابن ابي
جمرة وقيل لان الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد صلاة
العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته والحكمة في استحباب
التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم ولان الحلو مما يوافق
الايمان ويعبر به في المنام ومن ثم استحب بعضهم ان يفطر على
الحلو مطلقا كالعسل رواه ابن ابي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين
وغيرهما وفي الترمذي والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار
عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من السنة
ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيئا قبل ان يخرج وفي كل من اسانيد
الثلاثة مقال وقد اخذ اكثر الفقهاء بما دلت عليه قال ابن المنير وقع اكله صلى
الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصة بهما
فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها
فاجتمعا من جهة وافترقا من اخرى وقال الشافعي في الام بلغنا عن الزهري
قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن
علي قال من السنة ان يخرج الى العيد ماشيا وفي ابن ماجة عن سعد القرظي
انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا وفيه عن ابي رافع نحوه واسانيد
الثلاثة ضعاف وعن ابي هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد في
طريق رجع في غيره رواه الترمذي وقد اختلف في معنى ذلك على اقوال كثيرة قال
الحافظ ابن حجر اجتمع لي منها اكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها قيل
انه فعل ذلك لتشهد له الطريقان وقيل ساكنهما من الجن والانس وقيل ليسوي
بينهما في مزية الفضل بمروره او في التبرك به او ليشم رائحة المسك من الطريق
التي يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى كانت على اليمين

فلو رجع

ويبرق القلب

ش

١٧٢

فلو رجع منها لرجع على جهة وجه الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل وقيل
لاظهار شرائع الاسلام وقيل لاظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين واليهود
وقيل حذرا من كيد الطائفتين او احداهما وقيل ليعمهم بالسرور به او التبرك
بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء او التعلم والاقتداء
والاسترشاد والسلام عليهم او غير ذلك وقيل ليزور اقاربه الاحياء والاموات
وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفاءل بتغير الحال الى المغفرة والرضى وقيل
كان يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه شيء فيرجع في طريق اخرى لئلا يرد
من يساله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى الدليل وقيل فعل ذلك لتخفيف
الزحام وهذا رجحه الشيخ ابو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه منها
ابعد من التي يرجع فيها فاراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب واما في الرجوع
فيسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعي وتعقب بانه يحتاج الى دليل
وبان اجر الخطا في الرجوع ايضا كما ثبت في حديث ابي بن كعب عند الترمذي
وغيره وقيل لان الملائكة تقف في الطرقات فاراد ان يشهد له فريقان منهم
وقال ابن ابي جمرة هو في معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب
واحد فاشار الى انه فعل ذلك حذر اصابة العين انتهى وكان صلى
الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين
فاما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احداهن يا رسول
الله ان احدانا ان لم يكن لها جلباب قال فلتعرها اختها من جلابيبها رواه
البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيد
لان من جملة من امر بذلك من ليس بمكلف فظهر ان القصد منه اظهار شعار
الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه استحباب خروج النساء
الى شهود العيد سواء كن شواب ام لا لكن نص الشافعي في الام يقتضي استثناء
ذوات الهيئات قال واحب شهود العجائز وغير ذوات الهيئات الصلاة واما
لشهودهن الاعياد اشد استحبابا وزاد في بعض النسخ فيه قال الطحاوي وامره
عليه الصلاة والسلام بخروج الحيض وذوات الخدور الى العيد يحتمل ان يكون في
اول الاسلام والمسلمون قليل فاريد التكثير بحضورهن ارهابا للعدو
واما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب بان النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح
في حديث ام عطية بعلة الحكم وهي شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء
بركة ذلك اليوم وطهرته وقد افتت به ام عطية بعد النبي صلى الله عليه
وسلم بمدة ولم يثبت عن احد من الصحابة مخالفتها في ذلك واما قول عائشة
لو راى النبي صلى الله عليه وسلم ما احدث النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك

الجلباب بكسر الجيم وسكون اللام
وموحدتين بينهما الف ثوب اقصر
واعرض من الخمار وهو المقنعة
او ثوب واسع يغطي صدرها
وظهرها او هو كالملحفة او
هو الازار او الخمار ه شرح البخاري
للعم

لندوره ان سلمنا ان فيه دلالة علي انها افتت بخلافه مع ان الدلالة
فصوان عايشة افتت بالمنع ليست صريحة **وفي قول الطحاوي** ارهابا
للعدو ونظر لان الاستنصار بالنساء والتكثير بهن في الحرب دال علي الضعف
والاولي ان يخص ذلك بمن يومن عليها وبها الفتنة ولا يترتب علي حضورها
محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في الجامع قاله في فتح الباري وكان
عليه الصلاة والسلام يخرج العنزة يوم الفطر يركزها فيصلي اليها رواه
النساي وغيره **واذا** علمت هذا فاعلم ان للمومنين في هذه الدنيا ثلاثة
اعياد عيد يتكرر في كل اسبوع وعيدان ياتيان في كل عام مرة مرة
من غير تكرار في السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع
وهو مترتب علي اكمال الصلوات المكتوبات فيه فشرع لهم عيدا **واما**
العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما ياتي كل واحد منهما في العام
مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب علي اكمال
صيام رمضان وهو الركن الثالث من اركان الاسلام ومبانيه فاذا اكمل
المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة
والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب واخره
عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالي لهم
عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه علي شكر الله تعالي وذكره وتكبيره علي
ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوايز
يستوفي فيه الصايمون اجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة والعيد الثاني عيد
النحر وهو اكبر العيدين وافضلهما وهو مترتب علي اكمال الحج بيوم عرفة
فان الوقوف بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار
فيعتق فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من اهل الامصار من
المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع
امصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهد لاشتراكهم في العتق
والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالي بالنسك باراقة
دماء ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعم والصلاة
والنحر الذي يجتمع في عيد النحر افضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر
ولهذا امر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يجعل شكره لربه علي اعطايه
الكوثر ان يصلي لربه وينحر وقد ضحي صلي الله عليه وسلم بكبشين
املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمي وكبر رواه البخاري من حديث
انس قال ورايته واضعا قدمه علي صفاحهما يقول بسم الله والله اكبر
صفاحهما
وعن عايشة انه

وعن عايشة انه صلي الله عليه وسلم امر بكبش يطا في سواد ويبرك
في سواد فاتي به ليضحي به فقال يا عايشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر
ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من
محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحي به رواه مسلم **وعن جابر** ذبح النبي صلي الله
عليه وسلم يوم الذبح كبشين اقرنين املحين موجوءين فلما وجههما قال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض علي ملة ابراهيم حنيفا وما
انا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك
له وبذلك امرت وانا اول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وامته بسم الله
والله اكبر ثم ذبحه رواه ابو داود وابن ماجة والدارمي وفي رواية لاحمد
والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله اكبر اللهم هذا عني وعن من لم يضح
من امتي فهذه اعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند اكمال طاعات مولاهم
الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل الاجر والثواب فليس العيد
لمن لبس الجديد وانما العيد لمن طاعته تزيد وليس العيد لمن تجمل باللباس
والمركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خلع العتق
والمغفرة علي العبيد فمن ناله منها شي فهو له عيد والا فهو مطرود
بعيد واما المومنون في الجنة فهي ايام زيارتهم ربهم فيزورونه ويكرمهم
غاية الكرامة ويتجلي لهم فينظرون اليه فما اعطاهم شيا هو احب لهم من ذلك
وهو الزيارة فليس للمحب عيد سوي قرب محبوبه ٭ ان يوما جامعا شملي بهم
ذاك عيد ليس لي عيد سواه ٭ **الباب الثاني في النوافل
المقرونة بالاسباب** وفيه اربعة فصول **الفصل الاول** في صلاته صلي الله
عليه وسلم للكسوف **والكسوف** لغة التغير الي السواد يقال كسفت
الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها **عن قبيصة** بن المخارق قال
كسفت الشمس علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه
وانا معه يوميذ بالمدينة فصلي ركعتين فاطال فيهما القيام ثم انصرف
وانجلت ثم قال انما هذه الايات يخوف الله بها عباده فاذا رايتموها فصلوا
رواه ابو داود والنساي وفي قوله عليه الصلاة والسلام يخوف الله بها عباده
رد علي ما يزعم اهل الهية ان الكسوف امر عادي لا يتاخر ولا يتقدم اذ لو كان
كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف وقد رد عليهم ابن العربي وغيره في حديث
ابي موسي عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشي ان تكون الساعة
قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق
والصدقة والصلاة معني كما في حديث اسما عند البخاري لقد امر النبي صلي الله

بوصل الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح الحا المهملة وبالذال المعجمة ٭ ابن رسلان
النخعي
ای مخصيين ومنهم من يرويه موجيين بوزن مكرمين قال وهو غلط قال المنذري
الصحيح موجوءين ابي منزوعي الانثيين ٭ ابن رسلان
البخاري

عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده ايضا من حديث عايشة رضي الله عنها
مرفوعا فاذا رايتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فان ظاهر الاحاديث ان ذلك
يفيد التخويف وان كل ما ذكر من انواع الطاعات يرجي ان يدفع به ما يخشي من اثر ذلك الكسوف
وما نقض به ابن العربي وغيره ايضا انهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف علي الحقيقة وانما
يحول القمر بينها وبين اهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون
ان الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير اذا قابله ام كيف
يظلم الكثير بالقليل لاسيما وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس
وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب اخر
غير ما يزعم اهل الهيئة وهو ما اخرجه احمد والنسائي وابن ماجة وصححه
ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا
لحياته ولكنهما ايتان من ايات الله وان الله اذا تجلي لشيء من خلقه خشع له
وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها
قال ولو صح لكان تاويلها اهون من مكابرة امور قطعية لا تصادم
اصلا من اصول الشريعة قال ابن بزيزة وهذا عجب منه كيف يسلم دعوى
الفلاسفة ويزعم انها لا تصادم الشريعة مع انها مبنية علي ان العالم
كري الشكل وظاهر الشرع خلاف ذلك والثابت من قواعد الشرع
ان الكسوف اثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين
النور متي شاء والظلمة متي شاء من غير توقيف علي سبب او ربط باقتران
والحديث الذي رده الغزالي قد اثبته غير واحد من اهل العلم وهو ثابت من
حيث المعني ايضا لان النورية والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا
تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما
تجلي ربه للجبل جعله دكا انتهي ويؤيد هذا الحديث ما رويناه عن طاوس
انه نظر الي الشمس وقد انكسفت فبكي حتي كاد ان يموت وقال هي
اخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم ان الذي
الذي يذكره اهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء
لان لله افعالا علي حسب العادة وافعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة
علي كل سبب يقتطع ما يشاء من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض
واذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته العادة وانه يخرق
يفعل ما يشاء اذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك
الاعتقاد وذلك لا يمنع ان يكون هناك اسباب تجري عليها العادة الي ان
يشاء الله خرقها وحاصله ان الذي يذكره اهل الحساب ان كان حقا في نفس

الامر

١٧٦

الامر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله قاله في فتح الباري **وعن** ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما قال انخسفت الشمس علي عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراءة سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع
فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو
دون الركوع الاول ثم رفع ثم سجد ثم قام قياما طويلا دون القيام الاول ثم ركع
ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام
الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف وقد تجلت
الشمس فقال ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا يخسفان لموت احد
ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رايناك
تناولت شيا في مقامك هذا ثم رايناك تكعكعت قال اني رايت الجنة
فتناولت منها عنقودا ولو اصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا ورايت النار فلم
ار منظرا كاليوم قط افظع ورايت اكثر اهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال
بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو احسنت الي
احداهن الدهر كله ثم رات منك شيا قالت ما رايت منك خيرا قط رواه البخاري
ومسلم **وقوله** ورايت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل انه راها رؤية عين
كشف الله عنهما وازال الحجب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الاقصي
حين وصفه ويكون قوله عليه الصلاة والسلام في عرض هذا الحايط كما في رواية
في جهته وناحيته ويحتمل ان يكون علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من
امورها مفصلا ما لم يعرفه قبل ذلك اليوم قال القاضي والاول اولي واشبه
بالفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة علي رؤية العين كتناوله العنقود وتاخره
مخافة ان يصيبه لفح النار انتهي واستشكل قوله ولو اصبته مع قوله تناولت
واجيب بحمل التناول علي تكلف الاخذ لا حقيقة الاخذ وقيل المراد تناولت لنفسي ولو
اخذته لكم حكاه الكرماني قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله
اخذت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا علي تحويله لكن لم يقدر لي قطفه ولو
اصبته اي لو تمكنت من قطفه ويدل عليه قوله في حديث عقبة بن عامر عند
ابن خزيمة اهوي بيده ليتناول شيا وفي حديث اسماء عند البخاري حتي لو
اجترات عليه وكانه لم يؤذن له في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال
لم ياخذ العنقود لانه من طعام الجنة وهو لا يفني والدنيا فانية لا يجوز ان
يوكل فيها ما لا يفني انتهي **وفي حديث اسماء بنت ابي بكر** عند البخاري ومسلم
ومالك والنسائي قال ما من شيء كنت لم اره الا رايته في مقامي هذا حتي الجنة
والنار ولقد اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا لا ادري اي

ذلك قالت أشما من فتنة المسيح الدجال يقال ما علمك بهذا الرجل
فاما المومن او الموقن لا ادري اي ذلك قالت أشما فيقول هو محمد رسول
الله جاءنا بالبينات والهدي فاجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال نم
صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا واما المنافق او المرتاب لا ادري اي
ذلك قالت أشما فيقول لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته وفي
رواية فرأي امراة تخدشها هرة ربطتها حتي ماتت جوعا وعطشا وفي
رواية عمرو بن مالك يجر قصبة في النار وكان اول من غير دين
ابراهيم ورأي فيها سارق الحاج يعذب وقوله قصبة بضم القاف
وسكون الصاد اي امعاءه وفي رواية عايشة رضي الله تعالي عنها
ثم قال يا محمد والله ما من احد اغير من الله من ان يزني عبده او تزني امته
والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الا هل بلغت
اي لو تعلمون من عظم انتقام الله من اهل الجرايم وشدة عقابه واهوال
يوم القيامة ما اعلم وما بعدها كما علمت وترون النار كما رأيت في مقامي
هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه
وفي حديث عايشة عند البخاري فخرج الي المسجد فصف الناس وراءه فكبر
فاقترا رسول الله صلي الله عليه وسلم قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال
سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرا قراءة طويلة وهي ادني من القراءة الاولي
وزاد في رواية ربنا لك الحمد واستدل به علي استحباب الذكر المشروع
في الاعتدال في اول القيام الثاني من الركعة الاولي واستشكله بعض متاخري
الشافعية من جهة كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال بدليل اتفاق العلماء ممن
قال بزيادة الركوع في كل ركعة علي قراءة الفاتحة فيه وان كان محمد بن مسلمة
المالكي خالف فيه والجواب ان صلاة الكسوف جاءت علي صفة
مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت انه صلي الله عليه وسلم
فعله فيها كان مشروعا لانها اصل براسها وبهذا المعني رد الجمهور علي من
قاسها علي صلاة النافلة حتي منع من زيادة الركوع فيها فصلاة الكسوف
اشبه شيء بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت
صلاة الجنازة بترك الركوع والسجود وصلاة العيد بزيادة التكبيرات
وصلاة الخوف بزيادة الركوع فالاخذ به جامع بين العمل بالنص والقياس
بخلاف من لم يعمل به وقد تبين ان لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل
الزايد علي العادة في القيام وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة
في ذلك من طرق اخر فعند مسلم من وجه اخر عن عايشة واخر عن جابر ان في
كل ركعة ثلاث ركوعات

كل ركعة ثلاث ركوعات وعنده من وجه اخر عن ابن عباس ان في كل ركعة
اربع ركوعات ولابي داود من حديث ابي بن كعب والبزار من حديث
علي ان في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو اسناد منها عن علة
ونقل ابن القيم في الهدي عن الشافعي واحمد والبخاري انهم كانوا يعدون
الزيادة علي الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فان اكثر طرق الحديث
يمكن رد بعضها الي بعض ويجمعها ان ذلك كان يوم مات ابراهيم عليه السلام
واذا اتحدت القصة تعين الاخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه الاحاديث بتعدد
الواقعة فان الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الاوجه جايزا وقال ابن خزيمة
وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع ما ثبت من ذلك
وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وابدي بعضهم ان حكمة
الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلا وبطيه فحيث وقع الانجلا
في اول ركوع اقتصر علي مثل النافلة وحيث ابطا زاد ركوعا وحيث زاد في الابطا
زاد ثالثا وهكذا الي غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي وغيره بان ابطاء
الانجلا وعدمه لا يعلم في اول الحال ولا في الركعة الاولي وقد اتفقت الروايات
علي ان عدد الركوع في الركعتين سواء وهذا يدل علي انه مقصود في نفسه منوي
من اول الحال انتهي ملخصا من فتح الباري وعند الامام احمد انه لما سلم حمد
الله واثني عليه وشهد ان لا اله الا الله وشهد انه عبد الله ورسوله ثم قال
ايها الناس انشدكم بالله ان كنتم تعلمون اني قصرت عن شيء من تبليغ
رسالات ربي لما اخبرتموني ذلك فقام رجل فقال انك قد بلغت رسالات
ربك ونصحت لامتك وقضيت الذي عليك ثم قال وايم الله لقد رايت منذ
قمت اصلي ما انتم لاقوه من امور دنياكم واخرتكم وانه والله لا تقوم الساعة
حتي يخرج ثلاثون كذابا اخرهم الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من
عمله وفي البخاري وقالت عايشة واسما خطب النبي صلي الله عليه وسلم وقد
اختلف في الخطبة فيه فاستحبها الشافعي واسحاق واكثر اهل الحديث وقال ابن
قدامة لم يبلغنا عن احمد ذلك وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس في الكسوف
خطبة لانه لم ينقل وتعقب بان الاحاديث ثبتت فيه وهي ذات كثرة والمشهور
عند المالكية ان لا خطبة لها مع ان مالكا روي الحديث وفيه ذكر الخطبة واجاب
بعضهم بانه صلي الله عليه وسلم لم يقصد بها الخطبة بخصوصها وانما اراد ان يبين
لهم الرد علي من يعتقد ان الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما
في الاحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة وحكاية شرايطها من الحمد والثنا
والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الاحاديث فلم يقتصر علي الاعلام بسبب

الكسوف والاصل مشروعية الاتباع والخصايص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخاري كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رايتموهما فصلوا وادعوا الله وابراهيم هو ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور اهل السير انه مات في السنة العاشرة من الهجرة فقيل في ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في ذي الحجة والاكثر على انها وقعت في عاشر الشهر وقيل في رابعه وقيل في رابع عشره ولا يصح شي منها على قول ذي الحجة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك بمكة في الحج وقد ثبت انه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات في سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووي بانها كانت سنة الحديبية فلعل ذلك كان في اواخر ذي القعدة حين رجع منها وفي هذا الحديث ابطال ما كان الجاهلية يعتقدونه من تاثير الكواكب في الارض قال الخطابي كانوا في الجاهلية يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير في الارض من موت او ضرر فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه اعتقاد باطل وان الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن انفسهما وعن عبد الله بن عمرو قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي ان الصلاة جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية له ولمسلم في حديث عايشة رضي الله عنها بعث صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي الصلاة جامعة قال ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد اجمعوا على انه لا يوذن له ولا يقام وروى ابن حبان انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم واخرجه الدارقطني ايضا وفيه رد على من اطلق كابن رشيد انه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من اول قوله صلى الله عليه وسلم اي امرنا بالصلاة جمعا بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدي لم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له ان القمر خسف في السنة الخامسة فصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الكسوف فكانت اول صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت انتفى فكانت التاويل المذكور وقد جزم به مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري من حديث عايشة رضي الله تعالى عنها جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف بقراته فاذا فرغ من قراته كبر فركع واذا رفع من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراة في صلاة الكسوف

الخسوف

اربع ركعات في ركعتين

اربع ركعات في ركعتين في اربع سجدات واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم يرد ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه اخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند ابي داود الطيالسي انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعا وموقوفا اخرجه ابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار وقال الايمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرا نحوا من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي تعليقا عن ابن عباس انه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفا ووصله البيهقي من ثلاثة طرق اسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زايد فالاخذ به اولى قال ابن العربي الجهر عندي اولى لانها صلاة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقا انتهى ملخصا والله اعلم

الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم الاستسقا

اعلم ان الاستسقا طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما يقول استعطى اي طلب العطاء ولم يخالف احد من العلماء في سنية الصلاة في الاستسقا الا ابو حنيفة محتجا باحاديث الاستسقا التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم صلى للاستسقا ركعتين واما الاحاديث التي ليس فيها الصلاة فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة وتعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولو لم يصل اصلا كان بيانا لجواز الاستسقا بالدعاء بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلاة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقا انواع الاول الاستسقا بصلاة ركعتين وخطبتين وبتاهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى اتى المصلى فرقي المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعا والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا المصلى يستسقي ثم استقبل القبلة وقلب رداءه ثم صلى رواه البخاري ومسلم وفي رواية خرج بالناس الى المصلى يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراة واستقبل يدعو ورفع يديه فحول رداءه حين استقبل القبلة وفي رواية قال وحول رداءه وجعل عطافه الايمن على عاتقه

وغيره وقال به صاحبا ابي حنيفة واحمد واسحاق وابن خزيمة

قبله

فقال المصـ

قال العيني العطاف الرداء اضافه الى الرداء لانه اراد احد شقي العطاف فالهاء ضمير الرداء ويجوز ان يكون للرجل ويريد بالعطاف جانب ردائه الايمن ... ابي داود

الايسر وجعل عطافه الايسر علي عاتقه الايمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم اقف في شي
من طرق حديث عبد الله بن زيد علي سبب ذلك ولا علي صفته صلي الله عليه وسلم
حال الذهاب الي المصلي ولا علي وقت ذهابه وقد وقع ذلك في حديث عائشة عند
ابي داود وابن حبان قالت شكا الناس الي رسول الله صلي الله عليه وسلم قحوط
المطر فامر بمنبر فوضع له في المصلي ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج حين
بدا حاجب الشمس فقعد علي المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب
دياركم واستيخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد امركم الله ان تدعوه ووعدكم
ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الذي
لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم انت الله لا اله الا انت الغني ونحن الفقرا انزل
علينا الغيث واجعل ما انزلت لنا قوة وبلاغا الي حين ثم رفع يديه حتي بدا
بياض ابطيه ثم حول الي الناس ظهره وقلب او حول رداه وهو رافع يديه ثم اقبل
علي الناس ونزل فصلي ركعتين فانشا الله سحابا فرعدت وبرقت ثم امطرت
باذن الله فلم يات مسجده حتي سالت السيول فلما راي سرعتهم الي الكن ضحك
حتي بدت نواجذه فقال اشهد ان الله علي كل شي قدير واني عبد الله ورسوله
وقد حكي ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح انه لا وقت لها معين
وان كان اكثر احكامها كالعيد لكنها تخالفه بانها لا تختص بيوم معين وهل
تصنع بالليل استنبط بعضهم في كونه صلي الله عليه وسلم جهر بالقراة فيها
بالنهار انها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلي بالليل لاسر فيها بالنهار
وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع علي انها لا تصلي في
وقت الكراهة وافاد ابن حبان ان خروجه صلي الله عليه وسلم الي المصلي للاستسقا
كان في شهر رمضان سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي ان طول رداه صلي
الله عليه وسلم كان ستة اذرع في ثلاثة اذرع وطول ازاره اربعة اذرع
وشبرين في ذراعين وشبر كان يلبسهما في الجمعة والعيدين **وقد روي ابو
داود عن عباد** استسقي صلي الله عليه وسلم وعليه خميصة سودا فاراد ان
ياخذ باسفلها فيجعله اعلاها فلما ثقلت عليه قلبها علي عاتقه **وقد استحب
الشافعي** في الجديد فعل ما هم به صلي الله عليه وسلم من تنكيس الردا مع التحويل
الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره ان الشافعي اختار في الجديد تنكيس الردا
لا تحويله والذي في الام ما ذكرته والجمهور علي استحباب التحويل فقط ولا ريب
ان الذي استحبه الشافعي احوط **وعن** ابي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب
شي من ذلك واستحب الجمهور ان يحول الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه الامام
احمد من طريق اخري عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس معه وقال الليث

وابو يوسف

التاسع عشر من
الجزء الثاني من المواهب

١٧٧

وابو يوسف يحول الامام وحده واستثني ابن الماجشون النسا فقال لا يستحب
في حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بانه للتفاول بتحويل
الحال عما هي عليه **وتعقبه** ابن العربي بان من شرط الفال ان لا يقصد
اليه قال وانما التحويل امارة بينه وبين ربه قيل له حول رداك ليتحول
حالك **وتعقب** بان الذي جزم به يحتاج الي نقل والذي رده ورد فيه
حديث رجاله ثقات اخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر
ابن محمد بن علي عن ابيه عن جابر ورجح الدارقطني ارساله وعلي كل حال
فهو اولي من القول بالظن واستدل بقوله في حديث عائشة ثم صلي
ركعتين بعد قوله فقعد علي المنبر علي ان الخطبة في الاستسقا قبل الصلاة
وهو مقتضي حديث ابن عباس لكن وقع عند احمد في حديث عبد الله بن زيد
التصريح بانه بدا بالصلاة قبل الخطبة وكذا في حديث ابي هريرة عند ابن ماجة
حيث قال فصلي بنا ركعتين بغير اذان ولا اقامة والمرجح عند الشافعية
والمالكية الثاني ولم يقع في شي من طرق حديث عبد الله بن زيد صفة
الصلاة المذكورة ولا ما يقرا فيها **وقد** اخرج الدارقطني من حديث
ابن عباس انه يكبر فيهما سبعا وخمسا كالعيد وانه يقرا فيهما بسبح وهل
اتاك وفي اسناده مقال لكن اصله في السنن بلفظ ثم صلي ركعتين كما
يصلي في العيدين فاخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما **الثاني
استسقاوه عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة عن** انس ان رجلا دخل
المسجد يوم جمعة من نحو باب دار القضاء ورسول الله صلي الله عليه
وسلم قايم يخطب فاستقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم قايما ثم قال
يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع
رسول الله صلي الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم اغثنا اللهم اغثنا قال انس
ولا والله ما نري في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من
بيت ولا دار قال فطلعت من ورايه سحابة مثل الترس فلما توسطت
السماء انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما راينا الشمس سبتا
قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلي
الله عليه وسلم قايم يخطب فاستقبله قايما فقال يا رسول الله هلكت
الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلي
الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم علي الاكام
والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في
الشمس قال شريك فسالت انس بن مالك اهو الرجل الاول قال لا ادري

رواه مسلم وفي رواية قال له فما يشير بيده الي ناحية الا انفرجت
حتي رايت المدينة في مثل الجوبة وسال وادي قناة شهرا ولم يجي احد من ناحية
الا اخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح اوله يقال غاث الله البلاد يغيثها
اذا ارسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضا هي دار عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه وسميت بذلك لانها بيعت في قضاء دينه وقوله
هلكت الاموال وفي رواية كريمة وابي ذر عن الكشميهني المواشي
وهو المراد بالاموال هنا وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف
وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري ايضا هلكت الماشية هلك
العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم
عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت
السبل لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر ولكونها لا تجد في طريقها
من الكلا ما يقيم اودها والاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد
جمع اكمة بفتحات التراب المجتمع وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من
الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ضرب الجبل المنبسط ليس بالعالي
وقوله الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة
المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في السحاب والجود المطر الغزير
وقوله قناة نهر اي جري فيه المطر من الماء شهرا وفي هذا دليل
علي عظم معجزته عليه الصلاة والسلام وهو ان سخرت السحاب له كلما
اشار اليها امتثلت بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه الصلاة والسلام
مناجاة للحق تعالي واما السحاب فبالاشارة فلولا الامر لها بالطاعة له عليه
الصلاة والسلام لما كان ذلك لانها ايضا مامورة حيث ما يشير وقدر ما يقيم
وابن يقيم ويرحم الله الشقراطسي فلقد احسن حيث قال

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا	افديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما	صوبت الا بصوب الواكف الهطل
اراق بالارض ثجا صوب ريقته	فحل بالروض نسج رايق الحلل
زهر من النور حلت روض ارضهم	زهر من النور ما في النبت مكتمل
من كل غصن نضير مورق خضر	وكل نور نضيد مونق خضل
تحية احيت الاحياء من مضر	بعد المضرة تروي السبل بالسبل
دامت علي الارض سبعا غير مقلعة	لولا دعاوك بالاقلاع لم تزل

وقوله في الحديث سبتا اي من السبت الي السبت وقوله ثم دخل رجل
الظاهر انه غير الاول لان النكرة اذا تكررت دلت علي التعدد وفي رواية

كما جاء

ابن اسحاق

ابن اسحاق فقام ذلك الرجل او غيره وفي رواية فتقشعت عن المدينة
فجعلت تمطر حواليها وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الي المدينة وانها
لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شي دار من جوانبه
واشتهر لما يوضع علي الراس فيحيط به وهو من ملابس الملوك كالتاج
وفي رواية له ايضا فالف الله بين السحاب ومكثنا حتي رايت الرجل
الشديد تهمه نفسه ان ياتي اهله وفي رواية له ايضا فرايت السحاب يتمزق
كانه الملاحف تطوي والملا بضم الميم والقصر وقد يمد جمع ملاة وهي
ثوب معروف واستدل بهذا الحديث علي جواز الاستسقا بغير صلاة
مخصوصة وعلي ان الاستسقا ليس فيه صلاة فاما الاول فقال به الشافعي
واما الثاني فقال به ابو حنيفة وتعقب بان الذي وقع في هذه القصة
مجرد دعاء لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد ثبت في واقعة اخري كما تقدم
والله اعلم الثالث استسقاوه صلي الله عليه وسلم علي منبر
المدينة روي البيهقي في الدلايل من طريق زيد بن عبيد السلمي قال لما
قفل رسول الله صلي الله عليه وسلم من غزوة تبوك اتاه وفد بني فزارة
بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو اصغرهم
فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا علي ابل عجاف وهم
مسنتون فاقروا بالاسلام فسالهم رسول الله صلي الله عليه وسلم عن
بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا وعرت عيالنا
وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الي ربك ويشفع
ربك اليك فقال صلي الله عليه وسلم سبحان الله ويلك انا شفعت الي ربي
فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات
والارض وهو يبط من عظمته وجلاله كما يبط الرحل الجديد فقال النبي صلي
الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي
او يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله من
رب يضحك خيرا فضحك صلي الله عليه وسلم من قوله فقام صلي الله عليه وسلم
فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم
لا يرفع يديه في شي من الدعا الا في الاستسقا فرفع يديه حتي رئي بياض
ابطيه وكان مما حفظ من دعايه اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك
واحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا واسعا عاجلا
غير اجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق
ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا علي الاعداء فقال ابو لبابة بن عبد المنذر

فقال يارسول الله إن التمر في المرابد فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم اسقنا فقال ابو لبابة ان التمر في المرابد ثلاث مرات فقال عليه
الصلاة والسلام اللهم اسقنا حتى يقوم ابو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده
بازاره قال فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع
من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء
انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما رأوا الشمس سبتا وقام ابو لبابة عريانا
يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يارسول الله يعني الذي
سأله أن يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه
وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا
علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة
عن المدينة كانجياب الثوب والأطيط صوت الأقتاب يعني ان الكرسي
ليعجز من حمله وعظمته اذ كان معلوما ان اطيط الرحل بالراكب انما يكون
لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا مثل لعظمته تعالى وجلاله وإن لم يكن
أطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى **وقوله** طبقا
بفتح الطاء والموحدة اي مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق اي عام
والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر
وعن انس بن مالك قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يارسول الله اتيناك ومالنا صبي يغط ولا بعير يئط اي مالنا بعير اصلا
لان البعير لابد أن يئط وانشد

اتيناك والعذراء تدمى لبانها • وقد شغلت ام الصبي عن الطفل
والقى بكفيه الفتى لاستكانة • من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا • سوى الحنظل العامي والعلهز الفسل
وليس لنا الا اليك فرارنا • واين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اسقنا
غيثا مغيثا مريئا مريعا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملا به الضرع
وتنبت به الزرع وتحيي الارض بعد موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم يديه
الى نحره حتى التقت السماء بأبراقها وجاء اهل البطانة يضجون الغرق
فقال عليه الصلاة والسلام حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة
حتى احدق بها كالاكليل وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله
در ابي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي يارسول الله
كأنك تريد قوله • • • • • •

وابيض

وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل
~~يطيف به الهلاك من كل هاشم • ولما نطاعن حوله ونناضل~~
يطيف به الهلاك من كل هاشم • فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزي محمدا • ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله • ونذهل عن ابنائنا والحلائل
فقال أجل رواه البيهقي **وقوله** تدمى لبانها اي يدمى صدرها
لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب
وشدة الزمان واصل اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس
وقوله ما يمر وما يحلي اي ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف
وقوله سوى الحنظل العامي نسبة الى العام لانه يتخذ في عام الجدب كما
قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر
البعير في سني المجاعة قاله الجوهري **والفسل** الرذل **قال**
السهيلي **فان قلت** كيف قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ولم يره قط استسقى وانما كان ذلك منه بعد الهجرة **واجاب** بما
حاصله ان ابا طالب اشار الى ما وقع في زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش
والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى **وقال** الحافظ
ابن حجر ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه
وانه لم يشاهد ذلك انتهى **قلت** وقد اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن
عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا ابا طالب اقحط الوادي
واجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن
تجلت عنه سحابة قتماء وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب فالصق ظهره بالكعبة
ولاذ الغلام وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق
واغدودق وانفجر له الوادي واخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول ابو طالب
وابيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى **الرابع استسقاؤه صلى الله
عليه وسلم** بالدعاء من غير صلاة **عن** ابن مسعود ان قريشا
ابطؤا عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذتهم
سنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت
تأمر بصلة الرحم فان قومك قد هلكوا فادع الله فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء
بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم بدر زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر فقالوا اللهم

حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن راسه فسقوا الناس حولهم
رواه البخاري وافاد الدمياطي ان ابتدا الدعا على قريش كان عقب
طرحهم على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة في القنوت كما في حديث ابي هريرة عند البخاري ولا بذلك صح
يلزم من ذلك اتحاد هذه القصص اذ لا مانع ان يدعو بذلك عليهم
مرارا والظاهر ان مجيء ابي سفيان كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم
عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر ولم ينقل ان ابا
سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل ان يكون ابو طالب
كان حاضرا لذلك فلذلك قال وابيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد
ما يدل ان القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل
وفي الدلايل للبيهقي عن كعب بن مرة او مرة بن كعب قال دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على مضر فاتاه ابو سفيان فقال ادع الله لقومك
قد هلكوا وقد رواه احمد وابن ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك
فابهم ابا سفيان قال جاء رجل فقال استسق الله لمضر فقال يا رسول
الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فاجابك فرفع يديه فقال
اللهم اسقنا غيثا مغيثا الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له
انك لجريء هو ابو سفيان لكن يظهر ان فاعل قال يا رسول الله استنصرت
الله الى اخره هو كعب بن مرة راوي الخبر هذا الحديث لما اخرجه احمد
والحاكم عن ابي بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فاتيته
فقلت يا رسول الله ان الله قد نصرك واعطاك واستجاب لك وان قومك
قد هلكوا وعلى هذا فكان ابا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه ابو سفيان
بشيء وكعب بشيء فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت
في تلك من قوله انك لجريء ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وسياق
كعب بن مرة يشعر بان ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك
ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة انس السابقة فهي واقعة اخرى
لان في رواية انس فلم ينزل على المنبر حتى مطروا وفي هذه فما كان الا جمعة او عنه صح
نحوها حتى مطروا والسايل في هذه القصة غير السايل في تلك فهما قصتان
ووقع في كل منهما طلب الدعاء بالاستسقاء ثم طلب الدعاء بالاستصحاء
وان ثبت ان كعب بن مرة اسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك
على النصر باجابة دعايه عليهم وزال الاشكال المتقدم والله اعلم انتهى ملخصا من فتح الباري

الخامس استسقاوه صلى الله عليه وسلم عند احجار الزيت

قريبا من الزورا

١٨٠

قريبا من الزوراء وهي خارج باب المسجد يدعى باب السلام نحو قذفة حجر الذي
ينعطف على يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى ابي اللحم انه
راى النبي صلى الله عليه وسلم استسقى رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما
راسه رواه ابو داود والترمذي السادس استسقاوه صلى الله
عليه وسلم في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الماء فاصاب
المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض
المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال او قد قالوها عسى ربكم ان
يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعايه حتى اظل السحاب
وامطروا الى ان سال الوادي فشرب الناس وارتووا فصل
روى ابو الجوزا قال قحط اهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عايشة
فقالت انظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السما حتى
لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب
وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن
ابي شيبة باسناد صحيح من رواية ابي صالح السمان عن مالك الداري
قال اصاب الناس قحط زمن عمر رضي الله عنه فجا الى قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتى الرجل في المنام
فقيل له ايت عمر وفي رواية عبد الرزاق ان عمر رضي الله عنه
استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس عام الرمادة بفتح
الراء وتخفيف الميم وسمي به لما حصل من شدة الجدب فاغبرت
الارض جدا من عدم المطر وذكر ابن عساكر في كتاب
الاستسقا ان العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا
وعندك ماء فانشر السحاب ثم انزل منه الماء ثم انزله علينا واشدد
به الاصل واطل به الفرع وادر به الضرع اللهم شفعنا اليك عمن
لا منطق له من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا
اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكو اليك سغب صح
كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف
وفي رواية الزبير بن بكار ان العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لم
ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من
نبيك وهذه ايدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا

عن سالم ابن عبد الله عن ابيه مرفوعا انه كان اذا استسقى قال
اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد
والبلاد والبهايم والخلق من اللاواء والجهد والضنك
ما لا نشكوه الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وادر لنا الضرع
واسقنا من بركات السما وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع
عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلا ما لا يكشفه غيرك
اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السما علينا مدرارا رواه
الشافعي فصل صح

بالعباس

الغيث فارخت السما مثل الجبال حتي اخصبت الارض وعاش الناس
وعنده ايضا قحط الناس فقال عمر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان يري للعباس ما يري الولد للوالد فاقتدوا ايها الناس برسول
الله صلي الله عليه وسلم في عمه العباس فاتخذوه وسيلة الي الله وفيه
فما برحوا حتي سقوا وفي ذلك يقول العباس بن عتبة بن ابي لهب

بعمي سقي الله الحجاز واهله … عشية يستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغبا … اليه فما ان رام حتي اتي المطر
ومنا رسول الله فينا تراثه … فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

القسم الثالث في ذكر صلاته صلي الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول

الاول في قصره صلي الله عليه وسلم الصلاة فيه واحكامه وفيه فرعان **الاول** في كم كان عليه الصلاة والسلام يقصر الصلاة تقدم هل القصر رخصة او عزيمة وما استدل به لكل من القولين في اوايل هذا المقصد **وعن** انس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة اربعا وخرج يريد مكة فصلي بذي الحليفة العصر ركعتين رواه البخاري ومسلم وهذا الحديث مما احتج به اهل الظاهر في جواز القصر في طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذي الحليفة ستة اميال ويقال سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا في سفر يبلغ مرحلتين وقال ابو حنيفة وطايفة شرطه ثلاث مراحل واعتمد في ذلك اثارا عن الصحابة واما هذا الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد انه صلي الله عليه وسلم حين سافر الي مكة في حجة الوداع صلي الظهر بالمدينة اربعا ثم سافر فادركته العصر وهو مسافر بذي الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد ان ذي الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه قطعا والاحاديث المطلقة مع ظاهر القران متعاضدات علي جواز القصر من حين يخرج من البلد فانه حينيذ يسمي مسافرا وطويل السفر ثمانية واربعون ميلا هاشمية وهي ستة عشر فرسخا وهي اربعة برد والميل من الارض منتهي مد البصر لان البصر يميل عنه علي وجه الارض حتي يفني ادراكه وبذلك جزم الجوهري وقيل حده ان ينظر الي الشخص في ارض مصطحبة فلا يدري اهو رجل ام امراة او هو ذاهب او ات قال النووي الميل ستة الاف ذراع والذراع اربع وعشرون اصبعا معترضة **وقد** حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الان بمصر والحجاز في هذه الاعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلي هذا بذراع الحديد خمسة الاف

فالميل

ذراع ومايتان

ذراع ومايتان وخمسون ذراعا وهذه فايدة جليلة قل من يتنبه لها **وروي** البيهقي عن عطاء ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين اي يقصران في اربعة برد فما فوقها وذكره البخاري في صحيحه تعليقا بصيغة الجزم صح ورواه بعضهم عن صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر عليه الصلاة والسلام فرضت اربعا رواه البخاري من حديث عايشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين رواه مسلم **وجمع** بينهما بما يطول ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية خفف منها في السفر عند نزول قوله تعالي فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ويؤيده ما ذكره ابن الاثير في شرح المسند ان قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة في ربيع الاخر من السنة الثانية ذكره الدولابي وقيل بعد الهجرة باربعين يوما

الفرع الثاني في القصر مع الاقامة

عن انس قال خرجنا مع النبي صلي الله عليه وسلم من المدينة الي مكة وكان يصلي ركعتين ركعتين حتي رجعنا الي المدينة قيل له اقمتم بمكة شيا قال اقمنا بها عشرا رواه البخاري ومسلم مختصرا قال اقمنا مع النبي صلي الله عليه وسلم عشرة نقصر الصلاة **وعن** ابن عباس اقام النبي صلي الله عليه وسلم تسعة عشر يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وان زدنا اتممنا رواه البخاري **وفي** رواية ابي داود انه صلي الله عليه وسلم اقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو اقام اكثر اتم والرواية الاولي بتقديم التاء علي السين والثانية بتقديم السين علي الموحدة ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم الفتح فاقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين وله من طريق ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال اقام صلي الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بان من قال تسعة عشر عد يومي الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما واما رواية خمسة عشر فضعفها النووي في الخلاصة وليس بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحاق فقد اخرجها النساي من رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك فاذا ثبت انها صحيحة فليحمل علي ان الراوي ظن ان رواية الاصل سبعة عشر فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر انها خمسة عشر واقتضي ذلك ان رواية تسعة عشر ارجح الروايات واخذ الشافعي بحديث عمران بن حصين

قوله لم يزمع قال في المختار
ازمع على الامر يثبت عليه
عزم وقال الفراء ازمع
امر وازمع عليه
من هذا القبيل

لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة
وجب عليه الاتمام فان ازمع الاقامة في اول الحال على اربعة ايام اتم على
خلاف بين الصحابة في يومي الدخول والخروج فيها ولا معارضة بين حديث ابن
عباس وحديث انس لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة وحديث انس كان في
حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني مكة
لصبح رابعة ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة
بمكة وضواحيها عشرة ايام بلياليها كما قال انس ويكون مدة اقامته
اربعة ايام سوا لانه قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى
الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي ان المسافر اذا اقام ببلدة قصر اربعة
ايام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها على من لم ينو
الاقامة بل كان متردد ا متى تهيا له فراغ حاجته يرحل والمدة التي في
حديث انس يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في ايام
الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس
لما كان الاصل في المقيم الاتمام فلما لم يجئ عنه صلى الله عليه وسلم انه اقام
في حال السفر اكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله اعلم **الفصل
الثاني** في الجمع وفيه فرعان ايضا **الاول** في جمعه صلى الله عليه وسلم عن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ارتحل قبل ان تزيغ الشمس اخر
الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع بينهما فان زاغت الشمس قبل ان يرتحل
صلى الظهر ثم ركب وفي رواية انه كان اذا اراد ان يجمع بين صلاتين في
السفر اخر الظهر حتى يدخل اول وقت العصر وفي اخرى كان اذا عجل عليه
السير يؤخر الظهر الى وقت العصر فيجمع بينهما ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها
وبين العشاء رواه البخاري ومسلم وابو داود وفي رواية للبخاري
كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر يعني المغرب والعشاء وفي حديث ابن
عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاتي الظهر والعصر اذا كان على
ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم جمع بين الصلاة
في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء
وله ولمالك وابي داود والنسائي انهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فكان صلى الله عليه وسلم يجمع بين الظهر والعصر والمغرب
والعشاء فاخر الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ودخل ثم
خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا وفي رواية ابي داود والترمذي من حديث
معاذ بن جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل ان يرتحل جمع

بين الظهر والعصر فان رحل

بين الظهر والعصر فان رحل قبل ان تزيغ الشمس اخر الظهر حتى ينزل للعصر
وفي المغرب مثل ذلك ان غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء
وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس اخر المغرب حتى ينزل العشاء ثم جمع بينهما
الفرع الثاني في جمعه صلى الله عليه وسلم بجمع بمنى ومزدلفة
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب والعشاء
بالمزدلفة جميعا رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود وزاد البخاري في رواية
كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء
بجمع وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين وفي حديث
ابي ايوب الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب
والعشاء بالمزدلفة وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء
باقامة واحدة وفي رواية جعفر بن محمد عن ابيه عند ابي داود انه صلى الظهر والعصر
باذان واحد بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب والعشاء بجمع
باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما **الفصل الثالث في صلاته صلى
الله عليه وسلم النوافل في السفر** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سافرت
مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يصلون الظهر
ركعتين ركعتين ولا يصلي قبلها ولا بعدها وقال ابن عمر لو كنت مصليا
قبلها او بعدها لاتممتها رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله
عليه وسلم فلم اره يسبح في السفر اي يتنفل الرواتب التي قبل الفرايض وبعدها
وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين
قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد على عدد ركعات الفرض فيكون
كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة على القصر ويحتمل ان
يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو اعم من ذلك وفي رواية مسلم صحبت
ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل واقبلنا معه حتى جاء رحله فجلس
وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فراى ناسا قياما فقال ما يصنع هؤلاء قلت
يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي اجابوا عن قول ابن عمر هذا
بان الفريضة متحتمة فلو شرعت تامة لتحتم اتمامها واما النافلة فهي الى خيرة
المصلي فطريق الرفق به ان تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب
بان مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني انه لو كان مخيرا بين
الاتمام في السفر وصلاة الراتبة لكان الاتمام احب اليه لكن فهم من القصر
التخفيف فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر
كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في السفر واشار

به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك
واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت كما اخرجه مسلم فانما اراد به
راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك يبين من سياق الحديث
المذكور عند الترمذي من وجه اخر بلفظ لو كنت مصليا قبلها او بعدها لاتممت
واما حديث عايشة عند البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر
وركعتين بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها اخبرت عن اكثر احواله
وهو الاقامة والرجال اعلم بسفره من النساء واجاب النووي تبعا
لغيره بما لفظه لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله ولا
يراه ابن عمر ولعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي
من حديث ابن عمر قال صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه في الحضر الظهر
اربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين
والعصر ركعتين ولم يصل بعدها شيا والمغرب في الحضر والسفر سواء ثلاث ركعات
لا ينقص في حضر ولا سفر وهي وتر النهار وبعدها ركعتين وفي حديث ابي قتادة عند
مسلم في قصة النوم عن صلاة الصبح انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل
الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي و قول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله
عليه وسلم انه صلى سنة صلاة قبلها ولا بعدها في السفر الا ما كان في سنة الفجر
يرد على اطلاقه ما قدمناه في رواية الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه ابو
داود والترمذي من حديث البراء بن عازب قال سافرت مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثمانية عشر سفرا فلم اره ترك ركعتين اذا زاغت الشمس قبل الظهر وكانه
لم يثبت عنده ذلك لكن الترمذي استغربه ونقل عن البخاري انه راه حسنا
وقد حمله بعض العلما على سنة الزوال لا على الراتبة قبل الظهر

الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم التطوع في السفر على الدابة

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحته
حيث ما توجهت به ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث كان
وجهه وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية صلى الله عليه وسلم يصلي
على حمار وهو موجه الى خيبر وفي رواية انه كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد
اخذ بهذه الاحاديث فقها الامصار في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث
توجهت الا ان احمد وابا ثور كانا يستحبان ان يستقبل القبلة بالتكبير
حال ابتدا الصلاة والحجة لذلك ما في حديث انس عند ابي داود انه صلى الله عليه
وسلم كان اذا اراد ان يتطوع في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت
ركابه وذهب الجمهور الى جواز التنفل على الدابة سواء كان السفر طويلا
اوقصيرا

مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت مع

اوقصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل وحجته ان هذه الاحاديث انما وردت
في اسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه سافر سفرا
قصيرا فصنع ذلك وحجة الجمهور مطلق الاخبار في ذلك وقوله يصلي على حمار قال
النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو بن يحيى المازني وانما المعروف في
صلاته عليه الصلاة والسلام على راحلة او بعير والصواب ان الصلاة على الحمار من
فعل انس كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط راويه نظر لانه ثقة نقل شيا محتملا
فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة او مرات لكن قد يقال انه شاذ مخالف رواية الجمهور
والشاذ مردود وعن يعلى بن مرة عن ابيه عن جده انهم كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في مسيرة فانتهوا الى مضيق فحضرت الصلاة فمطروا السماء من
فوقهم والبلة من اسفل منهم فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على
راحلته فصلى بهم يومي ايماء فجعل السجود اخفض من الركوع رواه البيهقي

القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف

عن جابر قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع
فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين
وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال
لا فقال من يمنعك مني قال الله فهدده اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد
السيف وعلقه فاقيمت الصلاة فصلى بطايفة ركعتين ثم تاخروا وصلى بالطايفة
الاخرى ركعتين فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اربع ركعات وللقوم ركعتان
رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا
ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود هو
والصف الذي يليه فقام الصف الموخر ثم تاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله
عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود
والصف الذي يليه الذي كان موخرا في الركعة الاولى فقام الصف الموخر في نحر العدو
فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود انحدر الصف الموخر بالسجود فسجدوا
ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري ايضا من
حديث يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم
يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طايفة صفت معه وطايفة وجاه العدو
فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قايما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه
العدو وجات الطايفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت
جالسا واتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك احسن ما سمعت في صلاة

في نحر العدو ... النبي صلى الله عليه وسلم ... السجود وقام الى الصف الموخر

والصف الذي يليهم

الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي واحمد على
ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها احوط لامر الحرب **وعن** سالم
ابن عبد الله بن عمر عن ابيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازينا
العدو فصاففناهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي لنا فقامت طايفة معه
واقبلت طايفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد
سجدتين ثم انصرفوا مكان الطايفة التي لم تصل فجاؤا فركع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهم ركعة وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد يركع لنفسه ركعة وسجد
سجدتين **وفي** حديث جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر
في الخوف ببطن نخل فصلى بطايفة ركعتين ثم سلم ثم جات طايفة اخرى فصلى بهم
ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة **وعنه** انه صلى الله عليه
وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهؤلا صلاة هي احب
اليهم من آبايهم وابنايهم وهي العصر فاجمعوا امركم فتميلوا عليهم ميلة
واحدة وان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يقسم اصحابه شطرين
فيصلي بهم وتقوم طايفة اخرى وراهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم فتكون
لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسايي
قال ابن حزم وقد صح فيها يعني صلاة الخوف اربعة عشر وجها وبينها في جزء مفرد
وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة اصحها ستة عشر رواية
مختلفة ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها ايضا وقد
بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها اخر فصارت
سبعة عشر وجها لكن يمكن ان تتداخل وقال صاحب الهدي اصولها ست
صفات وبلغها بعضهم اكثر وهؤلاء كلما راوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا
ذلك وجها من فعله صلى الله عليه وسلم وانما هو من اختلاف الرواة انتهى
وهذا هو المعتمد واليه اشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها **وقد** حكى
ابن القصار المالكي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات **وقال** ابن
العربي اربعا وعشرين **وقال** الخطابي صلاها عليه الصلاة والسلام في ايام
مختلفة باشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الاحوط للصلاة والابلغ للحراسة
فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة
وفروع يطول ذكرها حكاه في فتح الباري **القسم الخامس في ذكر**
صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة وفيه فروع اربعة **الاول**
في عدد التكبيرات **عن** ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم
الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر عليه اربع تكبيرات رواه

البخاري ومسلم وعند الترمذي

البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
كبر على جنازة ذكرها حكاه في فتح الباري فرفع يديه مع اول تكبيرة ووضع اليمنى
على اليسرى **الفرع الثاني في القراة والدعاء** نقل
ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية
قراة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي واحمد واسحاق ونقل عن ابي هريرة
وابن عمر ليس فيها قراة وهو قول مالك والكوفيين **وروى** عبد الرزاق
والنسايي باسناد صحيح عن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال السنة في الصلاة على الجنازة
ان يكبر ثم يقرا بام القران ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعا للميت
ولا يقرا الا في الاولى **وفي** البخاري عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن
عباس على جنازة فقرا فاتحة الكتاب وقد وقع التصريح بذلك في حديث جابر عند
الشافعي بلفظ وقرا بام القران بعد التكبيرة الاولى كما ذكره الحافظ زين الدين العراقي
في شرح الترمذي **وعن** ابن عباس قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
جنازة فقرا بفاتحة الكتاب رواه الترمذي وقال لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس
قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين الصيغتين ولعله اراد الفرق
بالنسبة الى الجنازة والاحتمال **وعن** عوف بن مالك صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جنازة فحفظنا من دعايه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه
واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا
كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من
اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار قال عوف حتى تمنيت ان اكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم **وعن** واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل
جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفا والحق اللهم اغفر
له وارحمه انك انت الغفور الرحيم رواه ابو داود **وعن** ابي هريرة
قال كان صلى الله عليه وسلم اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا
وشاهدنا وغايبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وانثانا اللهم من احييته
منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان اللهم لا تحرمنا اجره ولا
تفتنا بعده رواه احمد وابو داود والترمذي **وعنه** سمعته صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم انت ربها وانت خلقتها وانت هديتها الى الاسلام وانت قبضت
روحها وانت اعلم بسرها وعلانيتها جيناك شفعاء فاغفر لها رواه ابو
داود **الفرع الثالث في صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر** **عن ابي هريرة**

وقال المعلم وابن الفاس وليس فيها بيان محل قراءة الفاتحة صح

رواه مسلم

ان امراة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال عنها
فقالوا ماتت قال افلا اذنتموني قال فكانهم صغروا امرها فقال دلوني على قبرها
فدلوه فصلى عليها رواه البخاري ومسلم زاد ابن حبان فقال في رواية حماد بن سلمة
عن ثابت ان هذه القبور مملوءة ظلمة على اهلها وان الله ينورها بصلاتي عليهم
واشار الى ان بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على ان ذلك من خصايصه صلى الله
عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت نحو هذه
القصة وفيها ثم اتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه اربعا قال ابن حبان في ترك انكاره
عليه الصلاة والسلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وانه ليس من
خصايصه وتعقب بان الذي يقع بالتبعية لا ينهض دليلا للاصالة **وعن عقبة**
ابن عامر انه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ثم انصرف
وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثماني سنين كالمودع للاحياء والاموات رواه ابو
داود والنسايي ورواه الشيخان ايضا بلفظ خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته
على الميت ثم انصرف الى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة على الشهيد في حرب
الكفار وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة فذهب مالك والشافعي واحمد واسحاق
والجمهور الى انه لا يصلى عليهم وذهب ابو حنيفة الى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال
المزني وهو رواية عن احمد اختارها الخلال وحجة الجمهور انه عليه الصلاة والسلام
لم يصل على قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر واما هذه الصلاة فالمراد
بها الدعاء وليس المراد بها صلاة الجنازة المعهودة قال النووي اي دعا لهم بدعاء
صلاة الميت وان هذه الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم
كما هو المعهود من صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان سنين والحنفية
يمنعون الصلاة على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم
ان الشافعية اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال اكثرهم معناه تحرم الصلاة
عليه وهو الصحيح عندهم وقال اخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن تجوز وذكر ابن
قدامة ان كلام احمد في الرواية التي قال فيها يصلى عليهم يشير الى انها مستحبة غير واجبة
قال ابن القاسم صاحب مالك انما لا يصلى على الشهيد فيما اذا كان المسلمون هم
الذين غزوا الكفار فان كان الكفار هم الذين غزوا المسلمين اي فيصلى عليهم
الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغايب عن جابر
انه صلى الله عليه وسلم قال توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه
قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن رواه البخاري ومسلم وعن
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي اليوم الذي مات فيه وخرج بهم
الى المصلى فصفهم وكبر اربع تكبيرات رواه الشيخان ايضا **وعند البخاري**
من طريق ابن عيينة

من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمة وبهذا الحديث
استدل من منع الصلاة على الميت في المسجد وهو قول الحنفية والمالكية لكن قال ابو
يوسف ان اعد مسجد للصلاة على الموتى لم يكن في الصلاة فيه عليهم باس **قال النووي**
ولا حجة فيه لان الممتنع عند الحنفية ادخال الميت المسجد لا مجرد الصلاة عليه حتى
لو كان الميت خارج المسجد جازت الصلاة عليه لمن هو داخله وقال ابن بزيزة وغيره
استدل به بعض المالكية وهو باطل لانه ليس فيه صيغة نهي ولاحتمال ان يكون خرج
بهم الى المصلى لامر غير المعنى المذكور وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام صلى على
سهيل بن بيضاء في المسجد فكيف يترك هذا الصريح لامر محتمل بل الظاهر انه انما خرج
بالمسلمين الى المصلى لقصد تكثير الجمع الذين يصلون عليه ولاشاعة كونه
مات على الاسلام فقد كان بعض الناس لم يدر بكونه اسلم **فقد روى** ابن حاتم
في التفسير والدارقطني في الافراد والبزار كلاهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صلى على النجاشي قال بعض اصحابه صلى على علج من الحبشة فنزلت وان من اهل الكتاب
لمن يومن بالله وما انزل اليكم الاية وله شواهد من حديث ابي سعيد عند الطبراني في
معجمه الكبير وزاد فيه ان الذي طعن بذلك كان منافقا **وقد قال البخاري** باب
الصلاة على الجنايز بالمصلى والمسجد **وروى حديث ابن عمر ان اليهود جاوا الى**
النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامراة زنيا فامر بهما فرجما قريبا من موضع
الجنايز عند المسجد **وحكى ابن بطال** عن ابن حبيب ان مصلى الجنايز بالمدينة كان لاصقا
بالمسجد النبوي من ناحية المشرق انتهى فان ثبت ما قال والا فيحتمل ان يكون المراد
بالمسجد هنا المصلى المتخذ للعيدين والاستسقاء لانه لم يكن عند المسجد النبوي مكان
مهيا للرجم ودل حديث ابن عمر المذكور على انه كان للجنايز مكان معد للصلاة عليها
فقد يستفاد منه ان ما وقع من الصلاة على بعض الجنايز في المسجد وتقويه حديث عايشة
ما صلى صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا في المسجد اخرجه مسلم وبه قال الجمهور
وحمل المانعون الصلاة على سهيل بانه كان خارج المسجد والمصلون داخله وذلك جايز
اتفاقا وفيه نظر لان عايشة استدلت بذلك لما انكروا عليها امرها بالمرور بجنازة
سعد على حجرتها لتصلي عليه وقد سلم لها الصحابة ذلك فدل على انها حفظت ما نسوه
وقد روى ابن ابي شيبة وغيره ان عمر صلى على ابي بكر في المسجد وان صهيبا صلى على
عمر في المسجد زاد في رواية ووضعت الجنازة في المسجد تجاه المنبر وهو يقتضي الاجماع
على جواز ذلك وقد استدل ايضا بحديث قصة النجاشي على مشروعية الصلاة على الميت
الغايب عن البلد وبذلك قال الشافعي واحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم لم
يات عن احد من الصحابة منعه وعن الحنفية والمالكية لا يشرع ذلك
وعن بعض اهل العلم انما يجوز ذلك في اليوم الذي يموت فيه الميت او ما قرب

كان الامر عارضا او لبيان الجواز
واستدل به على مشروعية الصلاة
على الجنايز في المسجد

لا ما اذا طالت المدة حكاه ابن عبد البر وقال ابن حبان انما يجوز ذلك لمن في
جهة القبلة فلو كان بلد الميت مستدبر القبلة مثلا لم يجز قال المحب الطبري لم
ار ذلك لغيره وقد اعتذر من لم يقل بالصلاة على الغايب عن قصة النجاشي بامور منها
انه كان بارض لم يصل عليه بها احد فتعينت الصلاة عليه لذلك ومن ثم قال الخطابي لا يصلى على
الغايب الا اذا وقع موته بارض ليس بها من يصلي عليه واستحسنه الروياني من الشافعية
ومنها قول بعضهم كشف له صلى الله عليه وسلم عنه حتى راه وعبر عنه القاضي عياض
في الشفا بقوله ورفع له النجاشي حتى صلى عليه فتكون صلاته عليه كصلاة الامام على
ميت راه ولم يره المأموم والخلاف في جوازها قال ابن دقيق العيد وهذا يحتاج الى نقل
ولا يثبت بالاحتمال وتعقبه بعض الحنفية بان الاحتمال كاف في مثل هذا وكان مستند
هذا القايل ما ذكره الواحدي في اسبابه بغير اسناد عن ابن عباس قال كشف للنبي صلى
الله عليه وسلم عن سرير النجاشي حتى راه وصلى عليه ولابن حبان من حديث عمران بن حصين
فقام وصفوا خلفه وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه ومن الاعتذارات ايضا ان ذلك خاص
بالنجاشي لانه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم صلى على ميت غايب غيره قاله المهلب وكانه لم
يثبت عنده قصة معاوية بن معاوية الليثي واستند من قال بتخصيص النجاشي بذلك
الى ما تقدم من اشاعة انه مات مسلما او استيلافا لقلوب الملوك الذين اسلموا في حياته
قال النووي لو فتح هذا الباب لانسد كثير من ظواهر الشرع مع انه لو كان شي مما
ذكروه لتوفرت الدواعي على نقله وقال ابن العربي قالت المالكية ليس ذلك الا لمحمد وما عمل
به محمد تعمل به امته لان الاصل عدم الخصوصية قالوا طويت له الارض واحضرت
الجنازة بين يديه قلنا ان ربنا عليه لقادر وان نبينا لاهل لذلك ولكن لا تقولوا الا ما رويتم
ولا تخترعوا حديثا من عند انفسكم ولا تحدثوا الا بالثابتات ودعوا الضعاف فانها
سبيل الى تلاف ما ليس له تلاف وقال الكرماني قولهم رفع الحجاب عنه ممنوع ولين
سلمنا فكان غايبا عن الصحابة الذين صلوا عليه مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من
فتح الباري

النوع الثالث في ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم في الزكاة

وهي لغة النماء والتطهير والمال ينمى بها من حيث لا يرى
وهي مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمي اجرها عند الله تعالى وسميت في الشرع
زكاة لوجود المعنى اللغوي فيها وقيل لانها تزكي صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهي تجلب
النعمة وتسمى الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه
بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم ان الزكاة وجبت للمواساة
وان المواساة لا تكون الا في مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم في الاموال
النامية وهي اربعة اصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثاني الزروع
والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع اموال التجارة على اختلاف

انواعها

انواعها وحد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف مما يحتمل المواساة فنصاب
الفضة خمس اواق وهي مايتا درهم بنص الحديث والاجماع واما الذهب فعشرون
مثقالا واما الزرع والثمار فخمسة اوسق واما الغنم فاربعون شاة والبقر ثلاثون
بقرة ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب
في المال فاعلاها واقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له
حول بل اوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزرع والثمار فان سقي بما السماء ونحوه
ففيه العشر والا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر
لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه تدخلها الاوقاص بخلاف
الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه اوجب فيها
شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم
انه قدر سن هذا الواجب في الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها وفي
كتابه صلى الله عليه وسلم الذي كتبه في الصدقة ولم يخرجه الى عماله
حتى قبض في خمس من الابل شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه
وفي عشرين اربع شياه وفي خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فان
زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس واربعين فان زادت واحدة ففيها حقة
الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة
ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة
فاذا كانت الابل اكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة وفي كل اربعين ابنة لبون
وفي الغنم في كل اربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان
الى المايتين فاذا زادت على المايتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة فان
كانت الغنم اكثر من ذلك ففي كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شي حتى تبلغ المائة
رواه ابو داود والترمذي من حديث سالم بن عبد الله بن عمر وفرض
صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر او صاعا من شعير على العبد والحر
والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين وامر بها ان تودى قبل
خروج الناس الى الصلاة رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وفي رواية
ابي داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصايم
من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
لم يرض بحكم نبي ولا غيره حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزاء رواه ابو داود
من حديث زياد بن الحارث الصدائي وهذه الثمانية الاجزاء يجمعها صنفان من
الناس احدهما من ياخذ لحاجته فياخذه بحسب شدة الحاجة وضعفها وكثرتها وقلتها
وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من ياخذ لمنفعته

في الصدقات صح

وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون عليها لاصلاح ذات
البين والغزاة في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة
للمسلمين فلا سهم له في الزكاة واعلم ان الانبياء لا تجب الزكاة
عليهم لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة وانما تجب عليك زكاة ما انت
له مالك انما كانوا يشهدون ما في ايديهم من ودايع الله لهم يبذلونه
في اوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي طهرة لما عساه
ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها والانبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤن من الدنس لوجود
العصمة ولهذا لم يوجب ابو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة
والمخالفة لا تكون الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ واذا كان اهل
المعرفة بالله والمشاهدون لاحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما هو
المشهور من حكاياتهم فما ظنك بالانبياء والرسل واهل التوحيد والمعرفة انما
عرفوا من بحارهم واقتبسوا من انوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير
للعارف الكبير ابي الفضل بن عطاء الله الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه [الله]
تنبيه ما حكي ان الشافعي واحمد بن حنبل كانا جالسين اذ اقبل
شيبان الراعي فقال احمد بن حنبل للشافعي اريد ان اسال هذا المشار اليه
في هذا الزمان فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال يا شيبان ما تقول
فيمن نسي اربع سجدات من اربع ركعات فقال يا احمد هذا قلب غافل عن الله يجب ان
يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر احمد مغشيا عليه ثم افاق فقال ما تقول
فيمن له اربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا او على مذهبكم فقال او هما
مذهبان قال نعم اما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة واما على مذهبنا فالعبد
لا يملك مع سيده شيا فقد نقل شيخنا في المقاصد الحسنة عن ابن تيمية
ان ذلك باطل باتفاق اهل المعرفة لان الشافعي واحمد لم يدركا شيبان الراعي
والله اعلم انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقة قال اللهم
صل على آل فلان واتاه ابو اوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل ابي اوفى رواه البخاري
ومسلم واختلف في [وقت] اول فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى انه وقع بعد الهجرة وقيل كان
في السنة الثانية قبل فرض رمضان اشار اليه النووي في باب السير من الروضة
وجزم ابن الاثير في التاريخ بان ذلك كان في التاسعة وفيه نظر لما في حديث ضمام بن
ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة ابي سفيان مع هرقل وكان في اول
السابعة وقال فيها يامر بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع في قصة
[ابن حاطب] ثعلبة المطولة ففيها لما انزلت اية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه
وسلم عاملا

[العشرون من الجزء الثاني من المواهب]

[١٨٦]

وسلم عاملا فقال ما هذه الا جزية او اخت الجزية والجزية انما وجبت في
التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج بمثله وادعى
ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة واحتج بما اخرجه من حديث ام سلمة في قصة
هجرتهم الى الحبشة وفيها ان جعفر بن ابي طالب قال للنجاشي في جملة ما اخبره به عن
الرجل الذي يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر
لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان فيحتمل ان تكون مراجعة
جعفر لم تكن في اول ما قدم على النجاشي وانما اخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر
من فريضة الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال يامرنا يعني يامر امته وهو بعيد
جدا واولى ما حمل عليه حديث ام سلمة هذا ان سلم من قدح في اسناده ان المراد
بقول جعفر يامرنا بالصلاة والزكاة والصيام اي في الجملة ولا يلزم من ذلك ان يكون
المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه
الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول والله اعلم ومما يدل على ان فرض الزكاة كان
قبل التاسعة حديث انس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله انشدك الله الله امرك
ان تاخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام
سنة خمس وانما الذي وقع في التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك
يستدعي تقدم فريضة الزكاة قبل ذلك ومما يدل على ان فرض الزكاة وقع بعد الهجرة
اتفاقهم على ان صيام رمضان انما فرض بعد الهجرة لان الاية الدالة على فرضيته
مدنية بلا خلاف وثبت عند احمد وابن سعد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه
والحاكم من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصدقة الفطر قبل ان تنزل الزكاة ثم نزلت فريضة فلم يامرنا ولم ينهنا ونحن نفعله [الزكاة ص]
اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابا عمار الراوي عن قيس عن سعد وقد
وثقه احمد وابن معين وهو دال على ان فرض صدقة الفطر كان قبل فرض الزكاة
فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ ابو الفضل بن حجر رحمه الله وكان
صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخاري من حديث عائشة واذا
اتي بطعام سال عنه اهدية ام صدقة فان قيل صدقة قال لاصحابه كلوا ولم ياكل
وان قيل هدية ضرب بيده واكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة
وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة عندكم شيء فقالت لا الا شيء بعثت به الينا
نسيبة من الشاة التي بعثت اليها من الصدقة قال انها بلغت محلها رواه
البخاري ومسلم وقوله محلها بكسر الحاء اي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالا
لنا واتي بلحم تصدق به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري
ومسلم وابو داود والنسائي وفي حديث عائشة عند البخاري ومسلم دخل

صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور فدعا بالغداء فأُتي بخبز وادم من ادم
البيت فقال ألم أر برمة على النار تفور فقالوا بلى يا رسول الله لكنه لحم تصدق
به على بريرة واهدت الينا منه وانت لا تاكل الصدقة فقال هو صدقة عليها
وهدية لنا **النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم** إعلم ان المقصود
من الصيام امساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطامها
عن مالوفاتها فهو لجام المتقين وجُنّة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين
وهو لرب العالمين من بين ساير اعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الالهي
الذي رواه مسلم كل عمل ابن ادم له الا الصيام فهو لي وانا اجزي به فاضافه
تعالى اليه اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع ان العالم كله له سبحانه
وقيل انه لم يعبد غيره به فلم يعظم الكفار في عصر من الاعصار معبودًا
لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود وغيرهما قال في شرح
تقريب الاسانيد واعترض بما يقع من عبادة النجوم واصحاب الهياكل والاستخدامات
فانهم يتعبدون لها بالصيام **واجيب** بانهم لا يعتقدون انها فعالة بانفسها
وقيل لان الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو
وغير ذلك من العبادات الظاهرة قال في فتح الباري معنى النفي في قولهم
لا رياء في الصوم انه لا يدخل الرياء بفعله وان كان قد يدخله الرياء بالقول
كمن يصوم ثم يخبر بانه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء
في الصوم انما يقع من جهة الاخبار بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد
فعلها انتهى **وعن** شداد بن اوس مرفوعا من صام يرائي فقد اشرك
رواه البيهقي **وقيل** لانه ليس للصائم ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغنا
عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم اليه
بما يوافق صفاته اضافه اليه قال القرطبي معناه ان اعمال العباد مناسبة لاحوالهم
الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق كانه تعالى يقول ان الصائم يتقرب
الي بامر هو متعلق بصفة من صفاتي او لكون ذلك صفة من صفات الملايكة او
لانه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات
فقد اظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال في بقية الحديث
وانا اجزي به وقد علم بان الكريم اذا اخبر بانه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك سعة
العطاء والمجازي الصائم هذا الجزاء لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من
اجل معبوده والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب
ويحتمل ان يكون من العام بعد الخاص لكن وقع في رواية عند ابن خزيمة يدع لذته
من اجلي ويدع زوجته من اجلي واصرح منه ما روي من الطعام والشراب والجماع

من اجلي وللصيام

من اجلي وللصيام تاثير عجيب في حفظ الاعضاء الظاهرة وقوى الجوارح
الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ المواد
الردية المانعة له من صحتها فهي من اكبر العون على التقوى كما اشار اليه تعالى بقوله كتب
عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري
الصوم جُنة وهي بضم الجيم الوقاية والستر اي ستر من النار وبه جزم ابن عبد البر
وفي النهاية اي يقي صاحبه مما يؤذيه من الشهوات وقال القاضي عياض من الاثام
وقد اتفقوا على ان المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا
واختلف هل الصوم افضل من الصلاة فقيل الصوم افضل الاعمال البدنية لحديث
النسائي عن ابي امامة قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
مُرني بامر آخذه عنك قال عليك بالصوم فانه لا عدل له والمشهور تفضيل
الصلاة وهو مذهب الشافعي وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان خير
اعمالكم الصلاة رواه ابو داود وغيره ثم ان الكلام في صيامه صلى الله عليه وسلم
على قسمين القسم الاول في صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه
فصول **الاول** فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص به رمضان من العبادات وتضاعف
جوده عليه الصلاة والسلام فيه **إعلم** ان رمضان مشتق من الرمض وهو
شدة الحر لان العرب لما ارادوا ان يضعوا اسماء الشهور وافق ان الشهر المذكور
شديد الحر فسموه بذلك كما سمي الربيعان لموافقتهما زمن الربيع او لانه يرمض
الذنوب اي يحرقها وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان افضل
الاشهر كما حكاه الاسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال النووي
وقولهم انه من اسماء الله تعالى ليس بصحيح فان كان قد جاء فيه اثر ضعيف واسماء الله
تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل صحيح انتهى **وقد** اختلف السلف هل فرض
صيام قبل رمضان او لا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية انه لم يجب قط
صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية اول ما فرض عاشوراء فلما
نزل رمضان نسخ وسياتي ادلة الفريقين في الكلام على صوم عاشوراء ان شاء
الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما تقدم فتوفي
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات **ولما
كان شهر رمضان موسم الخيرات** ومنبع الجود والبركات لان نعم الله
تعالى فيه تزيد على غيره من الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر فيه من العبادات وانواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة
والاحسان والصلاة والذكر والاعتكاف ويخص به من العبادات ما لا يخص به غيره
من الشهور وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من

الشهور كما ان جود ربه تعالى يضاعف فيه ايضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من
الاخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم اجود الناس واجود ما يكون في رمضان حتى يلقاه جبريل فيدارسه
القران فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من
الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان
والمنزول وهو القران والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة القران
حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني انه في الاسراع
بالجود اسرع من الريح المرسلة وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى
عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع عند
الامام احمد في اخر هذا الحديث لا يسال شيا الا اعطاه وتقدم في ذكر سخايه صلى الله عليه
وسلم مزيد لذلك وقد كان ابتدا نزول القران في شهر رمضان وكذا نزوله الى
سما الدنيا جملة واحدة كان في رمضان كما ثبت في حديث ابن عباس فكان جبريل
عليه الصلاة والسلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه
من رمضان الى رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم عارضه
مرتين كما في الصحيح عن فاطمة رضي الله عنها قال في فتح الباري وفي معارضة جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم بالقران في شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده
والاخرى تبقيه ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة
وتفصيلا وعرضا واحكاما وفي المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في شهر رمضان وانزل الانجيل لثلاث عشرة من اول ليلة منه
شهر رمضان وانزل التوراة لست من رمضان وانزل الفرقان لاربع وعشرين خلت
من رمضان وقد دل الحديث على استحباب القران في رمضان والاجتماع عليه وعرض
القران على من هو احفظ منه وفي حديث ان المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم مدارسة صح
وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القران في رمضان
ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم ويتواطو فيه القلب واللسان
على التدبر وقد كان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان كما اخرجه
الامام احمد والنساي عن ابي هريرة ولفظه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه قد جاكم صح
تفتح فيه ابواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير
من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث اصل في تهنية
الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان **وروي** انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو
ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا في رجب

وشعبان

١٨٩

وشعبان وبلغنا رمضان رواه الطبراني وغيره من حديث انس وكان عليه
الصلاة والسلام اذا راى هلال رمضان قال هلال رشد وخير هلال رشد
وخير امنت بالذي خلقك رواه النساي من حديث انس وروى انه
عليه الصلاة والسلام كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمني من رمضان
وسلم رمضان لي وسلمه مني اي سلمني منه حتى لا يصيبني فيه ما يحول بيني
وبين صومه من مرض او غيره وسلمه لي حتى لا يغم هلاله علي في اوله او اخره
فيلتبس علي الصوم او الفطر وسلمه مني اي تعصمني من المعاصي فيه وهذا منه
عليه الصلاة والسلام تشريع لامته **الفصل الثاني في صيامه عليه الصلاة**
والسلام برؤية الهلال عن عايشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان
ما لا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام
رواه ابو داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتموه فصوموا واذا رايتموه
فافطروا وان غم عليكم فاقدروا له رواه مسلم **قوله** فان غم عليكم اي حال بينكم
وبينه غيم فاقدروا له اي من التقدير اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما
ويؤيده قوله في الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين
يوما وهو مفسر لاقدروا له ولهذا لم يجتمعا في رواية ويؤكده رواية فاقدروا له
ثلاثين قال المازري حمل جمهور الفقها قوله عليه الصلاة والسلام اقدروا له
على ان المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره في حديث اخر قالوا ولا يجوز ان يكون المراد
حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد والشرع انما
يكلف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وابي حنيفة
وجمهور السلف والخلف وفيه دليل لانه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من
شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم **وقال الامام احمد**
ابن حنبل في طايفة اي قدروا له تحت السحاب فيجوزون صوم يوم ليلة الغيم عن
رمضان بل قال احمد بوجوبه وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن
قتيبة واخرون معناه اقدروه بحسب المنازل **الفصل الثالث في صومه**
الواحد **صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل** عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال
ترايا الناس الهلال فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايته فصام وامر
الناس بصيامه رواه ابو داود وصححه وابن حبان **وعن ابن عباس** قال جاء
اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت هلال رمضان فقال اتشهد
ان لا اله الا الله قال نعم قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن في الناس فليصوموا
رواه ابو داود والترمذي والنساي والمراد في قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق
اذا رايتموه رؤية بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفي جميع الناس رؤية

عدل على الاصح في مذهبنا وهذا في الصوم واما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على
هلال شوال عند جميع العلماء الا ابا ثور فجوزه بعدل قال الاسنوي اذا قلنا بالواحد
في الصوم فلا خلاف انه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقان
بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا اطلقه
الرافعي هنا نقلا عن البغوي واقره وتبعه عليه في الروضة وصورته فيما اذا
سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة اولا وحكم الحاكم بدخول رمضان
ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضي حسين في تعليقه
عن ابن شريح وقال الرافعي في الباب الثاني من كتاب الشهادات انه القياس انتهى

الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صايم

عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صايم
رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي واعلم ان الجمهور على عدم الفطر
بالحجامة مطلقا **وعن علي وعطاء** والاوزاعي واحمد واسحاق وابي ثور
يفطر الحاجم والمحجوم واوجبوا عليهما القضاء وشذ عطاء فاوجب الكفارة
ايضا وقال بقول احمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل
الترمذي عن الزعفراني ان الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي
كان الشافعي يقول ذلك ببغداد واما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعي
في اختلاف الحديث ان اخرج حديث شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان بعد !
الفتح فراى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال وهو اخذ بيدي افطر
الحاجم والمحجوم من سياق حديث ابن عباس امثلها اسنادا فان توقى احد الحجامة
كان احب الي احتياطا والقياس مع حديث ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة
والتابعين وعامة اهل العلم انه لا يفطر احد بالحجامة واول بعضهم حديث افطر
الحاجم والمحجوم ان المراد به انهما سيفطران كقوله تعالى اني اراني اعصر خمرا
اي ما يؤول اليه ولا يخفى بعد هذا التاويل وقال البغوي في شرح السنة وصول
معناه اي تعرضا للافطار اما الحاجم فلانه لا يامن من دخول شيء من الدم
الى جوفه عند مصه واما المحجوم فلانه لا يامن من ضعف قوته بخروج الدم
فيؤول امره الى ان يفطر وقيل معنى افطر افعلا مكروها وهو الحجامة فصارا
كانهما غير متلبسين بالعبادة **وقال** ابن حزم صح حديث افطر الحاجم
والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث ابي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم
في الحجامة للصايم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة
فدل على نسخ الفطر بالحجامة سواء كان حاجما او محجوما انتهى **والحديث** المذكور
اخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات ولكن اختلف
في رفعه

في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث انس عند الدارقطني ورجاله ولفظه
اول ما كرهت الحجامة للصايم ان جعفر بن ابي طالب احتجم وهو صايم فمر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم ارخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في
الحجامة للصايم وكان انس يحتجم وهو صايم وكلهم من رجال البخاري الا ان في المتن ما ينكر
لان فيه ان ذلك كان في الفتح وجعفر كان قتل قبل ذلك ومن احسن ما ورد في ذلك
ما رواه عبد الرزاق وابو داود عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن رجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وعن المواصلة
ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن ابي
شيبة عن وكيع عن الثوري بلفظ عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصايم وكرهها للضعف اي لئلا يضعف
انتهى ملخصا من فتح الباري والله اعلم **وقالت** عايشة كان صلى الله
عليه وسلم يقبل بعض ازواجه وهو صايم ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم وابو داود
قالت وكان املككم لاربه اي لحاجته يعني انه كان غالبا لهواه قال ابن
الاثير اكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم
يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء وله تاويلان احدهما انه الحاجة يقال
فيها الارب والارب والاربة والماربة **والثاني** اراد به العضو وعنت
به من الاعضاء الذكر خاصة انتهى ومذهب الشافعي والاصحاب ان القبلة
ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها **واما** من حركت شهوته
فهي حرام في حقه على الاصح عند اصحابنا **وقوله** فضحكت قيل يحتمل ضحكها التعجب
ممن خالف في هذا وقيل تعجب من نفسها اذ حدثت بمثل هذا مما يستحيى من ذكر
النساء مثله للرجال ولكنها الجاتها الضرورة في تبليغ العلم الى ذكر ذلك
وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك او تنبيها على انها صاحبة القصة ليكون ذلك
ابلغ في الثقة بها او سرورا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته لها **وروى**
ابن ابي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت فظننا انها هي وروى
النسائي عنها قالت اهوى الي النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت اني صايمة
فقال وانا صايم فقبلني **وقد** روى ابو داود عن عايشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صايم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول
على انه لم يبتلع ريقه الذي خالط ريقها **وكان** عليه الصلاة والسلام يكتحل
بالاثمد وهو صايم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبيد الله بن ابي رافع عن ابيه
عن جده ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي وثقه الحاكم واخرج له في مستدركه
وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا احتلام ثم لا يفطر ولا يقضي

رواه البخاري ومسلم قال القرطبي في هذا فايدتان احداهما انه كان يجامع
في رمضان ويوخر الغسل الي بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية ان ذلك
كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم
منه وقال غيره في قولها من غير احتلام اشارة الي جواز الاحتلام عليه والا لما
كان للاستثنا معني ورد بان الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه واجيب
بان الاحتلام يطلق علي الانزال وقد يقع الانزال بغير روية شي في المنام واراد
بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد علي من زعم ان فاعل ذلك عمدا مفطر انتهي وقال
عامر بن ربيعة رايته صلي الله عليه وسلم يستاك وهو صايم ما لا اعد ولا احصي
رواه ابو داود والترمذي الفصل الخامس في وقت افطاره
عليه الصلاة والسلام عن عبد الله بن ابي اوفي قال كنا مع رسول الله صلي الله
عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا
قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فاتي به فشرب
النبي صلي الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من هاهنا وجا الليل من هاهنا
فقد افطر الصايم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حا مهملة خلط الشي
بغيره والمراد خلط السويق بالما وتحريكه حتي يستوي ومعني الحديث انه صلي الله عليه وسلم
واصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس امره عليه الصلاة والسلام بالجدح ليفطروا
فراي المخاطب آثار الضيا والحمرة التي تبقي بعد غروب الشمس وظن ان الفطر لا يحل
الا بعد ذهاب ذلك فاحتمل عنده انه صلي الله عليه وسلم لم يرها فاراد تذكيره
واعلامه بذلك ويويد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضو من النهار
الذي يجب صومه وهو معني قوله في الرواية الاخري لو امسيت وتكريره المراجعة
لغلبة اعتقاده علي ان ذلك نهار يحرم الاكل فيه مع تجويزه انه عليه الصلاة والسلام
لم ينظر الي ذلك الضو نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقا الضو والله اعلم
قاله النووي الفصل السادس فيما كان صلي الله عليه وسلم
يفطر عليه عن انس كان صلي الله عليه وسلم يفطر قبل ان يصلي علي رطبات
فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ما رواه ابو
داود وانما يخص عليه الصلاة والسلام الفطر بما لا ذكر لان اعتقاد اعطا
الطبيعة الشي الحلو مع خلو المعدة ادعي الي قبوله وانتفاع القوي به لا سيما
قوة البصر واما الما فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فاذا رطبت بالما
كمل انتفاعها بالغذا بعده ولهذا كان الاولي بالظمان الجايع ان يبدا بشرب
قليل من الما ثم ياكل بعده قاله ابن القيم الفصل السابع فيما
كان صلي الله عليه وسلم عند الافطار عن معاذ بن زهرة بلغه ان رسول الله صلي يقوله صح

الله عليه وسلم كان اذا افطر

١٩١

الله عليه وسلم كان اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلي رزقك افطرت وهو حديث
مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري في التابعين لكن قال معاذ ابو زهرة وتبعه ابن
ابي حاتم وابن حبان في الثقات وذكره يحيي بن يونس الشيرازي في الصحابة
وغلطه جعفر المستغفري قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان يكون الحديث موصولا
ولو كان معاذ تابعيا لاحتمال ان يكون الذي بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار
اورده ابو داود في السنن وبالاعتبار الاخر اورده في المراسيل وخرج ابن السني
والطبراني في المعجم الكبير بسند واهي جدا عن ابن عباس كان صلي الله عليه
وسلم اذا افطر قال اللهم لك صمت وعلي رزقك افطرت فتقبل مني انك انت السميع
العليم وعن ابن عمر كان صلي الله عليه وسلم اذا افطر قال ذهب الظما
وابتلت العروق وثبت الاجر ان شا الله رواه ابو داود زاد رزين الحمد لله في
اول الحديث وفي كتاب ابن السني عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله
صلي الله عليه وسلم اذا افطر قال الحمد لله الذي اعانني فصمت ورزقني فافطرت
الفصل الثامن في وصاله صلي الله عليه وسلم عن ابن عمر
ان النبي صلي الله عليه وسلم نهي عن الوصال قالوا انك تواصل قال اني لست
كهيتكم اني اطعم واسقي رواه البخاري ومسلم وللبخاري انه صلي الله عليه
وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيتكم اني اظل اطعم واسقي
وفي رواية انس واصل صلي الله عليه وسلم في اخر شهر رمضان فواصل ناس
من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون
تعمقهم انكم لستم مثلي وقال لست مثلكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني
وفي رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كاحد منكم اني اطعم واسقي
رواه البخاري ومسلم والمتعمقون هم المتشددون في الامر المجاوزون
الحدود في قول او فعل وفي رواية سعيد بن منصور وابن ابي شيبة من
مرسل الحسن اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني وعن عايشة رضي الله تعالي عنها
قالت نهاهم صلي الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم فقالوا انك تواصل
فقال اني لست كهيتكم اني يطعمني ربي ويسقيني رواه البخاري ومسلم الا ان
البخاري قال نهي ولم يقل نهاهم وعن ابي هريرة قال نهي صلي الله عليه وسلم
عن الوصال في الصوم فلما ابوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما
ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين ابوا ان ينتهوا رواه البخاري
والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير اكل وشرب بينهما قال
شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف في قوله يطعمني ربي ويسقيني فقيل هو

يجي

علي حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يوتي بطعام وشراب من عند الله
كرامة له في ليالي صيامه وتعقب بانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا
وبان قوله اظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشراب
حقيقة لم يكن صايما واجيب بان الراجح من الروايات لفظ ابيت
دون اظل وعلي تقدير ثبوتها فهي محمولة علي مطلق الكون لا علي حقيقة
اللفظ لان المحدث عنه هو الامساك ليلا لا نهارا واكثر الروايات انما
هو ابيت فكان بعض الرواة عبر عنها باظل نظرا الي اشتراكهما في مطلق
الكون يقولون كثيرا اضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الصحيح
الضحى ومنه قوله تعالي واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا
فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل وليس
حمل الطعام والشراب علي المجاز باولي من حمل لفظ اظل علي المجاز
وعلي التنزل فلا يضر شي من ذلك لان ما يوتي به الرسول علي سبيل
الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا يجري عليه احكام المكلفين فيه كما
غسل صدره الشريف في طست الذهب مع ان استعمال اواني الذهب
الدنيوية محرم وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا انما هو الطعام
المعتاد واما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلي غير هذا المعنى وليس
تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كاكل اهل الجنة في الجنة
والكرامة لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب
علي حقيقتهما واكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك
فكانه قال لما قيل له انك تواصل قال اني لست في ذلك كهيئتكم
اي علي صفتكم في ان من اكل منكم او شرب انقطع وصاله بل انما يطعمني
ربي ويسقيني ولا ينقطع بذلك مواصلتي فطعامي وشرابي علي غير
طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم
الطعام والشراب وهو القوة فكانه قال يعطيني قوة الاكل والشارب
ويفيض علي ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوي علي انواع الطاعة
من غير ضعف في القوة او المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع والري بلغ
ما يغنيه عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه
وبين الاول انه علي الاول يعطي القوة من غير شبع بل مع الجوع والظماء
وعلي الثاني يعطي القوة مع الجوع والري ورجح الاول بان الثاني ينافي حال
الصايم ويفوت المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة
خصوصها قال القرطبي ويبعده ايضا النظر الي حاله عليه الصلاة والسلام

فانه

فانه كان يجوع اكثر مما يشبع ويربط علي بطنه الحجر انتهي ويحتمل كما قاله
ابن القيم في الهدي وابن رجب في اللطايف ان يكون المراد به ما يغذيه
الله به من معارفه وما يفيض علي قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه
ونعيمه بحبه والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التي عند القلوب
ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها اعظم غذا
واجله وانفعه وقد يغني هذا الغذا عن غذا الاجسام مدة من الزمان كما قيل
لها احاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها روح القدوم فتحيي عند ميعاد
ومن له ادنى تجربة وشوق يعلم استغنا الجسم بغذا القلب والروح عن كثير
من الغذا الحيواني ولا سيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قرت عينه بمحبوبه
وتنعم بقربه والرضى عنه والطاف محبوبه ملازمة له غاية الاكرام مع الحب التام
افليس هذا من اعظم غذا هذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شي اعظم منه
ولا اجل ولا اجمل ولا اكمل ولا اعظم احسانا افليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه
ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى
وحكي النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد ان معناه
ان محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى
فان قلت لم اثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله
يطعمني ربي دون ان يقول يطعمني الله اجيب لان التجلي باسم الربوبية
اقرب الي العباد من الالهية لانها تجلي عظمة لا طاقة للبشر بها وتجلي الربوبية
تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال لنا هل هو جايز ام محرم او مكروه
فقالت طايفة انه جايز ان قدر عليه وهذا يروي عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف
وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن ابي شيبة باسناد صحيح انه كان
يواصل خمسة عشر يوما وذكر معه من الصحابة ايضا اخت ابي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن م
ابن ابي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي وابا الجوزا
كما نقله ابو نعيم في الحلية ومن حجتهم انه عليه الصلاة والسلام واصل باصحابه
بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما اقرهم علي فعله فعلم انه اراد بالنهي الرحمة
لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عايشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد
موافقة اهل الكتاب ولا رغب عن السنة وتعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن ادلة
الجواز ايضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل علي انهم فهموا ان النهي للتنزيه
لا للتحريم والا لما اقدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك
وابو حنيفة ونص الشافعي واصحابه علي كراهته وهم في هذه الكراهة

وجهان اصحهما انها كراهة تحريم والثاني انها للتنزيه واختار ابن وهب واحمد بن حنبل
واسحاق جواز الوصال الى السحر لحديث ابي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم
لا تواصلوا فايكم اراد ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال لا يترتب عليه شي
مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة عشايه الا انه يوخره لان الصايم له في اليوم
والليلة اكلة فاذا اكلها في السحر كان قد نقلها من اول الليل الى اخره وكان اخف لجسمه
في قيام الليل ولا يخفى ان محل ذلك ما لم يشق على الصايم والا فلا يكون قربة وقد صرح في
الحديث بان الوصال من خصايصه صلى الله عليه وسلم فقال اني لست كهيئتكم وفي
الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من هاهنا
وغربت الشمس فقد افطر الصايم قالوا جعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر
وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه
وسلم لا تواصلوا واجابوا عن قوله رحمة بانه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم
وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم واما الوصال بهم يوما ثم يوما
فاحتمل للمصلحة في تاكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال
وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظايف الدين من اتمام الصلاة بخشوعها
واذكارها وساير الوظايف المشروعة في ليله ونهاره واجابوا ايضا بقوله عليه الصلاة
والسلام اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد افطر الصايم اذ لم يجعل الليل محلا
سوى الفطر فالصوم فيه مخالف لوضعه وروى الطبراني في الاوسط من حديث
ابي ذر ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لاحد بعدك
ولكن اسناده ليس بصحيح ولا حجة فيه الفصل التاسع في سحوره
صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رجل من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة
اعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النساي وعن العرباض بن سارية قال
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان قال هلم الى الغداء
المبارك رواه ابو داود والنساي وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك عند السحور يا انس اني اريد الصيام فاطعمني شيا فاتيته بتمر واناء
فيه ماء وذلك بعد ما اذن بلال قال يا انس انظر رجلا ياكل معي فدعوت زيد بن
ثابت فجاء فقال اني اريد شربة سويق وانا اريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا اريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة رواه النساي
وعن زر بن حبيش قلنا لحذيفة اي ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع رواه النساي ايضا وعن زيد بن ثابت
قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال انس بن مالك قلت

كم كان قدر

كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين اية رواه البخاري ومسلم والترمذي والنساي
والمراد اية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة قال ابن ابي جمرة كان صلى الله عليه وسلم
ينظر ما هو الارفق بامته فيفعله لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر في لا سريعة ولا بطيئة ١٩
جوف الليل لشق ايضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضي الى ترك الصبح او يحتاج
الى المجاهدة بالسهر قال القرطبي فيه دلالة على ان الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر
فهو معارض لقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى واجاب في فتح الباري
بانه لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال فليس في رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة
الفصل العاشر في افطاره صلى الله عليه وسلم في رمضان
في السفر وصومه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح
الى مكة في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه
حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال اولئك العصاة
اولئك العصاة زاد في رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينتظرون فيما
فعلت فدعا بقدح بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافرنا مع رسول الله من ماء صح
صلى الله عليه وسلم في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا باناء من ماء فشرب نهارا
ليراه الناس وافطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في السفر وافطر فمن شاء صام ومن شاء افطر رواه البخاري ومسلم ولمسلم
ان ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من افطر قد صام رسول الله صلى الله عليه
وسلم في السفر وافطر قال النووي رحمه الله اختلف العلماء في صوم رمضان
في السفر فقال اهل الظاهر لا يصح صوم رمضان في السفر فان صامه لم ينعقد ويجب بعض صح
قضاؤه لظاهر الاية ولحديث ليس من البر الصيام في السفر وفي الحديث الاخر
اولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع اهل الفتوى يجوز صومه في السفر وينعقد
ويجزيه واختلفوا في ان الصوم افضل ام الفطر ام هما سواء فقال مالك
وابو حنيفة والشافعي والاكثرون الصوم افضل لمن اطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر
فان تضرر به فالفطر افضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولانه تحصل به براءة الذمة
في الحال وقال سعيد بن المسيب والاوزاعي واحمد وغيرهم الفطر افضل مطلقا واسحاق صح
وحكاه بعض اصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لاهل الظاهر وبقوله
صلى الله عليه وسلم هي رخصة من الله فمن اخذ بها فحسن ومن احب ان يصوم فلا جناح عليه
وظاهره ترجيح الفطر واجاب الاكثرون بان هذا كله فيمن يخاف ضررا او يجد
مشقة كما هو صريح في الاحاديث واعتمدوا حديث ابي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصايم ومنا المفطر ولا يجد الصايم على
المفطر ولا المفطر على الصايم يرون ان من وجد قوة فصام فان ذلك حسن

ويرون ان من وجد ضعفًا فافطر فان ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب
الاكثرين وهو تفضيل الصوم لمن اطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض
العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الاحاديث والصحيح قول الاكثرين والله
اعلم

القسم الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم غير شهر رمضان وفيه فصول

الفصل الاول في سرده عليه الصلاة والسلام صوم ايام من الشهر
وفطره اياما عن اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال
لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النساي **وعن** انس قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى يظن انه لا يصوم منه ثم يصوم حتى يظن ان لا يفطر
منه شيا وكان لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نايما الا رايته **وفي**
رواية ماكنت احب ان اراه من الشهر صايما الا رايته ولا مفطرا الا رايته ولا من الليل
قايما الا رايته ولا نايما الا رايته رواه البخاري **ولمسلم** كان يصوم حتى يقال
قد صام ويفطر حتى يقال افطر **وفي** عن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله
عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان وكان يصوم حتى يقول القايل لا والله لا يفطر
ويفطر حتى يقول القايل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنساي وزاد
ما صام شهرا متتابعًا غير رمضان منذ قدم المدينة ففي هذا انه صلى الله عليه وسلم
لم يصم الدهر ولا قام الليل كله وكانه ترك ذلك لئلا يقتدي به فيشق على الامة
وان كان قد اعطي من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادة
الطريقة الوسطى فصام وافطر وقام ونام

الفصل الثاني في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشورا وهو بالمد على المشهور في تعيينه فعن الحكم بن
الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له اخبرني
عن صوم عاشوراء فقال اذا رايت هلال المحرم فاعدد واصبح يوم التاسع صايما
قلت هكذا كان محمد صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي
هذا تصريح من ابن عباس بان مذهبه ان عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم
ويتأوله على انه ماخوذ من ظماء الابل فان العرب تسمي اليوم الخامس من ايام الورد
ربعا وكذا باقي الايام على هذه النسبة فيكون التاسع عاشرا انتهى لكن قال
ابن المنير قوله اذا اصبحت من تاسعه فاصبح يشير بانه اراد العاشر لانه لا يصبح
صايما بعد ان اصبح صايما تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة
العاشرة انتهى **وذهب** جماهير العلماء من السلف والخلف الى ان عاشورا
هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري
ومالك واحمد واسحاق وخلايق وهذا ظاهر الاحاديث ومقتضى اللفظ
واما تقدير اخذه من الاظماء فبعيد ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه يعني

قوله ان النبي

قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا له يا رسول الله
يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل
ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا تصريح بان الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر
قاله النووي **وقال القرطبي** عاشوراء معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم
وهو في الاصل صفة الليلة العاشرة لانه ماخوذ من العشر الذي هو اسم العقد واليوم
يضاف اليها فاذا قيل يوم عاشوراء فكانه قيل يوم الليلة العاشرة الا انهم لما عدلوا به
عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة وعلى هذا
فيوم عاشوراء هو العاشر وهذا قول الخليل وغيره **وقال ابن المنير** الاكثر على ان
عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية
وقال ابن القيم من تامل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال وسعة
علم ابن عباس فانه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسايل صم اليوم التاسع
واكتفى بمعرفة السايل ان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم
عاشوراء فارشد السايل الى صيام التاسع معه واخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يصوم كذلك فاما ان يكون فعل ذلك وهو الاولى واما ان يكون حمل فعله على الامر به
وعزمه عليه في المستقبل وهو الذي امر نا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم
عاشوراء في يوم العاشر وكل هذه الاثار عنه يصدق بعضها بعضا انتهى فليتامل
وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت كان يوم عاشوراء يصومه
قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية
فلما قدم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشوراء فمن شاء
صامه ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم ومالك وابو داود والترمذي
واستفيد من هذه الروايات تعيين الوقت الذي وقع الامر فيه بصيام
عاشوراء وهو اول قدومه المدينة ولا شك ان قدومه عليه الصلاة والسلام
كان في ربيع الاول فحينئذ كان الامر بذلك في اول السنة الثانية وفي السنة الثانية
فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصوم عاشوراء الا في سنة واحدة ثم
فوض الامر في صومه الى راي المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعي انه كان
قد فرض فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة **واما** صيام قريش لعاشوراء
فلعلهم تلقوه من الشرع السالف ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة
وقد روي عن عكرمة انه سيل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا في الجاهلية
فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله في فتح الباري
وعن ابن عمر ان الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال ان عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه رواه البخاري
ومسلم وابو داود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه الا ان يوافق صومه وعن
سلمة بن الاكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اسلم يوم عاشوراء
فامره ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان اكل فليتم صيامه الى
الليل رواه مسلم قال النووي اختلفوا في حكم صوم عاشوراء في اول الاسلام حين شرع
صومه قبل صوم رمضان فقال ابو حنيفة كان واجبا واختلف اصحاب الشافعي فيه على
وجهين اشهرهما عندهم انه لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الامة
ولكنه كان متاكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك
الاستحباب والثاني كان واجبا كقول ابي حنيفة وتظهر فايدة الخلاف في اشتراط
نية الصوم الواجب من الليل فابو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين
اول يوم عاشوراء ثم امروا بصيامه بنية من النهار ولم يومروا بقضايه بعد
صومه واصحاب الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك
ابو حنيفة بقوله امر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان
قال من شاء صامه ومن شاء تركه ويحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء
ولم يكتب الله عليكم صيامه والشافعية يقولون ايضا معنى قوله في حديث ام
سلمة فامره ان يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم الى اخره ان من كان نوى
الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم ياكل او اكل فليمسك بقية يومه
لحرمة اليوم واحتج ابو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه ان صوم الفرض يجب بنية في
النهار ولا يشترط تبييتها قال لانهم نووا في النهار واجزاهم واجاب
الجمهور عن هذا الحديث بان المراد امساك بقية النهار لا حقيقة الصوم والدليل
على هذا انهم اكلوا ثم امروا بالاتمام وقد وافق ابو حنيفة وغيره على ان شرط اجزاء
النية في النهار في الفرض والنفل ان لا يتقدمها مفسد للصوم من اكل وغيره انتهى
وقال الحافظ شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث
انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تاكيد الامر بذلك ثم زيادة التاكيد
بالنداء العام ثم زيادته بامر من اكل بالامساك ثم زيادته بامر الامهات
ان لا يرضعن فيه الاطفال وبقول ابن مسعود الثابت في مسلم لما فرض
رمضان ترك عاشوراء مع العلم بانه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل
على ان المتروك وجوبه واما قول بعضهم المتروك تاكد استحبابه
والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تاكد استحبابه باق ولاسيما
مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لين
عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه في صومه وانه يكفر السنة

فأي تاكيد

فأي تاكيد ابلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة فراى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى
الله فيه موسى وبني اسرايل من عدوهم فصامه فقال انا احق بموسى منكم فصامه
وامر بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذي تصومونه قالوا هذا يوم
عظيم نجى الله فيه موسى واغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن
نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه وفي اخرى فنحن نصومه تعظيما له رواه
البخاري ومسلم وابو داود وقد اجاب صاحب زاد المعاد وغيره عما استشكله
بعضهم في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم المدينة
في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم
عاشوراء بانه ليس في الحديث ان يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم
يوم الاثنين في ربيع الاول ثاني عشره ولكن اول علمه بذلك ووقوع القصة في اليوم
كان بعد قدومه المدينة لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح وهو غايته ان في الكلام
حذفا تقديره قدم عليه الصلاة والسلام فاقام الى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه
صياما ويحتمل ان اوليك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذي
قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التاويل مما يترجح به اولوية المسلمين
واحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين ولكن
سياق الحديث يدفع هذا التاويل والاعتماد على التاويل الاول انتهى وقد استشكل
ايضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود وهو غير مقبول واجاب المازري
بانه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه بصدقهم فيما قالوه او تواتر عنده النقل
بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضي عياض ردا على المازري قد روى مسلم ان
قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم
يحتاج الى الكلام عليه وانما هي صفة حال وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه
ابتداء صومه حينيذ ولو كان هذا لحملناه على انه اخبر به من اسلم من علمايهم
كابن سلام وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل انه صلى الله عليه وسلم
كان يصومه بمكة ثم ترك صيامه حتى علم ما عند اهل الكتاب منه فصامه قال
وما ذكرناه اولى بلفظ الحديث قال النووي المختار قول المازري ومختصره
ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما يصومه قريش في مكة ثم قدم المدينة
فوجد اليهود يصومونه فصامه ايضا بوحي وتواتر او اجتهاد لا بمجرد اخبار
احادهم انتهى وقال القرطبي لعل قريشا كانوا يستندون في صومه
الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون

[هامش: يكون]
[هامش: بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء]
[هامش: علي حو]
[هامش: ومختصره]

بحكم الموافقة لهم كما في الحج واذن الله له في صيامه على انه فعل خير فلما هاجر
ووجد اليهود يصومونه وسالهم وصامه وامر بصيامه احتمل ان يكون
استيلافا لليهود كما استالفهم باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال
فلم يصمه اقتدا بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك في الوقت الذي يحب فيه
موافقة اهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولا سيما اذا كان فيه ما يخالف اهل الاوثان
فلما فتحت مكة واشتهر اهل الاسلام احب مخالفة اهل الكتاب ايضا كما في حديث
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وامر
بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله
عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شا الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يات
العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لين بقيت
الى قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعي واصحابه واحمد
واسحاق القايلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم
صام العاشر ونوى صوم التاسع قال النووي قال بعض العلماء ولعل
السبب في صوم التاسع مع العاشر ان لا يتشبه باليهود في افراد العاشر
وفي الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط في تحصيل عاشوراء والاول اولى انتهى
وفي رواية البزار من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم
عاشوراء صوموه وخالفوا فيه اليهود صوموا قبله يوما وبعده يوما ولاحمد اد ناه
نحوه فمن مراتب صومه ثلاثة ان يصام وحده واكملها ان يصام يوما قبله ويوما
بعده ويلي ذلك ان يصام التاسع والعاشر وعليه اكثر الاحاديث وقال بعضهم
قد ظهر ان القصد مخالفة اهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل باحد امرين اما
بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله اعلم وفي البخاري من حديث ابي
موسى قال كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا قال النبي صلى الله عليه وسلم
صوموه انتهى وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود
حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على ان
الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن
لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بانه عيد انهم كانوا يصومونه وقد ورد دلالة
صريحا في حديث مسلم كان اهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون
نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة اي هيئتهم الحسنة
ومحصل ما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشوراء اربعة احوال
احدها انه كان يصومه بمكة ولا يامر الناس بصيامه كما تقدم في حديث
عايشة عند الشيخين وغيرهما كان عاشوراء يوما يصومه قريش في الجاهلية

وكان

امره

لعله صوموه

وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة وراى صيام اهل الكتاب
له صامه الحديث الثانية انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وراى
صيام اهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يومر به صامه
وامر الناس بصيامه واكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه
اطفالهم كما تقدم في حديث ابن عباس عند الشيخين الثالثة انه
لما فرض صيام شهر رمضان ترك صيامه صلى الله عليه وسلم وقال ان
عاشوراء يوم من ايام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ويشهد
له حديث عايشة السابق الحالة الرابعة انه صلى الله عليه وسلم عزم
على اخر عمره انه لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما اخر مخالفة لاهل الكتاب
في صيامه كما تقدم وقد روى مسلم من حديث ابي قتادة مرفوعا ان
صوم عاشوراء يكفر سنة وان صيام يوم عرفة يكفر سنتين وظاهره
ان صيام يوم عرفة افضل من صيام يوم عاشوراء وقد قيل الحكمة في ذلك
ان يوم عاشوراء منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى
الله عليه وسلم فلذلك كان افضل والله اعلم واما ما روي من وسع
على عياله في يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها فرواه الطبراني والبيهقي
في الشعب وفي فضايل الاوقات وابو الشيخ عن ابن مسعود والاولان
فقط عن ابي سعيد فقط في الشعب عن جابر وابي هريرة وقال ان
اسانيده كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض افاد قوة بل قال
العراقي في اماليه لحديث ابي هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ
واورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان بن ابي عبد الله
عنه وقال سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات
والحديث حسن على رايه قال وله طريق عن جابر على شرط مسلم اخرجها
ابن عبد البر في الاستذكار من رواية ابي الزبير عنه وهي اصح طرقه ورواه
هو والدارقطني بسند جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب
من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال وذكره الفصل الثالث في صيامه
صلى الله عليه وسلم شعبان عن عايشة رضي الله تعالى عنها
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان
وما رايته في شهر اكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم وفي
اخرى لهما لم يكن يصوم شهرا اكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية
الترمذي كان يصومه الا قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية ابي داود وكان
احب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصوم شعبان ثم يصله

وغيرهما و

والثاني

في الافراد

برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان او عامة شعبان وفي اخرى له كان يصوم
شعبان الا قليلا وفي اخرى له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ ابن حجر اي
يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك انه قال جائز في كلام العرب اذا
صام اكثر الشهر كله ويقال قام فلان ليلته اجمع ولعله قد تعشى واشتغل
ببعض امره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك وحاصله ان
الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة لها وان المراد بالكل الاكثر وهو
مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي وقال يحمل على انه كان يصوم شعبان
كله تارة ويصوم معظمه اخرى لئلا يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن
المنير اما ان يحمل قول عايشة على المبالغة والمراد الاكثر واما ان يجمع بان قولها
الثاني متاخر عن قولها الاول فاخبرت عن اوايل امره انه كان يصوم اكثر شعبان
واخبرت ثانيا عن اخر امره انه كان يصومه كله انتهى ولا يخفى تكلفه والاول
هو الصواب واختلف في الحكمة في إكثاره صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان
فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة ايام من كل شهر لسفر او غيره فيجتمع
فيقضيها في شعبان اشار الى ذلك ابن بطال وفي حديث ضعيف اخرجه
الطبراني في الاوسط من طريق ابن ابي ليلى عن اخيه عيسى عن ابيه عن عايشة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من كل شهر فربما اخر ذلك
حتى يجتمع عليه صوم السنة فيصوم شعبان وابن ابي ليلى ضعيف وقيل كان
يصنع الحديث وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث
اخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن انس قال سئل
النبي صلى الله عليه وسلم اي الصوم افضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم
رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذاك القوي
لكن يعارضه ما روى مسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا افضل الصوم بعد
رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في حديث اصح مما روى اخرجه النسائي
وابو داود واخرجه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم
ارك تصوم شهرا من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل
الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر يرفع فيه الاعمال الى رب العالمين فاحب
ان يرفع عملي وانا صايم فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون
غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير
الى انه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس
بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب افضل من صيامه
لانه شهر حرام وليس كذلك وفي إحياء الوقت المغفول عنه بالطاعة

فوائد

197

فوائد منها ان يكون إخفاء واخفاء النوافل واسرارها افضل
لا سيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه اشق على النفوس
لان النفوس تتاسى بما تشاهد من احوال بني الجنس فاذا كثرت يقظة الناس
وطاعاتهم سهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات واهلها تاسى بهم عموم الناس
فيشق على النفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدى بهم وقد روي في صيامه
صلى الله عليه وسلم شعبان معنى اخر وهو انه تنسخ فيه الاجال فروي باسناد فيه
ضعف عن عايشة قالت كان اكثر صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت
يا رسول الله ارى اكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت
من يقبض فانا احب ان لا ينسخ اسمي الا وانا صايم وقد روي مرسلا وقيل انه اصح
وقد قيل في صوم شعبان معنى اخر وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان
لئلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد
بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة
ونشاط واعلم انه لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم
يوم او يومين وكذا ما جاء في النهي عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع
بينهما ظاهر بان يحمل النهي على من لم يدخل تلك الايام في صيام اعتاده
واجاب النووي عن كونه عليه الصلاة والسلام لم يكثر الصوم في المحرم
مع قوله ان افضل الصيام ما يقع فيه بانه يحتمل ان يكون ما علم ذلك الا في اخر
عمره ولم يتمكن من كثرة الصوم في المحرم او اتفق له فيه من الاعذار كالسفر
ما منعه من كثرة الصوم في المحرم واما شهر رجب بخصوصه فقد قال
بعض الشافعية انه يختص بافضل من ساير الشهور وضعفه النووي وغيره
فلم يعلم انه صح انه صلى الله عليه وسلم صامه بل روي عنه من حديث ابن عباس
مما صح وقفه انه نهى عن صيامه ذكره ابن ماجة في سنن ابي داود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر المحرم ورجب احدها
وفي حديث مجيبة الباهلية عن ابيها او عمها انه صلى الله عليه وسلم قال له
صم من الحرم واترك قالها ثلاثا وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم
الانصاري قال سالت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب
فقال سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول
لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر ان مراد سعيد بهذا الاستدلال
على انه لا نهي عنه ولا ندب فيه بعينه بل له حكم باقي الشهور وفي اللطايف
روي عن الكتاني ثنا تمام الرازي ثنا القاضي يوسف ثنا
محمد بن اسحاق السراج ثنا يوسف بن موسى ثنا حجاج بن منهال

ثنا حماد بن سلمة ثنا حبيب المعلم عن عطاء ان عروة قال لعبد الله بن عمر
هل كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا
اخرجه ابو داود وغيره وعن ابي قلابة قال ان في الجنة قصرا لصوام رجب قال البيهقي
ابو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ والله اعلم الفصل الرابع
في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة والمراد بها الايام التسعة من اول
ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امراته عن بعض ازواج النبي صلي الله عليه وسلم
قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة رواه ابو داود ه
وعن عايشة قالت ما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم صايما في العشر
قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة بل
هي مستحبة استحبابا شديدا لاسيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت
في صحيح البخاري انه صلي الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل الصالح فيها افضل منه في
هذه يعني في العشر الاول من الحجة واستدل به علي فضل صيام ذي الحجة لاندراج عشر صح
الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد واجيب بانه
محمول علي الغالب والله اعلم ويتاول قولها يعني عايشة لم يصم العشر
انه لم يصمه لعارض من مرض او سفر او غيرهما او انها لم تره صايما فيه ولا يلزم من
ذلك عدم صيامه في نفس الامر ويدل عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته
قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية القاسم بن ابي ايوب ما من عمل ازكي عند الله
ولا اعظم اجرا من خير يعمله في عشر الاضحي وفي حديث جابر في صحيحي ابي
عوانة وابن حبان ما من ايام افضل عند الله من ايام عشر ذي الحجة فقد ثبتت
الفضيلة لايام عشر الحجة علي غيرها من ايام السنة ويظهر فايدة ذلك فيمن نذر
الصيام او علق عملا من الاعمال بافضل الايام فلو افرد يوما منها تعين يوم عرفة
لانه علي الصحيح افضل ايام العشر المذكور فان اراد افضل ايام الاسبوع تعين يوم
الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث ابي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت
عليه الشمس يوم الجمعة رواه مسلم اشار الي ذلك كله النووي في شرحه وقال
الداودي لم يرد عنه عليه الصلاة والسلام ان هذه الايام خير من يوم الجمعة
لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشي علي نفسه وتعقب
بان المراد كل يوم من ايام العشر افضل من غيره من ايام السنة سواء كان يوم
الجمعة ام لا ويوم الجمعة فيه افضل من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضلين فيه
والذي يظهر ان السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع امهات العبادة فيه
وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتاتي ذلك في غيرها وعلي هذا هل
تختص الفضل بالحاج او يعم المقيم فيه احتمال انتهي وقال ابو امامة
ابن النقاش

ابن النقاش فان قلت ايما افضل عشر ذي الحجة او العشر الاواخر من رمضان
فالجواب ان ايام عشر ذي الحجة افضل لاشتمالها علي اليوم الذي ما روي
الشيطان في يوم غير يوم بدر ادحر ولا اغيظ ولا احقر منه وهو يوم عرفة فيه صح
ولكونه يكفر صيام سنتين ولاشتماله علي اعظم الايام عند الله حرمة وهو
يوم النحر الذي سماه الله تعالي يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان افضل لاشتمالها
علي ليلة هي خير من الف شهر ومن تامل هذا الجواب وجده كافيا شافيا اشار اليها الاخير صح
الفاضل المفضل في قوله ما من ايام العمل فيهن احب الي الله من عشر ذي الحجة الحديث
فتامل قوله ما من ايام دون ان يقول ما من عشر ونحوه ومن اجاب بغير هذا
التفضيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة قط الفصل الخامس في صيامه
صلى الله عليه وسلم ايام الاسبوع عن عايشة رضي الله تعالي عنها ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم كان يتحري صيام الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسايي يوم و
وعن ابي قتادة قال سيل يوما رسول الله صلي الله عليه وسلم عن صوم الاثنين
فقال فيه ولدت وفيه انزل علي[3] رواه مسلم وعن ابي هريرة انه صلي الله
عليه وسلم قال تعرض الاعمال علي الله تعالي يوم الاثنين والخميس فاحب ان
يعرض عملي وانا صايم رواه الترمذي وعن اسامة بن زيد قلت يا رسول الله
انك تصوم حتي لا تكاد تفطر وتفطر حتي لا تكاد تصوم الا يومين ان دخلا في
صيامك والا صمتهما قال اي يومين قلت يوم الاثنين والخميس قال ذلك ذانك صح
يومان تعرض فيهما الاعمال علي رب العالمين فاحب ان يعرض عملي وانا صايم
رواه النسايي وروي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالي ما يلفظ علي صح
من قول الا لديه رقيب عتيد قال يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتي انه
ليكتب قوله اكلت وشربت وذهبت وجيت ورايت حتي اذا كان يوم الخميس
عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان من خير او شر والقي سايره وهذا عرض فيه صح
خاص في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض عام دايم بكرة
وعشيا ويدل علي ذلك ما في صحيح مسلم عن ابي موسي الاشعري قال قام فينا
رسول الله صلي الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالي لا ينام ولا
ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل
الليل الحديث وعن ام سلمة كان صلي الله عليه وسلم يصوم في كل شهر ثلاثة من صح
ايام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة وفي لفظ اول اثنين من
الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النساي وعن عايشة رضي رواية صح
الله عنها كان يصوم من الشهر السبت والاحد ومن الشهر الاخر الثلاثا
والاربعا والخميس رواه الترمذي وعن كريب مولي ابن عباس

قال ارسلني ابن عباس وناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ام سلمة اسالها
اي الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم اكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول
انها عيد المشركين وانا احب ان اخالفهما رواه احمد والنساي وفيه محمد بن عمر ولا يعرف
حاله ويرويه عنه ابنه عبد الله بن محمد بن عمر ولا يعرف ايضا وعن عبد الله بن بسر
عن اخته الصما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم السبت الا فيما
افترض عليكم فان لم يجد احدكم الا لحا عنبة او عود شجرة فليمضغه رواه احمد وابو
داود والترمذي وابن ماجة والدارمي قال بعضهم لا تعارض بينه وبين حديث ام
سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم ابو داود فقال باب النهي
ان يخص يوم السبت بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظير هذا
انه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا ان يصوم قبله ويوما بعده قال النووي قول مالك
في الموطا لم اسمع احدا من اهل العلم والفقه ومن يقتدي به ينهى عن صيامه يوم الجمعة
وصيامه حسن فقد رايت بعض اهل العلم تصومه واراه كان يتحراه فهذا الذي قاله
هو الذي رآه وقد راى غيره خلاف ما راى هو والسنة مقدمة على ما راه هو وغيره
وقد ثبت النهي عن صومه يوم الجمعة فتعين القول به ومالك معذور فانه لم
يبلغه قال الداودي من اصحاب مالك لم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم
يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون اعون له على وظايف العبادات
المشروعة في الجمعة واداها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا
سامة كالحاج بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة
بصوم يوم قبله او بعده لبقاء المعنى والجواب انه يحصل له بفضيلة الصوم
الذي قبله او بعده ما يجبر ما قد يحصل من فتور او تقصير في وظايف يوم الجمعة
بسبب صومه والله اعلم الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الايام
البيض وهي التي يكون فيها القمر من اول الليل الى اخره
وهي ثلاثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر وليس في الشهر يوم ابيض كله الا هذه الايام
لان ليلها ابيض ونهارها ابيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل
هو النهار بليلته ~~فجعل الوصف صفة الايام~~ وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض
على الوصف واليوم الكامل بليلته فجعل الوصف صفة الايام فقد اخطا والله اعلم
عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر ايام البيض
في حضر ولا سفر رواه النساي وعن حفصة اربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يدعهن صيام عاشوراء والعشر وايام البيض من كل شهر وركعتي الفجر
رواه احمد وعن معاذة العدوية انها سالت عايشة اكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة ايام قالت نعم فقالت لها من اي ايام الشهر

كان يصوم

كان يصوم قالت لم يكن يبالي من اي الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى
الله عليه وسلم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعينها قال وقد جعل الله تعالى
صيام هذه الثلاثة ايام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر امثالها
وقد روى اصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود كان النبي
صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة ايام من غرة كل شهر وقد تحصل ان صيامه
صلى الله عليه وسلم في الشهر على وجوه الاول انه كان يصوم اول اثنين
من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه النساي والثاني كان يصوم من الشهر
السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الاخر الثلاثا والاربعا والخميس رواه
الترمذي الثالث ايام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر
الرابع انه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما روته معاذة عن عايشة عند
مسلم الخامس انه كان يصوم ثلاثة من اول الشهر واختاره جماعة منهم
الحميدي وهو ما رواه اصحاب السنن من حديث ابن مسعود قال القاضي
عياض واختار النخعي ثلاثة ايام من اخر الشهر ليكون كفارة لما مضى
واختار اخرون اول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك
ابن انس وقال ابن شعبان من المالكية اول يوم من الشهر والحادي عشر
والحادي والعشرين ونقل ذلك عن ابي الدرداء وهو موافق لما رواه النساي
من حديث عبد الله بن عمرو صم من كل عشرة ايام يوما وحكى الاسنوي
السابع عن الماوردي انه يستحب ايضا صوم الايام السود وهي التاسع والعشرون
واليومان بعده ويترجح البيض لكونها وسط الشهر ووسط الشي اعدله
ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فيها فاذا اتفق
الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صايما فيتهيا له ان يجمع بين انواع
العبادات من الصيام والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيا له
استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة في اول الشهر لان المرء لا يدري
ما يعرض له من الموانع والله اعلم النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله
عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر
اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع
المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده وروحه عكوف
القلب وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه فيصير
انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق ليكون ذلك انسه يوم الوحشة في القبر حين
لا انيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا
عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف

بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وابو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا
يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من
شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان اعتكف ليلة
في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل
على انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلماء على مشروطية المسجد للاعتكاف الا محمد
ابن عمر بن لبابة المالكي فاجازه في كل مكان واجاز الحنفية للمراة ان تعتكف في مسجد
بيتها وهو المكان المعد للصلاة فيه وفيه قول قديم للشافعي وذهب ابو حنيفة واحمد
الى اختصاصه بالمساجد التي تقام فيه الصلوات وخصه ابو يوسف بالواجب منه واما
النفل ففي كل مسجد وقال الجمهور بعمومه في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة فاستحب له
الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب بالشروع
عند مالك وخصه طايفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا واومى اليه الشافعي في القديم
وخصه ابن اليماني بالمساجد الثلاثة وعطاء بمسجدي مكة والمدينة
وابن المسيب بمسجد المدينة واتفقوا على انه لا حد لاكثره واختلفوا في اقله فمن
شرط فيه الصيام قال اقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام في دون اليوم
حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة ايام وعنه يوم او يومان ومن لم يشترط
الصوم قالوا اقله ما ينطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده
بالجماع وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر
من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي
قبض فيه رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اعتكف
العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم اطلع راسه
فقال اني اعتكفت العشر الاول التمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم اعتكفت العشر
الاوسط ثم اتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف العشر
الاواخر فقد رايت هذه الليلة ثم انسيتها وقد رايتني اسجد في ماء وطين
من صبيحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر قال فمطرت
السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين
رواه الشيخان وفي حديث عبادة بن الصامت انه صلى الله عليه وسلم خرج
يخبر بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم
فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ولمسلم من حديث
عبد الله بن انيس انه صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها

واراني في صبيحتها

واراني في صبيحتها اسجد في ماء وطين قال فمطرت ليلة ثلاث وعشرين فصلى
بنا وان اثر الماء والطين في جبهته وانفه وفي سنن ابي داود عن ابن مسعود مرفوعا
اطلبوها ليلة سبع عشرة وخرج الطبراني مرفوعا من حديث ابي هريرة
التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة او تسع عشرة او احدى وعشرين او ثلاث
وعشرين او خمس وعشرين او سبع وعشرين او تسع وعشرين وقد اختلف العلماء في
ليلة القدر اختلافا كثيرا وافردها بعضهم بالتاليف وقد جمع الحافظ ابو الفضل بن حجر من
كلام العلماء في ذلك اكثر من اربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعي انحصارها
في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي فيما حكاه عنه الاسنوي وعن المحاملي
انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحاق في التنبيه فقال وتطلب
ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب التقريب
في جواز كونها في النصف الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن الملقن
في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية قول انها ليلة النصف من شعبان
ودليل الاول حديث ابي سعيد الذي قدمناه وميل الشافعي انها ليلة الحادي
والعشرين او الثالث والعشرين اما الحادي والعشرين فلقوله عليه
الصلاة والسلام في حديث ابي سعيد فقد رايت هذه الليلة وقد رايتني اسجد في ماء
وطين من صبيحتها فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته
اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين واما الثالث والعشرون
فلحديث عبد الله بن انيس المتقدم ايضا وجزم جماعة من الشافعية بانها ليلة الحادي
والعشرين لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث
من علق يوم العشرين على عتق عبده ليلة القدر انه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضا
الشهر على الصحيح بناء على انها في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من اصحابنا
انها تنتقل في كل سنة الى ليلة من ليالي العشر الاخير وحاصله قولان ووجه واختار النووي (الاخير)
في الفتاوي وشرح المهذب راي ابن خزيمة وجزم ابن حبيب من المالكية
ونقله الجمهور وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه ان ليلة القدر خاصة
بهذه الامة ولم تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث ابي ذر عند النساي حيث
قال فيه قلت يا رسول الله اتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية
وعمدتهم قول مالك في الموطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر
اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطاه الله ليلة القدر وهذا محتمل للتاويل فلا
يدفع الصريح في حديث ابي ذر كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح
الباري قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها ما في صحيح مسلم عن
ابي بن كعب ان الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة

من حديث ابن عباس مرفوعًا ليلة القدر لا حارّة ولا باردة تُصبح الشمس
يومها حمرا ضعيفة ولاحمد في حديث عبادة بن الصامت مرفوعا انها
صافية كان فيها قمرًا ساطعا ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ولا يحل لكوكب ان
يرمى فيها وان من اماراتها ان الشمس في صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل
القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان ان يخرج معها حينئذ وروى البيهقي في
فضائل الاوقات ان المياه المالحة تعذب في تلك الليلة وقد كان صلى
الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم
من حديث عائشة وفي البخاري عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دخل العشر شد ميزره واحيا ليله وايقظ اهله وجزم عبد الرزاق بان شد
ميزره هو اعتزاله النساء وحكاه الثوري وقال الخطابي يحتمل ان يراد به
التشمير والاعتزال معًا ويحتمل ان يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شد ميزره
حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وتشمر للعبادة وقوله واحيا ليله اي سهره
فاحياه بالطاعة واحيا نفسه بسهره فيه لان النوم اخو الموت واضافه الى الليل
اتساعا لان النائم اذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم
قبورا اي لا تناموا فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه
الصلاة والسلام يخص العشر الاخير باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احياء
الليل فيحتمل ان المراد احيا الليل كله ويشهد له حديث عائشة من وجه ضعيف
واحيا الليل كله وفي المسند عنها ايضا قالت كان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين
بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد الميزر وفي حديث ضعيف عن انس عند
ابي نعيم كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان قام ونام فاذا كان اربعًا
وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان يريد باحيا الليل احيا غالبه وقد قال الشافعي
في القديم من شهد العشا والصبح في جماعة ليلة القدر فقد اخذ بحظ منها وروي
في حديث مرفوع عن ابي هريرة من صلى العشاء الاخرة في جماعة في رمضان فقد ادرك
ليلة القدر رواه ابو الشيخ ومنها انه كان يوقظ اهله للصلاة في ليالي
العشر دون غيره من الليالي ومنها تاخير الفطر الى السحور ففي حديث انس
وعائشة انه صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر
واجتنب النساء واغتسل بين الاذانين وجعل العشاء سحورا اخرجه ابن ابي عاصم
ولفظ حديث انس كان اذا دخل العشر الاخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء
وجعل عشاه سحورا واسناد الاول مقارب والثاني فيه حفص بن غياث وقال
فيه ابن عدي انه منكر ما القيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح
كما قدمته ومنها اغتساله عليه الصلاة والسلام بين العشائين المغرب
والعشاء

٢٠١

والعشاء وروي من حديث علي وفي اسناده لين

النوع السادس في ذكر حجه وعمرته صلى الله عليه وسلم

اعلم ان الحج الوصول لحضرة المعبود والوقوف بساحة الجود ومشاهدة تلك المشاهد العلي الرحماني والالمام بمعهد العهد الرباني ولا يخفى ان نفسل لكون بتلك الاماكن شرف وعلو وان التردد في تلك المواطن فخار وسمو فان المحال المحترمة لم تزل تفرغ على الحالّ فيها من سجال وصفها الفيض غامر وحسبك في هذا ما يحكى عن مجنون بني عامر

راى المجنون في البيدا كلابا	فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه	وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني	رانه مرة في حي ليلى

فينبغي للعبد ان يهتم بامر الحج ويبادر اليه وينهض فلا يرعزمه انها سابحة عليه ولا يتوانى في غسل ادران سيات العمر يصابون المغفرة ولا يتكاسل عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عميا المخاطرة وروى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال من اراد الحج فليتعجل رواه ابو داود وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من ملك راحلة وزادا يبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا الحديث رواه الترمذي وخطب عليه الصلاة والسلام فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة وفي رواية النسائي من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد اجمعوا على انه لا يتكرر الا لعارض كالنذر واختلفوا اهل هو على الفور او التراخي فقال الشافعي وابو يوسف وطايفة هو على التراخي الى ان ينتهي الى حال يظن فواته لو اخره عنها وقال مالك وابو حنيفة واخرون هو على الفور واختلفوا ايضا في وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور على انها سنة ست لانه نزل فيها قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله وهذا ينبني على ان المراد بالاتمام ابتدا الفرض ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي بلفظ واقيموا رواه الطبراني باسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكره الواقدي سنة خمس وهذا يدل ان ثبت على تقدمه على سنة خمس او وقوعه فيها وقالت طايفة انه تاخر نزول فرضه الى التاسعة والعاشرة واحتجوا بان صدر سورة ال عمران نزل عام الوفود وفيه قدوم وفد نجران على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وما الجأهم على اداء الجزية والجزية نزلت عام تبوك
سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر اهل الكتاب ودعاهم
الى التوحيد ويدل عليه ان اهل مكة وجدوا في انفسهم بما فاتهم من التجارة
من المشركين الى ان انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس الاية
فاعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الايات والمناداة بها انما كان في
سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج واردفه بعلي مجتنبين
وفي الترمذي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج قبل ان
يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي
من اليمن ببقيتها فيها جمل في انفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن
ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل ان يهاجر ثلاث حجج اخرجه ابن ماجة والحاكم
وهو مبني على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي
نفي الحج قبل ذلك وقد اخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله عليه
وسلم حج قبل ان يهاجر حججا وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الاثير
كان عليه الصلاة والسلام يحج كل سنة قبل ان يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل
كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم اذن في العاشرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم
يلتمس ان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه
فاتينا ذا الحليفة فولدت اسما بنت عميس محمد بن ابي بكر فارسلت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصنع قال اغتسلي واستثفري بثوب
واحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصوى
حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من
راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل
ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا وعليه ينزل القران وهو
يعرف تاويله وما عمل من شيء عملنا به وفي رواية عند النسائي قال جابر
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي الحجة وخرجنا معه
حتى اذا اتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة
بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم
بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر وكان نساؤه كلهن
معه فطاف عليهن كلهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل
الجماع الاول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن ابيه تجرد رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل وفي الصحيحين ان عائشة طيبته بذريرة
وفي رواية قالت

ثم اصبح
ثم طاف في نسائه ثم
محرما فاذا في رواية
ينضح طيبا وفي رواية
طيبته

٢٠٢

وفي رواية قالت كاني انظر الى وبيص الطيب في مفارقه عليه الصلاة والسلام وهو
محرم وفي رواية قالت طيبته عند احرامه طيبا لا يشبه طيبكم يعني ليس له بقاء
وهذا يدل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وانه لا باس باستدامته بعد الاحرام
ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام ابتداؤه وهذا مذهب الشافعي وابي
حنيفة وابي يوسف واحمد بن حنبل وحكاه الخطابي عن اكثر الصحابة وحكاه النووي
عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب مالك الى منع التطيب قبل الاحرام بما تبقى
رائحته بعده لكنه قال ان فعل ذلك فقد اساء ولا فدية عليه وعن عائشة رضي الله
عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحرم غسل راسه بخطمي واشنان رواه
الدارقطني وفي حديث انس عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم صلى
الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء اهل وفي رواية ابن عمر عند البخاري
ومسلم وغيرهما ما اهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين وضع
رجله في الغرز واستوت به راحلته قائمة اهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي
رواية جابر عند ابي داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم لما اراد الحج اذن في
الناس فاجتمعوا له فلما اتى البيداء احرم وفي حديث ابن جبير عند ابي داود قال
قلت لابن عباس عجبت لاختلاف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهلال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اوجب فقال اني لاعلم الناس بذلك انها انما
كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك اختلفوا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه اوجبه
في مجلسه فاهل بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه اقوام فحفظته عنه
ثم ركب فلما استقلت به ناقته اهل وادرك ذلك منه اقوام وذلك ان الناس
انما كانوا ياتون ارسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما علا على شرف البيداء وايم الله لقد اوجب في
مصلاه واهل حين استقلت به ناقته واهل حين علا على شرف البيداء
قال سعيد بن جبير فمن اخذ بقول عبد الله بن عباس اهل في مصلاه
اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب ابي حنيفة والصحيح من مذهب الشافعي ان
الافضل ان يحرم اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه انه صلى
الله عليه وسلم صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت
في الصحيحين عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين
ثم اذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة اهل قال النووي فيه
استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل الاحرام ويكونان
نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن

فقالوا انما اهل رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين
استقلت به ناقته

اهل وادرك ذلك منه اقوام
فقالوا انما اهل حين
علا على شرف البيداء

البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روي ان هاتين الركعتين
كانتا صلاة الصبح والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد اختلفت
روايات الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفردا او قارنا
او متمتعا وروي كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك
على ستة اقوال احدها انه حج مفردا لم يعتمر معه الثاني حج
متمتعا تمتعا حل منه ثم احرم بعده بالحج كما قاله القاضي ابو يعلى الثالث وعمرته
انه حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا الرابع
انه حج قارنا طاف له طوافين وسعى له سعيين الخامس انه حج مفردا
اعتمر بعده من التنعيم السادس انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج
والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا
وساق الهدي واختلفوا ايضا في احرامه على ستة اقوال احدها انه
لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني انه لبى بالحج وحده واستمر عليه
الثالث انه لبى بالحج مفردا ثم ادخل عليه العمرة الرابع انه لبى بالعمرة
وحدها ثم ادخل عليها الحج الخامس انه احرم احراما مطلقا لم يعين فيه
نسكا ثم عينه بعد احرامه السادس انه لبى بالحج والعمرة معا وقد اطنب
ابو جعفر الطحاوي الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه من زيادة على الف
ورقة كما ذكره عنه جماعة من العلماء وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا
شافيا ومهده المحب الطبري تمهيدا بالغا واشار اليه القاضي عياض
والنووي في شرحيهما لمسلم ونقحه الحافظ ابن حجر مستوفيا لكثير من
مباحثه استيفاء كافيا والذي ذهب اليه الشافعي في جماعة انه صلى الله عليه
وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين ان عايشة قالت خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من اهل بعمرة ومنا
من اهل بحج وعمرة ومنا من اهل بالحج وحده واهل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده ولمسلم عنها
انه صلى الله عليه وسلم اهل بالحج وحده ولمسلم ايضا عن ابن عباس اهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم افرد الحج وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم افرد الحج رواه البخاري قالوا
وهؤلاء لهم قرب في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة
سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه
وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان
اخذا بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وانكر على من رجح قول انس

على قوله

٢٠٣

على قوله وقال كان انس يدخل على النساء وهن منكشفات الروس واني كنت تحت
ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها اسمعه يلبي بالحج واما عايشة فقربها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن امره وظاهره وفعله
في خلواته وعلانيته مع كثرة فهمها وعظم فطنتها واما ابن عباس فمحله من العلم
والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظه احوال رسول الله
صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره واخذه اياها من كبار الصحابة واحتجوا
ايضا بان الخلفا الراشدين واظبوا على الافراد مع انهم الايمة الاعلام وقادة الاسلام
والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبانه لم ينقل عن احد
منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهة التمتع والجمع بينهما حتى فعله علي رضي
الله عنه لبيان الجواز وبان الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف التمتع
والقران وذهب النووي الى ان الصواب انه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ويويد
انه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان القران
افضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم ينقل احد ان الحج وحده
افضل من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح
الافراد ولو لم يعتمر في تلك السنة قال الحافظ ابو الفضل بن حجر ويترجح
رواية من روى القران بامور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد
والتمتع وبان من روى الافراد والتمتع اختلف عنه في ذلك واشهر من روى
عنه الافراد عايشة وقد ثبت عنها انه اعتمر مع حجته وابن عمر وقد
ثبت عنه انه صلى الله عليه وسلم بدا بالعمرة ثم اهل بالحج وجابر وقد روي عنه
انه اعتمر مع حجته ايضا وبان القران رواه عنه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة
لم يختلف عليهم فيه وبانه لم يقع في شي من الروايات النقل عنه من لفظه انه قال
افردت ولا تمتعت بل صح عنه انه قال لولا ان معي الهدي لاحللت وايضا فان من
روى القران لا يحتمل حديثه التاويل الا بتعسف بخلاف من روى الافراد فانه
محمول على اول الحال وينتفي التعارض ويويده ان من جا عنه الافراد جا عنه
صورة القران ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد للنسكين
ويويده ان من جا عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القران لانهم اتفقوا على انه
لم يحل من عمرته حتى اتم عمل جميع الحج وهذه احدى صور القران وايضا فان رواية
القران جات عن بضعة عشر صحابيا انتهى وعدهم ابن القيم سبعة عشر
عايشة ام المومنين وعبد الله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب
وعثمان بن عفان باقراره وعمران بن الحصين والبراء بن عازب وحفصة ام
المومنين وابو قتادة وابن ابي اوفى وابو طلحة والهرماس بن زياد وام سلمة

وانس بن مالك وسعد بن ابي وقاص وجابر وابن عمر فهولا سبعة عشر صحابيا
منهم من روي فعله ومنهم من روي لفظ احرامه ومنهم من روي خبره ومنهم
من روي امره فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابر وعايشة وابن عباس
وعايشة تقول اهل رسول الله صلي الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ افرد الحج والاول في
الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبي بالحج وحده كرواية ابن ماجة
قيل ان كانت الاحاديث عن هولا تعارضت وتساقطت فان احاديث الباقين لم
تتعارض فهب ان احاديث من ذكرت لا حجة فيها علي القران ولا علي الافراد فما
الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها فكيف واحاديثهم
يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهي وهذا تقتضي رفع الشك عن ذلك
والمصير الي انه صلي الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضي ذلك ان يكون القران
افضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال ابو
حنيفة واسحاق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني وابن المنذر وابو اسحاق
والمروزي ومن المتاخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي
في اختياره انه صلي الله عليه وسلم كان قارنا وان الافراد مع ذلك افضل
مستندا الي انه صلي الله عليه وسلم اختار الافراد اولا ثم ادخل عليه العمرة
لبيان جواز الاعتمار في اشهر الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من افجر الفجور
وتعقب بان البيان قد سبق منه صلي الله عليه وسلم في عمره
الثلاث فانه احرم بكل منها في ذي القعدة عمرة الحديبية التي صد عن
البيت فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان اراد باعتماره مع
حجته بيان الجواز فقط مع ان الافضل خلافه لاكتفي في ذلك بامره
اصحابه ان يفسخوا حجهم الي العمرة انتهي ومذهب الشافعي ومالك وكثير
ان افضلها الافراد ثم التمتع ثم القران فان قلت اذا كان الراجح انه عليه
الصلاة والسلام كان قارنا فلم رجح المالكية والشافعية الافراد علي
القران فقد اجاب عن ذلك النووي في شرح المهذب بان ترجيح الافراد
لانه عليه الصلاة والسلام اختاره اولا وانما ادخل عليه العمرة لمصلحة
بيان جواز الاعتمار في اشهر الحج وكانت العرب تعتقده من افجر الفجور كما
ذكرته وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الي ان التمتع
افضل وهذا مذهب احمد لكونه صلي الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت
الهدي لاحللت ولا يتمني الا الافضل واجيب بانه انما تمناه
تطييبا لقلوب اصحابه لحزنهم علي فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره
الله تعالي له واستمر عليه صلي الله عليه وسلم واما القايلون بانه

صلي الله عليه وسلم لبي بالعمرة

صلي الله عليه وسلم لبي بالعمرة واستمر عليها فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم
عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الي الحج
وقال ابن شهاب عن عروة ان عايشة اخبرته عن النبي صلي الله عليه وسلم
في تمتعه بالعمرة الي الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي اخبرني سالم عن ابن عمر
وقال ابن عباس قال رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها
وقال سعد بن ابي وقاص في المتعة وضعها رسول الله صلي الله عليه وسلم
وضعناها معه واجيب بان التمتع عندهم يتناول القران ويدل له ما في
الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان
ينهي عن المتعة فقال علي ما تريد في امر فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم
تنهي عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا استطيع ان ادعك فلما راي
علي ذلك اهل بهما جميعا فهذا يبين ان من جمع بينهما كان متمتعا عندهم
وان هذا هو الذي فعله رسول الله صلي الله عليه وسلم ووافقه عثمان
علي انه صلي الله عليه وسلم فعله لكن كان النزاع بينهما هل ذلك الافضل في
حقنا ام لا فقد اتفق علي وعثمان علي انه عليه الصلاة والسلام تمتع وان
المراد بالتمتع عندهم القران وايضا فانه عليه الصلاة والسلام قد تمتع تمتع
قران باعتبار ترفهه بترك احد السفرين انتهي وفي فتح الباري
عن احمد ان من ساق الهدي فالقران له افضل ليوافق فعل النبي صلي الله عليه
وسلم ومن لم يسق الهدي فالتمتع له افضل ليوافق ما تمناه وامر به اصحابه
واما من قال انه صلي الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم
او غيره فهو غلط لم يقله احد من الصحابة ولا التابعين ولا الايمة الاربعة
ولا احد من اهل الحديث قاله ابن تيمية واما من قال انه حج متمتعا
حل فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدي فحجته حديث
معاوية انه صلي الله عليه قصر عن راسه بمشقص علي المروة وحديثه
في الصحيحين ولا يمكن ان يكون هذا في غير حجة الوداع لان معاوية اسلم
بعد الفتح وكان النبي صلي الله عليه وسلم زمن الفتح لم يكن محرما ولا يمكن ان
يكون في عمرة الجعرانة لوجهين احدهما انه في بعض الفاظ الصحيح وذلك
في حجته الثاني ان رواية النساي باسناد صحيح وذلك في ايام العشر
وهذا انما كان في حجته وهذا مما انكره الناس علي معاوية وغلطوه فيه
واصابه فيه ما اصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سياتي وساير
الاحاديث الصحيحة كلها تدل علي انه صلي الله عليه وسلم لم يحل من احرامه
الي يوم النحر وبذلك اخبر عن نفسه بقوله لولا ان معي الهدي لاحللت

وقوله اني سقت الهدي وقرنت فلا احل حتى انحر وهذا اخبر عن نفسه لا يدخله
الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد واما اختلاف
الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج او بالعمرة او القران او
الجمع بينهما فكل تاول بما يناسب مذهبه الذي قدمته قال البغوي والذي
ذكره الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه ان اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان ياخذ منه امر نسكه
ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه على معنى انه امر بها واذن فيها ويجوز
في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما يجوز اضافته الى الفاعل كما يقال
بنى فلان دارا ويريد انه امر ببنائها كما روي انه عليه الصلاة والسلام رجم
ماعزا وانما امر برجمه ثم احتج بانه عليه الصلاة والسلام كان افرد الحج وقال
الخطابي نحوه وقال النووي كان صلى الله عليه وسلم اولا مفردا ثم احرم بالعمرة
بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الاصل يعني حمله على
ما اهل به اول الحال ومن روى القران اراد ما استقر عليه امره ومن روى
التمتع اراد به التمتع اللغوي والارتفاق فقد ارتفق بالقران كارتفاق
التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وقال غيره اراد بالتمتع
ما امر به غيره وقالوا وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها ويزول عنها
الاضطراب والتناقض وقالت طايفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا
واحتجوا باحاديث صحيحة تزيد على العشرين منها حديث انس في صحيح مسلم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بهما لبيك عمرة وحجا ورواه
عن انس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن انس ان لفظ النبي
صلى الله عليه وسلم كان اهلالا بحج وعمرة معا واما من قال انه عليه
الصلاة والسلام اهل بالعمرة وادخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث
ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج
واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا صلى الله عليه وسلم فاهل
بالعمرة ثم اهل بالحج فقد تقدم في الاحاديث الكثيرة الصريحة انه صلى الله
عليه وسلم بدا بالاهلال بالحج ثم ادخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل
في هذا الحديث قوله بدا فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج واجيب عنه بان المراد
به صورة الاهلال اي لما ادخل العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحج
معا ومذهب الشافعي انه لو ادخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار قارنا
فلو احرم بالحج ثم ادخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي اصحهما لا يصح احرامه
بالعمرة لان الحج اقوى منهما لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف

لا يدخل على القوي

لا يدخل على القوي انتهى وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة
ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين
رواه مسلم وابو داود وفي رواية الترمذي نعلين واشعر الهدي في الشق الايمن
بذي الحليفة واماط عنه الدم وفي رواية لابي داود ثم سلت الدم بيده وفي
اخرى باصبعه وعند النسائي اشعر بدنته من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها
نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي اربعة دراهم
رواه الترمذي في الشمايل وابن ماجه من حديث انس والطبراني في الاوسط من حديث
ابن عباس وعن اسماء بنت ابي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست
عايشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب ابي بكر وكانت
زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة ابي بكر واحدة مع غلام لابي بكر
فجلس ابو بكر ينتظر ان يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له ابو بكر
اين بعيرك قال اضللته البارحة قال ابو بكر بعير واحد تضله وطفق يضربه
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع
وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه ابو داود وخرج معه صلى الله عليه
وسلم اصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عايشة فبين لهم عليه الصلاة والسلام
وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتمار في اشهر الحج فقال من احب ان يهل بعمرة فليهل
ومن احب ان يهل بحج فليهل رواه البخاري ولاحمد من شاء فليهل بعمرة ولما
بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء او ودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا
وحشيا فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه
البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش وفي اخرى من لحم حمار وحش وفي
رواية عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش وفي رواية عضو
من لحم صيد ورواه ابو داود وابن حبان من طريق عطاء عن ابن عباس
انه قال يا زيد بن ارقم هل علمت ان رسول الله فذكره واتفقت الروايات كلها
انه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن من طريق
عمرو بن امية ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو
بالجحفة فاكل منه واكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل
اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده
حيا لكونه صيد لاجله ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة اخرى حيث علم انه لم
يصد لاجله وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس
للمحرم ان يذبح حمار وحش وان كان اهدى له لحما فقد يحتمل ان يكون علم انه

صيد له فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي انه رده لظنه انه صيد من اجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل ان يحمل القبول المذكور في حديث عمرو ابن امية على وقت الحل وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده انه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وفي غيرها من الروايات بالابواء وبودان وقال القرطبي يحتمل ان يكون الصعب احضر الحمار مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار اراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل ان يكون من قال حمار اطلق واراد بعضه مجازا قال ويحتمل انه احضره له حيا فلما رده عليه ذكاه واتاه بعضو منه ظانا انه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه ان حكم الجزء حكم الكل والجمع مهما امكن اولى من توهيم بعض الرواة قال النووي قال الشافعي واخرون ويحرم تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه اياه بالارث خلاف واما لحم الصيد فان صاده او صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه او بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه وان لم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم او باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك واحمد وابو داود وقال ابو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طايفة لا يحل له لحم الصيد اصلا سواء صاده او صاده غيره له قصده او لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بانه محرم ولم يقل ما لك لم تصده لنا واحتج الشافعي وموافقوه بحديث ابي قتادة وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل معكم منه شيء قالوا معنا رجله فاخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلها ولما مر صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح على بكرين احمرين خطمهما الليف وازرهما العبا واريتهما النمار يلبون يحجون البيت العتيق رواه احمد وفي رواية مسلم من حديث ابن عباس لما مر بوادي الازرق قال كاني انظر الى موسى من الثنية واضعا اصبعيه في اذنيه مارا بهذا الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية ووادي الازرق خلف امج بفتح الهمزة والميم والجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميلا واحد ولم يعينه في رواية البخاري الوادي ولفظه اما موسى كاني انظر اليه اذا انحدر من الوادي يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يات في اثر ولا خبر ان موسى حي وانه سيحج وانما اتى ذلك عن عيسى عليه الصلاة والسلام

فاشتبه على الراوي

٢٠٦

فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله في الحديث ليهلن ابن مريم بفج الروحاء انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد التوهم وقد ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه فيقال ان الراوي غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس فيقال ان الراوي الاخر غلط فزاد يونس وتعقب ايضا بان توهيم المهلب للراوي وهم منه والا فاي فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت ان عيسى منذ رفع نزل الى الارض وانما ثبت انه سينزل واجيب بان المهلب اراد ان عيسى لما ثبت انه سينزل كان كالمحقق فقال كاني انظر اليه ولهذا استدل المهلب بحديث ابي هريرة الذي فيه ليهلن ابن مريم بالحج وقد اختلف في معنى قوله كاني انظر اليه فقيل ان ذلك رويا منام تقدمت له فاخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ورويا الانبيا وحي وقيل هو على الحقيقة لان الانبيا احيا عند ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه الحالة كما في صحيح مسلم عن انس انه راى موسى عليه الصلاة والسلام قايما في قبره يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي انفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم اهل الجنة الذكر ويؤيده ان عمل الاخرة ذكر ودعا لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الاية لكن تمام هذا التوجيه ان يقال المنظور اليه هي ارواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما مثلت ليلة الاسرا واما اجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل الله لروحه مثالا فيرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كانه مثلت احوالهم التي كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كاني وقيل كانه اخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كاني انظر اليه انتهى وقد ذكرت في مقصد الاسرا من ذلك ما يكفي والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى اصحابه فقال من لم يكن معه هدي فاحب ان يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عايشة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لاصحابك فمنعت العمرة قال وما شانك قالت لا اصلي قال فلا يضرك انما انت امراة من بنات ادم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك فعسى الله ان يرزقكيها رواه البخاري ومسلم وابو داود والنساي وفي رواية قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتى جينا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي فقال ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم اكن خرجت العام فقال ما لك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شي كتبه الله على بنات ادم افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري الحديث وقد اختلف فيما احرمت به عايشة كما اختلف

هل كانت متمتعة ام مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها اهلت اولا احرمت
بالحج وهو ظاهر الحديث وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري من طريق
هشام بن عروة عن ابيه قالت وكنت فيمن اهل بعمرة وزاد احمد من وجه اخر
عن الزهري ولم اسق هديا وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل في الجميع ان يقال
اهلت عايشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم امر النبي صلى الله عليه
وسلم ان يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت عايشة ما صنعوا فصارت متمتعة ثم لما
دخلت مكة وهي حايض لم تقدر على ان تطوف لاجل الحيض امرها ان تحرم بالحج وقال
القاضي عياض واختلف في الكلام على حديث عايشة فقال مالك ليس العمل على حديث
عروة عن عايشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر ليس العمل عليه في رفض العمرة (يريد)
وجعلها حجا بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم
لكن اجاب جماعة من العلماء عن ذلك باحتمال ان يكون معنى قوله ارفضي عمرتك
اي اتركي التحلل منها وادخلي عليها الحج فتصير قارنة ويؤيده قوله في رواية
لمسلم وامسكي عن العمرة اي عن اعمالها وانما قالت عايشة وارجع بحج لاعتقادها
ان افراد العمرة بالعمل افضل كما وقع لغيرها من امهات المومنين واستبعد هذا
التاويل لقولها في رواية عطا عنها وارجع انا بحجة ليس معها عمرة اخرجه احمد وهو
يقوي قول الكوفيين ان عايشة تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا في ذلك
بقوله لها دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا به على
ان المراة اذا اهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل
بالحج مفردا كما صنعت عايشة لكن في رواية عطا عنها ضعف والرافع للاشكال
في ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر ان عايشة اهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف
حاضت فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة
وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله اني اجد في نفسي
اني لم اطف بالبيت حين حججت قال فاعمرها بالتنعيم ولمسلم من طريق طاوس
عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك
فهذا صريح في انها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما اعمرها
من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد
وقع في رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا هوت الشي تابعها عليه
ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة
ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى
سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جا في رواية عايشة او بعد طوافه بالبيت

كما جا في رواية جابر

٢٠٧

كما جا في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك في الموضعين وان العزيمة كانت
اخرا حين امرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عايشة فمنا من اهل بعمرة
ومنا من اهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من احرم بعمرة ولم يهد فليحلل
ومن احرم بعمرة واهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ومن احرم بحج فليتم حجه وهذا الحديث
ظاهر في الدلالة لابي حنيفة واحمد وموافقيهما في ان المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي
لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك والشافعي انه اذا طاف
وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شي في الحال سوا كان ساق هديا ام لا واحتجوا
بالقياس على من لم يسق الهدي وبانه تحلل من نسكه فوجب ان يحل له كل شي كما لو
تحلل المحرم بالحج واجابوا عن هذه الرواية بانها مختصرة من الرواية التي ذكرها
مسلم عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع
فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهلل
بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية
التي احتج بها ابو حنيفة وتقديرها ومن احرم بعمرة فليهلل بالحج ولا يحل حتى ينحر
هديه ولا بد من هذا التاويل لان القصة واحدة والراوي واحد
فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله اعلم ولما بلغ
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطاء وفتحها
وقيدها الاصيلي بالكسر عند ابار الزاهر بات بها بين الثنيتين
فلما اصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنساي كان عليه
الصلاة والسلام ينزل بذي طوى يبيت به يصلي الصبح حين يقدم الى
مكة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على اكمة خشنة غليظة
وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم دخلها من اعلاها وفي حديث
ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا
يعني اعلى مكة من كدا بفتح الكاف والمد قال ابو عبيد لا يعرف
وهذه الثنية التي ينزل منها الى المعلى مقبرة مكة وهي التي يقال
لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم ولم يقع انه صلى الله عليه وسلم
دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم احرم من
الجعرانة فدخل مكة ليلا فقضى امر العمرة ثم رجع ليلا فاصبح بالجعرانة
كما رواه اصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطا
قال ان شيتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه
كان اماما فاحب ان يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النساي ثم دخل
عليه الصلاة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد

وموافقيهما احمد

ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من اسفل ذلك على اكمة غليظة

الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه ان باب
الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت يوتى من ابوابها وايضا فلان جهة
باب الكعبة اشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان
عليه الصلاة والسلام اذا راى البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه
الثوري عن ابي سعيد الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة
ابن اسيد كان عليه الصلاة والسلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك
هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه
واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم يركع عليه الصلاة والسلام
تحية المسجد انما بدا بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير من اصحابنا
وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود وفي رواية
جابر عند البخاري استلم الركن والاستلام افتعال من السلام اي التحية
قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر اي الحجارة والمعنى انه يومي
بعصاه الى الركن حتى يصيبه وكانت منعنية الراس وهي المراد بقوله في الحديث
بالمحجن واعلم ان للبيت اربعة اركان الاول له فضيلتان كون الحجر الاسود
فيه وكونه على قواعد ابراهيم وللثاني الثانية فقط وليس للاخرين شي
منهما فلذلك يقبل الاول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل للاخرين ولا يستلمان
وروى الشافعي عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان اذا استلم الركن قال بسم الله
والله اكبر رواه الطبراني وهل كان صلى الله عليه وسلم طايفا على بعيره على قدميه
ففي مسلم عن عايشة طاف عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع على بعيره وفيه
عن ابي الطفيل رايته عليه الصلاة والسلام يطوف البيت على بعيره وقد اختلف
في علة ذلك فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته وفي حديث جابر عند مسلم
انه صلى الله عليه وسلم طاف راكبا ليراه الناس ويسالوه فيحتمل ان يكون فعل
ذلك للامرين قال ابن بطال فيه جواز دخول الدواب التي يوكل لحمها المسجد
اذا احتيج الى ذلك لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بانه
ليس في الحديث دلالة على عدم الجواز مع الحاجة بل ذلك داير مع التلويث
وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول وقد قيل ان ناقته عليه
الصلاة والسلام كانت منوقة اي مدربة معلمة فيومن معها ما يحذر
من التلويث قاله بعضهم وهذا كان والله اعلم في طواف الافاضة لا في طواف
القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل في الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا

مع المشي

بيان خالد اللهم زد هذا البيت

مع المشي ولم يقل احد رملت به راحلته وانما قالوا رمل اي بنفسه وقال الشافعي
انا سعيه الذي طاف لقدومه فعلى قدميه انتهى ولما استلم صلى الله عليه
وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى اربعا وكان ابتدا الرمل في عمرة
القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم واصحابه مكة وقد وهنتهم حمى
يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها
شدة فجلسوا مما يلي الحجر وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يرملوا
ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركين جلدهم فقال المشركون
هولاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هولاء اجلد من كذا وكذا
رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان في حجة الوداع
رمل صلى الله عليه وسلم واصحابه فكانت سنة مستقلة قال الطبري قد ثبت
انه عليه الصلاة والسلام رمل ولا مشرك يوميذ بمكة يعني في حجة الوداع
فعلم انه من مناسك الحج الا ان تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيية مخصوصة
فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية
بل لصفتها فلا شي عليه انتهى فلو ترك الرمل في الثلاث لم يقضه في الاربع
لان هيتها السكينة فلا يتغير والله اعلم ولما فرغ صلى الله عليه وسلم
من طوافه الى المقام فقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى فصلى ركعتين
والمقام بينه وبين البيت فقرا فيهما بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد
ثم رجع الى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا
قرا ان الصفا والمروة من شعاير الله ابدا بما بدا الله به فبدا بالصفا
فرقي عليه حتى راى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير وحده
لا اله الا الله انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك
قال هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي
رمل حتى اذا صعد نا مشى حتى اتى المروة وفي حديث ابي الطفيل
عند مسلم وابي داود قال قلت لابن عباس اخبرني عن الطواف بين
الصفا والمروة راكبا اسنة هو فان قومك يزعمون انه سنة قال صدقوا
وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت
قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما
كثر عليه ركب والمشي والسعي افضل هذا لفظ رواية مسلم وفي اوله
ذكر الرمل في طواف البيت وعند ابي داود ان قريشا قالت زمن الحديبية

دعوا محمدًا واصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على ان يحجوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة ايام فقدم عليه الصلاة والسلام فقال لاصحابه ارملوا بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعير لان الناس كانوا لا يدفعون عنه صلى الله عليه وسلم ولا يضربون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله ايديهم الحديث وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقي عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى اذا كان اخر طوافه على المروة قال لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي واجعلها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة بن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا ام لابد فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه واحدة في اخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين لا بل لابد ابد وهذا معنى فسخ الحج الى العمرة قال النووي وقد اختلف في هذا الفسخ هل هو خاص للصحابة تلك السنة خاصة ام باق لهم ولغيرهم الى يوم القيامة فقال احمد وطايفة من اهل الظاهر ليس خاصا بل هو باق الى يوم القيامة فيجوز لكل من احرم بالحج ليس معه هدي ان يقلب احرامه عمرة ويتحلل باعمالها وقال مالك والشافعي وابو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف هو مختص في تلك السنة لا يجوز بعدها وانما امروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهلية من تحريم العمرة في اشهر الحج ومما يستدل به للجماهير حديث ابي ذر في مسلم كانت المتعة في الحج لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعني فسخ الحج الى العمرة وفي النسائي عن الحارث بن بلال عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارايت فسخ الحج الى العمرة لنا خاصة ام للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لنا خاصة قال واما الذي في حديث سراقة العامنا هذا ام لابد فقال لابد ابد فمعناه جواز الاعتمار في اشهر الحج والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث ان العمرة في اشهر الحج جايزة الى يوم القيامة وكذلك القران وان فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك السنة والله اعلم انتهى وفي رواية للنساي ايضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعني متعة النساء ومتعة الحج ومتعة النساء هي نكاح المراة الى اجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح يوم فتح مكة ثم نسخ ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وقد كان فيه خلاف في العصر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذي نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى اربعة ايام ملفقة لانه قدم في الرابع وخرج في الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من اول ظهر الرابع الى اخر عصر الثامن ومن يوم دخوله عليه الصلاة والسلام مكة وخروجه يوم النفر الثاني من منى الى الابطح

عشرة ايام سواء

عشرة ايام سواء وقدم علي من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بم اهللت فقال بما اهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لولا ان معي الهدي لاحللت رواه الشيخان من حديث انس وفي حديث البراء عند الترمذي والنساي دخل علي على فاطمة رضي الله تعالى عنها فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فغضب فقالت ما لك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر اصحابه فاحلوا قال فقلت لها اني اهللت باهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت قال قال لي انحر من البدن سبعا وستين او ستا وستين وامسك لنفسك ثلاثا وثلاثين او اربعا وثلاثين وامسك من كل بدنة منها بضعة وفي رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت ابي امرني بهذا فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم اني اهل بما اهل به رسولك قال فان معي الهدي فلا تحل قال فكان جماعة الهدي الذي قدم علي من اليمن والذي اتى به النبي صلى الله عليه وسلم ماية فحل الناس كلهم وقصروا الا النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين الى منى وقد احرم بالحج من كان احل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وامر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك قريش الا انه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنعه في الجاهلية وكانت الحمس وهم من قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن قطين الله اي جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وعن جبير بن مطعم قال اضللت حمارا لي في الجاهلية فوجدته بعرفة فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس فلما اسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفي رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم ويدفع اذا دفعوا الحديث ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس امر بالقصوى فرحلت له فركب فاتى بطن الوادي فخطب الناس وقال ان دماءكم واموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا كل شي من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان اول دم اضع من دماينا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطين فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم

وامني م

ومن كان معه هدي ... التروية فلما كان يوم الخميس وكان يوم ... فنحا وركب صلى الله عليه وسلم

رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم
به كتاب الله وانتم تسألون عني فما انتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت
وأديت ونصحت فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس اللهم
اشهد ثلاث مرات ثم اذن بلال ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ولم يصل بينهما
شيئا وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافر عند الجمهور وعند مالك والاوزاعي وهو وجه
للشافعية ان الجمع بعرفة جمع للنسك فيجوز لكل احد قال الاسنوي
فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعي والاصحاب اذا خرج الحاج يوم التروية
ونووا الذهاب الى وطنهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم
ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته
القصوى الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان اكثر
دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي تقول
وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي ولك رب
تراثي اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الامر اللهم اني
اعوذ بك من شر ما تجيء به الريح رواه الترمذي من حديث علي وفي
رواية ذكرها رزين كان اكثر دعائه عليه الصلاة والسلام يوم عرفة
بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذي تقول اللهم
لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي واليك مآبي وعليك يا رب ثوابي اللهم
اني اعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر
كل ذي شر وفي الترمذي افضل الدعاء يوم عرفة وافضل ما قلت انا
والنبيون لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
وكان من دعائه في عرفة ايضا كما في الطبراني الصغير من حديث ابن عباس
اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي لا يخفى عليك شيء
من امري انا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف
بذنوبه اسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك
دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه وذل لك
جسده ورغم انفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفا رحيما
يا خير المسؤولين ويا خير المعطين واتاه صلى الله عليه وسلم ناس من اهل نجد
وهو بعرفة فسألوه كيف الحج فامر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع
قبل طلوع الفجر فقد ادرك الحج ايام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
رواه الترمذي وفي رواية جابر عند ابي داود قال صلى الله عليه وسلم بعرفة
وقفت ها هنا وعرفة كلها موقف وهنالك نزل عليه اليوم اكملت لكم دينكم
ورضيت
الاية كما في الصحيحين

الاية كما في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهناك
سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فامر صلى الله عليه وسلم
ان يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى راسه
ولا وجهه واخبر ان الله يبعثه يوم القيامة يلبي رواه البخاري ومسلم اي يبعث
على هيئته التي مات عليها واستدل بذلك على بقاء احرامه خلافا للمالكية
والحنفية قال النووي يتأول هذا الحديث على ان النهي عن تغطية وجهه
ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للراس فانهم لو
غطوا وجهه لم يؤمن ان يغطوا راسه انتهى قال الحافظ ابن حجر وكان
وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة والله اعلم ولما غربت
الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص افاض صلى الله عليه وسلم
من عرفة واردف اسامة خلفه وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان راسها
ليصيب مورك رحله ويقول بيده ايها الناس السكينة السكينة كلما اتى حبلا
من الحبال ارخى لها قليلا حتى تصعد وافاض من طريق المأزمين وفي رواية ابن
عباس انه عليه الصلاة والسلام سمع وراءه زجرا شديدا وضربا للابل
فاشار بسوطه وقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني
بالاسراع وفي رواية ابي داود افاض من عرفة وعليه السكينة ورديفه
اسامة فقال ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بايجاف الخيل والابل
فما رأيتها رافعة يديها غادية حتى اتى جمعا وفي رواية اسامة بن زيد
عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق
العنق واخرج الطبراني في المعجم عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم افاض من عرفات وهو يقول
اليك تعدو قلقا وضينها مخالفا دين النصارى دينها قال في النهاية
والحديث مشهور بابن عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضاد
المعجمة حزام الرحل ولما كان في اثناء الطريق نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له اسامة الصلاة يا رسول الله
فقال الصلاة امامك فركب حتى اتى مزدلفة وهي المسماة بجمع بفتح الجيم وسكون
الميم وسميت جمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن
قتادة انما سميت جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتين وقيل لان الناس يجتمعون
فيها ويزدلفون الى الله اي يتقربون اليه بالوقوف فيها انتهى فصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحدة منهما باقامة ولم يصل اثر
كل واحدة منهما وفي رواية فاقام المغرب ثم اناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا

حتى اقام العشا الاخرة فصلى ثم حلوا ونزل عليه الصلاة والسلام فنام الليل تلك الليلة
ونام حتى اصبح لما تقدم له من الاعمال بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد الغروب
واجتهاده عليه الصلاة والسلام في الدعاء وسيره بعد الغروب الى المزدلفة
واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه
عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه اراح نفسه
الشريفة في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه نحر بيده المباركة
ثلاثا وستين بدنة وذهب الى مكة لطواف الافاضة ورجع الى منى
كما نبه عليه في شرح تقريب الاسانيد وعن ابن عباس بن مرداس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب
اني قد غفرت لهم ما خلا الظالم فاني اخذ للمظلوم منه قال اي رب ان شيت
اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما اصبح
بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سال قال فضحك صلى الله عليه وسلم او
قال تبسم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بابي انت وامي ان هذه لساعة ما كنت
تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس
لما علم ان الله قد استجاب دعاي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثوا على
راسه ويدعوا بالويل والثبور فاضحكني ما رايت من جزعه رواه ابن ماجة
ورواه ابو داود من الوجه الذي رواه به ابن ماجة ولم يضعفه وقد جاء في بعض
الروايات عن غير العباس ما يبين ان المراد من الامة من وقف بعرفة وقال
الطبري انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفايها
وقد رواه البيهقي بنحو رواية ابن ماجة ثم قال وله شواهد كثيرة
فان صح بشواهده ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم بعضا دون الشرك انتهى وقال الترمذي في
الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق الله تعالى خاصة دون العباد
ولا تسقط الحقوق انفسها فمن كان عليه صلاة او كفارة ونحوها من حقوق الله تعالى
لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما الذنب تاخيرها فنفس التاخير يسقط
بالحج لا هي انفسها فلو اخرها بعده تجدد اثم اخر فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة
لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد ان الحج يسقط ما وجب عليه
من الحقوق كالصلاة يستتاب والا قتل ولا يسقط حق الادمي بالحج اجماعا والله اعلم
انتهى واستاذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع
وكانت ثقيلة فاذن لها ان تدفع قبل حطمة الناس قالت عايشة فلان اكون

استاذنت

وكانت امراة بطيية

فقالت عايشة فليتني كنت استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة
وفي رواية فاستاذنته سودة ان تدفع قبل حطمة الناس وكانت امراة بطيية فاذن لها

استاذنت

استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استاذنته سودة احب الي من مفروح به
رواه البخاري وفي رواية ابي داود والنساي ارسل صلى الله عليه وسلم بام سلمة
ليلة النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فافاضت فكان ذلك اليوم الذي يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعني عندها وعند مسلم بعث ام حبيبة من جمع بليل
وفي رواية البخاري ومسلم والنساي عن ابن عباس قال ارسلني صلى الله عليه وسلم
مع ضعفة اهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفي الموطا والصحيحين والنساي
عن اسما انها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلي ساعة ثم قالت يا بني هل غاب
القمر قلت لا ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اذن للظعن بالضم النسا في الهوادج وقد اختلف السلف
في ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعي والشعبي من تركه فاته الحج وقال
عطا والزهري وقتادة والشافعي والكوفيون واسحاق عليه دم ومن بات بها
لم يجزله الدفع قبل النصف وقال مالك ان مر بها فلم ينزل فعليه دم وان نزل
فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع الفجر صلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر حين
تبين الصبح باذان واقامة وفي سنن البيهقي والنساي باسناد صحيح على شرط مسلم
انه صلى الله عليه وسلم قال للفضل بن العباس غداة يوم النحر التقط لي حصا فالتقط
له حصيات مثل حصا الخزف وهو بالمعجمتين ولم يكسرها كما يفعل من لا علم
عنده وفي رواية للنساي قال عليه الصلاة والسلام لابن عباس غداة النحر
وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته هات التقط لي فلقط حصيات من حصا
الخزف فلما وضعهن في يده قال بامثال هولاء واياكم والغلو في الدين فانما هلك
من قبلكم بالغلو في الدين قال العلماء وفي هذا الحديث دليل على استحباب اخذ الحصيات
بالنهار وهو راي البغوي قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعي
في الام والاملا لكن الجمهور كما قال الرافعي على استحباب الاخذ بيوم النحر
خاصة ونص عليه الشافعي بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب ان يلتقط جميع
ما يرمي به في الحج وبه جزم في التنبيه واقره عليه النووي في تصحيحه لكن الاكثرون
كما قال الرافعي على استحباب الاخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعي ايضا كما قال
في شرح المهذب والاحتياط ان يزيد فربما سقط منه شي انتهى ثم ركب
النبي صلى الله عليه وسلم القصوى حتى اتى المشعر الحرام فرقي عليه فاستقبل
القبلة وحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع
قبل ان تطلع الشمس وفي رواية غير جابر وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفي حديث
علي عند الطبري لما اصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف

الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى اذا اسفر دفع وفي رواية
جابر واردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس وكان حسن الشعر ابيض
وسيما فلما دفع صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق
الاخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الاخر ينظر وفي رواية
كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه
فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى
الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا
لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع
رواه الشيخان وغيرهما وقد روي ايضا من حديث عبد الله بن عباس
لكن رجح البخاري رواية الفضل لانه كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ
وكان عبد الله بن عباس تقدم الى منى مع الضعفة فكان الفضل حدث اخاه
بما شاهده في تلك الحالة ويحتمل ان يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمي جمرة
العقبة فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن اخيه لكونه صاحب القصة وتارة
عما شاهده ويؤيده ما في الترمذي ان السؤال المذكور وقع عند النحر بعد الفراغ
من الرمي وان العباس كان شاهدا وفيه انه عليه الصلاة والسلام لوى عنق
الفضل فقال العباس يا رسول الله لويت عنق ابن عمك قال رايت شابا
وشابة فلم آمن عليهما الشيطان وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك
فلا مانع ان يكون ابنه عبد الله ايضا كان معه وفي هذا الحديث دلالة على جواز
النيابة في الحج عمن لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك في ذلك ولمن قال
لا يحج احد عن احد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على انه لا يجوز
ان يستنيب من يقدر على الحج بنفسه في الحج الواجب واما النفل فيجوز عند
ابي حنيفة خلافا للشافعي وعن احمد روايتان انتهى وفي رواية ابن عباس
ان اسامة قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة
ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي صلى الله عليه
وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية جابر
فلما اتى عليه الصلاة والسلام بطن محسر حرك ناقته واسرع السير قليلا
قال الاسنوي سببه ان النصارى كانت تقف فيه كما قاله الرافعي او العرب
كما قاله في الوسيط فامرنا بمخالفتهم قال فظهر لي فيه معنى اخر وهو انه
مكان نزل فيه العذاب على اصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب
فيه الاسراع لما ثبت في الصحيح امره المار على ديار ثمود ونحوهم

بذلك

بذلك على غيره وهذه كانت عادته صلى الله عليه وسلم في المواضع التي نزل فيها
باس الله باعدائه وسمي محسرا لان الفيل حسر اي اعيي وانقطع عن الذهاب انتهى
ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى التي تخرج الى الجمرة الكبرى حتى اتى الجمرة
التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة رمى من بطن الوادي
وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه
وسلم يوم النحر ضحى كما قاله جابر في رواية مسلم والترمذي وابي داود والنسائي
وفي رواية ام الحصين عند ابي داود رايت اسامة وبلالا واحدهما اخذ بخطام ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة
العقبة وفي رواية النسائي ثم خطب فحمد الله واثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن
ام جندب رايته عليه الصلاة والسلام يرمي الجمرة من بطن الوادي وهو راكب
يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسالت عن الرجل فقالوا الفضل بن العباس
وازدحم الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس لا يقتل بعضكم بعضا
واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصا الخذف وفي هذا دليل على جواز استظلال
المحرم بالمحمل ونحوه وقد مر انه عليه الصلاة والسلام ضربت له قبة من شعر
بنمرة وفي رواية جابر عند مسلم وابي داود قال رايته صلى الله عليه وسلم
يرمي على راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عني مناسككم لا ادري لعلي
لا احج بعد حجتي هذه وفي رواية قدامة عند الترمذي رايته يرمي الجمار على ناقة له
صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر
فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم اعطى عليا فنحر ما غبر واشركه في هديه ثم امر
من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها
وفي رواية جابر عند مسلم نحر عليه الصلاة والسلام عن نسائه بقرة وقالت
عائشة نحر صلى الله عليه وسلم عن ال محمد في حجة الوداع بقرة واحدة رواه ابو
داود ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق ها واشار
بيده الى الجانب الايمن خذ واشار الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل
يعطيه الناس وفي رواية انه قال للحلاق ها واشار بيده الى الجانب الايمن
فقسم شعره بين من يليه ثم اشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلق واعطاه ام
سليم وفي اخرى فبدا بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم
قال بالايسر فصنع مثل ذلك ثم قال ها هنا ابو طلحة فدفعه اليه وفي اخرى
رمى جمرة العقبة ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده
عن راسه فحلق الشق الايمن فقسمه فيمن يليه ثم قال احلق الشق الاخر فقال اين
ابو طلحة فاعطاه اليه رواه الشيخان وعند الامام احمد استدعى الحلاق

اياه

فقال له وهو قايم علي راسه بالموسي ونظر في وجهه وقال يا معمر امكنك
رسول الله صلي الله عليه وسلم من شحمة اذنه وفي يدك الموسي قال فقلت له اما
والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعم الله علي ومنه قال اجل وقال البخاري وزعموا
ان الذي حلق للنبي صلي الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن فضلة بن عوف انتهي
وهو عند ابن خزيمة في صحيحه ان الذي حلقه صلي الله عليه وسلم معمر بن عبد الله
ابن فضلة وعند الامام احمد وقلم صلي الله عليه وسلم اظفاره وقسمها بين
الناس وعنده ايضا من حديث محمد بن زيد ان اباه حدثه انه شهد النبي صلي
الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم اضاحي فلم يصبه
شي ولا اصاحبه فحلق رسول الله صلي الله عليه وسلم راسه في ثوبه فاعطاه
فقسم منه علي رجال وقلم اظفاره فاعطاه الله صاحبه وكان يخضب
بالحنا والكتم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
اللهم اغفر للمحلقين قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين
قالوا يا رسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين رواه الشيخان وليس فيه
تعيين هل قاله صلي الله عليه وسلم في الحديبية او في حجة الوداع قالوا ولم يقع
في شي من طرقه التصريح بسماعه لذلك من النبي صلي الله عليه وسلم
ولو وقع لقطعنا بانه كان في حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية
وقد وقع تعيين الحديبية من حديث جابر عند ابي قرة في السنن ومن طريقه
الطبراني في الاوسط ومن حديث المسور بن مخرمة عند ابن اسحاق في المغازي
وورد تعيين حجة الوداع من حديث ابي مريم السلولي عند احمد وابن ابي
شيبة ومن حديث ام الحصين عند مسلم ومن حديث قارب بن الاسود
الثقفي عند احمد وابن ابي شيبة ومن حديث ام عمارة عند الحارث فالاحاديث
التي فيها تعيين حجة الوداع اكثر عددا واصح اسنادا قال النووي عقب [illegible]
احاديث ابن عمر وابي هريرة وام الحصين هذه الاحاديث تدل علي ان هذه
الواقعة كانت في حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كان في
الحديبية وجزم امام الحرمين في النهاية ان ذلك كان في الحديبية ثم قال
النووي ولا يبعد ان يكون وقع في الموضعين انتهي وكذا قال ابن دقيق العيد
انه الاقرب قال في فتح الباري بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك
في الموضعين لان السبب في الموضعين مختلف فالذي في الحديبية
كان بسبب توقف من توقف من الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من
الحزن لكونهم منعوا من الوصول الي البيت مع اقتدارهم في انفسهم
علي ذلك فخالفهم النبي صلي الله عليه وسلم وصالح قريشا علي ان يرجع
في العام المقبل

[illegible]

في العام المقبل فلما امرهم بالاحلال توقفوا واشارت ام سلمة ان يحل هو صلي الله
عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر الي الحلق
اسرع الي امتثال الامر ممن اقتصر علي التقصير وقد وقع التصريح بهذا السبب
في حديث ابن عباس فان اخره عند ابن ماجة وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال
المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لانهم لم يشكوا واما السبب في تكرير
الدعا للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن الاثير في النهاية كان اكثر من حج معه صلي
الله عليه وسلم لم يسق الهدي فلما امرهم ان يفسخوا الحج الي العمرة ثم يتحللوا
منها ويحلقوا روسهم شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في
انفسهم اخف من الحلق ففعله اكثرهم فرجح صلي الله عليه وسلم فعل من حلق
لكونه ابين في امتثال الامر انتهي قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه عليه
غير واحد لان المتمتع يستحب في حقه ان يقصر في العمرة ويحلق في الحج اذا كان
ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم كذلك والاولي ما قاله الخطابي
وغيره ان عادة العرب انها كانت تحب توفير الشعور والتزين بها وكان الحلق
فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زي الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق
واقتصروا علي التقصير انتهي وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وقف
رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجة الوداع بمني للناس يسالونه فجاءه رجل
فقال يا رسول الله لم اشعر فحلقت قبل ان انحر قال اذبح ولا حرج قال فما سيل عن شي
قدم ولا اخر الا قال افعل ولا حرج رواه مسلم وفي رواية حلقت قبل ان ارمي
وفي رواية وقف صلي الله عليه وسلم علي راحلته فطفق ناس يسالونه فيقول
القايل منهم يا رسول الله اني لم اكن اشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي
فقال صلي الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسال يوميذ عن
امر مما ينسي المرء او يجهل من تقديم بعض الامور قبل بعض واشباهها
الا قال صلي الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج وفي رواية انه عليه الصلاة
والسلام بينا هو قايم يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال ما كنت احسب
ان كذا وكذا او في رواية حلقت قبل ان انحر نحرت قبل ان ارمي واشباه ذلك
وفي رواية حلقت قبل ان اذبح ذبحت قبل ان ارمي ومن المعروف ان الترتيب
اولي وذلك ان وظايف يوم النحر اربعة اشياء رمي جمرة العقبة ثم نحر
الهدي او ذبحه ثم الحلق او التقصير ثم طواف الافاضة ثم السعي بعده وقد
تقدم انه صلي الله عليه وسلم رمي جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق وقد اجمع العلماء
علي مطلوبية هذا الترتيب واجمعوا ايضا علي جواز تقديم بعضها علي بعض الا
انهم اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور

ثم جاءه رجل اخر فقال يا رسول الله اني حلقت قبل ان ارمي فقال ارم ولا حرج

قبل كذا وكذا

السلف والعلما وقضيتها الحديث الجواز وعدم وجوب الدم في بعض المواضع
لقوله عليه الصلاة والسلام للسايل لاحرج فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية
معًا لان اسم الضيق يشملهما وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة
في تقديم بعض هذه الاشيا على بعض الا انه يحتمل ان يكون قوله لاحرج اي لا إثم في
ذلك الفعل وهو كذلك لمن كان ناسيا او جاهلا واما من تعمد المخالفة
فتجب عليه الفدية وتعقب بان وجوب الفدية يحتاج الى دليل ولو
كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة فلا يجوز
تاخيره وتمسك الامام احمد بقوله في الحديث لم اشعر وبما في رواية
يونس عند مسلم وصالح عند احمد فما سمعته يومئذ يسال عن امر
مما ينسى المرء او يجهل من تقدم بعض الامور قبل بعضها الا قال افعل ولا حرج
فانه ان كان ناسيا او جاهلا فلا شي عليه وان كان عالما قال ابن دقيق العيد ولعل
ما قاله احمد قوي من جهة ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله
خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة في تقديم ما وقع عنه تاخيره
قد قرنت بقول السايل لم اشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على اصل
وجوب الاتباع في الحج انتهى وعن ابي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم النحر قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والارض السنة اثنا عشر شهرًا منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان
وقال اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه
بغير اسمه قال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلدة قلنا بلى قال فاي يوم
هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس
يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة
يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا لا ترجعوا
بعدي كفارا ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم
اشهد فليبلغ الشاهد الغايب فرب مبلغ اوعى من سامع رواه الشيخان
وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من
حديث ابن عمر سبب ذلك ولفظه انزلت إذا جاء نصر الله والفتح على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق وعرف انه الوداع فامر براحلته
القصوى فرحلت له فركب ووقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال
يا ايها الناس فذكر الحديث وفيه دلالة مشروعية الخطبة يوم النحر بمنى

وبه اخذ الشافعي

صح الكم... مع الفاق... والحاقان كان روايه... والاكثر ... افعم...

ويه اخذ الشافعي ومن تبعه وخالف ذلك المالكية والحنفية قالوا خطب الحج
ثلاثة سابع ذي الحجة ويوم عرفة بها وثاني يوم النحر ثالثه لانه اول النفر وزاد
خطبة رابعة وهي يوم النحر قال وبالناس حاجة اليها ليعلموا اعمال ذلك اليوم من
الرمي والذبح والحلق والطواف وتعقبه الطحاوي بان الخطبة المذكورة
ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها شيا من امور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة
ولم ينقل احد انه علمهم فيها شيا من الذي يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد
لاجل الحج وقال ابن بطال انما فعل ذلك من اجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذي اجتمع
من اقاصي الدنيا فظن الذي راه انه خطب قال واما ما ذكره الشافعي ان بالناس حاجة
الى تعليمهم اسباب التحلل المذكور فليس بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم
اياها يوم عرفة انتهى واجيب بانه صلى الله عليه وسلم نبه في الخطبة
المذكورة على تعظيم يوم النحر وعلى تعظيم ذي الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد
جزم الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتاويل غيرهم وما ذكره
من امكان تعليم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه في كونه يرى مشروعية الخطبة
ثاني يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن ان يعلموا يوم التروية
جميع ما يوتى به من اعمال الحج لكن لما كان في كل يوم اعمال ليست في غيره شرع تجديد
التعليم بحسب تجدد الاسباب واما قول الطحاوي انه لم ينقل انه علمهم
شيا من اسباب التحلل فلا ينفي وقوع ذلك او شي منه في نفس الامر بل قد
ثبت في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص انه شهد النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب يوم النحر وذكر فيه السوال عن تقديم بعض المناسك على بعض فكيف
ساغ للطحاوي هذا النفي المطلق انتهى وقد روى ابو داود والنسايي
عن عبد الرحمن بن معاذ التيمي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن في منازلنا فطفق يعلمهم
مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع اصبعيه السبابتين ثم قال بحصا الخذف
ثم امر المهاجرين فنزلوا في مقدم المسجد وامر الانصار ان ينزلوا ورا المسجد
قال ثم نزل الناس بعد وفي رواية عن عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم الناس بمنى ونزلهم
منازلهم فقال لينزل المهاجرون هاهنا واشار الى ميمنة القبلة والانصار
هاهنا واشار الى ميسرة القبلة ثم قال لينزل الناس حولهم وعن ابي نجيح
عن ابيه عن رجلين من بني بكر قالا راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين
اوسط ايام التشريق ونحن عند راحلته وهي خطبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم التي خطب بمنى رواه ابو داود وعن رافع بن عمرو المزني قال رايت

بمنى ود افتقر الشافعي الا انه قال بدل ثاني النحر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة
شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قايم وقاعد رواه ابو داود ايضا وعن
ربيعة بن عبد الرحمن بن حصين قال حدثتني جدتي سرا بنت نبهان وكانت
ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الروس فقال
اي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال اليس وسط ايام التشريق وفي رواية انه
خطب وسط ايام التشريق رواه ابو داود ايضا ثم ركب صلى الله عليه
وسلم قبل الظهر فافاض الى البيت فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر
وفي البخاري ويذكر عن ابي حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يزور البيت ايام منى واتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبنو عبد
المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا ان يغلبكم الناس
على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه وفي رواية ابن عباس
فشرب وهو قايم وفي رواية فحلف عكرمة ما كان يوميذ الا على بعير لكن لم
يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم واختلف
اين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يوميذ ففي رواية جابر عند مسلم انه عليه
الصلاة والسلام صلى بمكة وكذلك قالت عايشة وفي حديث ابن عمر في الصحيحين
انه صلى الله عليه وسلم افاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم
في كتاب حجة الوداع له قول عايشة وجابر وتبعهم على ذلك جماعة لانهما اثنان
وهما اولى من الواحد ولان عايشة اخص الناس به ولهما من القرب والاختصاص
ما ليس لغيرها ولان سياق جابر لحجة صلى الله عليه وسلم من اولها الى اخرها
اتم سياق واحفظ للقصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى امرا لا يتعلق
بالمناسك وهو نزوله صلى الله عليه وسلم في الطريق فبال عند الشعب وتوضا
وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا القدر فهو لضبط مكان صلاته الظهر يوم النحر
اولى وايضا فان حجة الوداع كانت في اذار وهو تساوي الليل والنهار
وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس الى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه
وقسمها وطبخ له من لحمها واكل منه ورمى الجمرة وحلق راسه وتطيب ثم افاض وطاف
وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه اعمال يظهر منها
انها لا تنقضي في مقدار يمكن الرجوع الى منى بحيث يدرك الظهر في فصل
اذار ورجحت طايفة اخرى قول ابن عمر لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه
وسلم انه صلى الفرض بمكة بل انما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه
وبان حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من افراد مسلم فحديث ابن عمر اصح
منه فان رواته احفظ واشهر وبان حديث عايشة قد اضطرب في وقت

طوافه

طوافه فروي عنها انه طاف نهارا وفي رواية عنها انه اخر الطواف الى الليل
وفي رواية عنها انه افاض من اخر يومه فلم تضبط فيه وقت الافاضة ولا مكان
الصلاة وايضا فان حديث ابن عمر اصح منه بلا نزاع لان حديث عايشة من
رواية محمد بن اسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن اسحاق مختلف في الاحتجاج
به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى
ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فمكث بها ليالي ايام التشريق يرمي الجمرة
اذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الاولى
والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا يقف عندها ابو داود من
حديث عايشة وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم اذا
رمى الجمار مشى اليها ذاهبا وراجعا وفي رواية ابي داود وكان يستقبل
القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي
الحديث واستاذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب ان يبيت
بمكة ليالي منى من اجل السقاية فاذن له رواه البخاري من حديث ابن
عمر وفي رواية الاسماعيلي رخص للعباس ان يبيت بمكة ليالي منى من
اجل سقايته وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وانه من مناسك الحج لان
التعبير بالرخصة يقتضي ان مقابلها العزيمة وان الاذن وقع للعلة المذكورة
واذا لم توجد او ما في معناها لم يحصل الاذن وبالوجوب قال الجمهور
وفي قول للشافعي وهو رواية عن احمد وهو مذهب الحنفية انه سنة ووجوب
الدم بتركه مبني على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت الا بمعظم الليل وهل يختص
الاذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة في ذلك اعداد الماء للشاربين
وجزم الشافعي بالحاق من له مال يخاف ضياعه او امر يخاف فوته او مريض يتعهده
باهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول احمد قالوا ومن
ترك المبيت بغير عذر وجب عليه عن كل ليلة ثم افاض صلى الله عليه وسلم بعد
ظهر يوم الثلاثاء بعد ان اكمل ايام التشريق ولم يتعجل في يومين الى المحصب
وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بني كنانة فوجد ابا رافع
قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله قال ابو رافع لم يامرني صلى الله عليه
وسلم ان انزل الابطح حين خرج من منى ولكني جيت فضربت فيه قبته فجاء فنزل
فيه رواه مسلم وفيه وفي البخاري عن انس انه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر
والعصر يوم النفر بالابطح وفيهما من حديث ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا
على الكفر يعني بذلك المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم

وبني المطلب ان لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى
الله عليه وسلم وعن ابن عباس ليس التحصيب بشي انما هو منزل نزله
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ليس التحصيب من امر المناسك الذي يلزم
فعله لكن لما نزل صلى الله عليه وسلم به كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره
على ذلك وقد فعله الخلفاء بعده كما في مسلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب
الى البيت فطاف به رواه البخاري وهذا هو طواف الوداع ومذهب الشافعي
انه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول اكثر العلماء وقال مالك وداود
هو سنة لا شي بتركه واختلف في المراة اذا حاضت بعد ما طافت طواف
الافاضة هل عليها طواف الوداع ام لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر
اذا حاضت وكان ابن عمر يقول في اول امره انها لا تنفر ثم قال في اخر امره ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان وعن عايشة رضي
الله تعالى عنها ان صفية بنت حيي حاضت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال احابستنا هي اي امانعتنا من التوجه من مكة في الوقت الذي
اردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة
وانما قال ذلك لانه كان لا يتركها ويتوجه ولا يامرها بالتوجه معه وهي
باقية على احرامها فيحتاج الى ان يقيم حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثاني وفي
رواية فحاضت صفية فاراد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من
اهله فقلت يا رسول الله انها حايض قال احابستنا هي الحديث وهذا مشكل
لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم انها طافت طواف الافاضة فكيف يقول
احابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وقاعها قبل التحلل الثاني ويجاب
عنه بانه صلى الله عليه وسلم ما اراد ذلك منها الا بعد ان استاذنه نساؤه
في طواف الافاضة فاذن لهن فكان بانيا على انها قد حلت فلما قيل له انها حايض
جوز ان يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم عن
ذلك فاعلمته عايشة انها طافت معهن فزال عنه ما خشيه من ذلك انتهى
وقالت عايشة يا رسول الله تنطلقون بحج وعمرة وانطلق بحج فامر
عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه
الشيخان وفي رواية لمسلم انها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت
طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا فقالت يا رسول الله اني اجد في
نفسي اني لم اطف بالبيت حتى حججت قال فاذهب بها يا عبد الرحمن فاعمرها
من التنعيم

قالوا انها قد افاضت قال فلا اذا ... فقالوا ...

٢١٦

من التنعيم وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا
سهلا اذا هويت شيا تابعها عليه وقد كانت عايشة قارنة لانها كانت قد اهلت
بالعمرة فحاضت فامرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة واخبرها ان طوافها
بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها ان يرجع
صواحباتها بحج وعمرة مستقلتين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن
وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها فامر اخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا
لقلبها ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فخرج من كدا
بضم الكاف مقصورا وهو عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من
ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لاجله خالف صلى الله عليه وسلم بين
طريقيه فقيل ليتبرك به كل من في طريقيه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة
لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه الاشارة الى فراقه
وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دخل مكة دخل منها وقيل غير ذلك وفي
صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحا فقال
من القوم فقالوا المسلمون يا رسول الله فرفعت امراة صبيا لها من محفة
فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم
لذي الحليفة بات بها قال بعضهم ان نزوله لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا حكاه
القاضي اسماعيل في احكامه عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح انه كان قصدا لئلا
يدخل المدينة ليلا ولما راى المدينة كبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك
له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير ايبون تايبون عابدون ساجدون
لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دخل الى
المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الرا المشددة وبالمهملتين وهو مكان
معروف وكل من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه
الى مكة على ستة اميال من المدينة انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله اعلم
واما عمره صلى الله عليه وسلم فالعمرة في اللغة الزيارة ومذهب الشافعي
واحمد وغيرهما انها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية انها تطوع وهو قول
الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم اربع عمر ففي الصحيحين وسنن الترمذي
وابي داود عن قتادة قال سالت انسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حج
حجة واحدة واعتمر اربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة
مع حجته وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة حنين وهذا لفظ رواية الترمذي وقال
حسن صحيح وفي رواية الصحيحين اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة الا التي مع حجته
عمرة الحديبية او زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة

وعمرة من الجعرانة ... في ذي القعدة

وعمرة في حجته وعن محرش الكعبي انه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فاصبح بالجعرانة كبايت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن سرف حتى جامع الطريق طريق جمع ببطن سرف فمن اجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي وقال الحديث غريب وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يحج رواه ابو داود وعن عروة بن الزبير قال كنت انا وابن عمر مستندين الى حجرة عايشة وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن قال فقلت يا ابا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعايشة اي امتاه الا تسمعين ما يقول ابو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة الا وانه لمعه وابن عمر يسمع ما قال لا ولا نعم سكت وفي رواية ابي داود عن عروة عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال وفي رواية له عن مجاهد قال سيل ابن عمر كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مرتين فبلغ عايشة فقالت لقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع وقد ذكرنا الاختلاف فيما كان عليه الصلاة والسلام محرما به في حجة الوداع والجمع فيما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عايشة انه عليه الصلاة والسلام كان مفردا وحديثها هذا يشعر بانه كان قارنا وكذا ابن عمر قد انكر على انس لكونه قال انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا مع ان حديثه هذا المتقدم يدل على انه كان قارنا لانه لم ينقل انه عليه الصلاة والسلام اعتمر بعد حجته ولم يكن متمتعا لانه عليه الصلاة والسلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدي واحتاج بعضهم الى تاويل ما وقع عن عايشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة اليه صلى الله عليه وسلم باعتبار انه امر الناس بها وعملت بحضرته لا انه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وانت اذا تاملت ما تقدم من اقوال الايمة في حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التاويل المتعسف قال بعض العلما المحققين وفي عدهم عمرة الحديبية التي صد عنها صلى الله عليه وسلم ما يدل على انها عمرة تامة وفيه اشارة الى صحة قول الجمهور انه لا يجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضا لان النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا انها وقعت قضاء عن العمرة التي صد عنها اذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة واما حديث ابي داود عن عايشة انه اعتمر في شوال فان كان محفوظا

فلعله يريد عمرة الجعرانة

٢١٧

فلعله يريد الجعرانة حين خرج في شوال ولكن انما احرم في القعدة وانكر ابن القيم ان يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان نعم قد اخرج الدارقطني من طريق العلا ابن زهير عن عبد الرحمن ابن الاسود بن يزيد عن ابيه عن عايشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فافطر وصمت وقصر واتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على ان قولها في رمضان متعلق بقولها خرجت ويكون المراد سفر فتح مكة فانه كان في رمضان واعتمر عليه الصلاة والسلام في تلك السنة من الجعرانة لكن في ذي القعدة كما تقدم واما قول ابن القيم في الهدي ايضا ولم يكن في عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة وقد اقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه احد انه اعتمر خارجا من مكة في تلك المدة اصلا فالعمرة التي فعلها وشرعها هي عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل على عهده احد قط الا عايشة وحدها انتهى فيقال عليه بعد ان فعلته عايشة بامره فقد دل على شرعيته وروى الفاكهاني وغيره من طريق محمد ابن سيرين قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطا قال من اراد العمرة ممن هو من اهل مكة او غيرها فليخرج الى التنعيم او الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره في ذلك سوا

النوع التاسع من عباداته عليه الصلاة والسلام في نبذة من ادعيته وذكره وقراءته اختلف اهل الدعا افضل ام تركه والاستسلام للقضا افضل فقال الجمهور الدعا افضل وهو من اعظم العبادة ويؤيده ما اخرجه الترمذي من حديث انس رفعه الدعا مخ العبادة وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب في الدعا والحث عليه واخرج الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اني لا احمل هم الاجابة ولكن هم الدعا فاذا الهمت الدعا علمت ان الاجابة معه وفي هذا يقول القايل

لو لم ترد نيل ما ارجو واملـه ∴ من جود كفك ما عودتني الطلبا

فالله سبحانه يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم اياه وطلبهم حوايجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا اتشكو اليه ∴ ما ليس يخفى عليه ∴ فقلت ربي يرضى ∴ ذل العبيد لديه

وقالت طايفة الافضل ترك الدعا والاستسلام للقضا واجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم بان اخرها دل على ان المراد بالدعا هو العبادة وقال الشيخ تقي الدين السبكي الاولى حمل الدعا في الاية على ظاهره واما قوله بعد ذلك عن عبادتي فوجه الربط ان الدعا اخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعا وعلى هذا فالوعيد انما هو في حق من ترك الدعا استكبارا ومن فعل

ذلك كفر واما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى ان
ملازمة الدعا والاستكثار ارجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه وقال القشيري
في الرسالة اختلف اي الامرين اولى الدعا او السكوت والرضا فقيل الدعا وهو الذي ينبغي ترجيحه
لكثرة الادلة ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار وقيل السكوت والرضى اولى لما في التسليم من
الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعي لا يعرف ما قدر له فدعاوه ان كان على وفق القدرة فهو
تحصيل الحاصل وان كان على خلافه فهو معاند واجيب بانه اذا اعتقد انه لا يقع الا ما قدره الله
تعالى كان دعاوه لا معاندة وفايدة الدعا تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال ان يكون
المدعو به موقوفا على الدعا لان الله تعالى خلق الاسباب ومسبباتها انتهى وقد
ارشد صلى الله عليه وسلم امته لكيفية الدعا فقال اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا
عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا رواه الترمذي من حديث
فضالة ابن عبيد وقال عليه الصلاة والسلام في رجل يدعوا اوجب ان ختم بامين
رواه ~~الترمذي~~ ابو داود وقال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت
ولكن ليعزم على المسيلة فان الله لا مكره له رواه البخاري وغيره ومعنا الامر بالعزم الجد
فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى وان كان مامورا في جميع
ما يريد فعله ان يعلقه بمشية الله تعالى وقيل معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة
فانه يدعوا كريما وقد قال ابن عيينة لا يمنعن احدكم الدعا ما يعلم من نفسه يعني من
التقصير فان الله تعالى قد اجاب دعا شر خلقه وهو ابليس حين قال انظرني الى يوم
يبعثون وقال عليه الصلاة والسلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي
رواه الشيخان وغيرهما وكان عليه الصلاة والسلام يستحب الجوامع من الدعا ويدع ما سوى
ذلك رواه ابو داود من حديث عايشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد
الصحيحة او تجمع الثنا على الله تعالى واداب المسيلة وكان صلى الله عليه وسلم يقول
في دعايه اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة امري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح
لي اخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من
كل شر رواه مسلم من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلمني
ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال واعوذ بالله من حال اهل النار رواه
الترمذي من حديث ابي هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما
الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري رواه الترمذي من حديث ابي
ابي هريرة ايضا وكان اكثر دعايه ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار رواه الشيخان من حديث انس وكان يقول رب اعني ولا تعن علي
وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني وانصرني على من بغى علي رب
اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا مطواعا لك مخبتا اليك اواها منيبا رب تقبل

توبتي

توبتي واغسل حوبتي واجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي
واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت
وعليك توكلت واليك انبت وبك خاصمت اللهم اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني
انت الحي الذي لا تموت والجن والانس يموتون رواه الشيخان عن ابن عباس وكان
يقول اللهم اني اسالك التقى والهدى والعفاف والغنا رواه مسلم والترمذي من حديث
ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لي خطيبتي وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم
به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطاي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي
ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت
الموخر وانت على كل شي قدير رواه الشيخان من حديث ابي موسى وكان اكثر دعايه
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي من حديث ام سلمة وكان يقول
اللهم عافني في جسدي وعافني في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني لا اله الا الله
الحليم الكريم سبحان الله رب العرش الكريم والحمد لله رب العالمين رواه الترمذي
وكان يقول اللهم اغسل خطاياي بما الثلج والبرد ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب
الابيض من الدنس رواه النسايي وكان يقول اللهم اني اسالك فعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين واذا اردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون رواه في الموطا
وكان يدعوا اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض
عني الدين واغنني من الفقر وامتعني بسمعي وبصري وقوتي وتوفني في سبيلك
رواه في الموطا وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم اني اعوذ بك من العجز
والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا
والممات رواه الشيخان من حديث انس وفي رواية ابي داود اللهم اني اعوذ بك
من الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال وكان يقول اللهم اني اعوذ بك
من الجذام والبرص والجنون ومن سيي الاسقام رواه ابو داود والنسايي من حديث
انس وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم اعلم رواه مسلم
من حديث عايشة وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعا
لا يسمع ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع اعوذ بك من هولا الاربع رواه
الترمذي والنسايي من حديث ابن عمرو بن العاص وكان يقول اللهم اني اعوذ بك
من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاة نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وابو
داود من حديث ابن عمرو ابن العاص ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الفقر
والقلة والذلة واعوذ بك من ان اظلم او اظلم رواه ابو داود من حديث ابي هريرة
ايضا وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بيس الضجيع واعوذ بك من الخيانة

وكان يقول اللهم اني اعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق رواه ابو داود من حديث ابي هريرة

ابو داود والنسائي

فانها بيست البطانة رواه الشيخان من حديث ابي هريرة ايضا وكان يقول اللهم اني
اعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعدا رواه النساي وكان
يقول اللهم اني اعوذ بك من الهدم والهرم واعوذ بك من التردي ومن الغرق والحرق
والهرم واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت واعوذ بك ان اموت في سبيلك مدبرا
واعوذ بك ان اموت لديغا رواه ابو داود والنساي من حديث ابي اليسر وكان يتعوذ
من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سوى ذلك رواه النساي
وكان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم
رواه ابو داود وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول ان اباكما كان يعوذ بها
اسماعيل واسحاق اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ومن كل عين
لامه رواه البخاري والترمذي وقد استشكل صدور هذه الادعية ونحوها
منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ووجوب عصمته واجيب بانه امتثل ما امره الله به من تسبيحه وسواله المغفرة
في قوله تعالى اذا جا نصر الله والفتح ويحتمل ان يكون قاله على سبيل التواضع ∴
والاستكانة والخضوع والشكر له تعالى لما علم انه قد غفر له ويحتمل ان يكون سواله
ذلك لامته وللتشريع والله اعلم وكان عليه الصلاة والسلام عند الكرب وهو
ما يدهم الانسان مما ياخذ بنفسه ويحزنه ويغمه يدعو لا اله الا الله العظيم
الحليم لا اله الا الله رب السموات والارض رب العرش العظيم لا اله الا الله رب
السموات والارض وما بينهما ورب العرش العظيم رواه البخاري وفي رواية
لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات
والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبي صدر هذا الثنا بذكر الرب ليناسب
كشف الكرب لانه مقتضي التربية ومنه التهليل المشتمل على التوحيد وهو
اصل التنزيهات الجلالية والعظمة التي تدل على تمام القدرة والحلم الذي يدل
على العلم اذ الجاهل لا يتصور منه حلم ولا كرم وهما اصل الاوصاف الاكرامية
انتهى وكان عليه الصلاة والسلام اذا اهمه امر رفع راسه الى السما وقال
سبحان الله العظيم رواه الترمذي من حديث ابي هريرة فان قلت هذا ذكر
ليس فيه دعا فالجواب ان التعرض للطلب تارة يكون بذكر اوصاف المسئول
وحدانيته والثنا عليه قال امية ابن ابي الصلت في مدح عبد الله ابن جدعان اأذكر
حاجتي ام قد كفاني ∴ حياوك ان شيمتك الحياة ∴ اذا اثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضك الثناء ∴ قال سفيان الثوري فهذا مخلوق حين نسب الى
الكرم اكتفى بالثنا فكيف بالخالق وكان عليه الصلاة والسلام اذا كربه امر قال

يا حي يا قيوم

يا حي يا قيوم برحمتك استغيث رواه ابو داود من حديث انس وقال عليه
الصلاة والسلام ما كربني امر الا تمثل لي اخي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي
لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن ابي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد
لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم راد الضالة وهادي الضلالة انت
تهدي من الضلالة اردد علي ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطايك وفضلك
رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا
بباطن كفيه وظاهرهما رواه البخاري وابو داود عن انس وقال ابو موسى الاشعري
كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رايت بياض ابطيه
وعنده ايضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اني ابرا اليك
مما صنع خالد لكن في حديث انس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شي من دعايه
الا في الاستسقا وهو حديث صحيح ويجمع بينه وبين ما تقدم بان الرفع في الاستسقا
يخالف غيره اما بالمبالغة الى ان تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعا الى حذو
المنكبين ولا يعكر على ذلك انه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض ابطيه بل يجمع بان يكون
روية البياض في الاستسقا ابلغ منها في غيره واما ان الكفين في الاستسقا يليان الارض
وفي الدعا يليان السما قال الحافظ عبد العظيم المنذري وبتقدير تعذر الجمع فجانب
الاثبات ارجح انتهى فروى الامام احمد والحاكم وابو داود انه
صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه وبطنهما
وهذا يقتضي ان يكونا متفرقتين مبسوطتين لا كهيية الاغتراف قال الحافظ ابن حجر
غالب الاحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعا انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعا
وروى ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي
وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما وجهه اما في القنوت في الصلاة
فالاصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا احفظ فيه عن احد من السلف شيا وان روي
عن بعضهم في الدعا خارج الصلاة وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم في الدعا خارجها فاما فيها فعمل لا يثبت فيه خبر ولا اثر ولا قياس
والاولى ان لا يفعله وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم اكثر ماله
وولده وبارك له فيما اعطيته رواه البخاري وفي الادب المفرد له عن انس قال قالت
ام سليم وهي ام انس خويدمك الا تدعو له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل حياته
واغفر له وفي الصحيح ان انسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة احدى
وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله ماية وثلاث سنين قاله خليفة وهو المعتمد
واكثر ما قيل في سنه انه بلغ ماية سنة وسبع سنين واقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين

سنة واما التي ولم فروي سلم فقال اني فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي
ليعادون على نحو المائة **وروي** في حديث رواه الشيخان ان انسا قال اخبرتني
امينة اي بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون انه دفن من صلبي
الى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة
ثلاث ما ماتوا حتى راى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه ابو بكرة وخليفة بن وزاد
غيره رابعا وهو المهلب ابن ابي صفرة **واخرج** ابن سعد عن انس قال دعا لي النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مائة
واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وارجو الرابعة
واخرج الترمذي عن ابي العالية في ذكر انس وكان له بستان ياتي في كل سنة الفاكهة
مرتين وكان فيه ريحان يفوح منه ريح المسك ورجاله ثقات ودعا عليه الصلاة والسلام
لمالك ابي ربيعة السلولي ان يبارك له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر
وارسل عليه الصلاة والسلام الى علي يوم خيبر وكان ارمد فتفل في عينيه
وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد فما وجد حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي
وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن قاضيا فقال يا رسول الله لا علم لي بالقضاء
فقال ادن مني فدنا منه فضرب بيده على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال
علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين رواه ابو داود وغيره ودعا صلى الله عليه وسلم
على علي من مرض فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال علي فما عاد لي ذلك الوجع بعد
رواه الحاكم وصححه والبيهقي وابو نعيم ومرض ابو طالب فعاده النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابن اخي ادع ربك الذي تعبد ان يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام
ابو طالب كانما نشط من عقال قال يا ابن اخي ان ربك الذي تعبد ليطيعك قال وانت
يا عماه لئن اطعت الله ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وابو نعيم من حديث انس
وتفرد به الهيثم وهو ضعيف **ودعا** عليه الصلاة والسلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين
اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التاويل رواه البغوي وابن سعد وفي رواية البخاري اللهم
علمه الكتاب وكان عالما بكتاب حبر الامة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرآن وكونه في الدرجة
العليا والمحل الاقصى لا يخفى وقال للنابغة الجعدي لما قال

ولا خير في حلم اذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في علم اذا لم يكن له ... حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

لا يفضض الله فاك اي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك
فحذف المضاف قال فاتى عليه اكثر من مائة سنة وكان من احسن الناس ثغرا رواه البيهقي
وقال فيه فلقد رايته ولقد اتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن وفي رواية
ابن ابي اسامة وكان من احسن الناس ثغرا واذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعند ابن

السكن

السكن فرايت اسنان النابغة ابيض من البرد لدعوته صلى الله عليه وسلم وسقاه عليه
الصلاة والسلام عمرو بن اخطب ماء في قدح قوارير فراى فيه شعرة بيضاء فحولها واخرج
البيهقي عن انس ان يهوديا اخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم جمله فاسودت
لحيته بعدما كانت بيضاء وقال عبد الرزاق انا معمر عن قتادة قال حلب يهودي
الى النبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره حتى صار اشد سوادا من
كذا وكذا قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر انه عاش تسعين سنة لم يشب اخرجه
ابن ابي شيبة وابو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال
عليه الصلاة والسلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه الصلاة والسلام اللهم متعه بشبابه
فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء رواه ابو نعيم وغيره **وجاءته** فاطمة
وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدرها
ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران ابن الحصين فنظرت
اليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره
يعقوب ابن سليمان الاسفرايني في دلائل الاعجاز **ودعا** عليه الصلاة والسلام لعروة
ابن جعد البارقي اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت قط شيئا الا ربحت فيه
وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا
قال فما وقعت عن فرس بعد **وقال** لسعد ابن ابي وقاص اللهم اجب دعوته فكان
مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني في الاوسط **ودعا** لعبد الرحمن ابن عوف
بالبركة رواه الشيخان عن انس زاد البيهقي من وجه اخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا
لرجوت ان اصيب تحته ذهبا او فضة الحديث **قال** القاضي عياض وقد فتح الله
عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة
ثمانين الفا وكن اربعا وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرض
موته على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه
العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل
من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها **وذكر** الطبري مما عزاه
للصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار
ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة في سبيل الله
وكان عامة ماله من التجارة **ودعا** على مضر فقحطوا حتى اكلوا العلهز وهو الدم
بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلا عليه الصلاة والسلام والنجم اذا هوى
قال عتيبة ابن ابي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج
عتيبة مع اصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زار الاسد فجعلت فرائصه
ترعد فقيل له من اي شيء ترعد فوالله ما نحن وانت الا سواء فقال ان محمدا

فاخذها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم جمله فما رئي بعد لتسعين سنة وعاش نحو تسعين سنة شعرة بيضاء ورواه الامام احمد من طريق ابي نهيك قال ابو نهيك فرايته ابن اربع وتسعين سنة وليس في راسه ولحيته شعرة بيضاء وصححه ابن حبان والحاكم

دعا عليّ ولا والله ما اظلت هذه السما من ذي لهجة اصدق من محمد ثم وضعوا العشا فجلس بينهم
فلم يدخل يده حتى جا القوم فاحاطوا به واحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا
فجا الاسد يستنشق روسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فتضعضع متنفخة وهو يقول اليهم
اقل لكم ان محمدا اصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم ذكر طول اولاده
عليه الصلاة والسلام قصة بنحو هذه وعن مازن الطايي وكان بارض عمان قلت
يا رسول الله اني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر والنسا والحت علينا السنون فاذهبن الاموال
واهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما اجد ويأتيني بالحيا
ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ابدله بالطرب قراة القران وبالحرام الحلال
واته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت اجد واخصبت عمان
وتزوجت اربع حراير ووهب الله لي حيان ابن مازن رواه البيهقي ولما نزل عليه
الصلاة والسلام بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه وسلم
قطع صلاتنا قطع الله اثره فاقعد رواه ابو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف
واكل عنده رجل بشماله فقال كل بيمينك قال لا استطيع قال لا استطعت فما رفعها
الى فيه بعد والرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن عير بفتح المهملة وسكون
المثناة التحتية وطلب معاوية فقيل له انه ياكل فقال في الثانية لا اشبع الله بطنه
ابدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية
ما يليني منك قال بطني قال اللهم املاه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال
لابن ثروان اللهم اطل شقاه وبقاه فادرك شيخا كبيرا يتمنى الموت وكم له صلى الله
عليه وسلم من دعوات مستجابات وقد افرد القاضي عياض بابا في الشفا ذكر فيه طرفا منها
وكذا الامام يوسف ابن يعقوب الاسفرايني في كتابه دلايل الاعجاز وكم اجابه الله تعالى
الى مسوله واجناه من شجرة دعايه ثمرة سوله واما حديث ابي هريرة عند البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبي
دعوتي شفاعة لامتي في الاخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرناه وبما وقع لنبينا ولكثير
من الانبيا صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مستجابة
فقط واجيب بان المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعواتهم
فهو على رجا الاجابة في الدعوة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة اي افضل دعواتهم
ولهم دعوات اخرى وقيل لكل نبي منهم دعوة عامة مستجابة في امته اما باهلاكهم
واما بنجاتهم واما الدعوات الخاصة فمنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل
منهم دعوة تخصه لدنياه او لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي واما قول الكرماني في شرحه على البخاري فان قلت هل

جاز الا

جاز الا يستجاب دعا النبي صلى الله عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة واجابة
الباقي في مشيية الله تعالى فقال العيني هذا السوال لا يعجبني فان فيه بشاعة وانا
لا اشك ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة وقوله لكل نبي دعوة
مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بمحصور انتهى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم
دعا بشي فلم يستجب له وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
على ساير الانبيا حيث اثر امته على نفسه واهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها
دعا عليهم بالهلاك كما وقع لغيره صلوات الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي
انه عليه الصلاة والسلام اخر الدعا والشفاعة ليوم القيامة فذلك اليوم يدعوا
ويشفع ويحتمل ان يكون الموخر ليوم القيامة ثمرة على تلك الدعوة ونفعها
واما طلبها فحصل النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وقد امر الله النبي
صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله
فانه ليس امرا بتحصيل ذلك العلم لانه عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم
فتعين ان يكون للترقي في مراتبه ومقاماته اشارة الى ان العلم به تعالى والسير
اليه لا نهاية له ابدا لجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في العالم منتظم
في سلك تحقيقها ومستمر من افنان طوايفها ولذا التي نعلمها له صلى الله عليه وسلم
في الاية فالشان كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله وقد قال تعالى له
عليه الصلاة والسلام واذكر اسم ربك واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
لانه لا بد في اول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة
الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله
واذكر ربك وفي استيفا مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدم جملة
من اذكاره عليه الصلاة والسلام مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك
وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة اكثر من
سبعين مرة كما رواه عنه ابو هريرة عند البخاري وظاهره انه يطلب
المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل ان يكون المراد انه صلى الله عليه وسلم يقول
هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما اخرجه النساي بسند جيد من طريق مجاهد
عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله
الا هو الحي القيوم واتوب اليه في المجلس قبل ان يقوم ماية مرة وله من رواية
محمد ابن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور
ماية مرة ويحتمل ان يكون مراده بقوله في حديث ابي هريرة اكثر من سبعين مرة
المبالغة ويحتمل ان يريد العدد بعينه ولفظ اكثر مبهم فيمكن ان يفسر بحديث

ومنفعتها في الدنيا حاصلة

وقد وقع في طريق اخرى ... عن ابي هريرة ... رواية

ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة لكن خالف اصحاب الزهري في ذلك نعم اخرج النسائي ايضا من رواية محمد بن
عمرو عن ابي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله واتوب اليه في كل يوم مائة مرة واخرج النسائي
من طريق عطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال
يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه الصلاة
والسلام تشريع لامته او من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك
ذلك فان قلت ما كيفية استغفاره عليه الصلاة والسلام فالجواب انه ورد في حديث
شداد ابن اوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار ان يقول اللهم انت ربي لا اله
الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر
ما صنعت وابوء لك بنعمتك علي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها
من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسي فهو من اهل الجنة فتعين ان هذه
الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل واما قراءته عليه
الصلاة والسلام وصفتها فكان يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم
رواه البخاري عن انس ونعتتها ام سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه ابو داود
والنسائي والترمذي وقالت كان عليه الصلاة والسلام يقطع قراءته يقول
الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف رواه الترمذي وقالت
حفصة كان يرتل السورة حتى تكون اطول من اطول منها رواه مسلم وقال
البراء كان يقرا في العشاء والتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا او قراءة
منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته عليه الصلاة والسلام
ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته اية اية وكان
يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها احيانا كما رجع يوم الفتح
في قراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله ابن مغفل ترجيعه ثلاث مرات
ذكره البخاري واذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القران باصواتكم وقوله
ليس منا من لم يتغن بالقران وقوله ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت
يتغنى بالقران اي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقران اي يتلوه يجهر
به يقال منه اذن ياذن اذنا بالتحريك علمت ان هذا الترجيع منه عليه الصلاة
والسلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل الناقة لما
كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا ليتاسى
به وهو يرى هذا من هز الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع في قراءته
فينسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن فعله فعلا يسمى ترجيعا
وقد استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراءة ابي موسى الاشعري فلما اخبره بذلك

قال لو

قال لو كنت اعلم انك تسمعه لحبرته تحبيرا اي حسنته وزينته بصوتي تزيينا وهذا
الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القران باصواتكم من باب المقلوب اي زينوا اصواتكم
بالقران فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير ويؤيد ذلك تاييدا لا شبهة فيه
حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء حلية وحلية
٢٢٢ القران الصوت والله اعلم وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة اختلافا كثيرا
يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك ان يقال ان التطريب والتغني على وجهين احدهما
ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم بل اذا خلي وذلك
وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فهذا جائز وان
اعانته طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال ابو موسى للنبي صلى الله عليه
وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق
لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه
وتستملحه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف
لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه وهو التغني المحمود وهو
الذي يتاثر به التالي والسامع والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع
ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما يتعلم اصوات
الغناء بانواع الالحان البسيطة والمركبة على ايقاعات مخصوصة واوزان
مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها
وانكروا القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من
غيره وكل من له علم باحوال السلف يعلم قطعا انهم براء من القراءة بالحان
الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم
اتقى لله من ان يقرؤوا بها ويسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقرؤون بالتحزين
والتطريب ويحسنون اصواتهم بالقران ويقرؤونه بشجى تارة وهذا امر في الطباع
ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل ارشد اليه وندب اليه صلى
الله عليه وسلم واخبر عن استماع الله لمن قرا به وقال ليس منا من لم
يتغن بالقران وليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو
كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله ... ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وروى ابن ابي شيبة عن عقبة ابن عامر مرفوعا تعلموا القران وتغنوا
به واكتبوه الحديث والله اعلم فلا يعرف مع انه صلى الله عليه وسلم سمع ابا موسى
الاشعري يقرا فقال لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير ال داود يعني من مزامير
داود نفسه كما ذكره اهل المعاني وفي طريق اخرى كما تقدم ان ابا موسى قال يا رسول

والجمهور يعني والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغناء الذي هو حسن الصوت

الله لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن كثير وهذا يدل على انه كان يستطيع
ان يتلوا احسن من المزامير عند المبالغة في التحبير لانه قد تلى مثلها وما بلغ الحد فكيف لو بلغ
حد استطاعته قال وكان داود عليه الصلاة والسلام اذا اراد ان يتكلم على بني اسرائيل
يجوع سبعة ايام لا ياكل ولا يشرب ولا ياتي النسا ثم يامر سليمان فينادي في الفواحي
والنواحي والاكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم يخرج له منبرا الى
الصحرا فيجلس عليه وسليمان قايم على راسه فتاتي الانس والجن والطير والوحش
والهوام والعذارى والمخدرات يستمعون الذكر فياخذ في الثناء على الله بما هو اهله
فتموت طايفة من المستمعين ثم ياخذ في النياحة على المذنبين فتموت طايفة
فاذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله لقد استحر الموت بالناس
وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل على سرير الى بيته
وينادي منادي سليمان يمن كان له مع داود حميم او قريب فليخرج لا يتفاقمه فكانت ايضاً
المراة تاتي بالسرير فتقف على زوجها او ابنها او اخيها فتدخل به المدينة فاذا
افاق داود في اليوم الثاني قال يا سليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له
سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع يده داود على راسه وينوح ويقول
يا رب داود اغضبان انت على داود حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك وشوقا
اليك فلا يزال ذلك دابه الى المجلس الاخر واقام داود عليه السلام على ذلك
ما شاء الله تعالى ولا يخلو بما ذكرته من حال بني اسرائيل انهم في ذلك اعلا من جميع
الامة واما المزامير فحسبك ما ذكر من حال ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
واما الموت من الموعظة شوقا او خوفا فلنا فيه طريقان احدهما ان نقول ان
القوة التي اوتيتها هذه الامة بمقام الاحوال الواردة عليها فتماسك الحياة ولا
نعني القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتاييدات الالهية فلفرط قوة
هذه الامة ان شاء الله تعالى تقارب عند سلفها الصالح بين حال سماع الموعظة
وحال عدم سماعها لتوالي الذكر واطوار اليقين وقد قال بعضهم
لو كشف الغطا ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال
هو الذي فرق بينهم وبين من قبلهم الا ترى ان داود وسليمان عليهم الصلاة
والسلام وهما اصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وذلك
من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة الربانية التي امدهما بها ولا
خلاف بان داود عليه الصلاة والسلام وان لم يمت من الذكر افضل من مات من
امته واما نواحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيد شوقا
الا من التقصير على احاد امته بل لارتفاعه عنهم درجات وزلفى والى هذه
القوة الالهية اشار ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقد راى انسانا يبكي

من الموعظة

من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب يعني القوة بالقسوة ومرتبته
تواضعا حمد الله محفوظة ومنزلته مرفوعة والطريق الثاني ان نقول قد
روي ما لا يحصى كثيرة عن هذه الامة بمثل ما اتفق في مجلس داود عليه الصلاة
والسلام من موت المستمعين للذكر في مجلس السماع قديما وحديثا ولابي اسحاق
٢٢٤ الثعلبي جزء قتلى القران رويناه وعندي من ذلك جملة ارجو اني جمعتها بل قد
روي عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر الى المشايخ كما حكي ان مريدا
لابي تراب النخشبي كان يتجلى له الحق جل وتعالى في كل يوم مرات فقال له ابو
تراب لو رايت ابا يزيد لرايت امرا عظيما فلما رحل المريد مع شيخه ابي تراب
يا ابا يزيد النخشبي لابي يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له ابو تراب تطرح
منك قتلته وقد كان يدعي روية الحق فقال له ابو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان
الحق يتجلى له على قدر مقامه فلما راني تجلى له تعالى على قدر مقامي فلم يطق فمات
واصطلاح اهل الطريق في التجلي وحاصله رتبة من المعرفة خلبه عليه ولم
يكونوا يعنون بالتجلي روية البصر التي قيل فيها لموسى عليه السلام في خصوصيته
لن تراني والتي قيل فيها في العموم لا تدركه الابصار فافهمت ان مرادهم
الذي اثبتوه غير المعنى الذي حصل منه الناس على الياس في الدنيا ووعد
الخواص به في الاخرى فلا صبر بعد ذلك عليك ولا طريق بسوء الظن بالقوم اليك
والله متولي السراير انتهى مختصرا واذا علمت هذا فاعلم ان السماع في طريق
القوم معروف وفي الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقد نقل اباحته
ابو طالب في القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله ابن جعفر وابن الزبير
والمغيرة ابن شعبة ومعاوية وكذا عن الجنيد والسري وذي النون واحتج
له الغزالي في الاحيا بما يطول ذكره خصوصا في اوقات السرور المباحة
تاكيدا له ويهيجا كعرس وقدوم غايب ووليمة وعقيقة وحفظ قران وختم
درس او تاليف وفي الصحيحين من حديث عايشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها
جاريتان في ايام منا يدففان ويضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم
متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر فكشف عليه السلام عن وجهه وقال دعهما
يا ابا بكر فانها ايام عيد وفي رواية دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعندي جاريتان يغنيان بغنا بعاث بضم الموحدة والعين المهملة اخره
مثلثة اسم حصن للاوس وبالمعجمة تصحيف اي تنشدان الاشعار التي
قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الانصار فاضطجع على الفراش وحول
وجهه فدخل ابو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما وتعقب بان الحديث

الاخر عند البخاري عن عايشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى
ما اثبتته لهما باللفظ لان الغنا يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى الحدا ولا
يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق
لما فيه تعريض بالفواحش او تصريح قال القرطبي قولها يعني عايشة ليستا
بمغنيتين اي ليستا ممن يعرف الغنا كما تعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال
وهذا منها تحوز عن الغنا المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث
الكامن وهذا اذا كان في شعر فيه وصف محاسن النسا والخمر وغيرها من الامور
المحرمة لا يختلف في تحريمه قال واما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل
ما لا يختلف في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينتسب الى الخير
حتى لقد ظهرت في كثير منهم فعلات المجان والصبيان حتى رقصوا بحركات
متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم الى ان جعلوها
من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سني الاحوال وهذا على التحقيق
من اثار الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع بصوت حسن يشتمل على
الصفات العلية والنعوت النبوية المحمدية عريا عن الالات المحرمة والحظوظ
الخسيسة الدنية والشبهة وانما هو من المحبة الشريفة العلية وضبط السامع
نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ورسوله بحيث لا يرفع صوته بالبكا ولا
يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما امكنه مع العلم بما يجب لله ولرسوله
ويستحيل ليلا يتنزل ما يسمعه على ما لا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام
تزكية النفس نهاية نعم الاولى تركه والاشتغال بما هو اعلى واسلم لخوف الشبهة
وللخروج من الخلاف الا نادرا وقد نقل عن الامام الشافعي ومالك وابي حنيفة
وجماعة من العلما الفاظ تدل على التحريم ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج
شيطاني واذا كان النظر في السماع باعتبار تاثيره في القلوب لم يجز ان يحكم فيه
مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاشخاص واختلاف طرق النغمات
فحكمه حكم ما في القلوب وهو لمن يرتقي به ترقية مثير للكامن في النفوس من الازل
حين خاطبنا الحق تعالى بقوله الست بربكم فما كان في القلب من رقة ووجد
وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والاعضا كلها ناطقة بذكره بل طينة
لا سيما فالسماع من اكبر مصايد النفوس واذا اقترن بالحالة المناسبة وكان الشعر
متضمنا لذكر المحبوب الحق برز الكامن وذاعت الاسرار سيما في ارباب البدايات
وقد شوهد تاثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهايم
فقد شوهد تدلي الطيور من الاغصان على اولي النغمات الفايقة والالحان الرايقة
وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحدا تاثرا يستخف معه الاحمال الثقيلة

ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط
ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي واعياه الاعيا تحت الحمل اذا سمع
منادي الحدا يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع في سيره وربما اتلف نفسه في شدة
السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكي مما ذكر في الاحيا
عن ابي بكر الدينوري ان عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمته اذ حدا بها
وكانت محملة احمالا كثيرة فقطعت مسيرة ثلاثة ايام في ليلة واحدة وانه حدى
على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له ما غيبه عن حسه
حتى خر لوجهه فتاثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد
العلاج زايد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال واذا كانت هذه البهايم تتاثر
بالنغمات فتاثير النفوس الانسانية اولى وقد قال م

فنعم لولاك ما ذكر العقيق ... ولا جابت له الفلوات نوق
فنعم اسعى اليك على جفوني ... تدانى الحي او بعد الطريق
اذا كانت تحن لك المطايا ... فماذا يفعل الصب المشوق

فزبدة السماع تلطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي
حزبه المشهور على الالحان والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين وترويحا
لارواح السالكين فان النفوس كما قدمناه لها حظ من الالحان فاذا قبلت
هذه الواردات السنية الفايضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات
الفايقة والاوزان الرايقة فتشربتها العروق واخذ كل عضو نصيبه من ذلك
المدد العلوي المحمدي فاثمرت تجديد خطاب الازل بما سقته من موارد هذه اللطايف
عوارف المعارف تنبيه زعم بعضهم ان السماع ادعى للوجد من التلاوة واظهر
تاثيرا والحجة في ذلك ان جلال القران لا تحتمله القوى البشرية المحدثة ولا تحمله
صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معانيه لدهشت وتصدعت
وتحيرت والالحان مناسبة للطبايع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق
والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الالحان والاصوات بما في الابيات
من الاشارات واللطايف شاكل بعضها بعضا فكان اقرب الى الحظوظ واخف
على القلوب بمشاكلة المخلوق قاله ابو نصر السراج المقصد العاشر في اتمامه
تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته الى حضيرة قدسه لديه صلى الله عليه وسلم
وزيارة قبره الشريف ومسجده المنيف وتفضيله في الاخرة بفضايل الاوليات
الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات وتشريفه بخصايص الزلفى في مشهد
مشاهد الانبيا والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده
بالسودد في مجمع مجامع الاولين والاخرين وترقيه في جنة عدن ارقى مدارج

السعادة وتعاليه في يوم المزيد اعلا معالي الحسنى وزيادة وفيه ثلاث فصول

الفصل الاول اعلم اوصلني الله واياك بحبل تاييده واوصلنا بلطفه الى مقام توفيقه وتسديده ان هذا الفصل مضمونه تسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجايع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الوجد على اكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبيا حتى يخير واول ما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضا عمره باقتراب اجله بنزول سورة اذا جا نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه افواجا فقد اقترب اجلك فتهيا للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما امرت به من اداء الرسالة والتبليغ وما عندي لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وقد قيل ان هذه السورة اخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها احدى وثمانون يوما وعند ابن ابي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال وعن مقاتل سبعا وعن بعضهم ثلاثا ولابي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في اوسط ايام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه الوداع وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت الي نفسي فبكت قال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي فضحكت الحديث وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جا نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ باشد ما كان قط اجتهادا في امر الاخرة وللطبراني ايضا من حديث جابر لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الي نفسي فقال له جبريل وللاخرة خير لك من الاولى وروي في حديث ذكره ابن رجب في اللطايف انه تعبد حتى صار كالشن البالي وكان عليه السلام يعرض القران كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين واكثر من الذكر والاستغفار وقالت ام سلمة كان صلى الله عليه وسلم في اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجي الا قال سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقلت له انك تدعوا بدعا لم تكن تدعوا به قبل اليوم فقال ان ربي اخبرني اني سارى علما في امتي واني اذا رايته ان اسبح بحمده واستغفره ثم تلا هذه السورة واخرج ابن مردوية من طريق مسروق عن عايشة نحوه وروى الشيخان من حديث عقبة ابن عامر
قال صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات [صلى]
ثم طلع المنبر فقال اني بين ايديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض واني لانظر

اليه وانا في مقامي هذا فاني قد اعطيت مفاتيح خزاين الارض واني لست اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا [بين ما]
وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضي الله تعالى عنه وقال يا رسول
٢٢٥
الله فديناك بابائنا وامهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد خيره الله بين ان يوتيه زهرة الدنيا ما شا وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بابائنا وامهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان ابو بكر اعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر فلو متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت [كنت مخ]
ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لا تبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة ابي بكر رضي الله عنه رواه البخاري ومسلم ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بخمس ليال وكان ابا بكر رضي الله عنه فهم الرمز الذي اشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه انه اراد نفسه فلذلك بكى وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب اجله في اخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا القاكم بعد عامي هذا فطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع عليه السلام من حجه الى المدينة جمع الناس بما يدعى خما في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته قال الحافظ ابن رجب وكان ابتدا مرضه عليه السلام في اواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وكانت خطبته التي خطب بها المذكورة في حديث ابي سعيد الذي قدمته في ابتدا مرضه عليه السلام التي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب الراس بخرقة حتى اهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي بيده اني لانظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الى اخره ثم هبط عنه فما روي عليه حتى الساعة فلما عرض صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره اللقا على البقا ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذ هما في الغار وكان اعلم الامة بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك باموالنا وانفسنا واولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه واخذ في مدحه

والثناء عليه ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقط لان
امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر رضي الله عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام
لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له ان يخالل مخلوقا فان الخليل من جرت صحبة
خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا البشر كما قيل
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
اثبت له اخوة الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تبقى في المسجد خوخة
الا سدت الا خوخة ابو بكر اشار الى ان ابا بكر هو الامام بعده فان الامام
يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المعنى بامره
المصليين ثم اكد هذا الامر بان يصلي بالناس ابو بكر فروجع في ذلك
وهو يقول مروا ابا بكر ان يصلي بالناس ان بكر فولاه امامة الصلاة ولذا قالت
الصحابة عند بيعة ابي بكر رضي الله عنه رضيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيت ميمونة في رواية معمر عن الزهري **وفي** سنن ابي معشر
كان في بيت زينب بنت جحش وفي سيرة سليمان التيمي كان في بيت ريحانة والاول
هو المعتمد **وذكر الخطابي** انه ابتدابه يوم الاثنين وقيل يوم السبت
وقال الحاكم الحمد يوم الاربعا **واختلف** في مدة مرضه فالاكثر انها ثلاثة عشر
يوما وقيل اربعة عشر وقيل اثنى عشر وذكرهما في الروضة وصدر بالثاني
وقيل عشرة ايام وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه واخرجه البيهقي
باسناد صحيح **وفي** البخاري قالت عايشه لما ثقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم واشتد وجعه استاذن ازواجه ان يمرض في بيتي فاذن له فخرج وهو
بين رجلين يخط رجلاه في الارض بين العباس بن عبد المطلب وبين رجل
اخر قال عبيد الله فاخبرت عبد الله بالذي قالت عايشة فقال لي عبد
الله بن عباس هل تدري من الرجل الاخر الذي لم تسم عايشه قال قلت
لا قال بن عباس هو علي بن ابي طالب الحديث **وفي** رواية لمسلم عن عايشة
فخرج بين الفضل بن العباس ورجل اخر وفي اخرى رجلين احدهما اسامه
وعند الدارقطني اسامه والفضل وعند بن حبان في اخرى بريرة ونوبه
بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم امة وقيل عبد
وعند ابي سعيد من وجه اخر الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات
على تقدير ثبوتها بان خروجه تعدد فتعدد من اتكا عليه **وعن** عايشه
رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه اني لا استطيع ان ادور
في بيوتكن فان شيتن اذنتن لي رواه احمد وفي رواية هشام بن عروة

عن

عن عايشه انه كان صلى الله عليه وسلم كان يقول اين انا غدا اين انا غدا اين يوم
عايشه وذكر بن سعد باسناد صحيح عن الزهري ان فاطمة هي التي خاطبت امهات
المومنين بذلك فقالت انه يشق عليه الاختلاف وفي رواية ابن ابي مليكة
عن عايشة ان دخوله عليه السلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين
الذي يليه وفي مرسل ابي جعفر عند ابن ابي شيبة انه صلى الله عليه وسلم قال
اين اكون انا غدا كررها فعرفن ازواجه انما يريد عايشة فقلن يا رسول الله
قد وهبنا ايامنا لاختنا عايشه وفي رواية هشام بن عروة عن ابيه عند الاسماعيلي
كان يقول اين انا حرصا على بيت عايشة فلما كان يومي اذن له نساوه ان يمرض
في بيتي **وعن** عايشه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من
جنازة بالبقيع وانا اجد صداعا في راسي وانا اقول واراساه قال بل
انا واراساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك
ودفنتك فقالت كاني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست
فيه ببعض نسايك فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم بدا في وجعه الذي مات
فيه رواه احمد والنساي **وفي** البخاري قالت عايشه واراساه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت
عايشه واثكلياه والله اني لاظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت اخر يومك
معرسا ببعض ازواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل انا واراساه لقد
هممت او اردت ان ارسل الى ابي بكر وابنه فاعهد ان يقول القايلون او يتمنى
المتمنون ثم قلت يابى الله ويدفع المومنون او يدفع الله ويابى المومنون
وقوله بل انا واراساه اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع راسك
واشتغلي بي فان قلت قد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه **وروى** احمد
في الزهد عن طاووس انه قال انين المريض شكوى وجزم ابو الطيب
وابن الصباغ وجماعة من الشافعيه ان تاوه المريض مكروه قلت تعقبه
النووي فقال هذا ضعيف او باطل فان المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود
وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عايشة هذا ثم قال فلعلهم
ارادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر اولى انتهى
قال في فتح الباري ولعلهم اخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على
ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضا وتورث شماتة الاعدا واما اخبار
المريض صديقه او طبيبه عن حاله فلا باس به اتفاقا فليس ذكر الوجع شكاية
فكم من ساكت فهو ساخط وكم من شاكٍ وهو راض فالمعول في ذلك على عمل القلب
لا على نطق اللسان **وقد** تبين كما نبه عليه في اللطايف ان اول مرضه عليه السلام

كان صداع الراس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن يتبرد بذلك وفي البخاري قالت عايشة لما دخل بيتي واشتد وجعه قال اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وقد قيل في الحكمة في هذا العدد ان له خاصية في دفع ضرر السم والسحر وسياتي ان شا الله تعالى انه عليه السلام قال هذا اوان انقطاع الابهري من ذلك السم وتمسك ببعض من الكرنجاسة سؤر الكلب وزعم ان الاكمل بالغسل منه سبعا انما هو لدفع السمية التي في ريقه وكانت صلوات الله وسلامه عليه قطيفة وكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلا ويضاعف لنا الاجر رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسناد كلهم من رواية ابي سعيد الخدري وقالت عايشه ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا قال اجل اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك لاجرين قال اجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذا شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيائه كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى وقيل الم الموعوك وتحريكها اياه وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال ابو هريرة ما من وجع يصيبني احب الي من الحمى انها تدخل في كل مفصل من ابن ادم وان الله يعطي كل مفصل قسطا من الاجر واخرج النساي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان اخت حذيفة قالت اتيت النبي صلى الله عليه وسلم نعوده فاذا سقا يقطر عليه من شدة الحما فقال ان من اشد الناس بلا الانبيا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي حديث عايشة انه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة او ركوة فيها ما فجعل يدخل يديه في الما فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات الحديث رواه البخاري وروي ايضا عن عروة انه صلى الله عليه وسلم قال ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم وفي رواية ما زالت اكلة خيبر تعاودني والاكله بالضم اللقمة التي اكل من الشاة وبعض الرواة بفتح الالف

وهو

وهو خطا لانه عليه السلام لم ياكل منها الا لقمة واحدة قاله ابن الاثير ومعنى الحديث انه نقض عليه سم الشاة التي اهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه احيانا والابهر عرق مستبطن بالصلب يتصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه وقد كان ابن مسعود وغيره يرون انه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري ايضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت انفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وامسح بيدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية مالك وامسح بيده رجا لانها كانت اعظم بركة من يدي واطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا وفي البخاري عن عايشه دخل عبد الرحمن بن ابي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وانا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فابده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فاخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رايته استن استنانا قط احسن منه الحديث قوله فابده بتشديد الدال المهملة اي مد نظره اليه وقوله فقضمته بكسر الضاد المعجمه اي لطوله ولازالة المكان الذي تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته اي لينته بالما وفي رواية ايضا قالت ان من نعم الله تعالى علي ان الله جمع بين ريقي وريقه عند موتي دخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وانا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك فقلت اخذه لك فاشار براسه ان نعم وفي رواية فمر عبد الرحمن وفي يده جريدة رطبة فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت ان له بها حاجة فاخذتها فنفضت راسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كاحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده او سقطت من يده فجمع الله بين ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ايتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ايتيني به امضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون علي عند الموت قال الحسن لما كره الانبيا الموت هون الله عليهم ذلك بلقا الله وبكل ما احبوا من تحفة او كرامة حتى ان نفس احدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب لذلك لما قد مثل له وفي المسند عن عايشة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون علي لاني رايت بياض كف عايشة في الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد رايتها في الجنة حتى ليهون علي بذلك موتي كاني لارى كفيها يعني عايشه رضي الله عنها فقد كان عليه السلام يحب عايشه حبا شديدا

حتى لا يكاد يصبر عنها فقلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فان العيش
انما يطيب باجتماع الاحبة وقد سال صلى الله عليه وسلم رجل اي الناس احب
اليك فقال عايشه فقال من الرجال قال ابوها ولهذا قال لها في ابتدا مرضه لما قالت
وارا سياه وددت ان ذلك كان وانا حي فاصلي عليك وادفنك فعظم ذلك عليها
وظنت انه يحب فراقها وانما كان عليه السلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب
اجتماعها ويروى انه كان عنده صلى الله عليه وسلم في مرضه سبعة دنانير
فكان يامرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها
في كفه وقال ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه
البيهقي انظر اذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف حال من لقي الله وعنده دما المسلمين واموالهم
المحرمة وما ظنه بربه تعالى وفي البخاري من طريق عروة عن عايشة رضي الله
عنها قالت دعا النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شكواه فاطمة الذي قبض
فيه فسارها بشي فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسالناها عن ذلك فقالت
سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت
ثم سارني فاخبرني اني اول اهله يتبعه فضحكت وفي رواية مسروق عن عايشة
اقبلت فاطمه تمشي كان مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا
يا بنتي ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارها ولابي داود والترمذي والنسايي
وبن حبان والحاكم من طريق عايشه بنت طلحة عن عايشه قالت ما رايت احدا
اشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها
من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها
واجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فاكبت
عليه فقبلته واتفقت الروايتان على ان الذي سارها به اولا فبكت هو اعلامه
ايها بانه ميت في مرضه ذلك واختلفتا فيما سارها به فضحكت ففي رواية
عروة انه اخبارة اياها بانها اول اهله لحوقا به وفي رواية مسروق انه اخباره
اياها انها سيدة نسا اهل الجنة وجعل كونها اول اهله لحوقا به مضموما الى
الاول وهو الراجح فان حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة
وهو من الثقات الضابطين فمما زاده مسروق قول عايشه فقلت ما رايت
كاليوم فرحا اقرب من حزن فسالناها عن ذلك فقال اسر الي ان جبريل كان يعارضني
القران كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا اراه الاحضر اجلي وانك
اول اهل بيتي لحوقا بي وفي رواية عايشة بنت طلحة من الزيادة ان عايشة
لما رات بكاها وضحكها قالت ان كنت لاظن ان هذه المراة من اعقل النسا
فاذا هي من

من النسا ويحتمل تعدد القصه وفي رواية عن عروة الجزم انه ميت من وجعه ذلك
بخلاف رواية مسروق ففيها انه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة
القران وقد يقال لا منافات بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع ان يكون اخبارها
بكونها اول اهله لحوقا به سببا لبكايها ولضحكها معا باعتبارين فذكر كل من
الراويين بما لم يذكره الاخر وقد روى النساي من طريق ابي سلمة
عن عايشه في سبب البكا انه ميت وفي سبب الضحك الامرين الاخيرين ولابن
سعد من رواية ابي سلمة عنها ان سبب البكا موته صلى الله عليه وسلم وسبب
الضحك لحاقها به وعند الطبراني من وجه اخر عن عايشة انه قال لفاطمة ان جبريل
اخبرني انه ليس امراة من نسا المومنين اعظم رزية منك فلا تكوني ادنى امراة
منهن صبرا وفي الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما
قال صلى الله عليه وسلم فانهم اتفقوا على ان فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت
اول من مات من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بعده حتى من ازواجه
عليه السلام وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه في مرضه
ثم يفيق واغمي عليه مرة فظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم فلما افاق قال الم انهكم ان تلدوني فقالوا كراهية المريض للدوا
ان لا يلدوه فقالوا كراهية المريض للدوا فقال لا يبقى احد في البيت الا لد وانظر
الى العباس فانه لم يشهدكم رواه البخاري واللدود هو ما يجعل في جانب الفم
من الدوا فاما ما يصب في الحلق فيقال له الوجور وفي الطبراني من حديث العباس
انهم اذابوا قسطا بزيت ولدوه به وفي قوله لا يبقى احد في البيت الا لد الى اخره
مشروعية القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان الجميع لم يتعاطوا
ذلك وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه
قال ابن العربي اراد ان لا ياتوا يوم القيامة عليهم حقه فيقعوا في خطية عظيمة
وتعقبه بانه كان يمكن ان يقع العفو ولانه كان لا ينتقم لنفسه والذي يظهر
انه اراد بذلك تاديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تاديبا لا اقتصاصا ولا انتقاما قيل
وانما كره اللدود مع انه كان يتداوى لانه تحقق انه يموت في مرضه ومن تحقق
ذلك كره له التداوي قال الحافظ بن حجر رحمه الله وفيه نظر والذي يظهر
ان ذلك قبل التخيير والتحقيق وانما انكر التداوي لانه كان غير ملايم لدايه
لانهم ظنوا ان به ذات الجنب فداووه بما يلايمها ولم يكن فيه ذلك كما هو ظاهر
في سياق الخبر وعند ابن سعد قال كانت تاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخاصره فاشتدت به فاغمي عليه فلددناه فلما افاق قال كنتم ترون ان الله سلط
على ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطانا والله لا يبقى في البيت احد الا لد
فما بقي احد في البيت الا لد ولددنا ميمونه وهي صايمة وروى ابو يعلى بسند ضعيف

فيه ابن لهيعة من وجه اخر عن عايشه انه صلى الله عليه وسلم مات من ذات المعجمة
الجنب وجمع بينهما بان ذات الجنب تطلق باذا مرضين احدهما ورم حار يعرض
في الغشي المستبطي والاخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفي هنا
وقد وقع في رواية الحاكم في المستدرك ذات الجنب من الشيطان والثاني هو الذي
اثبت هنا فليس فيه محذور الاول وفي حديث ابن عباس عند البخاري لما حضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القران حسبنا كتاب الله فاختلف
اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قوموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده
ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغط والاختلاف قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول ان الرزية
كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم
ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري انما جاز للصحابة الاختلاف
في هذا الكتاب مع صريح امره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من
الوجوب فلعله ظهر منه قرينة دلت على ان الامر ليس على التحتيم بل على
الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من
القراين بانه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال
النووي رحمه الله تعالى اتفق العلماء على ان قول عمر حسبنا كتاب الله
من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشي ان يكتب امورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا
العقوبة لكونها منصوصة واراد ان لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء وفي
تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة الى تصويبه واشار بقوله
حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولا يعارض
ذلك قول ابن عباس ان الرزية الى اخره لان عمر كان افقه منه قطعا
ولا يقال ان ابن عباس لم يكتف بالقران مع انه حبر القران واعلم الناس
بتفسيره وتاويله ولكنه اسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه
بكونه اولى من الاستنباط والله اعلم ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم قال وجعه
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت له عايشه يا رسول الله ان ابا بكر رجل
رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكا قال مروا ابا بكر فليصل بالناس
فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا ابا بكر فليصل
بالناس رواه الشيخان وابو حاتم واللفظ له وفي رواية ان ابا بكر رجل اسيف
وفي حديث عروة عن عايشة عند البخاري فمر عمر فليصل بالناس قالت قلت

حفصة

حفصة قولي له ان ابا بكر اذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكا فمر عمر فليصل
بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب
يوسف مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعايشة ما كنت لاصيب منك خيرا والاسيف
بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الاسف وهو شدة الحزن والمراد به رقيق القلب ولابن حبان
من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عايشة في هذا الحديث قال عاصم
والاسيف الرقيق ~~والاسيف الرقيق~~ الرحيم وصواحب جمع صاحبة والمراد بهن مثل
صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الخطاب
الجمع فالمراد به واحدة وهي عايشه ووجه المشابهة بينهما في ذلك ان زليخا استدعت
النسوة واظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو
ان ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها في محبته وان عايشة اظهرت ان
سبب ارادتها صرف الامامة عن ابيها كونه لا يسمع المامومين القراة لبكائه
ومرادها زيادة على ذلك وهو ان لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي بذلك
كما عند البخاري في باب وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت لقد راجعته
وما حملني على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام الناس
مقامه ابدا والا كنت ارى انه لن يقوم احد مقامه الا تشاءم الناس به ونقل
الدمياطي ان الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر
الفاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف بن عمر في كتاب الفتوح ان الانصار لما راوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا اطافوا بالمسجد فدخل العباس
فاعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل
فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي ابن ابي طالب لذلك فخرج صلى الله عليه وسلم
متوكيا على علي والفضل والعباس امامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب
الراس يخط برجليه حتى جلس على اسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله
واثنى عليه وقال ايها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل
خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون
به فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا واوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله
تعالى يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الى اخرها وان الامور تجري
باذن الله ولا يحملكم استبطا امر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل
لعجلة احد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم واوصيكم بالانصار خيرا فانهم
الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم الم يشاطروكم
في الثمار الم يوسعوا لكم في الديار الم يوثروكم على انفسهم وبهم الخصاصة

الا فمن ولي ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم الا ولا
ولا يستأثروا عليهم الا واني فرط لكم وانتم لاحقون بي الا وان موعدكم الحوض
الا فمن احب ان يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا ايها الناس ان الذنوب
تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم ايمتهم واذا فجر الناس عقوهم
وفي حديث انس عند البخاري قال مر ابو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار
وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم
وقد عصب راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله
واثني عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي اي موضع سري
اراد انهم بطانته وموضع امانته والذين يعتمد عليهم في اموره واستعار
الكرش والعيبة لذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته
وقيل اراد بالكرش الجماعة اي جماعتي وصحابتي يقال عليه كرش من الناس
اي جماعة قاله في النهاية وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله بن
مسعود قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا
الفراق جمعنا في بيت عايشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله
رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله اواكم الله اوصيكم بتقوى الله واستخلفه
عليكم واحذركم الله اني لكم نذير مبين ان لا تعلوا على الله في بلاده وعباده
فانه قال لي ولكم تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا
يا رسول الله متى اجلك قال دنى الفراق والمنقلب الى الله والى جنة الماوى
قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال اهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول
الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في ثياب مصرية او حلة يمنية
قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا انتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني
على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان اول من يصلي علي
جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملايكة ثم ادخلوا علي
افواجا فصلوا علي فوجا فوجا وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا برنة وليبدا بالصلاة علي رجال اهل
بيتي ثم نساؤهم ثم انتم واقروا السلام على من غاب من اصحابي ومن تبعني على
ديني من يومي هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك
قال اهلي مع ملايكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعا وهو واه جدا وقالت
عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض
نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى او يخير فلما اشتكى وحضره القبض
وراسه على فخذي غشي عليه فلما افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال

اللهم

اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا
وهو صحيح وفي رواية انها اصغت اليه قبل ان يموت وهو مستند الى ظهرها
يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى على رواية البخاري
من طريق الزهري عن عروة وما فهمته عايشة من قوله عليه الصلاة
والسلام ان عبدا خيره الله ما بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده
ان العبد المراد هو النبي صلى الله عليه وسلم حتى بكا كما قدمته ذكره الحافظ
ابن حجر وعند احمد من طريق المطلب بن عبد الله بن عبد الله عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبي يقبض الا يرى الثواب ثم يخير
ولاحمد ايضا من حديث مويهبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوتيت مفاتيح خزاين الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين
لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل
طاوس رفعه خيرت بين ان ابقى حتى ارى ما يفتح على امتي وبين التعجيل
فاخترت التعجيل وفي رواية ابي برده ابن ابي موسى عن ابيه عند النساي
وصححه ابن حبان فقال اسال الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكاييل
واسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذي تحصل المرافقة فيه مع المذكورين
وقال ابن الاثير في النهاية جماعة الانبيا الذين يسكنون اعلا عليين وقيل
المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرافة انتهى
وقيل المراد به حضرة القدس وقال السهيلي الحكمة في اختتام كلامه
صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب
حتى يستفاد منها الرخصة لغيره انه لا يشترط ان يكون الذكر باللسان لان بعض
الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر
انتهى ملخصا قال الحافظ بن رجب وقد روي ما يدل على انه قبض ثم
راى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففي المسند قالت يعني عايشة
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا يقبض نفسه ثم يرى
الثواب ثم ترد اليه فيخير بين ان ترد اليه الى ان يلحق فكنت قد حفظت
ذلك فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى ارتفع ونظر فقلت اذن
والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا
وفي البخاري من حديث عروة عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة
ثم يحيا او يخير فلما اشتكى وحضره القبض وراسه على فخذ عايشة غشي عليه فلما

اللهم الرفيق الاعلى انه خبر نظير فهم ابيها رضي الله عنه من قوله عليه السلام

حتى مالت عنقه فقلت فضحني قالت فعرفت الذي قال فنظرت اليه صح

افاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم في الرفيق الاعلى ونبه السهيلي على
ان النكتة في هذه الكلمة بالافراد الاشارة الى ان اهل الجنة يدخلونها على قلب رجل الاحيان ح
واحد وفي صحيح ابن حبان عنها قالت اغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وراسه في حجري فجعلت امسحه وادعو له بالشفا فلما افاق قال اسال الله الرفيق
الاعلى مع جبريل عليه السلام وميكايل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه
وسلم واشتد به الامر قالت عايشه ما رايت الوجع على احد اشد
منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ما فيدخل
يده في القدح ثم يمسح وجهه بالما ويقول اللهم اعني على سكرات الموت
وفي رواية فجعل يقول لا اله الا الله ان للموت سكرات قال بعض العلما
فيه ان ذلك من شدة الالم والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ ابو محمد
المرجاني تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له
اهله وهو في السياق واكرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا القى الاحبة
محمدا وصحبه فاذا كان هذا الطرب في هذا الحال بلقا محبوبه وهو النبي
صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقا النبي صلى الله عليه وسلم
لربه تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهذا موضع تقصير
العبارة عن وصف بعضه وفي حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب انه عليه
الصلاة والسلام قال اللهم انك تاخذ الروح من بين العصب والقصب
والانامل فاعني عليه وهونه علي وعند الامام احمد والترمذي من طريق
القاسم عنها قالت رايته وعنده قدح له فيه ما وهو يموت فيدخل يده
في القدح ثم يمسح وجهه بالما ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت
ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرب اباه فقال لها
لا كرب على ابيك بعد اليوم رواه البخاري قال الخطابي زعم من لا
يعد من اهل العلم ان المراد بقوله عليه السلام لا كرب على ابيك بعد اليوم
ان كربه كان شفقة على امته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده
وهذا ليس بشي لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته على امته بموته والواقع انها
باقية الى يوم القيامة لانه مبعوث الى من جا بعده واعمالهم تعرض عليه
وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام
من شدة الموت وكان عليه الصلاة والسلام فيما يصيب جسده من الالام
كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه
وسلم قال لفاطمة انه حضر من ابيك ما الله بتارك منه احدا لموافاة قد ح
القيامة وفي البخاري من حديث انس ابن مالك ان المسلمين بينما هم في صلاة تعالى ح

الفجر

الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلي بهم لم يفجاهم الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد كشف ستر حجرة عايشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم
يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج الى الصلاة قال انس وهم المسلمون ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم ان اتموا
صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى الستر وفي رواية ابي اليمان عن شعيب عند البخاري
في الصلاة فتوفي من يومه وفي رواية ابي معمر عنه ايضا وكلاهما في حديث
انس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة ه
فذهب ابو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه
فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان ح
اعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فاوما رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ابو بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث رواه
الشيخان وعنه ان ابا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي صلى الله عليه
وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة
كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قايم
كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه
مسلم وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بانه صلى الله عليه وسلم
مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة وعن جعفر ابن محمد
عن ابيه قال قال لما بقي من اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث
ليال نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد ارسلني اليك اكراما لك
وتفضيلا لك وخاصة لك يسالك عما هو اعلم به منك يقول كيف تجدك
فقال اجدني يا جبريل مغموما واجدني يا جبريل مكروبا ثم اتاه في اليوم الثاني
فقال له مثل ذلك ثم استاذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا محمد هذا
ملك الموت يستاذن عليك ولم يستاذن على ادمي قبلك ولا يستاذن على ادمي
بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول
الله ان الله عز وجل ارسلني اليك وامرني ان اطيعك في كل ما تامرني
ان امرتني ان اقبض روحك قبضتها وان امرتني ان اتركها فقال جبريل تركتها ح
يا احمد ان الله قد اشتاق الى لقايك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك
الموت الى ما امرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا اخر موطئي من الارض
انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم
وجات التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت

ورحمة الله وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم
يوم القيامة ان في الله عزا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا
من كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي اتدرون من هذا هو
الخضر عليه السلام رواه البيهقي في دلايل النبوة **وفي** تخريج احاديث
الاحيا للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر مما ذكره في الاحيا
وان النووي انكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث وقال انما
ذكره الاصحاب ثم قال العراقي قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس
ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا عن انس ايضا قال لما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل
شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى اخذ بعضادتي باب البيت على فبكا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخذ
ثم اقبل على اصحابه فقال ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل فايت
الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال ابو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا
فلم يروا احدا فقال ابو بكر لعل هذا الخضر جا يعزينا رواه ابن ابي الدنيا
ايضا من حديث علي ابن ابي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه
انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والمعروف عن علي ابن الحسين مرسلا
من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه الصلاة والسلام
قال البيهقي قوله ان الله اشتاق اليك الى لقايك معناه قد اراد لقاك بان
يردك من دنياك الى معادك زيادة في قربك وكرامتك انتهى **واخرج**
الطبراني من حديث ابن عباس قال جا ملك الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه وراسه في حجر علي فاستاذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
فقال له علي ارجع فانا مشاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت
ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك يقريك السلام فبلغني ان ملك الموت
لم يسلم على اهل بيت قبله ولا يسلم بعده **وقالت** عايشة توفي صلى الله عليه وسلم
في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وفي رواية بين حاقنتي وذاقنتي رواه
البخاري والحاقنة بالحا المهملة والقاف والنون اسفل من الذقن والذاقنة
طرف الحلقوم والسحر بفتح السين وسكون الحا المهملتين هو الصدر والنحر
بفتح النون وسكون الحا المهملة والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي وراسه
بين حنكها وصدرها وهذا لا يعارضه ما اخرجه الحاكم وابن سعد من طرق
انه صلى الله عليه وسلم مات وراسه في حجر علي لان كل طريق منها كما قاله الحافظ

بن حجر لا يخلوا عن شي فلا يلتفت لذلك والله اعلم قال السهيلي وجدت
في بعض كتب الواقدي انه اول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع
عند حليمة السعدية الله اكبر واخر كلمة بها الرفيق الاعلى وروى الحاكم
من حديث انس اخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربي الرفيع **ولما
توفي** صلى الله عليه وسلم كان ابو بكر غايبا بالسنح يعني العالية عند زوجته
بنت خارجة وكان عليه الصلاة والسلام قد اذن له في الذهاب اليها فسل عمر
بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يقول انما ارسل اليه مثل ما ارسل الى موسى عليه الصلاة والسلام
فلبث عن قومه اربعين ليلة والله اني لا رجو ان يقطع ايدي رجال وارجلهم
فاقبل ابو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عايشة فدخل فكشف
عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول
توفي والذي نفسي بيده صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله
ما اطيبك حيا وميتا ذكره الطبراني في الرياض وقالت عايشة اقبل ابو بكر
على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى
دخل على عايشة فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببردة فكشف
فكشف عن وجهه واكب عليه فقبله ثم بكا وقال بابي انت وامي لا يجمع
الله عليك فقد متها رواه البخاري واختلف في قول ابي بكر رضي الله عنه
لا يجمع الله عليك موتتين فقيل هو على حقيقته واشار بذلك الى الرد
على من زعم انه سيحيى فيقطع ايدي رجال لانه لو صح ذلك للزم ان يموت ذلك
فاخبر انه اكرم على الله من ان يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين
خرجوا من ديارهم وهم الوف وكالذي مر على قرية وهذا اوضح الاجوبة
واسلمها وقيل اراد لا يموت موتة اخرى في القبر كغيره اذ يحيى فيسال
ثم يموت وهذا جواب الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شريعتك
وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب اي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كربا اخر
قاله في فتح الباري وعنها ان عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجا ابو بكر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقبله وقال بابي انت وامي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك
الله الموتتين ابدا ثم خرج فقال ايها الحالف على رسلك فلما تكلم ابو بكر
جلس عمر فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال الا من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت

من قبله الرسل الايه قال فشج الناس يبكون رواه البخاري يقال شج الباكي
اذا غص بالبكا في حلقه من غير انتحاب وعن سالم ابن عبيد الاشجعي قال لما
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اجزع الناس كلهم عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه فاخذ بقايم سيفه وقال لا اسمع احدا يقول مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم
اطلب لنا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد
فاذا انا بابي بكر فلما رايته اجهشت بالبكا فقال يا سالم امات رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب يقول لا اسمع
احدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا
قال فاقبل ابو بكر حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشا الريح ثم سجاه
والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال
انك ميت وانهم ميتون يا ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكاني لم اتل هذه
الايات قط خرجه الحافظ ابو احمد حمزة بن الحارث كما ذكره الطبري
في الرياض له وقال اخرج الترمذي معناه بتمامه واستنشا الريح شمها
اي شم ريح الموت وعند احمد عن عايشه قالت سجيت النبي صلى الله عليه
وسلم ثوبا فجا عمر والمغيرة بن شعبة فاستاذنا فاذنت لهما
وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال
المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يموت حتى يفني المنافقين ثم جا ابو بكر فرفعت الحجاب (الله)
فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي حديث بن عباس عند البخاري ان ابا بكر خرج وعمر
ابن الخطاب يكلم الناس يا عمر فابي عمر ان يجلس فاقبل الناس اليه (فقال اجلس)
وتركوا عمر فقال ابو بكر اما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد
مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل قال والله لكان الناس
لم يعلموا ان الله انزل الاية حتى تلاها ابو بكر فتلقاها الناس
منه كلهم فما اسمع بشرا من الناس الا يتلوها وفي حديث
ابن عمر عند ابن ابي شيبة ان ابا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل المنافقين
(الله) قال

قال وكانوا اظهروا الاستبشار ورفعوا روسهم فقال ايها الرجل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات الم تسمع الله تعالى يقول
انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم اتى
المنبر الحديث قال القرطبي ابو عبد الله المفسر وفي هذا ادل دليل على
شجاعة الصديق فان الشجاعة حدها ثبوت القلب عند حلول المصايب
ولا مصيبة اعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعته (ذلك)
وعلمه قال الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر
فكشفه الصديق بهذه الاية فرجع عمر عن مقالته التي قالها كما ذكر الوايلي
ابو نصر عبد الله في كتاب الابانة عن انس بن مالك انه سمع عمر يقول (و)
بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع ابو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد
ثم قال اما بعد فاني قلت لكم امس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله
ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجو ان يعيش رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى يدبرنا اي يكون اخرنا موتا او كما قال فاختار الله عز وجل
لرسوله الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله به
رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابو نصر المقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يمت ولن يموت حتى يقطع ايدي وارجل وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه
وخشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه
بقول الله عز وجل كل نفس ذايقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون
وخروج الناس يتلونها في سكك المدينة كانها لم تنزل قط الا ذلك
اليوم انتهى وقال ابن المنير لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت
العقول فمنهم من خبل ومنهم من اقعد فلم يطق القيام ومنهم من اخرس فلم
يطق الكلام ومنهم من اضني وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن اخرس
يذهب ويجا ولا يستطيع كلاما وكان علي ممن اقعد فلم يستطع حراكا واضني عبد الله
بن انيس فمات كمدا وكان اثبتهم ابو بكر رضي الله عنه جا وعيناه تهملان
وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فاكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع (عن المنون)
لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الانبيا فعظمت عن الصفة وجللت عن
البكا ولو ان موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك

ولكني من بالك ووقع في حديث ابن عباس وعايشة عند البخاري
ان ابا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما مات كما قدمناه وكذا
في رواية غيره وفي رواية يزيد ابن بابنوس عنها عن احمد انه اتاه من قبل
راسه فحدر فاه فقبل وجهه ثم قال وانبياه ثم رفع راسه فحدر فاه
وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع راسه فحدر فاه وقبل جبهته
وقال يا خليلاه وعند ابن ابي شيبة عن ابن عمر فوضع فاه على جبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بابي انت
وامي طبت حيا وميتا وعن عايشة ان ابا بكر دخل على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه
وقال وانبياه واخليلاه واصفياه اخرجه ابن عرفة العبدي كما
ذكره الطبري قال ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم
مما تضمن بقايه بان يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافضا
به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال واخرج البيهقي وابو
نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه انهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم
قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت اسما بنت عميس يدها
بين كتفيه صلى الله عليه وسلم فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه
فكان هذا الذي قد عرف بعد موته واخرجه ابن سعد عن الواقدي
ايضا ولما توفي عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة يا ابتاه اجاب ربا
دعاه يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه يا ابتاه من الي جبريل ننعاه رواه
البخاري قال الحافظ ابن حجر رحمه الله قد قيل الي جبريل ننعاه جزم
بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان قال والاول متوجه فلا معنى
لتغليط الرواه بالظن وزاد الطبراني يا ابتاه من ربه ما اداه وقد عاشت
فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة اشهر فما ضحكت
تلك المدة وحق لها ذلك على مثل ليلى يقتل المرء نفسه
وان كان من ليلى على الهجر طاويا واخرج ابو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله
عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السما والذي بعثه بالحق لقد سمعت
صوتا من السما ينادي وامحمداه الحديث كل المصايب تهون عند هذه
المصيبة وفي سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه ايها
الناس ان احد من الناس او من المومنين اصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته
بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان احدا من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي
اشد عليه من مصيبتي وقال ابو الجوزا كان الرجل من اهل المدينة اذا اصابته

مصيبة جاه

جاه اخوه فصافحه ويقول يا ابا عبد الله اتق الله فان في رسول الله اسوة
حسنة ويعجبني قول القايل

اصبر لكل مصيبة وتجلد ∴ واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها ∴ نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا اتتك مصيبة تشجى بها ∴ فاذكر مصابك بالنبي محمد

ويرحم الله القايل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ∴ فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا ∴ فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من الم فراقه صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب
المومنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه
وصاح كان الحسن اذا احدث بهذا الحديث بكا وقال هذه خشبة تحن الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم احق ان تشتاقوا اليه وروي
ان بلالا لما كان يوذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا
قال اشهد ان محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكا والنحيب فلما دفن
ترك بلال الاذان ما امر عيش من فارق الاحباب ∴ خصوصا من كانت
رويته حياة الالباب ∴ لو ذاق طعم الفراق رضوى لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق ∴ يعجز عن حمله الحديد ∴ وقد كانت
وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخوله
المدينة في هجرته حين اشتد الضحى ودفن يوم الثلاثا وقيل ليلة الاربعا
فعند ابن سعد في الطبقات عن علي توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثا وعنده ايضا عن عكرمة توفي
يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده
ايضا عن عثمان بن محمد الاخنسي توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس
ودفن يوم الاربعا وروي ايضا عن ابي عباس بن سهل عن ابيه عن
جده توفي يوم الاثنين فمكث يوم الاثنين والثلاثا حتى دفن يوم الاربعا
ورثته عمته بمراثي كثيرة منها قولها

الا يا رسول الله كنت رجاءنا ∴ وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ∴ ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكي النبي لفقده ∴ ولكنني اخشى من الهرج اتيا
كان على قلبي لذكر محمد ∴ على جدث امسى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله امي وخالتي ∴ وعمي وخالي ثم نفسي وماليا

ابي
وعنده ايضا عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب توفي يوم الاثنين حين زاغت الشمس
وما خفت من بعد النبي المكاليا
افاطم صلى الله رب محمد

فلو ان رب الناس ابقي نبينا … سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية … وادخلت جنات من العدن راضيا
اري حسنا ايتمته وتركته … يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه ابو سفيان بن الحارث بقوله

ارقت فبت ليلي لا يزول … وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكا وذاك فيما … اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت … عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها … تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا … يروح به ويغدو جبريل
وذاك احق ما سالت عليه … نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا … بما يوحي اليه وما يقول
ويهدينا فما نخشي ضلالا … علينا والرسول لنا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر … وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر ابيك سيد كل قبر … وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق بقوله

لما رايت نبينا متجندلا … ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه … والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد ثوي … فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي … غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدايع من بعده … يعيي بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق ايضا بقوله

ودعن الحج اذا وليت عنا … فودعنا من الله الكلام
سوي ما قد تركت لنا رهينا … تضمنه القراطيس الكرام

ولقد احسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام

كنت السواد لناظري … فعمي عليك الناظر
من شا بعدك فليمت … فعليك كنت احاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول ابي بكر الصديق ورجع الي قوله قال وهو يبكي بابي انت وامي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولي بالحنين عليك حين فارقتهم بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ

من

من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ في فضيلتك عنده ان بعثك اخر الانبيا وذكرك في اولهم فقال تعالي واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الايه بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ في فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا الخبر ذكره ابو العباس العصاري في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عنه الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكره بن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفا لكنه ذكر بعضه ويقع في كثير من نسخ الشفا **روي عن عمر** ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكي به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكا والصواب فيها التخفيف لان هذا الكلام انما سمع من عمر رضي الله عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشية الشفا والله اعلم ويويد هذا قوله في الخبر نفسه بابي انت وامي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره فلقد امن بك الكثير وما امن معه الا القليل **واخرج** بن عساكر عن ابي ذيب الهذلي قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس اهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قريب السحر نمت فهتف هاتف وهو يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام … بين النخيل ومقعد الاطام
قبض النبي محمد فعيوننا … تبدي الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الي السما فلم اري الا سعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض او هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكا كضجيج الحجيج اذا اهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق ما **روي** عن عايشة انهم لما ارادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه فلما اختلفوا القى الله عليهم النوم حتى ما منهم من رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلايل النبوة **وروي** بن ماجه بسند جيد يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب

من بيرغرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمه وسكون الراو السين المهملة
وقد روى بن النجار انه عليه الصلاة والسلام قال رايت الليلة
علي بير من الجنة فاصبح علي بير غرس فتوضا منها وبزق فيها وغسل النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولي بالما القراح والثانية بالما
والسدر والثالثة بالما والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل
يعينانه وقثم واسامة وشقران مولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصبون الما واعينهم معصوبة من ورا الستر لحديث علي لا يغسلني
الا انت فانه لا يري احد عورتي الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقي
واخرج البيهقي عن الشعبي قال غسل علي النبي صلى الله عليه
وسلم فكان يقول وهو يغسله صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي طبت
حيا وميتا **واخرج** ابو داود وصححه الحاكم عن علي قال غسلته صلى
الله عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم ار شيا وكان طيبا
حيا وميتا **وفي** رواية بن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها
ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه
ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا ندا **وذكر** بن الجوزي
انه روي عن جعفر بن محمد قال كان الما يستنقع في جفون
النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي يحسوه واما ما روي ان عليا لما
غسله عليه الصلاة والسلام امتص ما في محاجر عينيه فشربه
وانه قد ورث بذلك علم الاولين والاخرين فقال النووي
ليس بصحيح **وفي حديث** عروة عن عايشه قالت كفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثلاثة اثواب بيض سحولية اخرجه النساي
من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة واتفق عليه
الايمة السته من طريق هشام بن عروة عن ابيه عن عايشه بزيادة
من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند
الترمذي ولا ابن ماجه زاد مسلم اما الحلة فانما شبه علي الناس فيها
انها اشترت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة اثواب بيض
سحولية فاخذها عبد الله بن ابي بكر فقال لاحبسنها حتي اكفن
فيها نفسي ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها
فتصدق بثمنها **وفي** رواية له ادرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حلة يمنية كانت لعبد الله بن ابي بكر ثم نزعت منه وذكر الحديث
وفي رواية اصحاب السنن الاربعة فذكر لعايشه قولهم في ثوبين

بلغ

وبردة حبرة فقالت قد اتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه وقال
الترمذي حسن صحيح وفي رواية البيهقي في ثلاثة اثواب سحولية جدد والسحولية
بفتح السين وضمها قال النووي والفتح اشهر وهو رواية الاكثرين
وفي النهاية تبعا للهروي فالفتح منسوب الي السحول وهو القصار لانه يسحلها
اي يغسلها والي سحول وهي قرية باليمن واما الضم فهو جمع سحل وهو
الثوب الابيض النقي ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الي
الجميع وقيل ان اسم القرية بالضم ايضا والكرسف بضم الكاف واسكان
الرا وضم السين المهملتين والقاف القطن وقال الترمذي روي في كفن
النبي صلى الله عليه وسلم روايات مختلفة وحديث عايشه اصح الاحاديث
في ذلك والعمل عليه عند اكثر اهل العلم من الصحابة وغيرهم وقال
البيهقي في الخلافيات قال ابو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس وعايشه وبن عمر وجابر
وعبد الله بن المغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة
اثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وعن عبد الله بن محمد بن عقيل او من
بعده وقد اختلف في معني قوله ليس فيها قميص ولا عمامة
فالصحيح ان معناه انه ليس في الكفن قميص ولا عمامة اصلا
والثاني ان معناه انه كفن في ثلاثة اثواب خارج عن القميص والعمامة
قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والاول اظهر في المراد
وذكر النووي في شرح مسلم ان الاول تفسير الشافعي وجمهور
العلما قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان
الثاني ضعيف فلم يثبت انه صلى الله عليه كفن في قميص وعمامة
ام لا فقال مالك والشافعي واحمد يستحب ان تكون الثلاثة لفايف
ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص والعمامة او
غيرهما علي اللفايف الثلاثة لتصير خمسة فذكر الحنابلة انه مكروه
وقال الشافعية انه جايز غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال
والنساء وهي في حق النسا اكد قوله والزيادة الي السبعة غير مكروهة
وما زاد عليها سرف وقال الحنفيه ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص
ولفافة وقد اجمع المسلمون علي وجوبه وهو فرض كفاية فيجب
في ماله فان لم يكن له مال فعلي من تلزمه نفقته واختلف
اصحابنا في المتزوجه اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها او علي
زوجها فذهب الرافعي في شرح الصغير والمحرر والنووي في المنهاج

وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح
المهذب وقالـ فيه قيد القرافي وجوب الكفن على الزوج بشرط اعسار
المراة وانكروه عليه انتهى ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها وقطعا
ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق الله تعالى لا تنفذ وصيته الميت
باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطه
وفي هذا الحديث ايضا دلايل على ان القميص الذي غسل فيه النبي
صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قالـ النووي في شرح
مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو ابقي مع رطوبته
لافسد الاكفان قالـ واما الحديث الذي في سنن ابي داود عن بن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة اثواب الحلة ثوبان وقميصه
الذي توفي فيه فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد احد
رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف برواية الثقات وفي حديث
ابن عباس عند بن ماجه لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم
الثلاثا وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه
وسلم ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا دخل النسا حتى اذا فرغن دخل
الصبيان ولم يوم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم احد
وفي رواية انه اول من صلى عليه الملايكة افواجا ثم اهل بيته ثم الناس
فوجا فوجا ثم نساوه اخرا وروي انه لما صلى اهل بيته لم يدر الناس
ما يقولون فسالوا ابن مسعود فامرهم ان يسالوا عليا فقال لهم قولوا
ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم ربنا وسعديك
صلوات الله البر الرحيم والملايكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهدا والصالحين وما سبح لك من شي يا رب العالمين على محمد
بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول
رب العالمين الشاهد البشير النذير الداعي اليك باذنك السراج المنير
وعليه السلام ذكره الشيخ زين الدين المراغي في كتابه تحقيق النصرة ابو الحسن ج
قالوا اين تدفنونه فقالـ ابو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما هلك نبي قط الا يدفن حيث يقبض روحه وقالـ
علي وانا ايضا سمعته وحفر ابو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم
في موضع فراشه حيث قبض و[illegible] اختلف فيمن ادخله قبره واصح
ما روي انه نزل في قبره عمه العباس وعلي وقثم ابن العباس والفضل
بن العباس وكان اخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم

قثم بن العباس وروي انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته
قطيفة نجرانية وكان يتغطا بها فرشها شقران في القبر وقالـ والله
لا يلبسها احد بعدك قالـ النووي وقد نص الشافعي وجميع اصحابه
وغيرهم من العلما على كراهة وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحوه
٢٣٧ ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من اصحابنا فقالـ في كتابه
التهذيب لا باس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قالـه
الجمهور واجابوا عن هذا الحديث بان شقران انفرد بفعل ذلك
ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران
لما ذكرناه عنه من كراهيته ان يلبسها احد بعد النبي صلى الله عليه وسلم
انتهى وفي كتاب تحقيق النصرة قالـ بن عبد البر ثم اخرجت يعني
القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه بن زبالة ولما
دفن صلى الله عليه وسلم جات فاطمة رضي الله عنها فقالت كيف طابت
انفسكم ان تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب واخذت من تراب
القبر الشريف فوضعته على عينيها وانشات تقولـ

ماذا على من شم تربة احمد ... ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصايب لو انها ... صبت على الايام عدن لياليا

قالـ رزين ورش قبره صلى الله عليه وسلم رشه بلال بن رباح
بقربة بدا من قبل راسه حكاه بن عساكر وجعل عليه من حصبا العرصة
حمرا وبيضا ورفع قبره من الارض قدر شبر وفي حديث عايشة
عند البخاري قالت قالـ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه
الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم
مساجد لولا ذلك ابرز قبره غير انه خشي او خشي ان يتخذ مسجدا كذا
في رواية ابي عوانه عن هلال خشي او خشي على الشك فرواية الضم
مبهمة يمكن ان يفسر بانها هي التي منعت من ابرازه والفتح ضمير الشان وكانها
ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي انهم فعلوا باجتهاد
بخلاف رواية الفتح فانها تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم
هو الذي امرهم بذلك وقولـه لابرز قبره اي لكشف قبره صلى الله
عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحايل والمراد الدفن خارج بيته وهذا
قالته عايشة رضي الله عنها قبل ان يوسع المسجد ولهذا لما وسع
المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتاتى لاحد ان
يصلي الى جهة القبر الكريم مع استقباله القبلة وفي البخاري

ايضا من حديث ابي بكر بن عياش عن سفيان التمار انه حدثه انه راي قبر
النبي صلى الله عليه وسلم مسنما اي مرتفعا زاد ابو نعيم في المستخرج وقبر ابي
بكر وعمر كذلك واستدل به على ان المستحب تسنيم القبور وهو
قول ابي حنيفة ومالك واحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى
القاضي حسين اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بان جماعة من قدما
الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردي
واخرون وقول سفيان التمار لا حجة فيه كما قال البيهقي
لاحتمال ان يكون قبره صلى الله عليه وسلم في الاول لم يكن مسنما
فقد روي ابو داود والحاكم من طريق القسم بن محمد بن ابي بكر
قال دخلت على عايشه فقلت يا امه اكشف لي عن قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحا
العرصه الحمرا زاد الحاكم فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما
وابا بكر راسه بين كتفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمر راسه عند رجلي
النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكانها كانت
في الاول مسطحة ثم لما بني جدار القبر في امارة عمر بن عبد العزيز
على المدينه من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة وقد
روي ابو بكر الاجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم
من طريق اسحاق بن عيسي ابن بنت داود بن ابي هند عن غنيم ابن
بسطام المديني قال رايت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر
ابن عبد العزيز فرايته مرتفعا نحوا من اربع اصابع ورايت قبر
ابي بكر وراء قبره ورايت قبر عمر وراء قبر ابي بكر اسفل منه ثم الاختلاف
في ذلك في ايهما افضل لا في اصل الجواز ورجح المزني التسنيم من حيث
المعنى بان المسطح يشبه ما يصنع للجلوس بخلاف المسنم ويرجح التسطيح
ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد انه امر بقبر فسوي ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بتسويتها وعن هشام بن عروة عن
ابيه لما سقط عليهم الحايط يعني حايط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم
في زمان الوليد بن عبد الملك اخذوا في بنايه فبدت لهم قدم ففزعوا
وظنوا انها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا احدا يعلم
ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه
وسلم ما هي الا قدم عمر رواه البخاري ايضا والسبب في ذلك
ما رواه الاجري من طريق شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة قال

الوليد

اخبرني

اخبرني ابي قال كان الناس يصلون الي القبر الشريف فامر عمر بن عبد
العزيز فرفع حتى لا يصلي اليه احد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز
فاتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسري عن عمر
بن عبد العزيز وروي الاجري قال رجا بن حيوة قبر ابي بكر عند وسط
النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف ابي بكر راسه عند وسطه وهذا
ظاهر على الحديث حديث القاسم فان امكن الجمع والا فحديث القاسم اصح
واما ما اخرجه ابو يعلى من وجه اخر عن عايشه ابو بكر عن يمينه وعمر
عن يساره فسنده ضعيف انتهي ملخصا من فتح الباري وقد
اختلف اهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات
اوردها ابن عساكر في تحفة الزاير ونقل اهل السير عن سعيد بن المسيب
قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسي
بن مريم عليهما السلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسي بن
مريم الي الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا واربعين سنة ثم
يموت فيدفن معي في قبري فاقوم انا وعيسي بن مريم من قبر واحد
بين ابي بكر وعمر كذا ذكره في تحقيق النصرة والله تعالي اعلم
فان قلت تقدم انه عليه الصلاة والسلام توفي في يوم الاثنين
ودفن يوم الاربعا فلم اخر دفنه عليه الصلاة والسلام وقد قال
عليه الصلاة والسلام لاهل بيت اخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم
ولا تؤخروه فالجواب لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته او لانهم
كانوا لا يعلمون حيث يدفن عليه السلام حتى قال العالم الاكبر صديق الامة
سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت ذكره ابن ماجه والموطا كما
تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب
ان يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه او لانهم اشتغلوا في الخلاف الذي
وقع بين المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا فيها حتى استقر الامر
في الخلافة ونظمها فبايعوا ابا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة اخرى
على ملا منهم وكشف الله به الكربة من اهل الردة ثم رجعوا بعد
ذلك الي النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه فغسلوه وكفنوه
ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه
الكريمة لا كزينة المدينة يوم قدوم الملك اذا كان عرش الرحمن
قد اهتز لموت بعض اتباعه فرحا واستبشارا لقدوم روحه فكيف بقدوم
روح الارواح ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشه بحرابهم

قال قوم في البقيع وقال اخرون في المسجد وقال قوم يحمل الي ابيه ابراهيم حتى يدفن صح

فرحا بقدومه كما رواه ابو داود من حديث انس وفي رواية الدارمي قال
انس ما رايت يوما كان احسن ولا اضوا من يوم دخل علينا فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما رايت يوما كان اقبح ولا اظلم من يوم مات
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي لما كان اليوم الذي
دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضا منها كل شيء
فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء وما نفضنا ايدينا
عن التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا ومن اياته عليه الصلاة
والسلام بعد موته ما ذكر من حزن حان عليه حتى تردا في بير وكذا
ناقته فانها لم تاكل ولا تشرب حتى ماتت ومن ذلك ظهور ما اخبر به
انه كاين بعد موته مما لا نهاية له ولا عد يحصيه مما ذكرت بعضه
في المقصد الثامن وفي حديث ابي موسى عند مسلم انه صلى الله عليه
وسلم قال ان الله اذا اراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها
فرطا وذخرا وسلفا بين يديها واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حي
فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا امره وانما كان
قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبل امته خيرا لانهم اذا قبضوا قبله انقطعت
اعمالهم واذا اراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقايهم
محافظين على ما امروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد
نسل وعقبا بعد عقب **الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف**
اعلم ان زيارة القبر الشريف من اعظم القربات وارجا الطاعات
والسبيل الى اعلا الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة
الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلما الاعلام وقد اطلق
بعض المالكية وهو ابو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل من تهذيب
الطالب لعبد الحق انها واجبة قال ولعله اراد وجوب السنن
المؤكدة وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع
عليها وفضيلة مرغب فيها وروى الدارقطني من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق في احكامه الوسطى
وفي الصغرى وسكت عنه سكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته
وفي المعجم الكبير للطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من جاني زايرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا علي ان اكون له
شفيعا يوم القيامة وصححه ابن السكن وروي عنه صلى الله عليه وسلم

٢٢٩

من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني وذكره ابن فرحون في مناسكه
والغزالي في الاحيا ولم يخرجه العراقي بل اشار الى ما اخرجه ابن النجار
في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن انس ما من احد من امتي له سعة — بلغو،
ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان
في الضعفا والدارقطني في العلل وغرايب مالك واخرين كلهم عن ابن عمر
مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح له على تقدير ثبوته
فليتامل قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفا — نزك ا
اذى والاذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفا واجبة
وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينيذ وبالجملة فمن تمكن من
زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك وعن
حاطب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي
فكانما زارني في حياتي ومن مات باحد الحرمين بعث من الامنين
رواه البيهقي عن رجل من ال حاطب لم يسمه عن حاطب وعن عمر
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من زار قبري او قال من زارني كنت له شفيعا او شهيدا رواه البيهقي
وغيره عن رجل من ال عمر لم يسمه عن عمر وعن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة
كان في جواري يوم القيامة رواه البيهقي ايضا العلامة زين الدين العراقي
بن الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه
وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول
الاية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان استغفار
الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما اجاب به
بعض ايمة التحقيق لان الاية دلت على تعليق وجدان الله تعالى توابا
رحيما بثلاثة امور المجي واستغفارهم واستغفار الرسول لهم — والمومنات
وقد حصل استغفار الرسول لجميع المومنين لانه صلى الله عليه وسلم
قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
فاذا وجد مجيهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله
تعالى ورحمته وقد اجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه
النووي واوجبها الظاهرية فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة
بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله

عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلما لا فرق في زيارته صلى الله عليه
وسلم بين الرجال والنسا وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة
القبور للرجال وفي النسا خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال
بن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده
فان فيه من الرغبة ما لا غنا بك ولا باحد عنه وينبغي لمن نوي الزيارة
ان ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه لانه احد
المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو افضلها عند مالك
وليس لشد الرحال الي غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجي به
وهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح
عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد صح ان عمر بن
عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
فالسفر اليه قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما
جزم به جمع من اصحابنا وعبارته اذا واحد انتهى ولو نذر اتيان
المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية
والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي
ايضا انه يخرج بالصلاة في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي
في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين بن تيمية
هنا كلام بشع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة النبوية المحمدية
وانه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي
في شفا السقام فشفا صدور المومنين وحكي الشيخ ولي الدين العراقي
ان والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الدمشقي
في التوجه الي بلد الخليل عليه السلام فلما دني من البلد قال نويت
الصلاة في مسجد الخليل ليحترز عن شد الرحال الزيارة على طريقة
شيخ الحنابلة بن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه السلام
فقلت له اما انت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال
لا تشد الرحال الا الي ثلاثة مساجد وقد شددت الرحال الي مسجد رابع واما
انا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال زوروا القبور افقال
الا قبور الانبيا قال فبهت ويتاكد لمن اراد الزيارة ان يكثر من الصلاة
والسلام عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة
وما تعرف به فليزد الصلاة عليه والسلام وليسال الله ان ينفعه بزيارته
ويسعده بها في الدارين وليغتسل وليلبس النظيف من ثيابه وليترجل

ماشيا

ماشيا باكيا لما راي وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم القوا
انفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات
الله وسلامه عليه وروينا مما ذكره القاضي عياض في الشفا ان ابا الفضل
الجوهري لما ورد الي المدينة زايرا وقرب من بيوتها ترجل ومشي ٢٤٠
باكيا منشدا يقول

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ❊ فواد العرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ❊ لمن بان عنه ان يلم به ركبا

وانبيت ان العلامة ابا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة
اربع وثمانين وستمايه كان معي رفيقي الوزير ابا عبد الله ابن ابي
القسم بن الحكيم وكان ارمد فلما دخلنا ذا الحليفة او نحوها نزلنا عن
الاكوار وقوي الشوق لقرب المزار فنزل وبادر في المشي على قدميه
احتسابا لتلك الاثار واعظاما لمن حل تلك الديار فاحس بالشفا
فانشد لنفسه في وصف الحال

ولما راينا من ربوع حبيبنا ❊ بيثرب اعلاما اثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا ❊ شفينا فلا باسا نخاف ولا كربا
وحين تبدي للعيون جمالها ❊ ومن بعدها عنا ادلت لنا القربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ❊ لمن حل فيها ان نلم به ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته ❊ ونلثم من حب لواطيه الترْبا
وان بقايي دونه لخسارة ❊ ولو ان كفي تملا الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه ❊ يقيم مع الدعوي ويستعمل الكتبا
وزلات مثلي لا تعد كثيرة ❊ وبعدي عن المختار اعظمها ذنبا

فلما كنت سايرا لقصد الزيارة في ربيع الاخر سنه اثنين وتسعين وثمانمايه
ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر لقرب المزاره
من اشرف الديار تسابق الزوار اليه وتعالوا بالصعود عليه استعجالا
لمشاهدة تلك الاثار فبرقت لوامع الانوار النبوية وهبت عرف
نسمات المعارف المحمدية فطبنا وغبنا اذ شهدنا اعلام ديار اشرف
اشرف البرية

الامع برق يغتدي ويروح ❊ ام النور من ارض الحجاز يلوح
وريح الصبا هبت بطيب عرفهم ❊ ام الروض في وجه الصباح يفوح
اذا ارج ذاك الحي هبت فانها ❊ حياة لمن يغدو والهاو يروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت ❊ فللنور بين الواردين وضوح

فناهيك الا ديار محمد ٭ وذاك سناها يغتدي ويروح ٭
والا فما للركب هاج اشتياقهم ٭ فكل من الشوق الشديد يصيح ٭
وانت مطايا الركب حتى كانها ٭ حمام على قضب الاراك ينوح ٭
وقد مدت الاعناق شوقا وطرفها ٭ الي النور من تلك الديا ر يلوح ٭
رات دار من تهوى فزاد اشتياقها ٭ ومدمعها في الوجنتين سفوح ٭
اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق ٭ جفافما للصب ليس ببوح ٭

ولما قربنا من المدينه واعلامها وتدانينا من معانية روباها الكريمة واكامها وانتشقنا عرف لطايف ازهارها وبدت لنواظرنا بوارق انوارها وترادفت واملت المنح والعطايا وترجل القوم عن المطايا فانشدت متمثلا تقول ٭

اتيتك زايرا وودت اني ٭ جعلت سواد عيني امتطيه ٭
ومالي لا اسير على الماقي ٭ الى قبر رسول الله فيه ٭

ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات ٭ حتى اصابت بعض الثرى والجدرات ٭

ايها المغرم المشوق هنيا ٭ ما اناولك من لذيذ التلاق ٭
قل لعينيك يهملان سرورا ٭ طالما اسعداك يوم الفراق ٭
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا ٭ وجميع الاشواق والاشفاق ٭
وامر العين ان تفيض انهمالا ٭ وتوالي بدمعها المهراق ٭
هذه دارهم وانت محب ٭ ما بقا الدموع في الاماق ٭

وكان ما كان مما لست اذكره ٭ فظن خيرا ولا تسال عن الخبر ٭

ويستحب صلاة ركعتين قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحبت الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي نسك بن فرحون فان قلت المسجد انما يشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي الوقوف ابتداء عنده صلى الله عليه وسلم قلت قال بن حبيب في اول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيي بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قدمت من سفر فجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم عليه وهو بفنا المسجد فقال ادخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم سلم علي ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة وقال بن الحاج وكل

ذلك

ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله اعلم انتهي وينبغي للزاير ان يستحضر من الخشوع ما امكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار وفي البخاري ان عمر رضي الله عنه قال لرجلين من اهل الطايف لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا وروي عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا توذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله بن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته وينبغي للزاير ان يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جا من جهة رجلي الصاحبين فهو ابلغ في الادب من الايتان من جهة راسه الكريم ويستدبر القبله ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم بان يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لانه هناك عدة قناديل وقد روي ان مالكا لما ساله ابو جعفر المنصور العباسي يا ابا عبد الله استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو ام استقبل القبلة وادعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام الى الله عز وجل يوم القيامة وينبغي ان يقف عند محاذات اربعة اذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حالة حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته باحوالهم ونياتهم وعزايمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفا به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب ان من انتقل الى عالم البرزخ من المومنين يعلم احوال الاحيا غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب وقد روي بن المبارك عن سعيد بن المسيب ليس من يوم الا ويعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم

لكن رايت منسوبا للشيخ تقي الدين ابن تيميه في منسكه ان هذه الحكاية كذب على مالك وان الوقوف عند القبر بدعة قال ولم يكن احد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده صلى الله عليه وسلم قال ومالك من اعظم الايمة كراهية لذلك

واعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزاير وجهه الكريم عليه الصلاة
والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظم حرمته
وان اكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كاخي السرار تعظيما لما
عظم الله من شانه وقد روي بن النجار ان امراة سالت عايشه رضي الله
عنها ان اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته
فبكت حتى ماتت وحكى عن ابي الفضايل الحموي احد خدام الحجرة
المقدسه انه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ اتى باب مقصورة الحجرة
الشريفه فطاطا راسه نحو القبلة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد
جنازته ثم يقول الزاير بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون
جوارح واطراق السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله
السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا صفوة
الله السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك يا قايد
الغر المحجلين السلام عليك وعلى اهل بيتك الطيبين السلام عليك وعلى
ازواجك الطاهرات امهات المومنين السلام عليك وعلى اصحابك اجمعين
السلام عليك وعلى ساير الانبيا وساير عباد الله الصالحين جزاك الله
يا رسول الله افضل ما جزي نبيا ورسولا عن امته وصلى الله عليك
كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون اشهد ان لا
اله الا الله واشهد انك عبده ورسوله وامينه وخيرته من خلقه
واشهد انك قد بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت الامة
وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك او عن حفظه
فليقل ما تيسر منه او مما يحصل به الغرض وفي التحفة ان ابن عمر وغيره
من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون فيه جدا فعند مالك بن انس
امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشان من رواية بن وهب
عنه يقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وعن نافع
بن عمر انه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم اتى القبر المقدس عن
فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام
عليك يا عمر السلام عليك يا ابتاه وينبغي ان يدعوا ولا يتكلف السجع فانه
قد يودي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى عن جماعة منهم
الامام ابو نصر بن الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي
واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معوية بن عمرو ابن عتبة بن ابي

سفيان

سفيان صخر بن حرب وتوفي في سنه ثمان وعشرين ومايتين وذكرها
بن النجار وبن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن عن محمد بن حرب
الهلالي قال اتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست الرسلم
بحذايه فجا اعرابي فزاره ثم قال يا خير الرسل ان الله انزل عليك كتابا
صادقا فيه ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر قال و ٢٤٣
لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جيتك مستغفرا من ذنبي
مستشفعا بك الى ربي وانشا يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسي الفدا لقبر انت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ووقف اعرابي على قبره الشريف وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد
وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقني من النار على قبر حبيبك
فهتف به هاتف يا هذا تسال العتق لك وحدك هلا سالت لجميع
الخلايق اذهب فقد اعتقناك من النار فانشا يقول

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ۞ في رقهم عتقوهم عتق احرار
وانت يا سيدي اولى بذا كرما ۞ قد شبت في الرق فاعتقني من النار

وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه
وسلم فقال يا رب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خايبين فنودي يا هذا
ما اذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك
من الزوار مغفورا لكم وقال بن ابي فديك سمعت بعض من ادركت
يقول بلغنا انه من وقف عند قبره صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الاية
ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال صلى الله عليك يا محمد حتى
يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة
قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره والاولى ان ينادي يا رسول
الله وان كانت الرواية يا محمد انتهى وقد نبهت على ذلك مع مزيد
بيان في كتاب لوامع الابرار في الادعية والاذكار فان اوصاه
احد بابلاغ السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فليقل السلام
عليك يا رسول الله من فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على
ابي بكر رضي الله عنه لان راسه بحذا منكب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما جزم به رزين وغيره وعليه الاكثر
فيقول السلام عليك يا خليفة رسول الله سيد المرسلين السلام عليك
يا من ايد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين

خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيقول السلام عليك يا امير المومنين
السلام عليك يا من ايد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين
خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول
قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على
سيدنا ابي بكر وعمر فيحمد الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي
صلى الله عليه وسلم ويكثر الدعا والتضرع ويجدد التوبة في حضرته
الكريمة ويسال الله تعالى بجاهه ان يجعلها توبة نصوحا ويكثر
من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته
الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه وقد روى ابو داود من حديث
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم علي
الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وعند ابن ابي شيبة
من حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته
ومن صلى علي غايبا بلغته وعن سليمان بن سحيم مما ذكره القاضي
عياض في الشفا قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هولا الذين ياتونك فيسلمون عليك
اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم ولا شك ان حياة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا صلى الله عليه
وسلم افضلهم واذا كان كذلك فينبغي ان تكون حياته اكمل واتم
من حياة سايرهم فان قال سقيم الطبع ورديء الفهم لو كانت حياته
صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما
قال الا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه احدها ان هذا
اعلام بثبوت وصف الحياة دايما لثبوت رد السلام دايما فوصف
الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند ملزومه
ثابت دايما وهذا من بقايا سحر البيان في اثبات المقصود
باكمل انواع البلاغة واكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته
العظمى ومنها ان ذلك عبارة عن اقبال خاص والتفات روحاني يحصل
من الحضرة النبوية الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد الترابية
وتنزل الى دايرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا
الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة
اكثر من الف الف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات

الروحاني

الروحاني ولقد رايت من ذلك ما لا استطيع ان اعبر عنه ولقد احسن من
سيل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه في مشارق الارض
ومغاربها في آن واحد فانشد ابي الطيب يقول
كالشمس في وسط السما ونورها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
٢٤٣ ولا ريب ان حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ افضل واكمل من
حال الملايكة هذا سيدنا عزرايل عليه السلام يقبض مائة الف روح
في وقت واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة
الله تعالى مقبل على التسبيح والتقديس فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا
بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم
ميتون في اواخر الخصايص من المقصد الرابع وقد روى الدارمي
عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة لم يوذن في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان
لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما
حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت
الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس لكل صلاة
حتى مضت الثلاث ليال يعني ليالي ايام الحرة وقد روى غيره
من حديث انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الانبيا احيا في قبورهم يصلون وفي رواية ان الانبيا
لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي
الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في الصحيح منها قوله صلى الله عليه
وسلم مررت بموسى وهو قايم يصلي في قبره وفي حديث ابي ذر في قصة
المعراج انه لقي الانبيا في السموات وكلموه وقد ذكرت مزيد بيان لذلك
في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصايص الكريمة من مقصد
معجزاته وفي مقصد الاسرا والمعراج وهذه الصلوات والحج الصادر
من الانبيا ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ ويحتمل
ان يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من
الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب بتكليف وبالله التوفيق
واذا ثبت بشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبتت للنبي صلى الله

ذلك

عليه وسلم بطريق الاولى والذي عليه جمهور العلما ان الشهدا احيا
حقيقة وهل هذا للروح فقط وللجسد معها بمعنى عدم البلا فيه
قولان وقد صح عن جابر ان اباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهد
باحد ودفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان
احدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده
عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين
ايدست واربعين سنة وروي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
في شهدا احد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة
الا ردوا عليه رواه البيهقي عن ابي هريرة وقد قال ابن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة
علي في الليلة الزاهرة واليوم الازهر فانهما يوديان عنكم وان
الارض لا تاكل اجساد الانبيا رواه ابو داود وابن ماجه وقال
ابن زبالة عن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه
روح القدس لم يوذن للارض ان تاكل من لحمه وقد ثبت ان نبينا
صلى الله عليه وسلم مات شهيد الاكلة يوم خيبر من شاة مسمومة
سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر ابن البرا وصار بقاوه صلى
الله عليه وسلم معجزة فكان به الم السم يتعاهده الى ان مات به
وكذا قال في مرض موته كما مر ما زالت اكلة خيبر تعاودني حتى
كان الان قطعت ابهري والابهران عرقان يخرجان من القلب يتشعب
منهما الشرايين كما ذكر في الصحاح قال العلما فجمع الله له بذلك بين
النبوة والشهادة انتهى وقد اختلف في محل الوقوف للدعا فعند
الشافعية انه قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم كما ذكرته وقال
ابن فرحون من المالكية اختلف اصحابنا في محل الوقوف للدعا ففي الشفا
قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه
وسلم يقف للدعا ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة وقد سال
صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيامة وقال مالك
في المبسوط لا ارى ان يقف عند القبر يدعوا لكن يسلم ويمضي قال
ابن فرحون ولعل ذلك اختلاف قول وانما امر المنصور بذلك لانه
يعلم ما يدعوا ويعلم اداب الدعا بين يديه صلى الله عليه وسلم فامن
عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وافتى العامة ان يسلموا وينصرفوا

لئلا

لئلا يدعوا تلقا وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم
فيما لا ينبغي الدعا به او فيما يكره او يحرم فمقاصد الناس وسرايرهم مختلفة
واكثرهم لا يقوم باداب الدعا ولا يعرفها فلذلك امرهم مالك
بالسلام والانصراف انتهى ورايت مما نسب للشيخ تقي الدين
بن تيمية في منسكه ولا يدعوا هنالك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها
٢٤٤ ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق الايمة ومالك من اعظم الايمة
كراهية لذلك والحكاية المروية عنه انه امر المنصور ان يستقبل
القبر وقت الدعا كذب على مالك كذا قال فالله اعلم انتهى
واما قول الابوصيري في بردة المديح

∴ لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ∴ طوبى لمنتشق منه وملتثم ∴

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كانه اشارة الى النوعين
لمنتشق المستعملين في الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واليه اشار بقوله
واما بالتضمخ واليه اشار بملتثم قال واقل ذلك بتعفير جبهته
وانفه بتربته حال السجود في مسجده عليه الصلاة والسلام فليس المراد به
تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى
الطيب وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من الطيب وهذا مبني
على ان المراد ان تربته افضل انواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية
وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر ادركه امرا وكه اصلا واما باعتبار
اعتقاد المومن في ذلك فان المومن لا يعدل بشم رايحة تربته
عليه الصلاة والسلام شيا من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة
الحسية لادرك ذلك كل احد فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه
لكل احد بل حتى يوجد الشرايط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل
على عدم المدرك وانتفا الدليل لا يدل على انتفا المدلول فالمزكوم
لا يدرك رايحة المسك مع ان الرايحة قايمة فالمسك لم ينتف ولما
كانت احوال القبر من الامور الاخروية لا جرم لا يدركها من الاحيا
الا من كشف له الغطا من الاوليا المقربين لان متاع الاخرة باق
ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا ريب
عند من له ادنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره روضة من رياض
الجنة بل افضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه
الشريف عليه الصلاة والسلام الذي هو اطيب الطيب فلا مرية
انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ويرحم الله ابا

العباس احمد بن محمد العريف حيث يقول في قصيدته

النبي اوله

اذا ما حدي الحادي باجمال يثرب … فكثبت المطايا فوق خدي تعبق
فما عبق الريحان الا وتربها … اجل من الريحان طيبا واعبق

شم قال بعد (في الهامش)

ولـه ايضـا

راحت ركايبهم تبدي روايحها … طيبا فيا طيب ذاك الوفد اشباحا
نسيم قبر المصطفي لهم روض … اذ انشروا من ذكره فاحا

النبي (في الهامش)

ولله در القايل

فاح الصعيد بجسمه فكانه … روض ينم بعرفه المتارج
ما جسمه مما يغيره الثري … والورد منه كالصباح الابلج

وقال بن بطال في قوله عليه الصلاة والسلام المدينة ينصع طيبها هو مثل ضربه للمومن المخلص لان الساكن فيها الصابر علي لاوايها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه وقوي لاغتباطه بسكني المدينة وبقربه من رسوله كما ينصع مزيج الطيب فيها ويزيد عبقا علي ساير البلاد خصوصية خص الله بها بلدة رسوله عليه الصلاة والسلام الذي اختار تربتها لمباشرة جسده الطيب المطهر وقد جا في الحديث ان المومن يقبر في التربة التي خلق منها فكانت بهذا تربة المدينة افضل التراب كما انه صلي الله عليه وسلم افضل البشر التي خلق فكانت بهذا تربة المدينة فلهذا والله اعلم يتضاعف ريح الطيب فيها علي ساير البلدان انتهي وينبغي للزاير ان يكثر من الدعا والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلي الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به ان يشفعه الله اعلم ان الاستغاثة هي طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث منه فلا فرق بين ان يعبر بلفظ الاستغاثة او التوسل او التشفع او التجوه او التوجه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الي من هو اعلا منه ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبي صلي الله عليه وسلم كما ذكره في تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في مدة حياته في الدنيا وبعد موته في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات

القيامة

٢٤٥ القيامة فاما الحالة الاولي فحسبك ما قدمته في المقصد الاول من استشفاع ادم عليه السلام به لما اخرج من الجنة وقول الله تعالي له يا ادم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك وفي حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقي وغيرهما واذا سالتني بحقه غفرت لك ويرحم الله بن جابر حيث قال

به قد اجاب الله ادم اذ دعي … ونجي في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره … ومن اجله نال الفدا ذبيح

رضي الله عنه وصح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لما اقترف ادم الخطيه قال يا رب اسالك بحق محمد لما غفرت لي قال الله تعالي يا ادم وكيف عرفت محمدا ولم اخلقه قال يا رب انك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك ورفعت راسي فرايت قوايم العرش مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت انك لا تضيف الي اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله تعالي صدقت يا ادم انه لا حب الخلق الي واذا سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ذكره الطبري وزاد فيه وهو اخر الانبيا من ذريتك واما التوسل به بعد خلقه في مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته في مقصد المعجزات ومقصد العبادات في الاستسقا ومن ذلك استغاثة ذوي العاهات به وحسبك ما رواه النساي والترمذي عن عثمان بن حنيف ان رجلا ضريرا اتاه صلي الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني قال فامره ان يتوضا فيحسن وضوه ويدعو بهذا الدعا اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمه يا محمد اني اتوجه بك الي ربك في حاجتي لتقضي اللهم شفعه في وصححه البيهقي وزاد فقام وقد ابصر واما التوسل به صلي الله عليه وسلم بعد موته في البرزخ فهو اكثر من ان يحصي او يدرك باستقصي وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابي عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لي دا اعيا دوا الاطبا واقمت به سنين فاستغثت به صلي الله عليه وسلم ليلة الثامن والعشرين من جمادي الاولي سنة ثلاث وتسعين وثمان مايه بمكة زادها الله شرفا ومن علي بالعود اليها في عافية بلا محنة فبينما انا نايم اذ جا رجل معه قرطاس مكتوب فيه هذا دوا الدا احمد بن

بلغ (في الهامش)

القسطلاني فلم اجد بحمد الله شيا مما كنت اجده وحصل الشفا ببركة النبي
المصطفى صلى الله عليه وسلم ووقع لي ايضا في سنة خمس وثمانين وثمان
ماية بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر اني صرعت
خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستشفعت به صلى الله
عليه وسلم في ذلك فاتاني آت في منامي ومعه الجني الصارع لها
فقال لقد ارسله لك النبي صلى الله عليه وسلم فعاتبته وحلفته
الا يعود اليها ابدا ثم استيقظت وليس بها قلبة كانما نشطت من عقال
ولازالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة اربع وتسعين وثمانماية
والحمد لله رب العالمين واما التوسل به صلى الله عليه وسلم في عرصات
القيامة فمما قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار في حديث
الشفاعة فعليك ايها الطالب ادراك السعادة المومل لحسن الحال
في حضرة الغيب والشهادة بالتعلق باذيال عطفه وكرمه والتطفل على
موايد نعمته والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره المنيف فهو
الوسيلة الى نيل المعالي واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع لكافة والهلع
الرسل الكرام واجعله امامك فيما نزل من النوازل وامامك فيما
تحاول من القرب والمنازل فانك تظفر من المراد باقصاه وتدرك
رضى من احاط بكل شيء علما واحصاه واجتهد ما دمت بطيبة الطيبة
حسب طاقتك في تحصيل انواع القربات ولازم قرع ابواب
السعادات باظافير الطلبات ⁂ وارق في مدارج العبادات
وادرك في سرادق المرادات ⁂

⁂ تمتع ان ظفرت بنيل قرب ⁂ وحصل ما استطعت من ادخاري ⁂
⁂ فها انا قد ابحت لكم عطاي ⁂ وها قد صرت عندي في جواري ⁂
⁂ فقد وسعت ابواب التداني ⁂ وقد قربت للزوار داري ⁂
⁂ فخذ ما شيت من اكرم وجود ⁂ ونل ما شيت من نعم غزاري ⁂
⁂ فنع ناظريك فها جمالي ⁂ تجلى للقلوب بلا استتاري ⁂

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة
التي ثبت انها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري قال
ابن ابي جمرة معناه تنتقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون
روضة من رياض الجنة ويحتمل ان يكون المراد ان العمل فيها
يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين
الوجهين حتى يعني احتمال كونها تنتقل الى الجنة وكون العمل

فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل
يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس اما الدليل على ان العمل فيها
يوجب روضة في الجنة فلانه اذا كانت الصلاة في مسجده عليه الصلاة
والسلام بالف فيما سواه من المساجد فلهذا البقعة زيادة على غيره واما
كونها بعينها في الجنة وكون المنبر ايضا على الحوض كما اخبر عليه الصلاة
والسلام بان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فما العلة التي اوجبت
للجذع الجنة هي في البقعة سوا على ما اذكره بعد ان شا الله تعالى والذي
اخبر بهذا الخبر بهذا فينبغي الحمل على اكمل الوجوه وهو الجمع بينهما
لانه قد تقرر من قواعد الشرع ان البقع المباركة ما فايدة بركتها
لنا والاخبار بها لنا الا لتعميرها بالطاعات فان الثواب فيها اكثر
وكذلك الايام المباركة ايضا فعلى هذا يكون الموضع روضة
من رياض الجنة الان ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل
بالعمل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين احدهما لعلو
منزلته عليه الصلاة والسلام ولما خص الخليل عليه السلام بالجنة
خص الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة وهنا بحث
لم جعلت هذه البقعة من بين ساير البقع روضة من رياض الجنة
فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا الحكمة فحينيذ يحتاج الى البحث والاظهر
انها لحكمة وهي انه قد سبق في العلم الرباني ما ظهر ان الله عز
وجل فضله على جميع خلقه وان كل من كان بنسبة ما من جميع المخلوقات
يكون له تفضيل على جنسه كما استقري في كل اموره من بدي ظهوره
عليه الصلاة والسلام الى حين وفاته في الجاهلية والاسلام فمنها
ما كان من شان امه وما نالها من بركته عليه الصلاة والسلام مع الجاهلية
الجهلا حسب ما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى
الاتان وحتى البقعة التي تجعل الاتان يدها عليها تخضر من حينها
وما هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه الصلاة والسلام
حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله من الخيرات والبركات
حسا ومعنى كما هو منقول ومعروف ولما شاءت القدرة انه عليه
الصلاة والسلام لابد له من بيت ولابد له من منبر وانه بالضرورة
يكثر تردده عليه الصلاة والسلام بين المنبر والبيت فالحرمة التي
اعطي اذا كان من مسة واحدة بمباشرة او بواسطة حيوان او غيره تظهر
البركة والخير فكيف مع كثرة تردداده عليه الصلاة والسلام في البقعة الواحدة

باقي البقع كما كان للمسجد زيادة على ... الدليل على ...
٢٤٤
لجرمه و
وحيث وضع عليه الصلاة والسلام يده المباركة ظهر في ذلك كله

مرارا في اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته الي حين وفاته فلم
يبق لها من الترفيع بالنسبة الي عالمها اعلا مما وصفنا وهو انها
كانت من الجنة و تعود اليها وهي الان منها و للعامل فيها مثلها فلو كانت
مرتبه يمكن ان تكون ارفع من هذه في هذه الدار لكانت هذه اعلا مرتبة
مما ذكرنا في جنسها فان احتج محتج لا فهم له بان يقول ينبغي
ان يكون ذلك للمدينة بكمالها لانه عليه الصلاة والسلام كان
يطوها بقدمه مرارا فالجواب انه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل
لغيرها من ذلك ان ترابها شفا كما اخبر عليه الصلاة والسلام
مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وذلك
الفتن العظام وانه صلي الله عليه وسلم اول ما يشفع لاهلها يوم القيامة
وان ما كان بها من الوبا والحما خرج عنها وانه بورك في طعامها
وشرابها واشيا كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما اشرنا اليه
اولا بان تردده عليه الصلاة والسلام في المسجد نفسه اكثر مما
في المدينة نفسها وتردده عليه الصلاة والسلام فيما بين المنبر
والبيت اكثر مما سواه من ساير المسجد فالبحث تاكد بالاعتراض
لانه جاته البركة متناسبة التكرار تلك الخطوات المباركة والقرب
من تلك النسمة المرتفعة لا خفا فيه الاعلي ملحد اعمي البصيرة فالمدينة
ارفع المدن والمسجد ارفع المساجد والبقعة ارفع البقع فقضية معلومة
وحجة ظاهرة موجودة انتهي وقال الخطابي المراد من هذا الحديث
الترغيب في سكني المدينة وان من لازم ذكر الله في مسجدها آل به
الي روضة الجنة وسقي يوم القيامة من الحوض انتهي وتقدم
في الخصايص من مقصد المعجزات مزيد لذلك وعند مسلم من حديث
ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال
صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام وقد اختلف العلما في المراد بهذا الاستثنا علي حسب
اختلافهم في مكة والمدينة ايهما افضل فذهب سفيان بن عيينة
والشافعي واحمد في اصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف
وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجي عن عطا بن ابي رباح الباجي
والمكيين والكوفيين وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلي وابن مسعود
وابي الدردا وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلما ان
مكة افضل من المدينة وان مسجد مكة افضل من مسجد المدينة لان

الامكنة تشرف

٢٤٧

الامكنة تشرف بفضل العبادة فيها علي غيرها مما تكون العبادة فيها
مرجوحة وقد حكي ابن عبد البر انه روي عن مالك ما يدل علي
ان مكة افضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن اصحابه في مذهبه
تفضيل المدينة انتهي وقال مالك المدينة ومسجدها افضل ومما
احتج به اصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله ابن الحمرا انه سمع
رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو واقف علي راحلته يقول والله انك لخير
ارض الله واحبها الي الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت قال الترمذي حسن
صحيح وقال ابن عبد البر هذا اصح الاثار عنه صلي الله عليه وسلم قال وهذا
قاطع في محل الخلاف انتهي فعند الشافعي والجمهور معناه اي الحديث الا المسجد
الحرام فان الصلاة فيه افضل من الصلاة في مسجدي وعند مالك وموافقيه
الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجدي تفضله بدون الالف وعن عبد
الله بن الزبير قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم صلاة
في مسجدي افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
وصلاة في المسجد الحرام افضل من ماية في هذا رواه احمد وابن خزيمة
وابن حبان في صحيحه وزاد يعني في مسجد المدينة والبزار ولفظه صلاة
في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه
يزيد عليه ماية قال السندي واسناده صحيح ومما يستدل به
المالكية ما ذكره ابن حبيب في الواضحة انه صلي الله عليه وسلم قال
صلاة في مسجدي كالف صلاة فيما سواه وجمعة في مسجدي كالف جمعة فيما سواه
ورمضان في مسجدي كالف رمضان فيما سواه ومذهب عمر بن الخطاب
وبعض الصحابة واكثر المدنيين كما قاله القاضي عياض ان المدينة افضل
وهو احد الروايتين عن احمد واجمعوا علي ان الموضع الذي ضم اعضاه
الشريفة صلي الله عليه وسلم افضل بقاع الارض حتي موضع الكعبة
كما قاله ابن عساكر والباجي والقاضي عياض بل نقل التاج السبكي كما
ذكره السيد السمهودي في فضايل فضل المدينة عن ابن عقيل الحنبلي
انها افضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيلها علي السموات ولفظه
واقول انا وافضل من بقاع السموات ايضا قال ولم ار من تعرض لذلك
والذي اعتقده لو ان ذلك عرض علي علما الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء
ان السموات شرفت بمواطي قدميه بل لو قال قايل ان جميع بقاع الارض
افضل من جميع بقاع السما لشرفها لكونه صلي الله عليه وسلم حالا فيها
لم يبعد بل هو الظاهر المتعين انتهي وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق

عنزي
المنقبع

الانبيا منها ودفنهم فيها لكن قال النووي الجمهور علي تفضيل السما علي
الارض اي ما عدا ما ضم الاعضا الشريفة وقد استشكل ما ذكر من الاجماع
علي افضلية ما ضم اعضاه الشريفة علي جميع بقاع الارض ويويده ما قاله
الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في تفضيل بعض الاماكن علي بعض
من ان الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات
قايمة بهما وقال ويرجع تفضيلهما الي ما ينيل العباد فيهما من
فضله وكرمه والتفضيل الذي فيهما ان الله تعالي يجود علي عباده
بتفضيل اجر العاملين ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقي الدين السبكي بما
حاصله ان الذي قاله لا ينبغي ان يكون التفضيل لامر اخر فيهما وان لم
يكن عمل لان قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ينزل عليه من الرحمة
والرضوان والملايكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول
عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون افضل وليس محل
عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبي صلي الله
عليه وسلم وايضا فقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار ان النبي
صلي الله عليه وسلم حي كما تقرر وان اعماله مضاعفة اكثر من
كل احد فلا يختص التضعيف باعمالنا عن قال ومن فهم هذا انشرح صدره
لما قاله القاضي من تفضيل ما ضم اعضاه الشريفة صلي الله عليه
وسلم باعتبارين احدهما ما قيل ان كل احد يدفن في الموضع الذي خلق منه
والثاني تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالي ولا نسلم ان الفضل
للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلي الله عليه وسلم انتهي وقد
روي ابو يعلي عن ابي بكر انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول لا يقبض النبي الا في احب الامكنة اليه ولا شك ان احبها اليه
احبها الي ربه تعالي لان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان احب الي الله
فكيف لا يكون افضل وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم ان ابراهيم قد
دعاك لمكة واني ادعوك للمدينة بمثل ما دعا ابراهيم لمكة ومثله معه ولا ريب
ان دعا النبي صلي الله عليه وسلم افضل من دعا ابراهيم لان فضل الدعا علي
قدر فضل الداعي وصح انه صلي الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة
كحبنا مكة او اشد وفي رواية بل اشد وقد اجيبت دعوته حتي كان يحرك
دابته اذا راها من حبها وروي الحاكم انه صلي الله عليه وسلم قال
اللهم انك اخرجتني من احب البقاع الي فاسكني في احب البقاع اليك اي في موضع
تصيرني كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته

والمراد

ظاهره

٢٤٨

فالمراد احب اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله وفي رواية احب
ارض الله الي الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد
السمهودي بان ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ القصد به الدعا
لدار هجرته بان يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله
محمول علي ابتدا الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح
البلاد منها حتي مكة فقد انالها واناله بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر
اجابة دعوته وصيرورتها احب مطلقا بعد ولهذا لم يكن ان يرضي الله
تعالي علي نبيه صلي الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلي الله
عليه وسلم علي الاقتدا به في سكناها والموت بها فكيف لا يكون افضل
قال واما مزيد المضاعفة فاسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك
فالصلوات الخمس بمني للمتوجه لعرفة افضل منها بمسجد مكة وان
انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول
المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي الله عنه
بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من اخذ من
قوله بمزيد المضاعفة بتفضيل مكة اذ غايته ان المقصود مزية ليست للفاضل
مع ان دعاه صلي الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة علي مكة
شامل للامور الدينية ايضا وقد يبارك في العمل القليل فيربو
نفعه علي الكثير ولهذا استدل به صلي الله عليه وسلم تفضيل المدينة
وان اريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب ان الكلام فيما
عداها فلا يرد شيا مما جا في فضلها ولا ما بمكة من مواضع النسك لتعلقه
بها وكذا قال عمر رضي الله عنه لعبد الله المخزومي انت القايل لمكة خير
من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وامنه وفيها بيته فقال
عمر لا اقول في حرم الله وبيته شيا ثم كرر عمر قوله الاول فاعاد جوابه
فاعاد له لا اقول في حرم الله وبيته شيا فاشير علي عبد الله فانصرف وقد
عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جا في فضل
الزيارة والمسجد والاقامة بعد النبوة بالمدينة وان كانت اقل من مكة علي القول
الاول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول اكثر الفرايض
واكمال الدين حتي كثر تردد جبريل عليه الصلاة والسلام بها ثم استقر بها
صلي الله عليه وسلم الي قيام الساعة ولهذا قيل لمالك ايما احب اليك المقام
هنا يعني المدينة او بمكة فقال هاهنا وكيف لا اختار المدينة وما بها طريق
الا سلك عليها رسول الله صلي الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من رب العالمين

في اقل ساعة وروي الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي
افضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن الوداد ذكره بن حبان في الثقات
وقال كان يخطي وقال ابو زرعة لين وقال بن عدي روايته ليست
محفوظة وقال ابوحاتم ليس بقوي وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت بقرية تاكل القري يقولون يثرب
وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد اي امرني الله بالهجرة
اليها ان كان قاله عليه الصلاة والسلام بمكة او بسكناها ان كان قاله بالمدينة
وقال القاضي عبد الوهاب لا معنى لقوله تاكل القري الا رجوع فضلها
عليها اي على القري وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المراد
بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها اي ان الفضايل تضمحل في جنب عظيم
فضلها حتى تكون عدما وهذا ابلغ من تسمية مكة ام القري لان الامومة
لا ينمحي [ينبغي صح] معها ما هي له ام لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل ان يكون المراد
غلبة اهلها على القري والاقرب حملها [حملها عليه صح] اذ هو ابلغ في الغرض المسوق له
انتهى ما قاله السيد السمهودي وقد اطلت في الاحتجاج لتفضيل المدينة
على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعي رحمه الله يفضل مكة
لان هوي كل نفس اين حل حبيبها
على لوح العامرية وقفه ليملي على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبي حب الديار لاهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب
على ان للقلم في ارجا تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا اجاجا لكن الرغبة
في الاختصار هي تطوي اطراف بساطه والرهبة من الاكثار تصدق عن تطويله
وافراطه وقد استنبط العارف بن ابي جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام
المروي في البخاري ليس من بلد الا سيطيه الدجال الا مكة والمدينة التساوي
بين فضل مكة والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطي التسوية
بينهما في الفضل لان جميع الارض يطاها الدجال الا هذين البلدين
فدل على تسويتهما في الفضل [من وجوه صح] قال ويؤكد ذلك ايضا من جهة النظر
لانه ان كانت خصت المدينة بمدفنه عليه الصلاة والسلام واقامته
بها ومسجده فقد خصت مكة بمسقطه عليه الصلاة والسلام بها
ومبعثه منها وهي قبلته فطلع شمس ذاته المباركة مكة ومغربها المدينه
واقامته بعد النبوة [النبوة] على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه
الصلاة والسلام بالمدينة عشر سنين في كل واحد منهما كذا قاله
وانت اذا تاملت قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث

سعد ياتي على الناس زمان يدعو الرجل بن عمه وقريبه هلم الى المدينة
الرخا والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج احد
رغبة عنها الا اخلف الله فيها خيرا منه [منه] اظهر لك ان فيه اشعارا بذم الخروج
من المدينه بل نقل الشيخ محب الدين الطبري عن قوم انه عام ابدا
مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لاوا المدينة وشدتها
احد من امتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة او شهيدا وفيه عن سعيد
مولى المهدي انه جا الى ابي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلا
من المدينة وشكا اليه اسعارها وكثرة عياله واخبره انه لا صبر له على
جهد المدينة ولاوايها فقال ويحك لا امرك بذلك اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر احد على لاوايها الا كنت له شفيعا
او شهيدا يوم القيامة واللوا بالمد الشدة والجوع واو في قوله الا كنت
له شفيعا او شهيدا الاظهر انها ليست للشك لان هذا الحديث رواه
جابر بن عبد الله وسعد ابن ابي وقاص وابن عمر وابو سعيد
وابو هريرة واسما بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد عنه صلى الله
عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد اتفاق جميعهم او رواتهم على
الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة
والسلام وتكون او للتقسيم ويكون شهيدا لبعض اهل المدينة وشفيعا
لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للمطيعين واما شهيدا لمن مات
في حياته وشفيعا لمن مات بعده او غير ذلك وهذه خصوصية زايدة
على الشفاعة للمذنبين او للعاصين في القيامة وعلى شهادته على جميع
الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة وزيادة منزلة
وحظوة واذا قلنا او للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض
لانها زايدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة الصحيحة
شفيعا فاختصاص اهل المدينة بهذا مع ما جا من عمومها وادخارها
لجميع الامة ان هذه شفاعة اخرى لغير العامة وتكون هذه الشفاعة لاهل
المدينة بزيادة الدرجات او تخفيف الحساب او بما شا الله من ذلك
او باكرامهم يوم القيامة بانواع الكرامات ككونهم على منابر او في ظل
العرش او الاسراع بهم الى الجنة او غير ذلك من خصوص الكرامات
كيف لا يتحمل المشقات من يحب ان يتمتع بسيد اهل الارض والسموات
وينال ما وعد به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وانجاز وعد

الصادق بشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في الحيا والممات وكم
عسى تكون شدة المدينة ولأواها والى متى تستمر مشقتها وبلواها لو تاملت
يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها او اشق
منها واهلها مقيمون فيها وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا
ينتقل وقوي على الرحلة فلا يرحل ويوثر وطنه مع امكان الارتحال
والقدرة على الانتقال على ان المدينة مع شظف العيش بها في غالب
الاحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من اصحابنا من غير
اهلها ممن استوطنها وحسن فيها حاله وتنعم بها بالا دون ساير البلدان
فان الله من على المرء بمثل ذلك هناك والا فالصبر للمومن اولى فمن
وفقه الله تعالى صبر في اقامته بها ولو على احر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها
ليجتلي عروس صفتها ويلتقي ثمرا من لاوايها يلوق من ذلك من مصايب الدنيا
وبلايها وقد روى البخاري من حديث ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية
الى جحرها اي تنقبض وتنضم وتلتجي مع انها اصل في انتشاره فكل
مومن له من نفسه سايق اليها في جميع الازمان لحبه في ساكنها صلى
الله عليه وسلم فاكرم بسكانها ولو قيل في بعضهم ما قيل فقد حظوا
بشرف المجاورة بهذا الحبيب الخليل فقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت
اساتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عم عليه الصلاة والسلام
في قوله مازال جبريل يوصيني بالجار ولم يخص جارا دون جار وكل
ما احتج به محتج من مرمى بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع
لانه اذا ثبت ذلك في شخص منهم فلا يترك الكرامة ولا ينقص احترامه
فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته في الدار
كيف ما دار بل يرجى ان يختم له بالحسنى ويمنح بهذا القرب الصوري
قرب المعنى

فيا ساكني اكناف طيبة كلكم … الى القلب من اجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال

فلا يتحرك ساكن منكم الى … سواها وان جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما … وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم … فها انتم في بحر نعمته غرقا
ترون رسول الله في كل ساعة … ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جيتم لا يغلق الباب دونكم … وباب ذوي الاحسان لا يقبل الغلقا

هنيئا لكم يا اهل طيبة قربكم … فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا

يسمع

فيسمع شكواكم ويكشف ضركم … ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
بطيبة مثواكم واكرم مرسل … يلاحظكم فالدهر يجري لكم وفقا
فكم نعمة لله فيها عليكم … فشكروا لنعم الله بالشكر تستبقى
امنتم من الدجال فيها فحولها … ملائكة يحمون من حولها الطرقا
كذاك من الطاعون انتم بمامن … فوجه الليالي لا تزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم … وان [illegible] الدنيا وسرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه انتم … وحشرا فتحت الجاه فوقكم ملقا
فيا راحلا عنها لدنيا يريدها … اتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
اتخرج عن جوار النبي وحرزه … الى غيره تشقيه شك في حمقا
لمن سرت تبغي من كريم اعانة … فاكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزايد … ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه … ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الانام ومت به … اذا كنت في الدارين تطلب ان ترقى
اذا كنت فيما بين قبر ومنبر … بطيبة فاعرف اين منزلك الارقى
لقد اسعد الرحمن جار محمد … ومن جار في ترحاله فهو الاشقى

وقد روى الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم
ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني
في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية وفي البخاري من حديث ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال
ولا الطاعون وفيه عن ابي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة ابواب
على كل باب ملكان قال في فتح الباري وقد استشكل عدم دخول الطاعون
المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخولهما
واجيب بان كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما
المراد ان ذلك يترتب عليه وينشا عنه لكونه سببه فاذا استحضر ما تقدم
في المقصد الثامن من انه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها
فان فيه اشارة الى ان كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة
ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن احد منهم وقد اجاب القرطبي
في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذي وقع
في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذي قاله يقتضي انه دخلها

ابن

في الجملة وليس كذلك فقد جزم قتيبة في المعارف وتبع جمع منهم الشيخ محيي الدين
النواوي في الاذكار بان الطاعون لم يدخل المدينة اصلا ولا مكة ايضا
لكن نقل جماعة انه دخل مكة في الطاعون العام الذي كان في سنة تسع واربعين
وسبعماية بخلاف المدينة فلم يذكر احد انه دخل الطاعون فيها ابدا واجاب
بعضهم بانه عليه الصلاة والسلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون
ياتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الاجر ويتم المراد
من عدم دخول الطاعون قال الحافظ بن حجر ويظهر لي جواب
اخر بعد استحضار الذي اخرجه احمد من رواية ابي عسيب بمهملتين
اخره موحدة بوزن عظيم رفعه اتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت
الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الي الشام وهو ان الحكمة في ذلك انه
صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من اصحابه عددا ومددا
وكانت المدينة وبية كما في حديث عايشة ثم خير صلى الله عليه وسلم
في امرين يحصل بكل منهما الاجر الجزيل فاختار الحمى حينيذ لقلة الموت
بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج الامر الي جهاد الكفار واذن له
في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة تضعيف اجساد الذين
يحتاجون الي التقوية لاجل الجهاد فدعا بنقل الحمى من المدينة الي الجحفة
فعادت المدينة اصح بلاد الله بعد ان كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من
حينيذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل
الله ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المومن من النار ثم استمر
ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته وظهور هذه
المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة وكان منع دخول
الطاعون من خصايصها ولوازم دعايه صلى الله عليه وسلم لها بالصحة
وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطبا من اولهم
الي اخرهم عجزوا ان يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع
الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا والله اعلم
ومن خصايص المدينة ان غبارها شفا من الجذام والبرص بل من كل دا كما
رواه رزين العبدري في جامعه من حديث سعد وزاد في حديث
بن عمر وعجوتها شفا من السم ونقل البغوي عن بن عباس في قوله
تعالي لنبوينهم في الدنيا حسنة انها المدينة وذكر بن النجار تعليقا
عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت
المدينة بالقران وروي الطبراني في الاوسط باسناد لا باس به عن ابي هريرة

يرفعه

يرفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وارض الهجرة ومثوى الحلال
والحرام وبالجملة فكل المدينة ترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها
قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتبركون بدخوله
منازلهم ويدعونه اليها والي الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك
رحمه الله من ركوب دابة في المدينة وقال لا اطا بحافر دابة في عراص
كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغي
ان ياتي مسجد قبا للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم
يزوره راكبا وماشيا رواه مسلم وفي رواية له ياتي بدل يزور فيصلي
فيه ركعتين وعنده ايضا ان ابن عمر كان ياتيه كل سبت ويقول رايت
النبي صلى الله عليه وسلم ياتيه كل سبت وعند الترمذي وبن ماجه
والبيهقي من حديث اسيد بن ظهير الانصاري يرفعه صلاة في مسجد
قبا كعمرة وقال الترمذي حسن غريب وقال المنذري لا يعرف
لاسيد حديثا صحيحا غير هذا رواه احمد وابن ماجه من حديث سهل بن
حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم اتي مسجد قبا فصلي فيه صلاة كان له
كاجر عمرة وصححه الحاكم وينبغي ايضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم
ان يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والاثار المباركة والمساجد
التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام التماسا لبركته ويخرج الي البقيع
لزيارة من فيه فان اكثر الصحابة ممن توفي بالمدينة في حياته صلى الله
عليه وسلم وبعد وفاته مدفون في البقيع وكذلك سادات اهل البيت
والتابعين وروي عن مالك انه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة
الاف وكذلك امهات المومنين سوي خديجة فانها بمكة وميمونة فانها
بسرف وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج اخر الليل الي البقيع فيقول
السلام عليكم دار قوم مومنين رواه مسلم قال بن الحاج في المدخل وقد
فرق علماونا بين الافاقي والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف
في حق الافاقي افضل له والتنفل في حق المقيم افضل قال قال وما نحن
بسبيله من باب اولي فمن كان مقيما خرج الي زيارة اهل البقيع ومن
كان مسافرا فليغتنم مشاهدته عليه الصلاة والسلام وحكي عن العارف بن
ابي جمرة انه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس الا الجلوس في الصلاة وانه
لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه وكان قد خطر له
ان يذهب الي البقيع فقال الي اين اذهب هذا باب الله مفتوح الي

السايلين والطالبين والمتكبرين وروي بن النجار مرفوعا مقبرتان مضيئتان
لاهل السما كضي الشمس والقمر لاهل الدنيا مقبرتنا بقيع الغرقد و مقبرة بعسقلان وعن
كعب الاحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كفتة محفوفة بالنخيل
موكل بها ملايكة كلما امتلات اخذوا فنفلوها في الجنة واخرج ابو حاتم
من حديث بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق
عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي البقيع فيحشرون معي ثم انتظر
اهل مكة حتى يحشرون بين الحرمين **الفصل الثالث في تفضيله عليه الصلاة
والسلام في الاخرة بفضايل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلي الدرجات العالية وتحميده
بالشفاعة والمقام المحمود المغبوط عليه من الاولين والاخرين وانفراده بالسودد
في مجمع جامع الانبيا والمرسلين وترقيه في جنة النعيم عدن ارقا مدارج
السعادة وتعاليه يوم المزيد في اعلا معالي الحسني وزيادة**
اعلم ان الله تعالى كما فضل نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم في البدء بان جعله
اول الانبيا في الخلق واولهم في الاجابة في عالم الذر يوم الست بربكم
فكذلك ختم كمال الفضايل في العود فجعله اول من تنشق عنه الارض واول
شافع واول مشفع واول من يوذن له بالسجود واول من ينظر الى
رب العالمين والخلق محجوبون عن رويته اذ ذاك واول الانبيا يقضى
بين امته واولهم اجازة على الصراط بامته واول داخل الجنة وامته
اول الامم دخولا اليها وزاده من لطايف التحف ونفايس الطرف ما لا يحد
ولا يعد فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولوا الحمد
تحته ادم فمن دونه من الانبيا واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى امام
العرش وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحميد والثنا عليه مالم يفتحه
لاحد قبله ولا يفتحه على احد بعده زيادة في كرامته وقربه وكلام الله
تعالى له يا محمد ارفع راسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع ولا
كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره للشفاعة
وسجوده ثانيه وثالثه وتجديد الثنا عليه والتحميد بما يفتح الله
عليه من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع راسك وقل
يسمع واشفع تشفع فعل المدل على ربه الكريم عليه الرفيع عنده المحب
ذلك منه تشريفا له وتكريما وتبجيلا وتعظيما ومن ذلك قيامه عن يمين
العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون
والاخرون وشهادته بين الانبيا وامهم واتيانهم اليه يسالونه الشفاعة

ليرجعهم

ليرجعهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته في اقوام قد امر بهم
الى النار ومنها الحوض الذي ليس في الموقف اكثر واردة منه وان المومنين
كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته ومنها انه يشفع في رفع درجات اقوام
لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي اعلا منزلة في الجنة الى ٢٥٢
غير ذلك مما يزيده تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على روس
الاشهاد من الاولين والاخرين والملايكة اجمعين ذلك فضل الله يوتيه
من يشا والله ذو الفضل العظيم فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم باولية
انشقاق القبر المقدس عنه فروي مسلم من حديث ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة وانا اول من
ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وفي حديث ابي سعيد رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا
فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا
اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وعن بن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر
ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين
الحرمين قال الترمذي حسن صحيح ورواه ابو حاتم وقال حتى يحشروا تقدم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعق الناس
حتى يصعقون فاكون اول من قام فاذا موسى اخذ بالعرش فلا ادري اكان موسى
فيمن صعق وفي رواية فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش
فلا ادري اكان موسى فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله رواه
البخاري والمراد بالصعق غشي يلحق من يسمع صوتا او راى شيا ففزع
منه ولم يبين في هذه الرواية من الطريقين محل الافاقة من اي الصعقتين
ووقع في رواية الشعبي عن ابي هريرة في تفسير سورة الزمر اني اول
من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة والمراد بقوله ممن استثنا الله قوله تعالى
ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا الله وقد استشكل كون
جميع الخلق يصعقون مع ان الموتى لا احساس لهم فقيل المراد الذين يصعقون
هم الاحيا واما الموتى فهم في الاستثنا في قوله الا من شا الله اي الا من سبق
له الموت قبل ذلك فانه لا يصعق والى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد
في الحديث ان موسى ممن استثنى الله لان الانبيا احيا عند الله وقال القاضي
عياض يحتمل ان يكون صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السما والارض وتعقبه
القرطبي بانه صرح صلى الله عليه وسلم بانه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش

المراد بـ

موسى

وهذا انما هو عند نفخة البعث انتهى ووقع في رواية ابي سلمة عند ابن مردوية
انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة فانفض التراب عن راسي فاتي قايمة
العرش فاجد موسي قايما عندها فلا ادري انفض التراب عن راسه قبلي او كان
ممن استثني واختلف في المستثني من هو علي عشرة اقوال فقيل الملايكة
وقيل الانبيا وبه قال البيهقي في تاويل الحديث في تجويزه بان يكون موسي ممن
استثني الله قال ووجهه عندي انهم احيا كالشهدا فاذا نفخ في الصور
الاولي صعقوا ثم لا يكونوا موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار وقيل
الشهدا واختاره الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس قال الله تعالي لقوله
احيا عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال وقال ابو العباس القرطبي
صاحب المفهم الصحيح انه لم يات في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه
في التذكرة فقال قد ورد حديث ابي هريرة بانهم الشهدا وهو الصحيح وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم سال جبريل عليه السلام عن هذه
الاية من الذين لم يشا الله ان يصعقوا قال هم شهدا الله صححه الحاكم
وقيل هم حملة العرش وجبريل وميكايل وعزرايل اي ملك الموت ثم يموتون
واخرهم موتا ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة وهي
فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقا فلا شك
انها بمعزل عما خلقه الله للفنا ثم انه وردت الاخبار بان الله تعالي يميت
حملة العرش وملك الموت وميكايل ثم يحييهم واما اهل الجنة فلم يات عنهم
خبر والاظهر انها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها ابدا مع كونه قابلا
للموت فالذي خلق فيها اولي ان لا يموت فيها ابدا فان قلت كل شي هالك
الا وجهه يدل علي ان الجنة نفسها تفني ثم تعاد ليوم الجزا وتموت الحور
العين ثم يحيون اجيب بانه يحتمل ان يكون معني قوله كل شي هالك
اي انه قابل للهلاك فيهلك ان اراد الله به ذلك الا هو سبحانه وتعالي فانه
قديم والقديم لا يمكن ان يفني انتهي ملخصا من تذكرة القرطبي ويويد
القول بعدم موت الحور قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث
المراد من قولهن الخلود الكاين بعد القيامة ولا يقال لانه لا خصوصية
فيه والاوصاف المشتركة لا يباهابها والله اعلم وفي كتاب العظمة لابي
الشيخ بن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله خلق الله الصور من لولوة
بيضا في صفا الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان
اسرافيل فامره ان ياخذ الصور فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة
ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم تجتمع الارواح كلها في الصور ثم يامر

الله اسرافيل

الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها فعلي هذا فالنفخ يقع
في الصور اولا ليصل النفخ بالروح الي الصور وهي الاجساد فاضافة النفخ
الي الصور الذي هو القرن حقيقة والي الصور التي هي في الاجساد مجازا
وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه ثم ينفخ في الصور فلا
يسمعه احد الا اصغي ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطرا كانه الطل فتنبت
منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه اخري فاذا هم قيام ينظرون والليت
بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق وهما ليتان
واصغي امال واخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود موقوفا ثم
يقوم ملك الموت الصور بين السما والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقي
لله خلق في السموات والارض الا مات الا من شا ربك ثم يكون بين النفختين
ما شا الله ان يكون واخرج ابن المبارك في الرقاق من مرسل الحسن بين النفختين
اربعين سنة الاولي يميت الله بها كل حي والاخري يحيي الله بها كل ميت
ونحوه عند ابن مردوية من حديث ابن عباس وهو ضعيف وعن انس قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يوميذ بيدي ولوا الحمد يوميذ بيدي وانا اكرم
ولد ادم علي ربي يطوف علي الف خادم كانهم بيض مكنون او لولو منثور
رواه الدارمي وقال الترمذي حديث غريب ولم يقل وانا امامهم لان دار الاخرة ليست دار
تكليف وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الارواح ان رسول الله صلي الله عليه وسلم يبعث يوم
القيامة وبلال بين يديه ينادي بالاذان وفي كتاب ذخاير العقبي للطبري مما عزاه لتخريج
الحافظ السلفي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال تبعث الانبيا
علي الدواب ويحشر صالح علي ناقته ويحشر ابنا فاطمة علي ناقتي العضبا والقصوي واحشر
انا علي البراق خطوها عند اقصي طرفها ويحشر بلال علي ناقة من نوق الجنة واخرجه الطبراني
والحاكم بلفظ تحشر الانبيا علي الدواب وابعث علي البراق ويبعث بلال علي ناقة من نوق
الجنة ينادي بالاذان محضا وبالشهادة حقا حقا حتي اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله
شهد له المومنون من الاولين والاخرين وعند ابن زنجوية في فضايل الاعمال عن كثير بن مرة
الحضرمي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها من عند قبره
حتي توافي به المحشر وانا علي البراق اختصصت به من دون الانبيا يوميذ ويبعث بلال
علي ناقة من نوق الجنة ينادي علي ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت الانبيا واممها اشهد
ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد علي ذلك وذكر الشيخ زين الدين الراغي مما عزاه لابن
النجار في تاريخ المدينة عن كعب الاحبار والقرطبي وابن ابي الدنيا عن كعب انه دخل علي عايشة

رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل
سبعون الفا من الملايكة حتى يحفون بالقبر ويضربون باجنحتهم ويصلون على النبي
صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك يحفون بالقبر
يضربون باجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل
وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة
يوقرونه صلى الله عليه وسلم وفي نوادر الاصول للحكيم الترمذي من حديث بن عمر
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيمينه على ابي بكر وشماله على عمر فقال
هكذا انبعث يوم القيامة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاكسى حلة
من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري
رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول عنه انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى
وفي رواية كعب حلة خضرا وفي البخاري من حديث بن عباس عنه صلى الله عليه وسلم
تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وان اول الخلايق يكسى يوم القيامة
ابراهيم واخرجه البيهقي وزاد واول من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويوتى
بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يوتى بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه ان
يجلس على الكرسي عن يمين العرش ولا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه السلام بانه اول من
يكسى ان يكون افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم على انه يحتمل ان يكون نبينا عليه
السلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يوميذ حلة الكرامة
بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون اولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق
واجاب الحليمي بانه يكسى ابراهيم اولا ثم يكسى نبينا عليه الصلاة والسلام على ظاهر الخبر
لكن حلة نبينا اعلا واكمل فتجبر بنفاستها ما فات من الاولية وفي حديث ابي سعيد عند
ابي داود وصححه ابن حبان انه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعند
الحارث ابن ابي اسامة واحمد بن منيع فانهم يبعثون في اكفانهم ويتزاورون
في اكفانهم ويجمع بينه وبين ما في البخاري بان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا
او يحشرون كلهم عراة ثم يكسا الانبيا واول من يكسى ابراهيم عليه السلام او يخرجون
من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم يتناثر عنهم عند ابتدا الحشر فيحشرون عراة
ثم يكون اول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث ابي سعيد على الشهدا فيكون ابو سعيد
سمعه في الشهدا فحمله على العموم واما رواه الطبراني في الرياض النضرة وعزاه للامام
احمد في المناقب عن مخدوع بن زيد الذهلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اما
علمت يا علي انه اول من يدعى به يوم القيامة بي فاقوم عن يمين العرش في ظله فاكسى
حلة خضرا من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم في اثر بعض فيقدمون سماطين عن

يمين

يمين العرش ويكسون حللا من حلل الجنة خضرا الا وان امتي اول الامم يحاسبون يوم القيامة
ثم ابشر فاول من يدعى بك فيدفع لك لوايي وهو لوا الحمد تسير به بين السماطين
ادم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوايي يوم القيامة وطوله مسيرة الف سنة
٢٥٤ وستماية سنة وسنانه ياقوتة حمرا قبضته فضة بيضا زجه درة خضرا له ثلاث
ذوايب من نور ذوابة في المشرق وذوابة في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب
عليه ثلاثة اسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث
لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر الف سنة وعرضه مسيرة الف سنة فتسير
باللوا والحسن عن يمينك والحسين عن شمالك حتى تقف بيني وبين ابراهيم عليه السلام
في ظل العرش ثم يكسى حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن
سبع في الخصايص بلفظ قال سال عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن لوا الحمد ما صفته فقال طوله مسيرة الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما
نقله عنه المحب بن العاقم انه موضوع بين الوضع قال والله اعلم بحقيقة لوا الحمد وفي
حديث ابي سعيد عند الترمذي بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه
الا تحت لوايي الحديث واللوا الراية وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورييسه ويحتمل
ان يكون بيد غيره باذنه وتكون تابعة له متحركة بحركته يميل معه حيث ما مال لا انه
يمسكها بيده اذ هذه الحالة اشرف وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها
ولا يمنعه ذلك من القتال بل يقاتل بها ممسكا لها اشد القتال ولذا لا يليق بامساكها
كل احد بل مثل علي رضي الله عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله
ورسوله وانما اضاف اللوا الى الحمد الذي هو الثنا على الله بما هو اهله لان ذلك
هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الانبيا وقد اختلف في هيئة حشر الناس
ففي البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
على ثلاثة طرايق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة
على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم
حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا رواه الشيخان وقد
مال الحليمي الى ان هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي وقيل انهم
يخرجون من القبور بالوصف المذكور في حديث بن عباس عند الشيخين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم تفترق حالهم من ثم الى الموقف
كما في حديث ابي هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على
وجهه قال الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه

يوم القيامة وفي حديث ابي ذر عند النسائي مرفوعا ان الناس يحشرون ثلاثة افواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملايكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنوا الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ فاه واشار بيده الجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه وفيه تدنوا الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر اعمالهم في العرق وهذا ظاهر في انهم يستوون في وصول العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السما وقد قال الله تعالى يوم نطوي السما كطي السجل للكتب والالف واللام في السما للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع فالجواب يجوز ان يقام بنفسها دانيه من الناس في المحشر ليقوي هوله وكربه عافانا الله من كل مكروه وقال ابن ابي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت الاحاديث الاخرى على انه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبيا والشهدا ومن شا الله فاشدهم الكفار ثم اصحاب الكباير ثم من بعدهم واخرج ابو يعلي وصححه ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال مقدار نصف يوم من خمسين الف سنة فيهون على المومنين كتدلي الشمس الى الغروب واخرج احمد وابن حبان نحوه من حديث ابي سعيد والبيهقي في البعث عن ابي هريرة يحشر الناس قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما فيلجمهم العرق من شدة الكرب وفي البخاري من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ اذانهم وعند البيهقي من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السما لا يكلمهم الله والشمس على روسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر وفي حديث ابي سعيد عند احمد انه يخفف الوقوف على المومن حتى يكون كصلاة مكتوبة وسنده حسن وللطبراني من حديث ابن عمر ويكون ذلك اليوم اقصر على المومن من ساعة من نهار وجا عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان الذي يلجمه العرق الكافر اخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عنه قال يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق قيل له فاين المومنون قال على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام وبسند قوي عن ابي موسى قال الشمس فوق روس الناس يوم القيامة واعمالهم تظلهم واخرج ابن المبارك في الزهد وابن ابي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة

حر عشر سنين

حر عشر سنين ثم تدنوا من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يوميذ مومنا ولا مومنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الايمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره انهم يتفاوتون في ذلك بحسب اعمالهم وفي رواية عند ابي يعلي وصححها ابن حبان ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب ارحني ولو الى النار وهو كالصريح في ان ذلك كله في الموقف ومن تامل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها وذلك ان النار تحف بارض الموقف وتدنو الشمس من الروس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الارض وماذا يروونه من العرق مع انه كل احد لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هولا في عرقهم مع تنوعهم فيه ان هذا لما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة ويقتضي الايمان باحوال الاخرة وان ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض على ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يوخذ بالقبول فتامل رحمك الله شدة هذه الازدحام والانضمام والاختناق والالتصاق والاجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من ساير اصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته مع ما انضاف الى ذلك من حر الانفاس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكرب ولا ريب ان هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماثم اعز ما موجود واعظم مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه ولا مشرب لامته سواه ولا تبرد اكباد هم الا به فالشربة منه كما ورد تروي الظما وتشفي من الصدا وتذهب بكلة اقلا يظما شاربها ولا يعطش بعدها ابدا وفي حديث انس عند البزار من شرب منه اي من الحوض شربة لم يظما ابدا ومن لم يشرب منه لم يرو ابدا وزاد في حديث ابي امامة عند احمد وابن حبان ولم يسود وجهه ابدا وفي حديث ثوبان عن الترمذي وصححه الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقرا المهاجرين وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماوه ابيض من اللبن وريحه اطيب وكيزانه كنجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى ان الحوض يكون بعد الصراط وذهب اخرون الى العكس والصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه الشيخ ابن حجر بان الكوثر نهر داخل الجنة وماوه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثرا لكونه يمد منه فغاية ما يوخذ من كلام القرطبي ان الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون من الموقف عطاشا فيرد المومن الحوض وتتساقط الكفار في النار

بعد ان يقولون ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كانها سراب فيقال الا تردون فيظنونها
ما فيتساقطون فيها وفي حديث ابي ذر عند مسلم رواه مسلم ان الحوض يشخب فيه ميزابان
من الجنة وهو حجة على القرطبي لا له لانه الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة
والمومنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الما
الذي يصب من الكوثر في الحوض فظاهر الحديث ان الحوض بجانب الجنة لينصب فيه
الما من النهر الذي داخلها وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب
منه لم يظما بعدها ابدا يدل على ان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان
ظاهر حال من لا يظما ان لا يعذب بالنار ولكن يحتمل ان من قدر عليه التعذيب منهم ان لا
يعذب فيها بالظما بل بغيره وعن انس قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يشفع لي يوم القيامة فقال انا فاعل ان شا الله قلت فاين اطلبك قال اول ما تطلبني
على الصراط قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم القك
عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطي هذه الثلاث رواه الترمذي
وقال حسن غريب وفي حديث بن مسعود عند احمد ثم اوتى بكسوتي فالبسها
فاقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه احد فيغبطني به الاولون والاخرون قال
ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض الحديث وقد بين في حديث عمرو بن العاص عند
البخاري ان الحوض مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سوا
وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تاويل من جمع بين مختلف الاحاديث
في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول وفي حديث ابي سعيد عند
بن ماجه رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس وفي حديث ابي بردة عند
الطبراني وابن حبان في صحيحه ما بين ناحيتي حوضي كما بين ايلة وصنعا مسيرة
شهر عرضه كطوله وفي حديث انس عند الشيخين كما بين صنعا والمدينة وفي
حديث عتبة ابن عبد السلمي عند بن حبان في صحيحه ما بين صنعا الى بصرى
وفي حديث ابي امامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة وتخفيف
الميم وقال بن الاثير في النهاية في حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان هي بفتح
العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقا فاما بالضم والتخفيف فهو
موضع عند البحرين انتهى وهذه المسافة كلها متقاربة وظن بعضهم انه وقع اضطراب
في ذلك وليس كذلك واجاب النووي عن ذلك بانه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع
المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث فلا معارضة وحاصله يشير الى انه اخبر اولا
بالمسافة اليسيرة ثم اعلم بالمسافة الطويلة فاخبر بها كان الله تفضل عليه باتساعه
شيا بعد شي فيكون الاعتماد على ما يدل على اطولها مسافة فان قلت هل كان لكل
نبي من الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا والجواب

انه اشتهر في اختصاص نبينا عليه الصلاة والسلام بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل
مكلف ان يعلمه ويصدق به ان الله تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه
وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى
ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما نيف على العشرين
وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من
التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل
السنة من الخلف انتهى لكن اخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه ان لكل نبي حوضا واشار
الى انه اختلف في وصله وارساله وان المرسل اصح والمرسل اخرجه ابن ابي الدنيا باسناد صحيح
عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه
بيده عصاة يدعو من عرف من امته الا وانهم يتباهون ايهم اكثر تبعا واني لارجوا ان اكون
اكثرهم تبعا واخرجه الطبراني من حديث ابي سعيد رفعه ولكل نبي يدعو امته ولكل نبي
حوض فمنهم من ياتيه الفيام ومنهم من ياتيه العصبة ومنهم من ياتيه الواحد ومنهم من ياتيه الاثنان
ومنهم من لا ياتيه احد واني لاكثر الانبيا تبعا يوم القيامة وفي اسناده لين فان ثبت فالمختص
بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مايه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان
عليه به في سورة انا اعطيناك الكوثر انتهى ملخصا من فتح الباري والفيام كما في الصحاح الجماعة
من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول قيام بلا همزة وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة
رفعه قال ترد علي امتي الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله
تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء قالوا والحكمة
في الذود المذكور انه صلى الله عليه وسلم يريد ان يرشد كل احد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل
نبي حوضا فيكون هذا من جملة انصافه عليه الصلاة والسلام ورعاية اخوانه من النبيين لا انه
يطردهم بخلا عليهم بالما ويحتمل انه يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله اعلم وفي حديث
انس انه صلى الله عليه وسلم قال لحوضي اربعة اركان الاول بيد ابي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق
والثالث بيد عثمان ذي النورين والرابع بيد علي بن ابي طالب فمن كان محبا لابي بكر مبغضا لعمر
لا يسقيه ابو بكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي رواه ابو سعيد في شرف النبوة
والغيلاني واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني لان
لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شي ثم احرمه كان عارا والله تعالى اكرم من ان يطمع
احدا في شي ثم لا يعطيه ذلك وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على اقوال احدها انه الشفاعة
قال الواحدي اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي وقال الامام بن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا
اذا حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب ان يكون مقاما انعم فيه رسول

الله صلى الله عليه وسلم على قومه يحمدونه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز ان يكون هو
تبليغ الدين وتعليم الشرع لان ذلك كان حاصلا في الحال وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا يدل على انه يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل
ومن المعلوم ان احد الانسان على سعيه في التخلص عن العقاب اعظم من سعيه في زيادة
من الثواب ولا حاجة به اليها لان احتياج الانسان في دفع الالام العظيمة عن النفس فوق
احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة الى تحصيلها واذا وجب ان يكون المراد
من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة في اسقاط العذاب على ما هو مذهب
اهل السنة ولما ثبت ان لفظ الاية مشعر بهذا المعنى اشعارا قويا ثم وردت الاخبار
الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع
لنا حتى تنتهي الشفاعة الى فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا وجب حمل اللفظ عليه قال
ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون ونصب
قوله مقاما على الظرفية اي وابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما محمودا او على انه مفعول به
وضمن معنى ابعثه معنى اقمه ويجوز ان يكون حالا اي ابعثه ذا مقام قال الطيبي
وانما نكره لانه افخم واجزل اي مقاما محمودا بكل لسان وقول النووي ان الرواية ثبتت بالتنكير
وانه كان حكاية للفظ القرآن متعقب بانه جاء في هذه الاية بعينها بالتعريف عند النسائي قال ابن
الجوزي الاكثر على ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول
الثاني قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله
عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال
فهذا هو المراد من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبراني قال ابن منده حديث
مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازي والقول الاول اولى لان سعيه في الشفاعة
يفيد اقدام الناس الى حمده فيصير محمودا واما ما ذكره في الدعاء فلا يفيد الا الثواب اما الحمد
فلا فان قيل لم لا يجوز ان يقال انه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب ان الحمد في اللغة مختص
بالثناء المذكور في مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد في غير هذا المعنى فعلى سبيل
المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا ايضا ضعيف للوجه
الذي ذكرناه القول الرابع قيل هو اجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل على الكرسي
روي عن ابن مسعود انه قال يقعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على الكرسي وعن مجاهد انه
قال يجلسه معه على العرش وهذا قول رذل موحش قطيع ونص الكتاب ينادي بفساد هذا
التفسير ويدل عليه وجوه الاول ان البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد
فانبعث ويقال بعث الله الميت اذا اقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد

وهو فاسد

وهو فاسد الثاني يوجب انه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم
لكان محدودا متناهيا ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله علوا كبيرا الثالث انه تعالى قال
مقاما محمودا ولم يقل مقعدا والمقام موضع القيام لا موضع القعود الرابع انا اذا قيل ان السلطان
بعث فلانا فهم منه انه ارسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه انه اجلسه مع نفسه فثبت
ان هذا القول ساقط لا يميل اليه الا كل قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بانه تعالى
يجلس على الكرسي كما اخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم
على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريفا له
على خلقه واما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك ورب ابن لي عندك بيتا في الجنة
فكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ
الاسلام ابو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة النقل
ولا من جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدي في رد هذا
القول ونقل النقاش عن ابي داود صاحب السنن انه قال من انكر هذا فهو متهم وقد جاء عن
ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس عن ابي الشيخ قال ان محمدا يوم القيامة يجلس على كرسي الرب
بين يدي الرب فيحتمل ان يكون المقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وان يكون الاجلاس هي
المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قال قاله بعضهم ويحتمل ان يكون الاجلاس علامة الاذن في
الشفاعة واختلف في فاعل الحمد من قوله تعالى محمودا فالاكثر على ان المراد اهل الموقف وقيل
النبي صلى الله عليه وسلم اي انه يحمد عاقبة هذا المقام بتهجده في الليل والاول ارجح لما ثبت
من حديث ابن عمر بلفظ مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم ويجوز ان يحمل على اعم من ذلك
اي مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات
واستحسن هذا ابو حيان وايده بانه نكرة فدل على انه ليس المراد مقاما مخصوصا انتهى فان قلت
اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاي شفاعة هي فالجواب ان الشفاعة التي
وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة في فصل القضاء والثاني في الشفاعة
في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العظمى العامة فان
اعطاه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك صفات المقام المحمود
الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق واما شفاعته في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد
انكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من ادخل من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى
فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجاب اهل
السنة بان هذه الايات في الكفار قال القاضي عياض مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا
ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي
له قولا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وكقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها
عند الاكثرين كما قدمته وقد جاءت الاثار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة

العرش و ٢٥٦

لذنبي المومنين وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من
بعدي وسفك بعضهم دما بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوتيني
شفاعة يوم القيامة فيهم ففعل وفي حديث ابي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها
واريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية اني اختبات دعوتي لامتي
وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في اهم اوقات
حاجاتنا فجزاه الله عنا افضل الجزا وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ابي زرعة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هل
تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم
الداعي وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول
الناس الا ترون الي ما انتم فيه الي ما بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الي ربكم فيقول بعض
الناس لبعض ابوكم ادم فياتونه فيقولون يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك
من روحه وامر الملايكة فسجدوا لك واسكنك الجنة الا تشفع لنا عند ربك الا ترى ما نحن فيه
وما بلغنا فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب مثله بعده وانه
نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي نوح فياتون نوحا
عليه السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الي اهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا
الا ترى الي ما نحن فيه الا ترى الي ما بلغنا الا تشفع لنا الي ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي نفسي
اذهبوا الي غيري اذهبوا الي ابراهيم فياتون ابراهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الي ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولم يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي اذهبوا
الي غيري اذهبوا الي موسى فياتون موسى فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك الله
برسالته وبكلامه على الناس الا ترى الي ما نحن فيه اشفع لنا الي ربك فيقول ان ربي غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قد قتلت نفسا لم اومر بقتلها
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا الي عيسى فياتون عيسى عليه الصلاة والسلام
فيقولون يا عيسى انت رسول الله وكلمته القاها الي مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد
الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا الي ربك فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الي غيري اذهبوا
الي محمد فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد انت رسول الله وخاتم الانبيا
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر الا ترى ما نحن فيه اشفع لنا عند ربك
فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثنا عليه

شيا لم

شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع راسك سل تعط واشفع فارفع راسي
فاقول امتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب
الايمن من الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب الحديث رواه البخاري
ومسلم قال في فتح الباري وقد استشكل قولهم لنوح انت اول الرسل الى اهل الارض
٢٥٨ فان ادم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك ان الاولية
مقيدة بقوله اهل الارض لان ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا الي اهل الارض او ان الثلاثة
كانوا انبيا ولم يكونوا رسلا والي هذا جنح ابن بطال في حق ادم وتعقبه القاضي عياض
بما صححه ابن حبان من حديث ابي ذر فانه كالصريح في انه كان مرسلا وفيه التصريح بانزال
الصحف على شيث وهو من علامات الارسال ومن الاجوبة ان رسالة ادم كانت الي بنيه
وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح رسالته كانت الي قوم كفار يدعوهم الي التوحيد وذكر
الغزالي في كشف علوم الاخرة ان بين اتيان اهل الموقف ادم واتيانهم نوحا الف سنة وكذا
بين كل نبي ونبي الي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ولم اقف لذلك على
اصل قال ولقد اكثر في هذا الكتاب من ايراد احاديث لا اصول لها فلا يغتر بشي منها ووقع
في رواية حذيفة ان الخليل عليه السلام قال لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء
بفتح الهمزة بلا تنوين ويجوز البنا على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره
ابو البقا قال الاخفش يقال لقيته من وراء بالضم وقال
اذا انا لم اومن عليك ولم يكن لقاوك الا من وراء وراء
ويجوز فيها النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي ومعناه لم اكن في التقريب والادلال
بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ايتوا موسى الذي
كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الروية
والسماع بلا واسطة فكانه قال انا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد وسبق مزيد لذلك
في الخصايص واما ما ذكر من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها كانت في معاريض الكلام
لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان من كان
اعرف بالله واقرب اليه منزلة كان اعظم خوفا واما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث
ابن عباس عند احمد والنسايي اني اتخذت الها من دون الله وفي حديث النضر بن انس عن ابيه
حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقايم انتظر امتي عند الصراط اذ جا عيسى فقال
يا محمد هذه الانبيا قد جاتك يسالون لتدعو الله ان يفرق جمع الامم الي حيث شا لعظم ما هم فيه
فافادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينيذ وان هذا الذي وصف من كلام
اهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار وان عيسى هو الذي يخاطب نبينا
صلى الله عليه وسلم وان جميع الانبيا يسالون في ذلك وفي حديث سلمان عند ابن ابي شيبة ياتون محمدا
فيقولون يا نبي الله انت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم وما تاخر وجيت في هذا اليوم وترى ما نحن

فيه تقصير فاشفع لنا الى ربك فيقول انا صاحبكم فيحوش الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة اجيب بان الارض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب ان يكون في مقام اكرام وفي حديث ابي بن كعب عند ابي يعلى رفعه فاسجد له سجدة يرضى بها عني ثم امتدحه بمدحة يرضى بها عني وفي حديث ابي بكر الصديق فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع راسك وفي رواية النضر بن انس فاوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع راسك وعلى هذا فالمعنى فيقول لي على لسان جبريل والظاهر انه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون في كل مكان ما يليق به فانه ورد في رواية فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا اقدر عليها ثم اخر ساجدا وفي رواية البخاري فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني وفي رواية ابي هريرة عند الشيخين فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك الحديث وفي رواية البخاري من حديث قتادة عند انس ثم اشفع فيحد لي حدا ثم اخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال الطيبي اي يبين لي كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه مثل ان يقول شفعتك فيمن اخل بالجماعة ثم فيمن اخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب والذي يدل عليه سياق الاخبار المراد به تفضيل مراتب المخرجين في الاعمال الصالحة كما وقع عند احمد عن يحيى القطان عن سعيد بن ابي عروبة وفي رواية ثابت عند احمد فاقول اي رب امتي فيقول اخرج من كان في قلبه مثقال ذرة شعيرة وفي حديث سلمان فيشفع فيمن كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود وفي رواية ابي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين واما قوله في رواية انس عند البخاري فاخرجهم من النار فقال الداودي كان راوي هذا الحديث ركب شيا على غير اصله وذلك ان في اول الحديث ذكر الشفاعة في الاراحة من كرب الموقف وفي اخره ذكر الشفاعة في الاخراج من النار يعني وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الاخراج وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه النووي ومن قبله القاضي عياض بانه قد وقع في حديث حذيفة وابي هريرة فياتون محمدا فيقوم ويوذن له في الشفاعة ويرسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يمينا وشمالا اي يقفان في ناحية الصراط قال القاضي عياض فهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التي لجا الناس اليه فيها هي لاراحة الناس من كرب الموقف ثم تجي الشفاعة في الاخراج انتهى والمعنى في قيام الامانة والرحم انهما لعظم شانهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن وللقاطع والواصل فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث ابي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد ثم يميز بين المنافقين

من

من المومنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل امة ما كانت تعبد هو اول فصل القضا والاراحة من كرب الموقف وبهذا اجتمع متون الاحاديث ويترتب معانيها انتهى وظهر انه صلى الله عليه وسلم اول من يشفع ليقضى بين الخلق وان الشفاعة فيمن يخرج من النار وفيمن سقط يقع بعد ذلك وان العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل امة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار ثم يميز بين المومنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يوذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفا نور المنافقين فيسقطون في النار ايضا ويمر المومنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد قال النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات خمس الاولى في الاراحة من هول الموقف الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم الجنة بغير حساب حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في اخراج من ادخل النار من العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى فاما الاولى وهي التي للاراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث ابي هريرة وغيره وحديث انس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا فياتون ادم فيقولون انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك الملايكة فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطييته ايتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبيا واحدا واحدا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي واذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا الله ثم يقال لي ارفع راسك سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث واما الثانية وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها ما في اخر حديث ابي هريرة عند البخاري ومسلم الذي قدمته فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة قال ابو حامد والسبعون الالف الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا ياخذون صحفا وانما هي براة مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله هذه براة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقا بعدها ابدا فما مر عليه شي اسر من ذلك قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط يقول رب سلم الرابعة وهي في اخراج من ادخل النار من العصاة فدلايلها كثيرة وقد روى البخاري عن عمران بن حصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين واما الخامسة وهي رفع الدرجات فقال النووي في الروضة انها مما صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا فالله اعلم وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا ابا طالب كان يحوطك

٢٥٩

وينصرك ويغضب لك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الي
ضحضاح وفي الصحيحين ايضا من طريق ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه
شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وزاد
بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث سعد رفعه لا يثبت احد على لاوائها
الا كنت له شفيعا يوم القيامة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان متعلقها لا يخرج عن واحد من
الخمس الاول وبانه لو عد مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول اول من اشفع له اهل المدينة ثم اهل مكة ثم اهل الطايف رواه البزار
ولاخرى من زار قبره الشريف واخرى لمن اجاب المؤذن ثم صلى عليه صلى الله عليه وسلم واخرى في التجاوز
عن تقصير الصلحا لكن قال الحافظ ابن حجر انها مندرجة في الخامسة وزاد القرطبي
انه اول شافع في دخول امته الجنة قبل الناس ويدل عليه ما رواه
وزاد في فتح الباري اخرى فيمن استوت حسناته وسياته ان يدخل الجنة لما اخرجه
الطبراني عن ابن عباس قال السابق يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمة الله
والظالم لنفسه واصحاب الاعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم وارجح الاقوال
في اصحاب الاعراف انهم قوم استوت حسناتهم وسياتهم وشفاعة اخرى وهي شفاعته
فيمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن انس فاقول يا رب ايذن لي فيمن
قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريايي وعظمتي لاخرجن من النار
من قال لا اله الا الله قال ولا يرد على الخمسة اربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة
في التخفيف عن صاحب القبرين وغير ذلك لكونه من جملة احوال الدنيا انتهى فان قلت
فاي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته اما الاولى فلا تختص بهم بل هي لاراحة
الجمع كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم وكذلك باقي الشفاعات الظاهر انه تشاركهم
فيها بقية الامم والجواب انه يحتمل ان المراد الشفاعة العظمى التي للاراحة من هول
الموقف وهي وان كانت غير مختصة بهذه الامة لكنهم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا
كان اللفظ المنقول عنه صلى الله عليه وسلم فيها انه قال يا رب امتي امتي فدعا لهم فيه فاجيب
وكان غيرهم تبعا لهم في ذلك ويحتمل ان تكون الشفاعة الثانية وهي التي في ادخال قوم
الجنة بغير حساب وهي المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من امتي الجنة
سبعون الفا الحديث ولم ينقل ذلك في بقية الامم ويحتمل ان يكون المراد مطلق الشفاعة
المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم فيها او بعضها لا ينافي
ان يكون عليه الصلاة والسلام لخر دعوته شفاعة لامته فلعله لا يشفع لغيرهم من الامم
بل يشفع لهم انبياوهم ويحتمل ان تكون الشفاعة لغيرهم تبعا كما تقدم مثله في الشفاعة
العظمى والله اعلم وعن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان
اشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة ومدرة رواه احمد وعن ابن عباس ان النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال نحن اخر الامم واول من يحاسب يقال اين الامة الامية ونبيها فنحن الاخرون
الاولون رواه ابن ماجه وفي حديث ابن عباس عند ابي داود الطيالسي مرفوعا فاذا اراد ان
يقضي بين خلقه نادى مناد اين محمد وامته فاقوم وتتبعني امتي غرا محجلين من اثار الطهور قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الاخرون الاولون واول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا
وتقول الامم كادت هذه الامة ان تكون انبيا كلها وقد صح ان اول ما يقضى بين الناس في الدما وفي
البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال انا اول من يجثو يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة
يريد قصته في مبارزته هو وصاحباه الثلاثة من كفار قريش قال ابو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان
اختصموا في ربهم الاية وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد
يوم القيامة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن علمه فيما عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه و
انفقه وعن جسمه فيما ابلاه رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي البخاري من حديث عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب وروى البزار عن انس بن مالك عن النبي
النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن ادم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل
الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله لاصغر نعمة خذي
ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم
وقد ذهب العمل الصالح فاذا اراد الله ان يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت
عن سياتك احسبه قال ووهبت لك نعمي وروى الامام احمد بسند حسن قال ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا وعن انس بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رايناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما اضحكك يا رسول
الله بابي انت وامي قال رجلان من امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي
من اخي فقال الله كيف يصنع باخيك ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل من اوزاري
وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس ان يحمل
عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يا رب ارى مداين من ذهب وفضة
مكللة باللولو لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد هذا قال لمن يعطي الثمن قال يا رب
ومن يملك ذلك قال انت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه
قال الله تعالى فخذ بيد اخيك وادخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك
اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المسلمين رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما
عن عباد بن شيبة الحبطي عن سعيد بن انس عنه فقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال وقد قيل لو ان
رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضي خصمه وقيل يوخذ
بدانق سبعماية صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير ثم بعد انقضا الحساب
يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزا فينبغي ان يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقرير الاعمال والوزن
لاظهار مقاديرها ليكون الجزا بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت

السنة بلفظ الافراد والجمع نقيل ان صورة الافراد محمولة على ان المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال
بعضهم يحتمل ان يكون تعددها بتعدد الاعمال فتكون هنا موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان
منها صنف من اعماله وذهبت طايفة الى انها ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد في الاية
بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين والمراد رسول
واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون واختلف في كيفية وضع الميزان والذي جا في اكثر الاخبار ان
الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يوتي بالميزان فينصب بين يدي الله تعالى فتوضع
كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيات مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
واختلفوا في الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال انفسها وهي وان كانت اعراضا الا
انها تجسم يوم القيامة وقيل الموزون صحايف الاعمال ويدل عليه حديث البطاقة المشهور وقد — فتوزن صحف
روي وقد رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا
من امتي على رووس الخلايق يوم القيامة فينشر عليه تسعا وتسعين سجلا كل سجل منها مد البصر ثم
يقول اتنكر من هذا شيا اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب
فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم
قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم
الله شي فان قلت ان شان الميزان ان يوضع في كفة شي وفي الاخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيات
في كفة والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان ياتي عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى
يوضع الايمان في كفة والكفر في اخرى اجاب الترمذي الحكيم بانه ليس المراد وضع شهادة التوحيد
في كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع ساير الحسنات ويدل لما
قاله قوله عليه الصلاة والسلام عن لا اله الا الله امن الحسنات هي فقال من اعظم الحسنات اخرجه البيهقي
وغيره ويجوز كما قاله القرطبي في التذكرة ان تكون هذه الكلمة هي اخر كلامه في الدنيا كما في حديث
معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفي التحبير للقشيري قيل
لبعضهم في المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتي فرجحت السيات على الحسنات فسقطت صرة في كفة الحسنات
فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب القيته في قبر مسلم وفي الخبر اذا خفت حسنات المومن اخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان التي فيها حسناته فترجح الحسنات
فيقول ذلك العبد المومن للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي ما احسن وجهك وما احسن خلقك
فمن انت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك علي وقد وفيتك اياها احوج ما يكون اليها ذكره القشيري
في تفسيره وذكر الغزالي انه يوتي برجل يوم القيامة فما يجد حسنة ترجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية
فيقول الله تعالى له رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما
يجد احدا يكلمه في ذلك الامر الا قال له انا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت الله فما
وجدت في صحيفتي الا حسنة واحدة وما اظنها تغني عني شيا خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا

فيقول

فيقول الله ما بالك وهو اعلم فيقول يا رب اتفق من امري كيت وكيت قال فينادي الله تعالى بصاحبه
الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى كرمي اوسع من كرمك خذ بيد اخيك وانطلقا الى الجنة
وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من اهل الجنة ولا من اهل النار
فياتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب اف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق
٢٦١ فيومر به الى النار قال فيطلب الرجل ان يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول له
ايها العبد العاق لاي شي تطلب الرد الي فيقول الهي اني ساير الى النار وكنت عاقا لابي وهو
ساير الى النار مثلي فضعف علي عذابه وانقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته
في الدنيا وبررته في الاخرة خذ بيد ابيك وانطلقا الى الجنة وقد روي حذيفة ان صاحب
الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام وهو الذي يزن الاعمال يوم القيامة واختلف ايضا
في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم ان الراجح من الموزون في الاخرة يصعد عكس
ما في الاخرة الدنيا واستشهد في ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الاية قال
الزركشي وهو غريب مصادم لقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل
توزن الاعمال كلها ام خواتيمها حكي عن وهب ابن منبه انه قال يوزن من الاعمال خواتيمها
واستدل بقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بخواتيمها وذكر الحافظ ابو نعيم عن نافع
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المومن حاجة كنت واقفا — ابن
عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض اهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة ولا
يجوز احد الصراط حتى يسال عن سبع قناطر فاما القنطرة الاولى فيسال عن الايمان بالله وهي
شهادة ان لا اله الا الله فان جا بها مخلصا جاز ثم يسال في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جا بها
تامة جاز ثم يسال في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جا به تاما جاز ثم يسال في القنطرة — الى القنطرة ثم
الرابعة عن الزكاة فان جا بها تامة جاز ثم يسال في الخامسة عن الحج والعمرة فان جا بهما تامين جاز
ثم يسال في السادسة عن الغسل والوضو فان جا بهما تامين جاز ثم يسال في السابعة وليس — فيسال
في القناطر اصعب منها فيسال عن ظلامات الناس وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب
الصراط بين ظهري جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز ولا يتكلم يوميذ الا الرسل ودعوى الرسل
يوميذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله
تعالى تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري
وفي حديث حذيفة وابي هريرة عند مسلم ونبيكم قايم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز
اعمال العباد حتى ياتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة
مامورة تاخذ من امرت به فمخدوش ناج ومكدوش في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار
اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط
في النار قال ابن العربي ويوخذ من قوله فمخدوش الى اخره ان المار على الصراط ثلاثة اصناف
ناج بلا خدش وهالك من اول دهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو وفي حديث المغيرة عند الترمذي

شعار المؤمنين على الصراط رب سلم رب سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان
ينطقوا به بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فيسمى ذلك شعارا وفي حديث
بن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين
ايديهم الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر
كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم
من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على قدميه يحبوا
على وجهه ويديه ورجليه تجر وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل ويصيب جوانبه النار
فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله الذي اعطاني ما لم يعط
احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها الحديث رواه بن ابي الدنيا والطبراني وروى مسلم قال
ابو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وارق من الشعر ولابن المبارك من مرسل عبيد
بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبيه كلاليب انه ليوخذ بالكلوب الواحد اكثر من ربيعة
ومضر واخرجه بن ابي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملايكة على جنبيه يقولون رب سلم
وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمسة عشر الف سنة خمسة الاف
صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوي ارق من الشعر واحد من السيف على
متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره بن عساكر في ترجمته قال
في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق
من الشعر على بعض الناس وعلى بعض الناس مثل الوادي الواسع اخرجه بن المبارك وهو
مرسل او معضل وقد ذهب بعضهم الى ان المراد من قوله وان منكم الا واردها الجواز على الصراط
لانه ممدود على النار وروى بن عساكر وابن مسعود وكعب الاحبار انهم قالوا الورود المرور على
الصراط وقيل الورود الدخول وعن ابي سمية قال اختلفنا في الورود قال بعضنا لا يدخلها
مومن وقال بعضنا يدخلها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فقلنا
انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فاهوى باصبعيه الى اذنيه وقال صمتا ان لم اكن
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها
فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار او قال لجهنم ضجيجا من بردهم
ثم ينجي الذين اتقوا ونذر الظالمين رواه احمد والبيهقي باسناد حسن واخرجه بن الجوزي كما
ذكره القرطبي في التذكرة ونعم الزالون على الصراط كثير واكثر من يزل عليه النسا قال واذا صار
الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف
كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ما اعظم خوفها واشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا
ضعيفا مهينا ويتاخر عنها من كان عظيما مكينا ثم يوذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط
على قدر اعمالهم فاذا عصف الصراط بامة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وامحمداه وامحمداه
فيبادر عليه الصلاة والسلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل اخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه

وسلم رافعا صوته امتي امتي لا اسالك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملايكة قيام عن يمين
الصراط ويساره ينادون رب سلم رب سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتسا قطون
على اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم اما نهيتم عن كسب
٢٦٢ الاوزار اما انذرتم كل الانذار اما جاءكم النذير المختار ذكره بن الجوزي في كتابه روضة المشتاق
وقد جاء في حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال من احسن الصدقة في الدنيا جاز على
الصراط رواه ابو نعيم وفي الحديث من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على
الصراط الى الجنة وروى القرطبي عن بن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيامة جمع الله
الانبيا نبيا نبيا وامة امة ويضرب الجسر على جهنم وينادي اين احمد وامته فيقوم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله ابصار اعدايه
فيتهافتون في النار يمينا وشمالا وينجو النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم الملايكة لعله يسعى
فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي الى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش
ثم يتبعه عيسى عليه الصلاة والسلام على مثل سبيله وتتبعه امته برها وفاجرها حتى اذا كانوا
على الصراط طمس الله ابصار اعدايهم فيتهافتون في النار يمينا وشمالا واعلم ان في الاخرة صراطين
صراطين احدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الا من دخل الجنة بغير حساب او يلتقطه عنق النار فاذا
خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط اخر لهم ولا يرجع الى النار احد من هولا ان شا الله تعالى
لانهم قد عبروا الصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخاري من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اهدى في الجنة بمنزله منه بمنزله كان في الدنيا واما تفضيله صلى الله عليه وسلم
بانه اول من يقرع باب الجنة واول من يدخلها ففي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن بن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة وفيه ايضا
من حديث انس بن مالك قال صلى الله عليه وسلم اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك ورواه الطبراني وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول
لا افتح لاحد قبلك ولا اقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة فيه اظهار لمزيته ومرتبته لاحد
وانه لا يقوم في خدمة احد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد اقامه
الله تعالى في خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وروى سهل بن ابي صالح عن زياد النميري عن انس
بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من ياخذ بحلقة الجنة ولا فخر وهو في مسند الفردوس
لكن من حديث بن عباس وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة
ولا فخر وبيدي لوا الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه
الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون ادم فذكر الحديث الى ان قال فياتوني فانطلق معهم
قال ابن جدعان قال انس فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذ بحلقة باب الجنة فا
تقعقعها

فيقال من هذا فيقول محمد فيفتحون لي فيرحبون بي فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثنا والحمد فيقال ارفع راسك الحديث رواه الترمذي وقال حسن وفي حديث سلمان فياخذ بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح وفي حديث الصور ان المومنين اذا انتهوا الي باب الجنة تشاوروا فيمن يستاذن لهم في الدخول فيقصدون ادم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسي ثم عيسي ثم محمدا صلي الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم الي الله عز وجل في فصل القضا ليظهر شرف نبينا صلي الله عليه وسلم علي ساير البشر كلهم في المواطن كلها وروي ابو هريرة مرفوعا انا اول من يفتح له باب الجنة الا ان امراة تبادرني فاقول لها مالك ومن انت فتقول انا امراة قعدت علي ايتامي رواه ابو يعلي ورواته لا باس بهم وقال المنذري اسناده حسن ان شا الله وقوله تبادرني اي لتدخل معي او تدخل في اثري ويشهد له حديث انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وقال باصبعيه السبابة والوسطي رواه البخاري من حديث سهل بن سعد قال ابن بطال حق علي من سمع هذا الحديث ان يعمل به ليكون رفيق النبي صلي الله عليه وسلم في الجنة ولا منزلة في الجنة افضل من ذلك انتهي ويحتمل ان يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما في الحديث قبله ووجه التشبيه ان النبي صلي الله عليه وسلم من شانه ان يبعث الي قوم لا يعقلون امر دينهم فيكون كافلا لهم ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل امر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن ادبه وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتي اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر ماذا باعجب من كلام موسي كلمه تكليما وقال اخر فعيسي روح الله وقال اخر وادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك وعيسي روح الله وهو كذلك وموسي كلمه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر رواه الترمذي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وقايدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم علي ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم اللولو المكنون رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه ايضا عن النبي صلي الله عليه وسلم قال نحن الاخرون الاولون يوم القيامة نحن اول الناس دخولا الجنة فهذه الامة اسبق الامم خروجا من الارض واسبقهم الي اعلا مكان في الموقف واسبقهم الي ظل العرش واسبقهم الي فصل القضا واسبقهم الي الجواز علي الصراط واسبقهم الي دخول الجنة وهي اكثر اهل الجنة روي عبد الله بن الامام احمد من حديث ابي هريرة لما نزلت هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال صلي الله عليه وسلم انتم ثلث اهل الجنة انتم نصف اهل الجنة انتم ثلثا اهل الجنة قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري وفي حديث بهز بن حكيم رفعه اهل الجنة عشرون ومائة صف انتم منها ثمانون وعن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم

قال

٢٦٣

قال ان الجنة حرمت علي الانبيا كلهم حتي ادخلها وحرمت علي الامم حتي تدخلها امتي قال الدارقطني غريب عن الزهري فان قلت ما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال اصبح رسول الله صلي الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الي الجنة فما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك امامي الحديث اجاب عنه ابن القيم بان تقدم بلال بين يديه صلي الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعوا الي الله اولا بالاذان ويتقدم اذانه بين يديه صلي الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث ان النبي صلي الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلي الله عليه وسلم واظهار الشرفه وفضيلته لا سبقا من بلال له وروي ابن ابي شيبة من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي تدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتي انظر اليه فقال صلي الله عليه وسلم اما انك يا ابا بكر اول من يدخل الجنة من امتي فقد دل هذا الحديث علي ان لهذه الامة بابا مختصا يدخلون منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من اي ابواب الجنة يدخل النبي صلي الله عليه وسلم والجواب انه قد ذكر الترمذي الحكيم ابواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلي الله عليه وسلم قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدة ابواب الجنة فاعلم ان في حديث ابي هريرة عند الشيخين مرفوعا من انفق زوجين في سبيل الله دعي من ابواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان وروي الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا ما منكم من احد يتوضا فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له من ابواب الجنة الثمانية بزيادة من قال القرطبي وهو يدل علي ان ابواب الجنة اكثر من ثمانية قال وانتهي عددها الي ثلاثة عشر بابا كذا قال فان قلت اي الجنان يسكنها النبي صلي الله عليه وسلم فاعلم منحني الله واياك التمتع بذاته القدسية الي محض الفردوسية ان الله تعالي قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله يختار من كل نوع اعلاه وافضله كما اختار من الملايكة جبريل ومن البشر محمدا صلي الله عليه وسلم وربك يخلق ما يشا ويختار وفي الطبراني من حديث ابي الدردا قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ينزل الله تعالي في اخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الاولي منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشا ويثبت ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها احد الا الانبيا والشهدا والصديقين وفيها ما لم يره احد ولا خطر علي قلب بشر ثم يهبط اخر ساعة من الليل فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر له الا سايل يسالني فاعطيه الا داع يدعوني فاستجيب حتي يطلع الفجر وفي حديث انه اري جنة عدن ومنازل المرسلين منها وارى منازله فوق منازلهم وروي الشيخ عن شمر بن عطيه قال خلق الله

ابو

جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيبا لاوليائي ازدادي حسنا لاوليائي
فتامل هذه العناية كيف جعل الجنة التي يعطيها لمن خلقه بيده ولافضل بريته اعتنا وتشريفا واظهارا
لفضل ما خلقه بيده وشرفه وتمييزه بذلك عن غيره وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلاثة اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده
وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث وفيه ابو معشر
نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه وروى الدارمي ايضا عن عبد الله بن عمر خلق الله اربعة اشيا العرش بيده
والقلم وعدن وادم عليه السلام ثم قال لسائر الخلق كن فكان وعنه ايضا عن ميسرة قال ان الله لم
يمس شيا من خلقه غير ثلاث خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده فجنة عدن
اعلا الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي تقع فيه الروية وعليها سور وثمانية
اسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس واصله البستان
وهي اوسط الجنان التي دون جنة عدن وافضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى وهي
التي ياوي اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل تاوي اليها ارواح الشهدا ثم دار السلام لانها
دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقامة واعلم ان للجنة اسما عديدة باعتبار صفاتها ومسماها
واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم
العام المتناول من تلك الذوات وما اشتملت عليه من انواع النعيم والسرور وقرة العين وهذه
اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار والجنان كثيرة جدا كما
قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما قتل ببدر وقد قالت يا رسول الله الا تحدثني عن حارثة وكان
قتل ببدر فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت في البكا عليه يا ام حارثة انها جنان
في الجنة وان ابنك قد اصاب الفردوس الاعلا وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فذكرهما ثم
قال ومن دونهما جنتان فهذه اربع وقال صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وجنتان
من فضة انيتهما وما فيهما رواه الشيخان من حديث ابي موسى الاشعري وقد قسم بعضهم الجنات
بالنسبة الى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم
ومن اهلها اهل الفترات ومن لم يصل اليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من
دخل الجنة من المومنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لو دخلوها والجنة الثالثة جنة الاعمال
وهي التي ينزل الناس فيها باعمالهم فمن كان افضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة اكثر
وسوا كان التفاضل دون المفضول او لم يكن غير انه فضله في هذا المقام لهذه الحالة فما من عمل من
الاعمال الا وله جنة ويقع التفاضل فيما بين اصحابها بحسب ما تقتضي احوالهم قال صلى الله عليه
وسلم يا بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث فعلم انها كانت جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها
وقد يجمع الناس في الزمان الواحد اعمالا من العبادات فيوجر في الزمان الواحد من وجوه كثيرة
فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد تبين ان نيل المنازل والدرجات في الجنان بالاعمال ولما

الجنة

الهي

الدخول فلا يكون الا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عايشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لن يدخل احدا الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته
اي يلبسنيها ويسترني بها ماخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند الامام احمد باسناد حسن من
حديث ابي سعيد الخدري لن يدخل الجنة احد الا برحمة الله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق راسه يعني ان الجنة انما تدخل برحمة الله وليس عمل
العبد مستقلا بدخولها وان كان سببا ولهذا اثبت الله دخولها بالاعمال في قوله تعالى وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال في قوله لن يدخل
احدكم الجنة بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة
من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال ويدل له
حديث ابي هريرة ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال
يحمل الاية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال
ويحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان دخول الجنة ايضا بالاعمال واجاب بانه لفظ مجمل بينه الحديث
والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك اصل الدخول ثم
قال ويجوز ان يكون الحديث مفسرا للاية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم
وتفضله عليكم لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا اصل دخول الجنة برحمته حيث الهم
العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شي من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد تفضل الله عليهم
ابتدا بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم واشار الى نحوه القاضي عياض فقال وان من رحمة
الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وانما هو بفضل الله ورحمته
وقال غيره لا تنافي بين ما في الاية والحديث لان البا التي اثبتت الدخول هي با السبب التي تقتضي
سببية ما دخلت عليه لغيره وان لم يكن مستقلا بحصوله والبا التي نفت الدخول هي با المعاوضة
التي يكون فيها احد العوضين مقابلا للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان دخول الجنة ليس في مقا
عمل احد وانه لولا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة لان العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده
دخول الجنة ولا يكون عوضا لانه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل
لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية ولم يقم بها فلذلك
لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من اعمالهم
كما في حديث ابي بن كعب عند ابي داود وابن ماجه وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة
والتعليل القايلين بان القيام بالعبادة ليس الا لمجرد الامر من غير ان يكون سببا للسعادة في معاش
ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين ان النار ليست سببا للاحراق ولا الما للارواء والتبريد والقدرية
الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القايلين بان العبادات شرعت اثمانا لما يناله العباد
من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفا الاجير اجرته محتجين بان الله تعالى يجعلها عوضا

بلة

لعامل

للسعادة

سببا

كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن ربه تعالى
يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها وهولا الطايفتان متقابلتان اشد التقابل وبينهما
اعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزا البته والقدرية جعلت ذلك كله بمحض
الاعمال وثمنا لها والطايفتان جايرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه
عباده وجات به رسله ونزلت به كتبه وهو ان الاعمال اسباب موصلة الي الثواب والعقاب
مقتضيات لهما كاقتضا ساير الاسباب لمسبباتها وان الاعمال الصالحة من توفيق الله تعالى
ومنته وصدقته علي عبده ان اعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه ارادتها والقدرة عليها
وحببها اليه وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزايه وثوابه بل
غايتها ان تكون شكرا له تعالى ان قبلها سبحانه وتعالى وبهذا انفى عليه الصلاة والسلام دخول
الجنة بالعمل ردا علي القدرية القايلين بان الجزا بمحض الاعمال وثمنا لها واثبت سبحانه وتعالى
دخول الجنة بالعمل ردا علي الجبرية الذين يجعلون للاعمال ارتباطا بالجزا فتبين انه لا تنافي بينهما
اذ تواردا النفي والاثبات ليس علي معني الواحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمنا
وعوضا لها ردا علي القدريه والمثبت الدخول بسبب العمل ردا علي الجبرية والله يهدي من يشا الي
صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الاسلام بن حجر يحمل الحديث علي ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد
به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولا واذا كان كذلك فامر القبول الي الله تعالى وانما يحصل
برحمة الله لمن يقبل منه وعلي هذا فمعني قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اي تعملون من العمل المقبول
ولا يضر هذا ان تكون سببية قال ثم رايت النووي جزم بان ظاهر الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال
والجمع بينها وبين الحديث ان التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها انما هو برحمة الله
وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه دخل بسبب العمل وهو من
رحمة الله تعالى انتهي وروي الدارقطني عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
الرجل انا لشرار امتي فقالوا فكيف انت لخيارها قال اما خيارها فيدخلون الجنة باعمالهم واما
شرار امتي فيدخلون الجنة بشفاعتي ذكره عبد الحق في العاقبة واما تفضيله صلى الله عليه وسلم
في الجنة بالكوثر وهو علي وزن فوعل من الكثرة سمي به هذا النهر العظيم لكثرة مايه وانيته وعظم
قدره وخيره فقد نقل المفسرون في تفسير الكوثر اقوالا تزيد علي العشرة ذكرت كثيرا منها في المقصد
السادس من هذا الكتاب واولها قول بن عباس انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر
من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه فقد روي مسلم عن انس واللفظ لمسلم قال بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد اذ اغفا اغفاة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر
ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي عز وجل
الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر علي الحوض وقد جا صريحا من حديث البخاري ان الكوثر هو النهر الذي
يصب في الحوض وفي البخاري من حديث قتادة عن انس قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الي السما قال

اتيت

اتيت علي نهر حافتاه قباب اللولو مجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه بن جرير
عن شريك بن ابي نمر قال سمعت انس بن مالك يحدثنا قال لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
مضي به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر من لولو وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك
قال يا جبريل ما هذا النهر قال هو الكوثر خبا لك ربك ورواه احمد عن انس ان رجلا قال
يا رسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلي من العسل
وعن ابي عبيدة عن عايشة قال سالتها عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه
نبيكم شاطياه عليه در مجوف اي القباب التي علي جوانبه ورواه النساي بلفظ قالت نهر
في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللولو والياقوت ترابه
المسك وحصباوه اللولو والياقوت وبطنان بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط
بفتح المهملة والمراد به اعلاها اي ارفعها قدرا والمراد اعدلها وعن بن عمر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب والما يجري علي اللولو وماوه اشد بياضا
من اللبن واحلا من العسل رواه احمد وبن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح وروي بن عباس
في قوله انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون الف فرسخ ماوه اشد بياضا
من اللبن واحلا من العسل شاطياه اللولو والزبرجد والياقوت خصه الله به نبيه قبل الانبيا
رواه بن ابي الدنيا موقوفا وعن انس قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال
نهر في الجنة اعطانيه الله يعني في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلي من العسل فيه طير
اعناقها كاعناق البخت واعناق الجزر قال عمر انها لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكلها انعم منها رواه الترمذي وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير
قال الحافظ بن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من ايمة الحديث
وكذلك احاديث الحوض قال وهكذا روي عن انس وابي العالية ومجاهد وغير واحد من
السلف ان الكوثر نهر في الجنة واما تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة
فروي مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلي علي صلاة صلي الله عليه وسلم
عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون
هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين بن كثير علم علي اعلا
منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي اقرب
امكنة الجنة الي العرش وقال غيره الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت اي
تقربت ويطلق علي المنزلة العليه كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة علي انه يمكن
ردها الي الاول فان الواصل الي تلك المنزلة قريب من الله فيكون كالقربة التي يتوسل
بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربه واعلمهم به واشدهم
له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الي الله تعالى وهي اعلا درجة

الموجود ٢٦٥

انيته كعدد النجوم رواه البخاري

وقوله شاطياه اي حافتاه وقوله در مجوف

ماوه

لا تنبغي

في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسالوها له في الدنيا لو ابهذا الدعا الزلفى وزيادة الايمان
وايضا فان الله تعالى قد وعده بها باسباب شهادة عا امته له بها بما نالوه على يديه من الهدى والايمان
واما الفضيلة فهي الرتبة الزايدة على ساير الخلايق ويحتمل ان تكون منزلة اخرى او تفسيرا
للوسيلة وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله
عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله تعالى لي الوسيلة رواه في المسند وذكر ابن ابي الدنيا
وقال درجة في الجنة اعلا منها فسلوا الله تعالى ان يوتينها على روس الخلايق وروي ابن مردويه
عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سالتم الله فسلوا لي الوسيلة قالوا يا رسول الله
من يسكن معك قال علي وفاطمه والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين ابن كثير انه حديث
غريب منكر من هذا الوجه وعند ابن ابي حاتم من حديث علي ايضا قال على منبر الكوفة ايها الناس
ان في الجنة لولوتين احداهما بيضا والاخرى صفرا فاما الصفرا فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود
من اللولو البيضا سبعون الف غرفة كل بيت منها ثلاثة ايال وغرفها وابوابها واسرتها وسكانها
من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته والصفرا مثل ذلك هي
لابراهيم عليه السلام واهل بيته وهو اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير ايضا وعن ابن عباس
في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال اعطاه الله تعالى في الجنة الف قصر في كل قصر
ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال الا عن
توقيف فهو حكم المرفوع **خاتمه** عن عايشه قالت جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني لاكون
في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك فاذا ذكرت موتي وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة
رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل
جبريل عليه السلام بهذه الاية ومن يطع الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا رواه ابو نعيم وقال الحافظ ابو عبد الله
المقدسي لا اعلم باسناد هذا الحديث باسا كذا نقله في حادي الارواح وذكر البغوي في معالم التنزيل
بلفظ نزلت يعني الاية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي وجع ولا مرض غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك
ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة ادنى من منزلتك
وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وكذا ذكر ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل
هو عبد الله بن زيد الانصاري الذي راى الاذان وليس المراد ان يكون من اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين
والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول
وكذا لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان لان الحجاب
اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الروية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية

وقد ثبت

وقد ثبت في الصحيحين من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت
لها قال لا شي الا اني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشي فرحنا بقول
النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر
وارجو ان اكون معهم بحبي اياهم وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني بسند غريب

الله تعالى قال ما تقرب الي عبدي بمثل ادا ما افترضت عليه ولا يزال يتقرب الي بالنوافل حتى احبه
الحديث وفيه من الزيادة على حديث البخاري ويكون من اوليايي واصفيايي ويكون جاري مع النبيين
والصديقين والشهدا في الجنة فيه دريها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب يرقى
في درجات الجنان على اهل المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في افق السما لعلو درجته
وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه وان المرء مع من احب ولكل عمل جزا وجزا المحبة المحبة والقرب
والقرب من المحبوب رويت امراة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل
لها بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوة النظر اليه نوديت من اشتهى النظر
الى حبيبنا نستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه وانظر قوله تعالى طوبى لهم وحسن
ماب وان طوبى اسم شجرة في الجنة غرسها الله بيده تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من ورا
سور الجنة وان اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي دار كل نبي منها غصن فما من جنة من الجنان
الا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولي من سره عليه الصلاة والسلام وانه صلى الله
عليه وسلم على اهل الجنة فلا ولي يتنعم في جنته الا والرسول متنعم بنعمة لان الولي ما وصل الى
ما وصل اليه من النعيم الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قايما به في نعمه
وكذا ابليس في النار فلا عذاب لاحد من اهلها الا وابليس لعنه الله سر تعذيبه ومشارك فيه
وفي البحر لابي حيان عند تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هي عين
في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبيا والمومنين واذا علمت هذا فاعلم
ان اعظم نعيم اهل الجنة واكمله التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه
وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التي هي اكبر الجنان وما فيها
كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ولا ريب ان فيه اجل مما يخطر ببال او يدور في خيال ولا سيما
عند فوز المحبين في روضة الانس وحضرة القدس بمعية محبوبهم الذي هو غاية مطلوبهم فاي نعيم
واي لذة واي قرة عين واي فوز يداني تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق نعيم قرة
العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا شي والله اجل ولا اكرم ولا اكمل ولا اجمل ولا احلى ولا اعلى
من حضرة يجتمع فيها المحب باحبابه في مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم
الاله الحق جل جلاله خلق حجابه في اسمه الجميل اللطيف فيتفق عليهم نور يسري في ذواتهم
فيبهتون من جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذلك الجمال الاقدس بحضرة الرسول الانفس
ويقول لهم الحق جل جلاله سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم اهل ودادي انتم المومنون لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون انتم اوليايي وجيراني واحبابي اني انا الله الجواد الغني وهذه داري

قد اسكنتكموها وجنتي قد ابحتكموها وهذه يدي مبسوطة ممتدة عليكم وانا بكم انظر اليكم لا اصرف
نظري عنكم انا لكم جليس وانيس فارفعوا الي حوايجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك
الكريم والرضا عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهي فانظروا اليه وابشروا فاني عليكم راض عنكم ثم
يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا روسكم فليس هذا موضع سجود يا عبادي
ما دعوتكم الا لتتمتعوا بمشاهدتي يا عبادي قد رضيت عنكم فلا سخط عليكم ابدا فما احلاها من كلمة
وما الذها من بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن واحلنا دار المقامة من فضله
لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور وهذا يدل على ان جميع العبادات
تزول في الجنة الا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذي يدل عليه الحديث الصحيح انهم
يلهمون ذلك كالهام النفس كما في مسلم من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ياكل اهل الجنة فيها ويشربون ولا يمتخطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح
المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعني تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الانفاس فليس عن
تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه ان تنفس الانسان لابد له منه ولا كلفة
ولا مشقة في فعله فكذلك يكون ذكر الله تعالى على السنة اهل الجنة وسر ذلك ان قلوبهم قد تنورت
بمعرفته وابصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمته وامتلأت افيدتهم بمحبته ومخالته
فالسنتهم ملازمة لذكره وقد اخبر الله تعالى عن شانهم في ذلك بقوله تعالى في كتابه العزيز
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين
وقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
قال جامعه ومؤلفه احمد بن الخطيب القسطلاني عامله الله بما يليق بكرمه وهذا اخر ما جرى
به قلم المستمد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر
قليل في جنب شرفه الشامخ ويسير مما كرمه الله به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به
من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعضه الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت
المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب ولفنيت واصفيه ويفنى الزمان
وفيه ما لم يوصف والى الله تعالى اتضرع ان يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب
الريا وذريعة للفوز العظيم وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات امين وصلى الله على سيدنا محمد واله
وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى
يوم الدين امين امين امين والحمد لله رب العالمين
وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب المبارك في يوم الاربع المبارك عشرين ربيع الاخر شهور
سنة واحد وسبعين والف على يد متممها الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير راجي عفو
ربه القدير علي الحصاوي تابع شيخ ابراهيم مزيني
الاطفال بجامع السلطان حسن غفر الله له ولوالديه امين
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين